

التَّبَسُّيرُ

فِي

التَّبَسُّيرِ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ

أَبِي حَفْصٍ النَّسَفِيِّ

نَجْمِ الدِّينِ عُمرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّسَفِيِّ الْحَنْفِيِّ

٤٦١-٥٣٧ هـ

نُطْبِعَ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى نَدَاتِ شَيْخِ خَطْبَتِهِ

تَحْقِيقٌ وَقَوْلٌ

مَاهِرٌ أَدِيبٌ جَبَّارٌ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

بَابُ التَّبَسُّيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّيْسِيَّةُ

فِي

التَّفْسِيرِ

(١)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

يُمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المساءلة الدنيوية والأخروية



دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00905454729850

00902125255551

info@allobab.com



İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

مقدمة التحقيق بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم المنان، ذي الفضل والإحسان، والسَّطوة والسلطان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المختار، الذي أقام الشريعة وراغم الكفار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وتمسكوا بحبله، صلاة تُشرح بها القلوب، ويتيسر بها كلُّ مطلوب.

وبعد:

فإنَّ كتاب الله هو النور المبين، والطريق القويم، والحق المستبين، والصراط المستقيم، لا شيء أسطع من أعلامه، ولا حكم أصدع من أحكامه، ولا كلام أفصح من بلاغته، ولا قول أرجح من فصاحته، ولا عمل في ليلٍ أو نهارٍ ألذُّ من تلاوته، فيه خبرٌ من قبلنا، ونباٌ من بعدنا، وحكمٌ ما بيننا.

أعجز الفصحاء، وحير البلغاء، وأعياهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله، حتى شهد بإعجازه الأعداء قبل الأصدقاء، وأيقن بصدقهِ الجاحدون والملحدون؛ فإعجازه وبلاغته وحسن نظامه يشهد للنبي ﷺ بنبوته، وبأنه أعظم معجزاته، الباقية على طول أيام الدهر وسنواته.

وقد كان النبي من الأنبياء عليهم السلام يأتي بالآية وتنفضي بموته، فقلَّ لذلك من يتبعه، وكثر أتباع نبينا ﷺ لكون معجزته الكبرى باقية بعده، فيؤمن بالله ورسوله كثيرٌ ممن يسمع القرآن على ممر الأزمان.

فلا عَرَوْ أَنَّ نَهْضَ الْعُلَمَاءِ مِنْذُ فَجْرِ الدَّعْوَةِ مَشْمُرِينَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ لشرحهِ وتفسيرهِ، وبيانِ ما غَمَضَ من معانيهِ، وحلِّ ما أَشْكَلَ على مَنْ يُعانيهِ.

وَمِنْ أَجْلِ هَذَا ظَهَرَ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ تَصَانِيفٌ لَا يَحْصُرُهَا الْعَدُّ، اخْتَلَفَتْ أَسَالِيْهُهَا لَكِنْ غَايَتُهَا كَانَتْ وَاحِدَةً، وَهِيَ تَفْسِيرُ كِتَابِ اللَّهِ، وَإِيصَالُهُ إِلَى أَجْيَالِ الْأُمَّةِ جَيْلاً أُتْرَ جَيْلٍ، وَتَفْهِيْمُ الْأُمَّةِ مَعَانِيَهُ، وَمَا فِيهِ مِنْ عِبَرٍ وَأَمْثَالٍ، وَحِكَمٍ وَأَحْكَامٍ، وَبَلَاغَةٍ لَا تُرَامُ، وَخَيْرٍ عَمَّ الْأَنَامَ؛ لِتُذْرِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَظَمَتَهُ، فَتَتَمَسَّكَ بِهِ، وَتَجْتَهِدَ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ.

وَهَذِهِ التَّصَانِيفُ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً مِنْ حَيْثُ الْفَائِدَةُ، وَبَعْضُهَا يَقْدَمُ عَلَى بَعْضٍ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُهَا أَصْلًا وَالْآخَرُ فَرْعًا، فَإِنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعَدَّ فَرْدًا فِي بَابِهِ، وَإِمَامًا فِي مُحَرَابِهِ، وَأَسَاسًا فِي مَوْضُوعِهِ، بِحَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ مَثَلًا: إِنَّ مَا جَاءَ بَعْدَهُ لَيْسَ كَالَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَيُقَالَ مَثَلًا: إِنَّ مَا أُلْفَ قَبْلَ «تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ» فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ لَيْسَ كَمَا أُلْفَ بَعْدَهُ، وَإِنَّ مَا كُتِبَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَبَلَاغَتِهِ قَبْلَ «كَشَافِ» الزَّمْخَشَرِيِّ لَيْسَ كَالَّذِي كُتِبَ بَعْدَهُ، وَإِنَّ مَوْضُوعَ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ قَبْلَ «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لَيْسَ كَمَوْضُوعِهِ بَعْدَهُ، وَإِنَّ كُتُبَ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ قَبْلَ «بَحْرِ» أَبِي حَيَّانَ لَيْسَتْ كَالَّتِي أَعْقَبَتْ «بَحْرَهُ».

وَجَاءَ مِنَ التَّفَاسِيْرِ بَعْدَ تِلْكَ الْأَمْهَاتِ مَا هُوَ تَبَعٌ لَهَا، فَهَذَّبَ وَنَقَّحَ، وَزَادَ وَرَجَّحَ، وَشَرَحَ وَصَحَّحَ، وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ أَيْضًا لَا تُنْكَرُ مَكَانَتُهَا وَفَضْلُهَا، لَكِنْ يَبْقَى الْفَضْلُ لِلسَّابِقِ وَلَوْ أَجَادَ اللَّاحِقُ.

وَكَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّفَاسِيْرِ الَّتِي حَوَتْ فَنُونَ التَّفْسِيرِ مِنَ الْآثَارِ وَالْأَحْكَامِ وَالْمَعَانِي وَالْإِعْرَابِ وَاللُّغَةِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَجْعَلُهَا مُمَيِّزَةً عَنْ بَاقِي التَّفَاسِيْرِ.

وهذا التفسيرُ الذي بين أيدينا لا يمكنُ إلا أن يعدَّ من تلك الأمَّهات، بل هو كتابٌ فريدٌ في بابهِ، لم ينسجَ أحدٌ على منواله، جامعٌ للفرائد، زاخرٌ بالفوائد، قد خُطَّ بيدِ دُرِّة خبيرة، ذاتِ فكرٍ ثاقبِ البصيرة، فمؤلَّفُهُ قد فاق أقرانه علماً وفضلاً، وكُتِبَ في الفقه وغيره معروفةً شرقاً وغرباً، كما أنه عالمٌ باللغة والنحو مشهودٌ له بذلك، وهو مع ذلك من المتقدمين المعاصرين لأئمة التفسير الكبار أمثال الزمخشري وابن عطية وطبقتهما، فلم ينهل من كتبهم، ولا اتَّكأ على أقوالهم، فتفسيرُهُ لذلك يعدُّ من المراجع الهامَّة التي استفاد منها كثيرٌ ممَّن جاء بعده من المفسِّرين وغيرهم، وذلك لِمَا حوَّاه من العلوم والآثار، وما ضمَّه من النكات والأفكار، والتي أكثرها من إبداعه، لا نقلاً عن غيره كما هو شأن الكثير من المفسِّرين الذين يعوِّلون في تفاسيرهم على النقل عمَّن سبقهم.

وقد سعى فيه المؤلِّف لتحقيقِ أمرين اثنين:

الأول: الارتقاء بالإيمان والتقوى، وذلك لكثرة ما حواه من المواعظ والحكم، والتذكير بالله، ونقل عبارات العلماء العاملين، وأهل الزهد المخلصين.

والثاني: الارتقاء بالعلم بالقرآن لغة وإعراباً، وتفسيراً وتأويلاً، مع حشد الأقوال ونقل الآثار، مما تفرَّد بكثير منه هذا التفسير، فما له في الكتب المطبوعة من نظير، وقد سماه:

«التَّيْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ»

فكان اسماً على مسمًى، فهو ميسِّرٌ لمن قرأه، ميسِّرٌ معرفة التفسير على مَنْ طالعه.

وقد أكرمني الله سبحانه بتحقيقه بعد مدَّةٍ طويلةٍ من العمل في كتب التفسير

تَنَوَّفَ على خمسةَ عشرَ عاماً، طالعتُ خلالها غالبَ المشهورِ منها والمغمورِ، فحُضْتُ غمارها، وغُصْتُ في أعماقها، وعندما بدأت فيه كنتُ أظنه كباقي التفاسير لا يتميز عنها بشيء، ولم أكنُ أتوقَّع أنني سأجدُ فيه هذا الكمَّ الهائلَ من الفوائد والنكات، والرقائق والعِظَات، مع حسنِ الإشارة ومتانة العبارة، وسلامة الذوق، والذَّبَّ عن مذهبِ الحقِّ.

فالعجبُ كيف لم تمتدَّ إليه يدُ العناية إلى الآن، وبقي حبيسَ المكتبات يَنتظرُ مَنْ يمسحُ عنه غبارَ الإهمال، ويكشفُ عن أنواره ظلمةَ النسيان، مع أنه يفوقُ في فوائده كثيراً مما حَقَّقَ وطُبِعَ من كتب التفسير، فكان من فضلِ المولى عليٍّ أن أُوكِلت هذه المهمةُ إليَّ.

وكما يُقال: التيسيرُ علامةُ الإذن، فقد يسَّرَ الله سبحانه لنا سبيلَ تحقيقه، وتهيَّأ لنا في سبيل ذلك كمَّ كبيرٌ من النسخ الخطية النَّفيسة الكاملة، ما لا يتيسَّر مثله في كثيرٍ من الكتب، فقمنا بالمقارنة بينها لانتقاء أفضل النسخ وأكثرها دقَّةً وأقلَّها تحريفًا، وقد تمَّ لنا هذا المسعى بعون الله، واخترنا ثلاثةً من النسخ الخطية النَّفيسة، فتمَّ نسخ الكتاب ومقابلته من إحداها ثم مقابلته على الآخرين.

وقد كان من الصُّعوبات التي واجهتنا أن الكتاب لم يُطبع قبل الآن، ولا يوجد له، ولا حواشي أو شروح له يمكنُ الاستفادة منها، فكان علينا القيامُ بالمهمة كاملةً، وكانت تلك المهمةُ من الصعوبة بمكان، وذلك لكثرة ما فيه من أحاديث وآثار وأقوال، تحتاج للتخريج والشرح، وكذا لبيان حالِ المرفوع وما في حكمه، هذا مع كونِ أكثرِ الكتاب من إبداعِ المؤلِّف وإنشائه، وحتى ما ينقله فإنه يتصرَّف فيه فيزيْدُ وينقص ويغيَّر، فلا تكاد تجدُ له في عباراته وأقواله سلفاً يمكنُ الرجوعُ إليه لتصحيح تحريفٍ أو توضيح عبارة.

لكن مع كل هذا قد يسر لنا سبحانه القيام بالمهمة خير قيام، ليخرج الكتاب في النهاية بأبهى حلة وأحسن حال، فنسأل الله سبحانه القبول، فإنه خير مأمول. ومن أجل إتمام العمل على أحسن وجه فقد قمنا بكتابة مقدمة له تشتمل على فصلين:

الأول: ترجمة المؤلف ترجمة وافية بحيث تستوعب كل ما جاء عنه في المصادر المتوفرة لدينا، مع إعادة سبكها وترتيبها، وقد استقصينا لهذه الغاية كل ما كتب عنه تقريباً مما كان ترجمة له، أو كان منبثاً في كتب التراجم والأنساب وغيرها، الأمر الذي استغرق تعباً وتدقيقاً لا يستهان بهما، وبالله التوفيق.

الثاني: كتابة مقدمة للكتاب تتضمن تأكيد نسبة الكتاب للمؤلف، وأهم المراجع التي نهلت منه ونهل منها، وطريقة مؤلفه في تأليفه، وأهم المواضيع التي تناولها، هذا مع دراسة مستفيضة لخصائص هذا التفسير وما يميزه عن غيره من التفاسير.

وفي الختام نحمد الله أولاً وآخراً على توفيقه وتيسيره، وما أنزل علينا من الرحمات، وامتنن به من البركات، في الجهد والفهم والأوقات.

كما نشكره سبحانه أن هياً لهذا العمل من الأساتذة الأخيار من بذلوا غاية جهدهم ليرى هذا السفر العظيم النور بعد طول مكث في غياهب الظلمات:

فنشكر أولاً دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث التي حملت على عاتقها تحقيقه وطبعه وكل ما يتعلق به متمثلة بمديرها الأستاذ أبي عبد الله محمد خلوف العبد الله، والذي لولاه لما خرج هذا الكتاب إلى النور، فهو الذي استخرجه من بين

آلاف المخطوطات، وبسعيه ودأبه تمَّ تأمينُ نسخه الخطيَّة، وبمتابعته لكلِّ صغيرة وكبيرة تمَّ بفضلِ الله الانتهاءُ منه على الوجه الأكمل.

كما نشكرُ الأساتذةَ توفيق التكلة، وفادي السيد، وخالد شمسو، وهادي الهندي، وخالد محمد ياسين علوان، الذين عملوا في نسخه ومقابلته وإخراجه، وبذلوا لذلك جهوداً هائلةً لضمانِ الدقَّة والصَّحة وسلامة النصِّ. ونخص بالذكر الأستاذ خالد محمد ياسين علوان الذي بذل جهداً كبيراً في إتقان إخراج هذا الكتاب فنياً.

والشكرُ موصولٌ للإخوة الذين ساعدوا في تحقيقه، وهم الأساتذة: فادي المغربي، ومحمد سارية عجلوني، وجمال عبد الرحيم فارس.

فنسأل الله الرضا والقبول لنا جميعاً، وأن يوفِّقنا لخدمة كتابه العظيم، فهو أعظمُّ عمل للمؤمن، وأكرمهُ عند الله، وأرجاهُ للقبول.

وكتبه

ماهر أديب حبوش

٢٠١٩/٥/٢٦

الفصل الأول

ترجمة الإمام النسفي^(١)

١ - اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

في مدينة «نَسَف» وفي أحد أيام سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربع مئة كان سَطْوَعُ نجم الإمام نجم الدين شيخ زمانه، وعالم عصره وأوانه، ونَسَفُ بلدةٌ بين جَيِّحُونٍ وسمرقندَ وتسمَّى أيضاً: نخشب.

(١) تنظر ترجمته في «التحجير في المعجم الكبير» للسمعاني (١ / ٥٢٧)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥ / ٢٠٩٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥ / ٩٨)، و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (٤ / ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠ / ١٢٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم (١٠ / ٤٣٤٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣ / ٢٦٨)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي (١ / ٣٩٤ - ٣٩٥)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٤ / ٣٢٧)، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا (ص: ٢٢٠)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٨)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢ / ٥ - ٧)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص: ١٧١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ١٨٩)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» للكنوي (ص: ١٤٩)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١ / ٢٤٧، ٢٩٦، ٤١٥، ٤١٨، ٥١٩، ٥٥٣، ٥٦٤، ٦٠٢، ٦٦٨، ٧٠٦، ٧٥٦)، و(٢ / ١١١٤، ١١٢٥، ١١٤٥، ١٢٣٠، ١٣٥٦، ١٦٠٢، ١٦٨٦، ١٧٣١، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٧١، ١٩٢٩، ٢٠٢٧، ٢٠٤٨، ٢٠٥٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٢ / ٤٢١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (١ / ٧٨٣)، و«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده (١ / ١٢٣ - ١٢٤)، و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (١ / ٢١٥)، و«نثر النبال» للحويني (٢ / ٥٨٩)، و«الأعلام» للزركلي (٥ / ٦٠).

وهو عمرُ بنُ محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان، النسفي ثم السمرقندي، وهو مصنفُ تاريخها الملقَّب بـ«القند»، الإمامُ الزَّاهد نجمُ الدِّين أبو حفص.

أما نشأته فلم يَرِدْنا الكثيرُ عنها، لكن الذي يظهرُ من تلامذته ومشايعه ومكانتهم العالية أنه كان في مجتمعٍ يزخرُ بالعلم والعلماء، وأنه قد تفاعل مع هذا المجتمع منذ حداثة سنّه، يدلُّ على ذلك مثلاً أنه قد رُوي عنه «أصول البزدوي» لفخر الإسلام البَزْدَوِيّ كما سيأتي، وفخر الإسلام تُوفي سنة (٤٨٢هـ)، وكان من شيوخه أيضاً إسماعيل بن إبراهيم بن محمد أبو محمد النُّوحِيّ المتوفى سنة (٤٨١هـ)، وكان العلامةُ صاحبُ الترجمة أيامَ موت هذين الإمامين في حوالي العشرين من عمره، ما يدلُّ على أن طلبه للعلم كان قبل ذلك بكثير، ولا شكَّ أن مَنْ بلغ شأوه وصنّف تصانيفه لا بد وأن يكون قد طَلَب العلم وهو صغير حدث السن.

وقد رحل الإمامُ النسفيُّ لأداء فريضة الحج، فمرَّ ببغدادَ وأخذ عن بعض علمائها، وحدث فيها عن شيوخه، قال ابن النجَّار: قدِمَ بغدادَ حاجاً في سنة سبع وخمس مئة، وسمع من أبي القاسم بن بَيَّان وغيره، وحدث بكتاب «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» من جمعه وتأليفه، روى فيه عن عامة مشايخه.

٢ - علمه وثناء العلماء عليه:

هو عالمُ عصره، وفقيةُ زمانه، الذي ملأت تصانيفه طباق الأرض، وقد بلغت ما يقاربُ المئة في فنونٍ وألوانٍ شتى، من التفسير والفقه واللغة وغيرها، ويكفيك دلالة على علمه ومكانته أنه تتلمذ على يد كبار علماء عصره كفخر الإسلام البَزْدَوِيّ صاحب الأصول المشهورة، وأخيه العلامة أبي اليسر البَزْدَوِيّ، كما تتلمذ على يده

كبار العلماء الذين عمّ صيتهم الآفاق، وشغلت كتبهم الناس، ومنهم العلامة المُحقّق شيخ الإسلام عليّ بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني صاحب «الهداية»، بل إنه كان أجَلّ مشايخه حيث صدر «مشيخته» التي جمعها لنفسه بذكر الإمام نجم الدين، وذكر ابنه أبي الليث أحمد بن عمر بعده، وقال: سمعتُ نجم الدين عمر يقول: أنا أروي الحديث عن خمس مئة وخمسين شيخاً.

وقد أثنى عليه كلٌّ من عاصره أو جاء بعده، ولم يذكر فيه أحدٌ شيئاً سوى ما قاله السمعانيّ من أنه لم يكن من أهل الحديث، وله فيه أوهامٌ وأخطاءٌ، وسيأتي كلامُ السمعاني، وسوف يأتي في هذه المقدّمة إشارةٌ لهذا عند ذكر طريقته في إيراد الأحاديث.

أمّا ثناء العلماء عليه فمما لا يُحصى، وسنسوق طرفاً منه لبيان مكانته في زمانه وبين علماء عصره، ومدحهم له في علمه وزُهدِه ودِينِه، وحُسن جمعه وتصنيفه، ونبدأ بقول السمعاني، فقد كان معاصراً له وإن لم يلقه:

قال السمعاني: إمامٌ فقيهٌ فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنّف التصانيف في الفقه والحديث، ونظّم «الجامع الصغير» وجعله شعراً، وأما مجموعاته في الحديث فطالعتُ منها الكثير وتصفّحتها، فرأيتُ فيها من الخطأ وتغيير الأسماء وإسقاط بعضها شيئاً كثيراً وأوهماً غير محصورة، ولكن كان مرزوقاً في الجمع والتصنيف، كتب إليّ الإجازة بجميع مسموعاته ومجموعاته، ولم أدركه بسمرقند حياً، وحدثني عنه جماعة، وإنما ذكرته في هذا المجموع لكثرة تصانيفه، وشيوع ذكره، وإن لم يكن إسنادُه عالياً، وكان ممن أحبّ الحديث وطلبه، ولم يُرزق فهمه، وكان له شعراً حسنٌ مطبوعٌ على طريقة الفقهاء والحكماء.

وذكره ابن النجار فقال: كان فقيهاً فاضلاً مفسراً محدثاً أديباً متفنناً، وقد صنف كتباً في التفسير والحديث والشروط.

وقال الأدنّة وي: كان إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً فقيهاً حافظاً نحوياً لغوياً ذكياً فطناً، أحد الأئمة الأربعة المشهورين بالحفظ الوافر من العلوم والقبول التام عند الخاصّ والعام، وكان أستاذاً نشر العلوم إملأً وتذكيراً.

وقال اللكنوي: كان إماماً فاضلاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً فقيهاً حافظاً نحوياً، أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر والقبول التام عند الخواصّ والعوام، وقيل: إنه كان يعلم الإنس والجن، ولذلك قيل له: مفتي الثقلين، كذا قال القاري.

وقال المرغيناني: إمام الأئمة ومقتدى الأمة^(١).

وقال ابن عابدين: مفتي الإنس والجن، رأس الأولياء في عصره^(٢).

وقال الكشميري: واعلم أن الشيخ نجم الدين عمر النسفي قد ألف كتاباً في الوقف، فلما رأته تحيرت من كمال فصاحته وبلاغته، وهذا «النسفي» مقدم على صاحب «الكنز» ومحدث فقيه، ومؤرخ كبير، صنف «تاريخ سمرقند» في اثنين وعشرين مجلداً^(٣).

٣- لقاءه مع الزمخشري:

وأما لقاءه مع الزمخشري، فقد ذكر فيه القرشي قصة طريفة، وهي أنه أراد أن يزور جدار الله العلامة الزمخشري في مكة، فلما وصل إلى داره دق الباب ليفتحوه

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٤ / ١).

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٤ / ٢٦٠).

(٣) انظر: «فيض الباري على صحيح البخاري» للكشميري (٤ / ١١٠).

ويأذنوا له بالدُّخُول، فقال الشَّيْخ: مَنْ ذا الذي يدُقُّ الباب؟ فقال: عمر، فقال جَارُ الله: انصَرِفْ، فقال نجم الدِّين: يَا سَيِّدِي عمر لا ينصَرِفْ، فقال الشَّيْخ: إِذَا نَكَّرَ ينصَرِفْ. كذا وقعت القِصَّةُ، ولم أجد مَنْ زاد عليها، وليس فيها أيُّ شيءٍ عن لقائهما، وإن كان قد تمَّ أم لا، لكنَّ الظاهر أن اللقاء قد حصل؛ لأنه من غير المعقول أن يصل إلى بابه ولا يلتقي به، ويبدو أن تلك كانت دعابةً من الزمخشري، وكان يعلمُ بالجواب مسبقاً، ولعل معرفة جمعتهما قبل ذلك، أو أن الزمخشري سمع بهذا العلامة وعرف أنه في الحج معه وأنه سوف يُقدِّم لزيارته، والله أعلم.

٤ - شيوخه:

لقد نهَلَ العلامة نجم الدِّين من كبار علماء عصره، والمقدِّمين في ناحيته ومصره، فتشرَّب زبدة العلوم، ونهل من خلاصة أهل العقول والفهوم، وكانوا في كثرة عددهم كما هم في سعة علومهم، وكثيرٌ منهم ممن ذاع صيته، وانتشرت في الأنام علومه.

قال صاحب «الهداية»: سَمِعْتُ نجم الدِّين عمر يقول: أنا أروي الحديث عن خمس مئة وخمسين شيخاً، قال: وقد جمع أسماء مشايخه في كتاب سَمَّاهُ «تعداد الشُّيوخ لعمر مستطرفٌ على الحروف مستطر» رحمه الله تعالى.

ومن أجل شيوخه:

١ - عليُّ بن محمد بن الحُسَيْن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن، المعروف بفخر الإسلام البزْدَوِي، الفقيه الإمام الكبير بما وراء النَّهر، أخو القاضي محمد أبي اليُسْر. توفِّي في رجب سنة (٤٨٢هـ)، ومن تصانيفه «المَبْسُوط»، و«شرح الجامع الكبير والجامع الصَّغير» وله في أصول الفقه كتاب كبير مشهور ومفيد، رحمه الله تعالى.

وهذا الإمام لم أجد مَنْ ذكره في شيوخ الإمام نجم الدين، سوى تلك الإشارة إلى أخذه العلم عنه في كلام علمين شرحا «أصوله»، وهما:

الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السُّغْنَقِيُّ (ت ٧١١ هـ)، قال في مقدمة «شرح أصول البزدوي»: وقد بلغتني رواية هذا الكتاب بالإسنادين المذكورين في «النهاية في شرح الهداية» مع زيادة أن صاحب «الهداية» يرويه عن الشيخ الإمام الزاهد الحافظ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي، وهو عن المصنف رحمهم الله^(١).

وعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠ هـ)، قال في مقدمة شرحه أيضاً: (حدثني بهذا الكتاب شيعي وأستاذي وعمي الذي تقدّم ذكره آنفاً قراءة عليه بسرّخس في المدرسة الملكية العباسية...) فذكر إسناده شيخاً عن شيخ إلى أن قال: (حدثنا شيخ شيوخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرُّشْدَانِيّ (وهو نفسه صاحب الهداية) قال: حدثنا إمام الأئمة ومقتدى الأمة نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفي عن الشيخ الإمام المصنف قدّس الله أرواحهم)^(٢).

ففي كلام هذين العلمين ما يدلُّ على أن الإمام نجم الدين قد تتلمذ على فخر الإسلام وأخذ العلم عنه، بل كما هو واضح من كلاميهما أنه روى كتاب «أصول البزدوي» المشهور عن مؤلفه البزدوي مباشرة دون واسطة بينهما.

٢ - محمد بن محمد بن الحسين أخو فخر الإسلام، العلامة أبو اليسر البزدوي

(١) انظر: «الكافي شرح البزدوي» للسُّغْنَقِيّ (١/ ١٨٣ - ١٣٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي» لعلاء الدين البخاري (١/ ١٠).

النَّسْفِيّ، شيخ الحنفيّة بما وراء النهر، وكان قاضي قضاة سَمَرْقَنْدَ، وكان يدرّس في الدّار الجوزجانيّة ويُملي فيها الحديث. تُوفّي ببخارى (٤٩٣ هـ).

قال السّمعانيّ: عُرِف بالقاضي الصدر، وُلِدَ سنة إحدى وعشرين وأربع مئة. وهو من شيوخ المؤلّف كما ذكر العلماء، منهم صاحب «الجواهر المضية»، والداودي في «طبقات المفسرين».

وقال اللّكنوي: أخذ الفقه عن صدر الإسلام أبي اليسر محمد البرّدويّ، عن أبي يعقوب يوسف السّياريّ، عن أبي إسحاق الحاكم النّوّدي، عن الهنّدوانيّ، عن أبي بكر الأعمش وأبي بكر الإسكاف وأبي القاسم الصّفّار.

والأعمش عن أبي بكر الإسكاف عن محمد بن سلمة عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن.

والصّفّار عن نصير بن يحيى عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف^(١).

وجاء في ترجمة أبي اليسر في «الجواهر المضية»: قال عمر بن محمد النّسفيّ في كتاب «القنّد»: وكان شيخ أصحابنا بما وراء النّهر، وكان إمام الأئمّة على الإطلاق، والوفود إليه من الآفاق، ملأ المشرق والمغرب بتصانيفه في الأصول والفروع^(٢).

٣ - إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن نوح، أبو محمد النّوحي^(٣) النّسفيّ الإمام الخطيب

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢ / ٢٧٠).

(٣) نسبة إلى جده نوح المذكور، وقد تحرفت في بعض المصادر إلى: التنوخي.

من أهل نَسَف، ولد بسمرقند سنة (٤٢٣هـ) سمع أبا العباس جعفر بن محمد المستغفري، ذكره السَّمْعَانِي وقال: كَتَبَ الحديث بسمرقند.

روى عنه الإمام نجم الدين، له ذكر في «طَلَبَةُ الطَّلَبَةِ» توفي سنة (٤٨١هـ) ^(١).

قلت: وله ذكرٌ وروايةٌ في هذا «التفسير»، فقد جاء فيه في شرح البسملة: (قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه: وكان شيخنا الإمام الأستاذ الخطيب أبو محمد إسماعيل بن محمد النوحِي النسفي - رحمه الله ورضي عنه - رَوَى لنا عن بعض أولاد علي رضي الله عنه: أَنَّ اللهَ تعالى لَمَّا خَلَقَ القَلَمَ قال له: اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...).

٤ - أحمد بن عبد الله بن يونس بن الفضل الصَّبْغِي الإمام من أهل سَمَرْقَنْد، سمع يونس بن يحيى البلخي، سمع منه الحافظ أبو حفص النسفي وغيره، كان إماماً فقيهاً فاضلاً، ورد بغداد حاجاً، وكان مُفِيداً في الدَّارِ الجوزجانية بسمرقند، ذكره السَّمْعَانِي في «ذيله» وقال: سَمِعْتُ أبا بكر الزُّهْرِيَّ بسمرقند: سمعتُ أبا حفص يقول: توفي الإمام أحمد الصَّبْغِي يوم الخميس الثَّامِن من شهر رَجَب الفرد سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة، وقد رَآه على سبعين سنة.

والصَّبْغِي بكسر الصَّاد المُهْمَلَة وسكون الباء الموحدة وفي آخرها غينٌ معجمة نسبةً إلى الصَّبْغ، والصَّبَاغ هو ما تُصَبَغ به الألوان، قاله السَّمْعَانِي ^(٢).

٥ - عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن خُشْنَام الخُشْنَامِي البُخَارِي، قال السَّمْعَانِي: كان فقيهاً فاضلاً مُنَاطِراً أديباً سمع أبا بكر محمد بن علي بن حيدرة

(١) انظر: «الأنساب» للسَّمْعَانِي (٥/ ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٥١)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٧٣).

الجَعْفَرِيُّ البُخَارِيُّ، سمع منه أبو حفص النَسْفِيُّ، وتُوفِّي ببخارى في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وخمسة مئة^(١).

٦ - أبو الفضائل عبد القادر بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن كاسم بن الفضل بن عبد الرحيم بن الحسن بن الربيع النُّوْقَدِيُّ، من أهل نَوَقْدِ قَرِيشٍ، كان إماماً فاضلاً، سمع ببخارى السيدَ أبا بكر محمد بن علي بن حيدرة الجعفري، وبمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطبري وغيرهما، سمع منه أبو حفص عمر النسفي، وكانت ولادته سنة خمسین وأربع مئة^(٢).

٧ - الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم العَصَّارُ البُنْدِيمَشِيُّ، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، وتوفي في شعبان سنة (٥٢٤هـ)^(٣).

٨ - أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد البُنْكِي، كان فقيهاً صالحاً، حج بيت الله تعالى، وسمع بمكة أبا محمد عبد الملك بن محمد بن عبيد الله الزبيدي المقرئ، سمع منه أبو حفص عمر النسفي الحافظ^(٤).

٩ - أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد المطوَّعِيُّ الرُّوْذْبَارِيُّ التُّوْذِيجِيُّ، سكن سمرقند، حدث عن أبيه حمزة بن محمد التُّوْذِيجِيِّ، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحافظ، وأبو بكر محمد بن محمد بن علي الزهري وغيرهما^(٥).

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٣/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٣٩).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٤١).

(٥) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ١٠٥).

١٠ - أبو جعفر محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الجرجساري البلخي، يروي عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد الشوماني، سمع منه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، قال: كُتِبَ عني أيضا^(١).

١١ - أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الحِكلِيّ الخطيب، كان خطيبَ سمرقند أيام قدرخان، يروي عن أبي القاسم عبيد الله بن عمر الكشاني الخطيب، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، وتوفي بسمرقند سنة ست عشرة وخمس مئة^(٢).

١٢ - أبو المؤيد ميمون بن أبي العلاء أحمد بن الحسن الحاتمي النسفي، كان قاضي نسف مدةً مديدة، سمع جده أبا علي الحسن بن عدي الحاتمي، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، وتوفي بنسف سنة ثلاث عشرة وخمس مئة^(٣).

١٢ - أبو سعد محمد بن الحسن بن علي بن المكي بن عبد الله بن إسماعيل بن حماد الحمادي النخشي، يروي عن أبيه وأبي نصر محمد بن يعقوب السلامي، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي، ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة، وتوفي بنسف بعد سنة أربع وتسعين وأربع مئة^(٤).

١٣ - أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن الخاوصي الخطيب، حدّث

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٧٣ / ٣).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢٩٩ / ٣).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣ / ٤).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢٢٦ / ٤).

بسمرقند، يروي عن أبي الحسن علي بن سعيد المطهري، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي^(١).

وغير هؤلاء كثير ممن ذكرهم السمعاني في كتابه، فنكتفي بهؤلاء لعدم الإطالة. وممن سمع منهم النسفي أيضاً وأخذ العلم عنهم: أبو علي الحسن بن عبد الملك الماتريدي، وأبو محمد عبد الله بن أحمد القنطري، وأبو عبد الله التوربشتي بن عبد الملك القاضي، وأبو طاهر المهدي بن محمد بن المهدي بن إسحاق العلوي، وأبو محمد عبد الله بن علي بن عيسى النسفي، وأبو القاسم محمد بن محمد بن الحسين النسفي، وأبو عبد الله الحسين بن أبي الحسن الكاشغري، وأبو بكر محمد بن الحسن بن منصور النسفي، وأبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الرّيعدُموني، وأبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، وأبو حفص عمر بن أحمد بن محمد الدّيزكي، وأبو الحسن علي بن الحسن الماتريدي^(٢).

٤ - تلامذته:

لا شك أنّ من كان مثلاً هذا الإمام في علمه وزهده فسيقصده الناس من شتى البقاع لينهلوا من معين علمه، وخصوصاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث كان سنداً فيه. ونذكر من أجل تلامذته:

١ - ابنه أحمد بن عمر، أبو الليث، يعرف بالمجد، قال السمعاني في «ذيله»: سألته عن مولده فقال: ولدت في سنة سبع وخمس مئة، تفقه على والده الإمام نجم الدين عمر النسفي وغيره، أسمعته أبوه من جماعة من السمرقنديين والغرباء

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥ / ٣٣).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥ / ٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠ / ١٢٦)،

و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١ / ٣٩٤).

الواردين عليهم بسمرقند، وكان قد سمع من أبيه كثيراً غير أنه لم يكن له عناية بالحديث مثل والده، وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً كاملاً حسن الصمت ووصولاً للأصدقاء، وفي صفر سنة اثنتين وخمسين خرج من بغداد متوجّهاً إلى وطنه بعد عودته من الحج، فلمّا وصل إلى قُومس وجاوز بسطام خرج جماعة من أهل القلاع وقطعوا الطريق على القافلة وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء والقافلين من الحجاز أكثر من سبعين نفساً، وكان فيهم المجدّ النَّسْفِيُّ رحمه الله، وذلك يوم الإثنين السّابع والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة بقرب كوف من نواحي بسطام^(١).

٢ - عليّ بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغانيّ المرغينانيّ صاحب «الهداية»، كان إماماً فقيهاً حافظاً محدثاً مفسّراً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون متقناً محققاً ناظراً مدققاً زاهداً ورعاً بارعاً فاضلاً ماهراً أصولياً أديباً شاعراً لم ترّ العيون مثله في العلم والأدب، وله اليدُ الباسطةُ في الخلاف، والباعُ الممتدُّ في المذهب، تفقّه على الأئمة المشهورين، منهم مفتي الثّقليين نجم الدين أبو حفص عمر النسفي، وقد صدرّ المرغينانيّ مشيخته التي جمعها بذكره ثم ذكر بعده ابنه أبا الليث أحمد بن عمر النسفي، قال: وقرأتُ عليه بعض تصانيفه وسمعتُ منه كتاب «المسندات» للخصّاف بقراءة الشّيخ الإمام ظهير الدّين مُحمّد بن عُثْمَانَ^(٢).

وهذه إجازة العلامة نجم الدين للمرغيناني في رواية «صحيح البخاري» بسنده إلى الكُشْمِيهَنِي والكُشَانِي: قال الكرّدري: أخبرنا شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل بن الخليل بن أبي بكر بن عليّ الفرغانيّ المرغيناني صاحب

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١ / ٨٦).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١ / ٣٨٣).

كتاب «الهداية» إجازة عامة إن لم تكن خاصة، في صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة قال: أخبرنا الإمام أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي - رحمه الله - إجازة عامة إن لم تكن خاصة، قال: أخبرنا بكتاب «صحيح البخاري» الإمام الحافظ أبو محمد الحسن بن أحمد القاسمي الكوخميشي قال: أخبرنا الإمام الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتر المستغفري النسفي، قال: أخبرنا أبو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني والشيخ أبو علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشّاني^(١).

٣ - محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الدلقماني، أبو عبد الله الفقيه من أهل سمرقند، ذكره ابن النجار وقال: قدم بغداد حاجاً في سنة ست وسبعين وخمس مئة، وأملى بها الحديث عن عمر بن محمد النسفي^(٢).

٤ - الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن موسى بن عيسى بن مأمون الكشي الحنفي، كان فقيهاً مناظراً لزم الشيخ نجم الدين عمر النسفي وأخذ عنه، وارتفع شأنه وأقر له أقرانه بالفضل والكمال، وله كتاب «مجموع الحوادث والنوازل والواقعات» وهو كتاب نفيس مشتمل على فوائد جمّة^(٣).

٥ - محمد بن الحسن بن محمد، برهان الدين الكاساني، أبو عبد الله الفقيه من أهل سمرقند، كان إماماً فاضلاً وشيخاً كاملاً في الفروع والأصول، وكان في الحديث أحفظ زمانه، أخذ عن نجم الدين عمر النسفي عن صدر الإسلام أبي اليسر

(١) انظر: «إسناد صحيح البخاري» لابن ناصر الدين (ص: ٣٠٧).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١/ ٢٥٨).

الْبَرْدَوِيُّ، وقدم بغداد حاجاً سنة ست وسبعين وخمس مئة، وأملى بها الحديث عن النسفي^(١).

٦ - برهان الدين الحسن بن محمد الكاساني: ذكره العيني في ترجمة أثير الدين بن نجيب بن محمد الكاساني، صاحب كتاب «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» فقال: وكان يروي كتاب «التيسير في التفسير» للإمام نجم الدين النسفي عن الشيخ الأجل برهان الدين الحسن بن محمد الكاساني، وهو عن الشيخ الإمام نجم الدين^(٢).

قلت: ولعله الذي قبله.

٧ - محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن علي بن حيدر السمرقندي الإمام أبو الفضل، له «منتخب كتاب القند في تاريخ سمرقند» لأستاذه^(٣).

٨ - أبو بكر بن أحمد بن علي بن عبد العزيز البلخي الأصل السمرقندي الحنفي، عُرف بالظهير، أخذ عن أبي حفص عمر السفي وقرأ عليه بعض تصانيفه، والإمام المرغيناني والأسيجابي، ودرّس بمراغة، وقدم حلب أيام نور الدين محمود بن زنكي، ثم توجه إلى دمشق ودرّس بالخاتونية وغيرها، وتوفي بها سنة (٥٥٣هـ)، وله كتاب ألفه في شرح «الجامع الصغير»

قال ابن العديم: أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال: أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني - ونقلته

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٣/ ١٦٧).

أنا من خطِّ السمعاني - قال: وقال عمر بن محمد بن أحمد النسفي: التمس الإجازة مني الإمام أبو بكر بن أحمد البلخي السمرقندي بهذه الأبيات:

أَيَا مَقْتَدَى الْأَيَّامِ يَا ذَا الْعَلَا عَمْرُ	وَقَاكَ حَفِيزُ الْخَلْقِ مِنْ شُبْهَةِ الضَّرَرِ
أَجْزُ لَأَبِي بَكْرٍ بَنِ أَحْمَدَ مُفْضَلًا	وَبَدَّلْ لَهُ بِالْأَجْرِ بِالصَّفْوَةِ الْكَدَرِ
جَمِيعَ الَّذِي صَنَّفْتَهُ وَسَمِعْتَهُ	وَحَذَّ صَالِحِ الدَّعَوَاتِ فِي ظُلْمَةِ السَّحَرِ

قال: فكتبتُ إليه:

أَجَزْتُ لِسَيِّدِي وَفَرِيدِ عَصْرِي	أَبِي بَكْرٍ بَنِ أَحْمَدَ مَا ابْتَغَاهُ
عَلَى شَرْطِ التَّحَرُّزِ وَالتَّوَقُّي	وَذَكْرِي بِالْدُّعَاءِ كَمَا حَكَاهُ
أَجَبْتُ دُعَاءَهُ فِينَا وَفِيهِ	وَفِي الدَّارَيْنِ تَمَّ لَهُ مُنَاهُ ^(١)

٩ - عمر بن عبد المؤمن بن يوسف الكجوادري البلخي، أبو حفص شيخ الإسلام المنعوت بصفي الدين، اجتمع به صاحب «الهداية» في سفرهما إلى الحج سنة أربع وأربعين وخمس مئة وقرأ عليه أحاديث وناظره في المسائل.

قال صاحب «الهداية»: أنشدنا الشيخ الإمام الزاهد صفي الدين منظوماً في الإجازة للشيخ الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي:

أَجَزْتُ لَهُمْ رَوَايَةَ مَسْتَجَازِي	وَمَسْمُوعِي وَمَجْمُوعِي بِشَرْطِ
فَلَا يَدْعُو دُعَائِي بَعْدَ مَوْتِي	وَكَاتِبُهُ أَبُو حَفْصٍ بِخَطِّهِ

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٢٧١)، و«سلم الوصول» (١/ ٧٨)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

مات الكجوادريُّ سنة تسع وخمسين وخمس مئة^(١).

١٠ - موسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سنان القحطانيُّ المعمرِّيُّ أبو هارون، تفقه ببخارى على عبد العزيز بن عمر بن مازة البرهاني، ذكره أبو حفص النسفيُّ في كتاب «القند في تاريخ سمرقند» وقال: قدم علينا سنة ست عشرة وخمس مئة، رحل من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق وفارق أولاده، فقيه فاضل مناظر شاعر بليغ محدث محاضر، وبقي في بلاد العراق وخراسان وبخارى ثلاث عشرة سنة ينشر الحديث والفقه والنظر والكلام، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير، ولأجله جمعت كتاباً لقبته: «عجالة النخشي لضيئه المغربي» وفيه قلت:

لقد طلع الشَّمْسُ من غربها على خافقيها وأوساطها
فقلتُ القيامةُ قد أقبلت فقد جاء أولُ أشراطها^(٢)

١١ - روى عنه محمد بن إبراهيم بن محمد التوربشتي^(٣).

١٢ - روى عنه عمر بن محمد بن عمر العُقيليُّ^(٤).

٥ - مؤلفاته:

لقد كان النسفيُّ رحمه الله صاحبَ فنونٍ، فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والأدب، صنَّفَ التصانيف في الفقه والحديث والتفسير والشُّروط، وله نحو من مئة مُصنَّفٍ، ومن مصنفاته:

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦). وقد تقدم ضمن سند الحديث المروي عنه.

(٤) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٤).

- ١ - «التيسير في التفسير» وهو موضوع بحثنا.
- ٢ - «طلبة الطلبة» في اللغة، على ألفاظ كتب الحنفية.
- ٣ - «تعداد الشيوخ لعمر مستطرف على الحروف مستطر» جمع فيه أسماء مشايخه، وهم: خمس مئة وخمسون شيخاً.
- ٤ - «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» روى فيه عن خمس مئة وخمسين شيخاً، وجمع أيضاً أسماء شيوخه، وحدّث به لمّا قدم بغداد.
- ٥ - «الأكمل الأطول في تفسير القرآن»، هكذا سماه في «هدية العارفين»، ولعله هو التفسير الكبير الذي ذكره في «التيسير»، فقد أشار إلى أن له غيره مطولاً فقال: «والإتيان في القرآن لأربعين معنى عدّناها في تفسيرنا الأول الأطول وسماه في أكثر من موضع في تفسيره هنا باسم: «بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير»، ونبه على ذلك ابن قطلوبغا عند ذكره لمشاهير كتب المؤلف فقال: و«التيسير» وفيه حوالة على تفسير كبير.
- ٦ - «النجاح في شرح أخبار كتاب الصحاح» وهو شرح لـ«صحيح البخاري»، ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقاً إلى المصنف^(١).
- ٧ - «الإشعار بالمختار من الأشعار» في عشرين مجلداً.
- ٨ - «مشارع الشارع في فروع الحنفية»: ذكر فيه أنه لمّا رأى المتعلّمين

(١) ذكره ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١ / ١١٤)، وابن قطلوبغا في «تاج التراجم» (ص: ٢٧١)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١ / ٥٥٣) وقال: ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقاً إلى المصنف. وذكره أيضاً في (٢ / ١٩٢٩) وقال: وهو لعمر النسفي، قال في أوله بعد ذكر أسانيده: هذه خمسون طريقاً لإسناد كتاب «صحيح البخاري» أخذتها عن مشايخي، وذكره البغدادي في «هدية العارفين» (١ / ٧٨٣)، وكحالة في «معجم المؤلفين» (٧ / ٣٠٦).

متألمين، أغناهم عن البطالة، وما أبلاهم بالإطالة، فجمع لهم ما هو عجالة الراكب، وسمّاه: «مشارع الشارع»، وجعله خمسين كتاباً، وخمسة أقسام، وهي: العبادات، والمعاملات، والمباحات، والتبرعات، والجنايات. شرحه أبو علي العالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي الحنفي المتوفى سنة (٥٨١هـ)، وسمّاه: «المنابع في شرح المشاريع» وهذا الرجل مذكور في دياحة الكتاب بأنه مؤلفه، لا عمر النسفي، وهو وهم^(١).

٩ - نظم «الجامع الصغير» لمحمد بن الحسن، في فروع الحنفية. وقد ذكر في أوله قصيدة رائية في العقائد إلى إحدى وثمانين بيتاً.

١٠ - «القند في ذكر علماء سمرقند» وهو مخطوط في مكتبة طرخان والده سي بتركيا، وخطه رائع رائق، ولكنه ناقص من أوله وآخره^(٢).

١١ - «الإجازات المترجمة بالحروف المعجمة».

١٢ - «بعث الرغائب لبحث الغرائب».

١٣ - «تاريخ بخارى».

١٤ - «الجمل الماثورة».

١٥ - «الخصائل في المسائل».

١٦ - «الخصائل في الفروع».

١٧ - «دعوات المستغفرين».

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٦٨٦).

(٢) انظر: «نثر النبال» للحويني (٢/ ٥٨٩)، ومقدمة التحقيق لمطبوع «القند».

- ١٨ - «مجمع العلوم».
- ١٩ - «المعتقد» منظومة في الخلاف.
- ٢٠ - «منهاج الدّراية في الفروع».
- ٢١ - «ياقوتة في الأحاديث».
- ٢٢ - «يَوَاقِيت المَوَاقِيت في فضائل الشُّهور والأيام».
- ٢٣ - «أجناس الفقه».
- ٢٤ - «الجمل الماثورة».
- ٢٥ - «الفتاوى النسفية» وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سئل عنه في أيامه، دون ما جمعه لغيره.
- ٢٦ - «فتاوى» نجم الدين أبي الحسن عطاء بن حمزة السُّغديّ، التي تولّى جمعها الإمام أبو حفص النسفي.
- ٢٧ - «المعتقد» شرحه الشيخ شرف الدين أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني المتوفى سنة (٥٧٣هـ) وسَمَّاه: «المنتقد»، ذكر فيه أنه رواه أبو جعفر الطحاوي - وهو الموثوق بروايته - عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ورواه عن أصحابه، وذكره بأوجز عبارة وأبلغ إشارة، وضمَّنه معظم أصول الدين.
- ٢٨ - «منظومة النسفي في الخلاف» رتبها على عشرة أبواب: الأول: في قول الإمام. الثاني: في قول أبي يوسف. الثالث: في قول محمد. الرابع: في قول الإمام مع أبي يوسف. الخامس: في قوله مع محمد. السادس: في قول أبي يوسف مع محمد. السابع: في قول كل واحد منهم. الثامن: في قول زفر. التاسع: في قول الشافعي. العاشر: في قول مالك. أتمها في يوم السبت في صفر سنة (٥٠٤هـ)، وعدد أبياتها ألفان وتسعة وستون وست مئة، وأولها:

باسمِ الإلهِ ربِّ كلِّ عبدٍ والحمدُ لله وليِّ الحمدِ

ولها شروح كثيرة تنظر في «كشف الظنون»^(١).

٢٩ - «قيد الأوابد» منظومة في الفقه.

٣٠ - «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار»^(٢).

٣١ - «عقائد النسفي»: قال في «كشف الظنون»: (وهو متن متين اعتنى عليه جماعة من الفضلاء...) ثم ذكر وأطال في تعداد شروحه وحواشيه، فلتُنظَر ثمة^(٣).

وهذا الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الكتب التي نُسبت للمؤلف، وإنما أخرناه لذكر ما وقع من الخلاف في نسبته، فإن بعض العلماء خالف في نسبة هذا الكتاب لنجم الدين النسفي، ومنهم:

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المكي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) قال في كتابه «صلة الخلف بموصول السلف»: النسفي هذا ليس هو مصنف العقائد المشهورة التي شرحها السعد كما توهمه الكمال بن أبي شريف في حاشيته على شرح السعد لها، بل مصنفها أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد النسفي المعروف بالبرهان صاحب «مختصر تفسير الفخر الرازي»، و«المقدمة» المشهورة في الخلاف، و«بحر الكلام»، وله تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، أجاز للبرزالي وتوفي سنة سبع وثمانين وست مئة، وفاة الأول في سبع وثلاثين وخمس مئة.

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٨٦٧).

(٢) ذكره في هذا التفسير (١٤/ ١٢٠).

(٣) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥).

قال: وللحنفية نسفيون سواهما:

منهم: أبو الليث أحمد بن عمر المتقدّم، الفقيه الواعظ، توفي بعد أبيه بخمسة عشرة سنة.

ومنهم: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي صاحب «الكنز» و«المدارك» و«المنار» وغيرها، ويأتي سند مروياته في كتاب «السير الكبير» لمحمد بن الحسن.

ومنهم: أبو المعين ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول النسفي صاحب «التبصرة في علم الكلام» و«التمهيد لقواعد التوحيد» وغيرها^(١).

ونحو هذا الكلام قاله أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ) في «شرح المواهب اللدنية»^(٢).

وكلام الزرقاني نقله اللكنوي في «الفوائد المجموعة» على أنه من الفوائد^(٣)، وظاهر كلامه موافقته فيما ذهب إليه، بل هو قد جزم تقريباً بذلك في ترجمة محمد بن محمد بن محمد أبي الفضل البرهان النسفي، فقال: وتصنيفه في الكلام مشهور بـ«العقائد النسفية» الذي شرحه سعد الدين التفتازاني وغيره، كذا ذكره الزرقاني وغيره، قد نسبته صاحب «كشف الظنون» إلى أبي حفص عمر النسفي المتوفى سنة (٥٣٧هـ)^(٤).

(١) انظر: «صلة الخلف بموصول السلف» (ص: ١٩٠).

(٢) انظر: «شرح المواهب اللدنية» (٧/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ٢٤٧).

(٤) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٩٤).

كذا قال هؤلاء، لكنَّ الدلائل التي تشيرُ لكونِ الإمامِ نجمِ الدِّين هو المؤلِّف له أقوى:

فأولاً: كلامُ الأئمة السابقين أساسه ومصدره هو الأول، أعني شمس الدِّين المالكي وما قاله في «صلة الخلف بموصول السلف»، فقد أخذ كلامه الزرقانيُّ فذكره بصياغةٍ قريبة جداً منه لكنه لم يعزِّه إليه، ومن يراجعُ كلام الزرقانيِّ يعلم أنه قد اقتبسَه من شمس الدِّين، ثم جاء اللكنويُّ فاعتمد كلام الزرقاني.

وثانياً: أن العلامة سعد الدِّين التفتازانيُّ الشارح للعقائد قد صرَّح بنسبة الكتاب للإمام نجم الدين، فقال في خطبةٍ شرحه: (وإن المختصر المسمَّى بـ«العقائد»، للإمام الهمام، قدوة علماء الإسلام، نجم الملة والدِّين، عمر النَّسْفِيَّ أعلى الله درجته في دار السلام...) (١)، فنسبه للإمام نجم الدين، ولا شك أنه أعرف بذلك من غيره، وخصوصاً أنه من أئمة الحنفية، ومن نفى ذلك مالكيُّ المذهب، وأهل مكة أدري بشعابها.

وثالثاً: أن كثيراً من العلماء المحقِّقين قد نسبوه لنجم الدِّين عمر رحمه الله، منهم الكمال بن أبي شريف في حاشيته على شرح السَّعد للعقائد كما تقدم، وابن الشَّحنة كما ذكر ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار» ووافقه، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، والبغدادى في «هدية العارفين»، وكحالة في «معجم المؤلفين»، والزركلي في «الأعلام» (٢).

فهذا كلُّه يرجِّح نسبة الكتاب للمؤلف رحمه الله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) انظر: «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني (ط: مكتبة المدينة كراتشي باكستان) (ص: ٤٦ - ٤٧).

(٢) انظر: «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ٥٥١)، و«كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥) و«هدية

العارفين» (١/ ٧٨٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٦)، و«الأعلام» (٥/ ٦٠).

٦- شعره:

قال السمعاني: وكان له شعرٌ حسنٌ مطبوعٌ على طريقةِ الفقهاء والحُكماء.
قلت: وسنذكر هنا ما استطعنا التقاطه من ثمار الحكمة التي جادت بها يد هذا
العالم الجليل، فمن ذلك ما ذكره الذهبي فقال: ومن شعره:

كم ساكتٍ أبلغ من ناطقٍ وراجلٍ أشجع من فارسٍ
ولاحقٍ يسبقُ عرباً مَضَوْا بفضلٍ دينٍ وهو من فارسٍ^(١)

وقال ابن النجار: أنشدنا شهابُ الحاتمي بهراً، أنشدنا عبد الكريم بن محمد
أبو سعد، أنشدنا أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد النسفي، أنشدنا والذي لنفسه:

تزورُ المشاهدَ مستشفعاً بحرمة من دفنهم هناك
فكن أنت آخذاً أوصافهم نزورك حياً وميتاً لذاك^(٢)

وذكر له المستعصي:

الأمنُ واليَمْنُ في ثلاثٍ في الحِلْمِ والرَّفْقِ والسَّخَاوَةِ
والشَّرُّ والشُّؤْمُ في ثلاثٍ في البُخْلِ والظُّلْمِ والقَسَاوَةِ^(٣)

وذكر له المستعصي أيضاً:

قال النبيُّ فاسْمَعُوا وَسَلِّمُوا حُكْمَهُ شرُّ الأنامِ عالمٌ لم يتنفع بعلمِهِ

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٦ / ٤٤٨).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٩٨ / ٥).

(٣) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصي (٩٧ / ٥).

مَنْ لَمْ يَزَعْهُ عِلْمُهُ عَنْ فِسْقِهِ وَظُلْمِهِ فَإِنَّهُ كُلُّ آثِمٍ يَكُونُ دُونَ إِثْمِهِ^(١)

وقال برهان الإسلام الزرنوجي: وأنشدت للشيخ الإمام الجليل الزاهد الحجاج نجم الدين عمر بن محمد النسفي شعراً:

كُنْ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظاً وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَظِّباً وَمُحَافِظاً
وَاطْلُبْ عِلْمَ الشَّرْعِ وَاجْهَدْ وَاسْتَعِنْ بِالطَّيِّبَاتِ تَصِرْ فَقِيهاً حَافِظاً
وَاسْأَلْ إلهَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِباً مِنْ فَضْلِهِ فَاللهُ خَيْرُ حَافِظِ

وقال رحمه الله عليه:

أَطِيعُوا وَجِدُّوا وَلَا تَكْسَلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ
وَلَا تَهْجَعُوا فَخِيَارُ الْوَرَى قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ^(٢)

وقال في أمِّ ولد له:

سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَيَمَّنِي بِظَرْفِهَا وَلَمْعَةِ خَدِّهَا وَلَمْحَةِ طَرْفِهَا
سَبَّيْنِي وَأَصْبَبْتَنِي فَتَاءً مَلِيحَةً تَحَيَّرَتِ الْأَوْهَامُ فِي كُنْهِ وَصْفِهَا
فَقُلْتُ ذَرِينِي وَاعْذُرِينِي فَإِنِّي شُغِفْتُ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشْفِهَا
وَلِي فِي طِلَابِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى غِنًى عَنْ غِنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعَرَفِهَا^(٣)

وقال كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن عليِّ الدِّمِيرِيِّ أَبُو الْبَقَاءِ الشافعي: وما أحسن قول عمر بن محمد النسفي:

(١) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصي (٩ / ٣٧٩).

(٢) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٥٨).

(٣) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٦٢).

أَنْلَنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطًّا وَأَشْهَدُ مَعَشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْبَرَايَا عَنْتُ لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوَجُوهُ
يَقُولُ إِذَا تَدَايَيْتُمْ بَدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مَسْمًى فَاكْتُبُوهُ^(١)

وَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ نَجْمَ الدِّينِ فَقَدْ اسْتَمَرَّ وَلَعُهُ بِالْكِتَابَةِ نَثْرًا وَنَظْمًا حَتَّى فِي قَبْرِهِ
بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقَدْ رُوي أَنَّ شَخْصًا رَأَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ سُؤَالُ مُنْكَرٍ
وَنَكِيرٍ؟ فَقَالَ: رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي فَسَأَلَانِي، فَقُلْتُ لَهُمَا: أُخْبِرُكُمَا فِي رَدِّ الْجَوَابِ
نَظْمًا أَوْ نَثْرًا؟ فَقَالَا: قُلْ نَظْمًا، فَقُلْتُ:

رَبِّيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ مَصْطَفَاهُ
دِينِي الْإِسْلَامُ وَفِعْلِي ذَمِيمٌ أَسْأَلُ اللَّهَ عَفْوَهُ وَعَطَاهُ^(٢)

فَاتَّبَعَهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ مِنَ الْمَنَامِ وَقَدْ حَفِظَ الْبَيْتَيْنِ.

٧- وفاته:

تَوَفَّى الْعَلَامَةُ نَجْمُ الدِّينِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعٍ
وِثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ، فَرَحَمَهُ اللَّهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى التَّفْسِيرِ لِكَفَاهُ، وَهَذَا مَا سَيَتَبَيَّنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حِينَ
نَبْحُرُ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ الْوَاسِعِ الْمَلِيءِ بِالْكَنُوزِ، الزَّائِرِ بِالْذُرِّ وَالْيَوَاقِيتِ.

(١) انظر: «النجم الوهاج في شرح المنهاج» للدميري (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «روح البيان» لأبي الفناء الخلوتي (٤/ ٣٩٢).

الفصل الثاني

دراسة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نعمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وبعد:

فبعد أن أكرمنا الله سبحانه بإنجاز هذا السفر العظيم كان لا بدّ لنا من وضع دراسة له تليق به وبما يستحقّه من بيانٍ وتعريف، وتكونُ كاشفةً لِمَا فيه من أبحاث، ومعرفةً بما تميّز به عن غيره من التفاسير.

وسوف نقوم في هذه الدراسة بتناول الموضوعات التالية:

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب لمؤلفه.

ثانياً: مصادرُ نقلت عن هذا التفسير.

ثالثاً: بيانُ خصائص وميزات هذا التفسير التي تميّز بها عن غيره من التفاسير.

رابعاً: بيانُ منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره.

وهذا هو البحثُ الأهمُّ في هذه المقدمة، ونتناول فيه:

١ - مصادرَه التي اعتمد عليها وكيفيّة إفادته منها.

٢ - تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

- ٣ - التفسير بالمأثور فيه.
 - ٤ - ردوده على المذاهب الفاسدة.
 - ٥ - منهجه في النحو.
 - ٦ - منهجه في الفقه.
 - ٧ - منهجه في القراءات.
 - ٨ - تعامله مع الإسرائيليات.
- خامساً: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.
- سادساً: عملنا في الكتاب.
- ونسأل الله تعالى التوفيق في مسعانا لرسم الصورة اللائقة بهذا التفسير.

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب إلى المؤلف

لا شك في نسبة هذا التفسير للعلامة أبي حفص النسفي، وقد ذكره عنه كل من ترجم له أو نقل عنه، فمن هؤلاء:

١ - ذكره الأذنوي في «طبقات المفسرين» (ص: ١٧١) فقال: وأجل تصانيفه «التيسير في تفسير كتاب الله تعالى» في أربع مجلدات أبدع فيها بالنكات.

٢ - ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٥١٩) فقال: «التيسير في التفسير» لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي، ذكر في الخطبة مئة اسم من أسماء القرآن، ثم عرّف التفسير والتأويل، ثم شرع في المقصود، وفسّر الآيات بالقول، وبسط في معناها كل البسط، وهو من الكتب المبسوطة في هذا الفن.

٣ - وقال اللكنوي في «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٥٠): وله تصنيفات جليّة في التفسير والفقه، وأجل تصنيفاته: «التيسير في التفسير».

وانظر الفقرة الآتية فإنها متممة لهذه الفقرة.

ثانياً: مصادر نقلت عن هذا التفسير

وقد نقل عنه جمعٌ من كبار العلماء، مصرّحين في كثيرٍ من المواضع بعنوان الكتاب واسم مؤلفه، ومُكتفين في أخرى باسم الكتاب، وربما وقع ذلك دون تصريح، لكنّ بالمقارنة مع كلام المؤلف تبين أن هذا التفسير هو مصدر ذلك، ففي كلّ ذلك زيادة تأكيد في نسبة الكتاب للمؤلف:

١ - فمن أوائل من وجدت أنه نقل عنه علاء الدين البخاري في «كشف الأسرار»: حيث قال: قال الإمام نجم الدين رحمه الله في «التيسير»: ويدخل في البيان الكتاب والإشارة وما يقع به الدلالة، وهو امتنان منه على العباد بتعليم اللغات المختلفة ووجوه الكلام المتفرقة^(١).

ونقل عنه في موضع آخر تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَبَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] فقال: قال الإمام نجم الدين رحمه الله في «التيسير»: قيل: هما واحد، ومعناهما: مجاوزة قدر الحاجة، والتكرار للتأكيد كقوله تعالى: ﴿رَأَوْهُ وَفَّ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]^(٢).

٢ - وممن نقل عنه العلامة الطيبي في حاشيته على «الكشاف»: نقل عنه في كثير من المواضع:

منها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، قال: ونقل صاحب «الفرائد» عن صاحب «التيسير»: الأغلال مع الأيدي مجموعة إلى الأذقان عبارة عن منع التوفيق حين [كذا، والصواب: حتى] كانوا متكبرين مستثقلين للحق، لأن المتكبر يُوصف بانتصاب العنق، والمتواضع

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٣/ ١٥٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٤/ ٥٣٢).

يُوصَفُ بـضده، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] ^(١).

قلت: والكلام بحرفه منقول من هذا التفسير وسيأتي في مكانه.

ومنها: قوله: وقد أجاد صاحب «التيسير» حيث قال: قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١] دلّ على الأطفمة، وقوله: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ على الأشربة، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَكَلِّذُ الْأَعْيُنِ﴾ [الزخرف: ٧١] على أن في الجنة وراءهما من أصناف النعم شيئاً آخر ^(٢).

وقد نقل الطيبي عن «التيسير» في مواضع كثيرة من حاشيته المذكورة.

٣ - وممن نقل عنه أبو بكر البقاعي: في «مصاعد النظر» في سورة الفاتحة فقال: وقال الإمام نجم الدين أبو حفص عمر النسفي في تفسيره «التيسير»: هي ثمان آيات في قول الحسن البصري، وست في قول الحسين الجعفي، وسبع في قول الجمهور ^(٣).

٤ - وممن نقل عنه العلامة ابن كمال باشا: في «تفسيره» وغيره من مؤلفاته:

منها: ما نقله في «أربعينياته» فقال: قال الإمام النسفي صاحب «التيسير» في تفسير سورة النساء: روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً لإطعامه الطعام» ^(٤).

ومنها: تعقبه في رسالته المسماة «رسالة في تحقيق الغيب» على المؤلف فيما

(١) انظر: حاشية الطيبي على «الكشاف» المسماة «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٣ / ١١).

(٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٤ / ١٧٤).

(٣) انظر: «مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور» (١ / ٢٠٨).

(٤) انظر: «أربعينيات ابن كمال باشا» (ص: ١٣٧).

ذهب إليه من أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] حفظه من الجوانب كيلا يقربه الشيطان عند إنزال الوحي فيُلقي في وحيه غير الوحي، أو يسمعه فيُلقيه إلى الكهنة فيُخبرون به قبل إخبار الرسول^(١).

ومنها: ما نقله عنه في رسالته المسمّاة: «رسالة في شرح حديث سأخبركم بأول أمري» فقال: وفي رواية النسفي في «التيسير»: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورؤيا رأتها أمي آمنه؛ خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى»^(٢).

وغير ذلك كثير، كما نقل عنه أيضاً في «تفسيره» أموراً لا تحصى مصرحاً بالنقل عنه أحياناً ودون تصريح في أحيان أخرى:

فمما صرح فيه: ما نقله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] قال بعد أن اختار تأويلاً للآية: وبما قرّرناه تبين الخل فيما قيل: إنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: لتتهين عن سب آلهتنا أو نهجون إلهك، فنزلت. فإن عبارة: (نهجون) تأبى عن التأويل المذكور، وقد ذكر في «التيسير» سبب النزول على وفق ذلك التأويل.

ومنه: قوله في تفسير سورة الكهف: وفي «التيسير»: كان البحر الذي يعملون فيه أصحاب السفينة ما بين بحر فارس إلى بحر الروم.

وكل ورد في هذا التفسير كما سيأتي في موضعه، وقد نقل عنه في مواضع أخرى دون تعيين، لكن بالمقابلة مع ما جاء في هذا التفسير وجدنا الكلام متطابقاً تماماً:

(١) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (١/٢٧٩).

(٢) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (٢/٢٦٩).

فمن ذلك: نكتة ذكرها ابنُ كمال باشا في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩]، وكنا قد أوردناها في مقدمة تحقيقنا لـ «تفسير ابن كمال باشا» على أنها من إبداعاته وبنات أفكاره، ثم تبين عند تحقيقنا لهذا التفسير أنها للمؤلف رحمه الله، وهي قوله: قال في صفة الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩] وفي صفة الولدان: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوءِ اللَّكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، وأشار بذلك إلى أن الحور للضحبة دون الولدان؛ لأنَّ اللؤلؤ للنظر لا للذوق، والبيض لهما.

وهذا الكلام متطابق بين التفسيرين.

ومما نقله عنه دون تصريح أيضاً: قوله في تفسير سورة يوسف: فأما قوله: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلة؛ لأنهم كانوا يعدُّون القليل ويَزِنُون الكثير.

٥ - كما نقل عنه الشهابُ الحفاجيُّ في حاشيته على تفسير البيضاوي المسمَّاة: «عناية القاضي وكفاية الرَّاضي» في عشرات المواضع:

منها: قوله في تفسير الفاتحة: الغضبُّ والضلالُ وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم حيث قال: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧] وللإهود والنصارى جميعاً على الخصوص حيث قال في حق اليهود: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] إلخ، وفي حق النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ [المائدة: ٧٧] كما في «التيسير»^(١).

(١) انظر: «عناية القاضي وكفاية الرَّاضي» (١/١٤٦).

ومنها: في سورة البقرة قال وهو يتكلَّم عن التعجيبِ والتعجُّب في معنى (كيف): والأولى أولى؛ لِمَا في «التيسير»: أن (كيف) تكون للتعجُّب نحو: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ٥٠]؛ أي: تعجَّب يا محمد، وللتعجيب؛ أي: الحمل على التعجُّب^(١).

ومنها: قوله: وهذا مأخوذ من قوله في «التيسير»: ويجوز أن يكون الخطابُ للمسلمين، والمعنى: كيف تكفرون نِعَمَ الله عليكم وقد كنتم أمواتاً بالكفر أو الجهل فأحياكم بالإيمان أو العلم^(٢).

٦ - ونقل عنه إسماعيل حقي في «روح البيان» في عشرات المواضع بالتصريح^(٣)، وفي مواضعٍ بغير تصريح:

فمما نقله دون تصريح: حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزْنِيَ أَوْ أَسْرِقَ، فقليل له: قد كبرتُ سنُّك، وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ، أتخافُ على نفسك من الزنا والسرقة؟! فقال: كيف آمَنُ وإبليسُ حيٌّ^(٤).

٧ - ونقل عنه ابن عابدين في «الحاشية» في الكلام عن محظورات الإحرام فقال: قال صاحبُ «الملقط» في كتاب الأيمان: إِنَّ الكفارة ترفعُ الإثمَ وإنْ لم توجد منه التوبةُ من تلك الجناية اه، ويؤيده ما ذكره الشيخُ نجمُ الدين النسفيُّ في

(١) انظر: «عناية القاضِي وكفاية الرَّاظِي» (١٠٩/٢).

(٢) انظر: «عناية القاضِي وكفاية الرَّاظِي» (١١١/٢).

(٣) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي سورة البقرة في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيُضْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وغيره كثير.

(٤) انظر: «روح البيان» (١٩٣/٢).

تفسيره «التيسير» عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]؛ أي: اصطاد بعد هذا الابتداء^(١).

٨- ونقل عنه الألوسي في «روح المعاني» في مواضع كثيرة مع التصريح بالنقل من «التيسير»^(٢).

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٥٤٤).

(٢) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أُولَوْ كُنَّا كَرِيمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَعْرَ﴾ [الحج: ٣٦]، وغيره كثير.

ثالثاً: بيان خصائص هذا التفسير وميزاته

التي تميّز بها عن غيره من التفاسير

لقد اجتمع في هذا التفسير أمورٌ لم تجتمع في أيّ تفسيرٍ آخر؛ من متانة الأسلوب، ووضوح المعاني، وكثرة النكات، وقوة الحجج، وغير ذلك مما سنبينه فيما يأتي.

١ - وأول ما تميّز به هذا التفسير: هو أسلوبه في تفسير القرآن بالقرآن، واعتماده على ذلك في الاحتجاج والبيان، ووصوله فيه إلى درجة لم يصل إليها أيّ تفسير، وقد أعددتُ لهذا دراسةً شاملةً ستأتي إن شاء الله عند بيان منهج المؤلف في تفسيره هذا.

٢ - وإن من أهم ما يميّز هذا التفسير: هو ذاك النفسُ الإيمانيُّ والنَّفْحُ الرَّبَّانِيُّ المتخالطُ مع التفسير اللفظي، والمتشابكُ معه، بعباراتٍ لطيفةٍ راقية، وألفاظٍ متقاةٍ لا ثقة، صادرة عن قلبٍ خاشعٍ ولسانٍ ذاكِرٍ، فيشعر الإنسان أنها تتغلغل في أعماقه، وتحرك منه المشاعر:

- كقوله في تفسير: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ بعد نقله كلام بعض العلماء في الصراط: وأنا أقول:

هو ما ليس عليه ظلامُ النُّكْرَةِ ولا غبارُ البِدْعَةِ.

هو ما لا يضلُّ سالكُه ولا يهتدي تاركُه.

هو ما لا يُخاف فيه قطعُ الطريق، ويُمَدُّ سالكُه ببَذْرَقَةٍ^(١) العصمة والتوفيق.

(١) البذرقة قال في «التاج» (مادة: بذرق): بالذالِ الْمُعْجَمَةُ والمُهْمَلَةُ، وقال ابنُ بَرِّي: هي الخفارة، وقالَ الهروي في (فصل عصم) من كتابه «الغريبين»: إن البَذْرَقَةَ يُقال لها: عصمةٌ؛ أي: يعتصم بها... =

هو ما يُسهِّل إلى المقصد، والمقصودُ وصولُ قُصَّاده، واللهُ تعالى بِمِرْصاده.

- وقوله في تفسير الصراط أيضاً: إنما سَمِّيَ الدِّين صراطاً لأنَّ مَنْ كان له مقصودٌ أو مطلبٌ فإنما يصل إليه بعد قطع الطريق، وسلوكِ سواءِ السبيل، واللهُ تعالى متعالٍ عن الأمكنة، لكنَّ العبد الطالب صاحبُ المكان، فلا بد له من قطع المسافات، ومسِّ الآفات، وتحمُّلِ المخافات، ليُكرِّم بالوصولِ والموافاة.

- وقال في شرح التي بعدها: وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في البداية بالعناية، وفي الحال بالهداية، وفي النهاية بالحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وهذا في البداية، وقال تعالى: ﴿أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وهذا في الحال، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذا في النهاية.

- وقال في تفسير الآيات التي في مطلع سورة البقرة: ثم مجموعُ الآية أنه قال: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ وهو مدحٌ بترك كلِّ المخالفات، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وهو ثناءٌ برأس الطاعات، ثم قال: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وهو مدحٌ بجامعة العبادات، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِفُونَ﴾ وهو مدحٌ بما هو أساس السَّخاوات، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهو التصديقُ بكلِّ الرسالات، ثم قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهو الإقرارُ والاعتقادُ بالبعث والجزاء على كلِّ المعاملات، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو شهادةٌ لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كلِّ الحالات، وحُقَّ لمن جمَعَ هذه الصفات أن يؤهَّل لهذه الصَّلات.

= يُقال: بَعَثَ السُّلْطَانُ بَذَرَقَةٍ مَعَ الْقَافِلَةِ، بِالذَّالِ مَعْجَمَةً... والمبذَرَق: الخفير.

قلت: ويتَّج أن المراد بها هنا: العون والمدد، وما في معناهما.

- وقال: وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] دلالة على شمول القدرة والصَّنعة، وتنبية عن سِنَةِ الغفلة، أنهم كانوا فمَضَوْا، وجاؤوا وانقَضَوْا، فلا تنسوا مصيركم، ولا تستجيزوا تقصيركم.

- وفي أول يوسف قال: وانتظام أول هذه السُّورة بآخر السُّورة التي قبلها: أنه افتتح هذه السُّورة بقوله: ﴿الر﴾ معناه: أنا الله أرى من العرش إلى الثرى، فلي غيبُ السَّمَاوَاتِ العُلَى والأراضي السُّفلى، ولستُ بغافلٍ عما يعمل الوري.

وقيل: أنا الله أرى ما نزل بيوسف من البلوى، من الجبِّ والسَّجن والشَّكوى، ثمَّ جعلته مَلِكُ الدُّنْيَا، وجمعه مع شيخه المبتلى.

٣- كما يتميز بتلك النقول الرائعة والأقوال الجامعة المانعة، والتي كثير منها لا تجده في الكتب، وفيها جوامعُ الكَلِمِ، والمواعظُ والحكم:

- ففي تفسير الفاتحة في سبب تسميتها بأَمِّ الكتاب أسهب في شرح ذلك وما قيل فيه، ومنه قوله: وقيل: الأُمُّ: الإمام؛ فالسورة إمام أهل الإسلام، وأمُّ القرى مقصدُ الأنام، وجهنم قيل لها: ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارة: ٩]؛ لأنَّ الكافر له إليها المرجعُ والمقام، والدِّماغُ أمُّ الرأس وللرأس به القيام؛ فأَمُّ القرآن تقوم بهذه المعاني العظام.

- وفي الفاتحة أيضاً قال: وقالوا: خيارُ المسلمين سبعةُ أصنافٍ: الحامدون، والراجون، والخائفون، والمخلصون، والمتوكلون، والمستقيمون، والعارفون، وفي هذه السورة نصيبٌ لكلهم؛ فقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصيبِ الحامدين، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ على نصيبِ الراجين، وقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على نصيبِ الخائفين، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على نصيبِ المُخلصين، وقوله: ﴿وإِيَّاكَ

نَسْتَعِيْثُ ﴿ على نصيب المتوكلين، وقوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴾ على نصيب المستقيمين. وبقية السورة على نصيب العارفين.

- وفيها أيضاً في بيان الحمد والشكر: وقيل: الحمد مقلوب المدح، والشكر مقلوب الكشر، وهو انفتاح الشفتين بالضحك حتى تبدو الأسنان، فالشكر انكشاف الغطاء عن القلب حتى يعرف المنّة من المنان.

- وكقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: قال الواسطي: أول قدم في الإيمان: أن لا يجري عليك التلويح فيما يرد عليك من نعمة أو بلية؛ إذ لا فرق بينهما في الحقيقة.

وقال داود الطائي: الإيمان: ما يُورثك النور بعد الظلمة، ثم اللين بعد القسوة، ثم السنة بعد البدعة، ثم التلذذ بالعبادة بعد المجاهدة.

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والاستسلام لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والشكر لنعماء الله عزّ وعلا، والتقوى باب الإيمان، واليقين قلب الإيمان، والصبر عماد الإيمان، والإخلاص كمال الإيمان.

- وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصِرُّوْا وَصَابِرُوا﴾ الآية [آل عمران: ٢٠٠] كان مما نقله فيها:

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿أَصِرُّوْا﴾ على بلائي ﴿وَصَابِرُوا﴾ نعمائي ﴿وَرَابِطُوا﴾ أعدائي ﴿وَاتَّقُوا﴾ محبة من سوائي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غداً بلقائي.

وقال آخر: ﴿أَصِرُّوْا﴾ عند قيام النفير على احتمال الكرب ﴿وَصَابِرُوا﴾ على

مقاساة العناء والتعب ﴿وَرَايَطُوا﴾ أعدائي بلا هَرَب ﴿وَأَتَّقُوا﴾ بهممكم عن الالتفات إلى السبب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غدا بلقائي على بساط الطَّرب.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يقال ﴿أَصْبِرُوا﴾ على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُوا﴾ في ترك الهوى والشهوات، وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَايَطُوا﴾ بالاستقامة في الصحبة في عموم الحالات.

قال: ويقال: ﴿أَصْبِرُوا﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُوا﴾ بقلوبكم ﴿وَرَايَطُوا﴾ بأسراركم. قال: والصبرُ مرٌّ مذاقته إذا كان العبدُ يتحسَّاه على الغيبة، وهو لذيذٌ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بمخالفة أهوائكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الفلاح: الظفر بالبغيه، وهمة القوم اليوم الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بها ذبحوها بسيف المجاهدة، وصلبوا على عيدان المكابدة، وبعد فنائهم عنها يحصل بقاؤهم بالمشاهدة.

- وذكر أيضاً في الموضع نفسه: وقال عطاء: ﴿أَصْبِرُوا﴾ على دينكم ﴿وَصَابِرُوا﴾ الوعد الذي وعد ربكم ﴿وَرَايَطُوا﴾ عدوي وعدوكم، حتى يرجع عن دينه إلى دينكم ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوني فيما نهيتكم وأطيعوني فيما أمرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ تُسْعَدُونَ وَتَبْقُونَ في الجنة ناعمين مخلدين كما بشرتكم.

٤ - وإن من أهم ما تميز به أيضاً كثرة ما ينقله من آثار أو أقوال في التفسير أو النحو أو اللغة أو غيرها مما لا يوجد في الكتب التي بين أيدينا:

وهذا مما يبوئ هذا التفسير المكانة العالية السامقة على غيره من التفاسير المطبوعة.

ففي الآثار عن السلف مثلاً كثير مما ساقه لم نقف عليه، والغالب أنه نقله من

الكتب التي زخرت بها مكتبات بلده وغيره من بلدان العالم الإسلامي، لكنها لم تصل إلينا لسبب من الأسباب:

- فمن ذلك قول علي رضي الله عنه: لا تنزلوا الموحدين العارفين المخبتين الجنة حتى يكون الله هو يحكم فيهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ولا تنزلوا الموحدين العارفين المذنبين النار حتى يكون الله هو يحكم فيهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١] نقل هنا أقوالاً: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أهلكننا. وقال الضحاك: دمّرنا. وقال أبو العالية: خرّبنا. وقال ابن كيسان: هزّمنا وقتلنا، وأنشد قول تبع اليماني: ولقد قصمت يهود خير كلهم فترك خيبر غير ذات يهود

ولم أفف على هذه الأقوال عدا الأول، فقد رواه الطبري في «تفسيره» لكن عن ابن جريج ومجاهد وابن زيد.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾: ذكر قول عمر رضي الله عنه: نعم السلاح القوس.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَأَخِرْ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] قال:

وقال محمد بن علي الباقر: كلام أهل الجنة ثلاثة: التسبيح والتحميد وتسليم بعضهم على بعض، ورزق الله تعالى هذه الثلاثة للمؤمنين في الدنيا في الصلاة؛ يفتتحون الصلاة بالتسبيح، ويفتتحون القراءة بالحمد، ويختمون بالسلام.

وقال الحسين بن علي: إذا أرادوا الطَّعام والشراب سَبَّحُوا، وإذا فرغوا حمدوا، وإذا اشتاقوا هَلَّلُوا، وإذا تلاقوا سَلَّمُوا، وإذا تفرَّقوا بعد التَّراور فأخروا دعواهم - أي: آخر كلامهم عند التَّفَرُّق - الحمد لله ربِّ العالمين.

- وعند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠] ذكر ما فيه من أقوالٍ للسلف فقال:

قال مجاهد: دعا الله فأخرج له من نفق في الأرض حتى وُضع بين يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا حيُّ يا قيوم.

وقال عبد الله بن سلام: قال: اللهمَّ إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الحيُّ القيوم، الطاهرُ المطهر، نورُ السماوات والأرض، عالمُ الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وروي عن جابر أنه قال في الدعاء: يا الله يا الله يا الله.

وقال عمرو بن عدي: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام، والفضل العظيم، والعزُّ الذي لا يُرام.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠] ذكر قول الحسن: حُصِّلَ ما في صدور الصُّحف، وهو كتِّحصيلِ الحساب: يذهب ممَّا كان في صور الطاعات ما لم يكن لوجه الله ويبقى ما هو لوجهه.

- وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: وقال الحسن: لجهنم سُرادقٌ كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وللسُّرادق عَمَدٌ، فإذا مُدَّت تلك العَمَدُ أُطْبِقَتْ جهنمُ على أهلها.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَا لَكَ فَطَهْرٌ﴾ قال: وقال يعلى بن عطاء: ﴿وَيَا لَكَ

فَطَهَّرَ ﴿مِمَّا كُنْتَ تَفَكَّرُ فِيهِ، وَلَا يَكْثُرَنَّ﴾^(١) عَلَيْكَ مَا أَوْذَيْتَ بِهِ، فَإِنَّهُ قَلِيلٌ فِي جَنْبِ مَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَثْبِكَ.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩] عدّد ما جاء فيه من أقوال السلف، وآخرها: وقيل: الفقيه العامل بعلمه. ثم عقبه بقوله: وعندي هو الأصوب، فإنّ عمر بن عبد العزيز قال للحسن البصريّ: شَرُفَتْ فِي الدُّنْيَا بَعْلَمُكَ، فاعمل به تَشْرُفْ بالآخرة.

وغيره كثيرٌ جدًّا من أقوال السلف، التي لم نجد في ذكرها للمؤلف سلف. هذا فضلاً عن كثيرٍ من أقوال أئمة التفسير واللغة والنحو التي لم نقف عليها أيضاً، وممّن أكثر من النقل عنهم ولم نجد في الغالب أقوالهم: الكسائيّ وقطرب ونفطويه والأخفش والقفال وأبو سعيد الضّرير وأبو معاذ وغيرهم.

- فَمِنْ ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ عَنِ الْكَسَائِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَنبَأْتُ بَيْنَتُ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] من قوله: فيه وجوه:

إِنْ شئتَ عَلَى الْعُطْفِ بغيرِ وَاوٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَفِيهِ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرُهُ.

وَإِنْ شئتَ: عَلَى الْإِضْمَارِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ. وقيل: المَقَامُ مع أَنَّهُ وَاحِدٌ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ دَلٌّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَصِدْقِ دَعْوَتِهِ وَصِدْقِ شَرَائِعِهِ، فَكَانَ الْمَقَامُ الْوَاحِدُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَقْدِيرُهُ: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ هِيَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ....

(١) فِي نَسْخَةِ: «يَكْبُرَنَّ».

- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] قال: قال الكسائي: الباء بمعنى (عن)، كما في قوله: ﴿فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ومعناه: سأل هذا الكافر عن العذاب بمن يقع؟ فقال الله تعالى: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

- ونقل كلاماً حسناً للقفال في تفسير: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ...﴾ [التوبة: ٢٤]، فقال: وقال القفال: قطع وجوه العذر بهذا التعديد والبسط من الكلام، فلم يُجزَّ ترك الهجرة والجهاد في سبيل الله للميل إلى الشيء من الأسباب المميلة، ولم يجعل ما يثقل على الإنسان فراقه من أبٍ برٍّ، وابنٍ يتزَّين به، وأخٍ يعتضد بمعونته، وزوجة يسكن إلى صحبتها وإلفها وخدمتها، وعشيرة يتعزز بهم، ويستعين على دفع المُلِمَّاتِ بِنُصرتهم، وأموالٍ مكتسبة قد استنفذ في تحصيلها الوُسع، وأنفق على جمعها العُمُر، وتجشَّم على حملها الأسفار، وخاف عليها الضياع بالغيبة عنها، وتجارة قائمة يرجو حصول أرباحها، ومنازل قائمة عامرة نزهة مألوفة يتحصَّن فيها من أذى البرد والحر، وأعدَّ فيها مواضع للشتاء والصيف = حجة في مخالفة ما أمر الله تعالى من الهجرة وجهاد الكفار، وأخبر أنَّ من أثر طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعدَّ لنزول أمر الله، فإنه ينزل به ما لا مدفع له ولا اعتصام منه بنصرة قرابة أو عشيرة، ولا يتحصَّن بمساكن حريزة، وليعلم أن الله لا يرشد الفاسقين المستخفين بدينه إلى صوابٍ في تدبيره، ولا يهديهم إلى طريق رضوانه ورحمته ما داموا على اختيارٍ مخالفته.

- وعن نفطويه نقل في معنى الغي في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قوله:

هو الجهل.

وفي معنى ﴿ذُومَرَقَ﴾ [النجم: ٦] قوله: أي: ذو رأيٍ مُحْكَمٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] قوله: أردتُ أمراً فضيلتُ عنه.

وفي معنى: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨] قوله: أي: يلقي الحقُّ في قلبِ مَنْ يشاءُ وعلى لسانه.

- وعن قطرب في قوله: ﴿نَفَشْتُ﴾ [الأنبياء: ٧٨] قال: إذا تفرقت بلا راعٍ، ومنه: (العهن المنفوش)؛ أي: المتفرق.

وفي قوله: ﴿وَنَحِرُ الْجِبَالِ هَذَا﴾: قال قطرب: زلزلةٌ وكسراً.

- ونقل أيضاً الكثير من كلام الكلبي الذي لم نجده في المطبوعات؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] قال: قال الكلبي: أي: انتظروا هلاكنا فإننا ننتظر هلاككم.

- ونقل عن النضر بن شميل في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الواقعة: ٣٠] قوله: أي: لا ينقص كما ينقص ظل الدنيا.

- وعن أبي سعيد الضَّرِير في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ قوله: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: لا أب له، وهو في معنى قوله: ﴿زَيْنِيمٍ﴾؛ أي: دعي.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَدُهُ﴾ عدَد المؤلف ما فيه من الأقوال فقال:

وقال محمد بن كعب: يقول: هذا لي وهذا لي.

وقيل: ﴿وَعَدَدُهُ﴾؛ أي: كثره؛ يقال: هذا مال له عددٌ؛ أي: كثرةٌ، و: في بني فلان عددٌ؛ أي: كثرة.

وقال أبو معاذ: ﴿وَعَدَدُهُ﴾؛ أي: هيأه للوجود، هذا لكذا وهذا لكذا، من العدة بمعنى: أعدّه وأرصده.

وقال الأخفش: وعدَّه للدهور، وأعدَّ وعدَّ واحد، كقولهم: أجَدَّ وجَدَّ، وأَحَدَّ وحَدَّ.

ثم ختم ذلك بقوله: وهذا كله دلالة الإمساك، كقوله: ﴿وَجَمْعًا وَاعِي﴾ [المعارج: ١٨].

- ومن روائع نقله ما ذكره في تفسير ﴿الصَّكْمُ﴾ عن أبي زيد البلخي^(١) من قوله: الصمد: هو الذي يُصمد إليه تعظيماً له ورغبةً فيه، ووقوعُ هذا الاسم على مَنْ تعظَّم من البشر إنما هو على الاستعارة؛ لأنه ليس أحدٌ من المخلوقين وإنَّ عَظُم شأنه وعلت رتبته إلا وهو موصوفٌ بالنقص، عاجزٌ عن إبلاغ مَنْ يَصمد إليه غايةً أمله، فالصمدُ في الحقيقة مَنْ هو ملجأٌ كُلُّ مستغيثٍ به في نوازله، وَمَنْ بيده ناصيةُ كُلِّ من خلقته، وَمِنْ أَجْلِ جلالَةِ هذا الاسم جعله الله تعالى مقروناً بلفظة ﴿أَحَدٌ﴾ الدالة على حقيقة الوجدانية؛ ليدلَّ بأحد الاسمين على أن الموصوف به هو مَنْ لا نظيرَ له ولا شبيهَ إذ له الوحدة المحضة، ويدلُّ بالاسم الآخر على أن من الواجب إذ كانت الوجدانية بالحقيقة له، وكان مبدعَ الكلِّ وحافظه ومدبره، أن لا يُصمد بالعبادة والتعظيم والرغبة والرغبة غيرُه، فاجتمع في لفظي الأحد والصمد وما يتبعهما من نفى صفات الحدوث ووجودٍ مثيلٍ له وشبيهٍ له - وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٢٠ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ - ما يستحقُّه من صفات الألوهية والربوبية، ومن أَجْلِ عَظِيمِ شأنِ هذه الكلمات الموجودة في هذه السورة صارت من أشرف سور القرآن في توحيد الله وتمجيده، ولذلك سُميت سورة الإخلاص، كُلُّ هذا كلام أبي زيد.

ثم نقل عن بعض أهل العلم قوله في تفسير سورة الصمد: إن هذه السورة يفسر بعضها بعضاً، إذا قيل: مَنْ هو؟ فجوابه: ﴿اللَّهُ﴾، مَنْ الله؟ ﴿أَحَدٌ﴾ مَنْ الأحد؟

(١) هو أحمد بن سهل، أحد الكبار الأفاضل من علماء الإسلام، وستأتي ترجمته في الكتاب.

﴿الصَّكْمُ﴾ مَنْ الصمد؟ ﴿الذي لم يلد ولم يولد﴾ مَنْ الذي لم يلد ولم يولد؟
﴿الذي لم يكن له كفواً أحد﴾.

وقد يذكر أحياناً أقوالاً تخالف ما ذهب إليه جميع المفسرين لكنها جديرة
بالتأمل:

- فمن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ قال: وقيل: هم عبادُ
الخلق، وهم الكفار ﴿يَقُولُوا أَلَلَّيْ هِيَ أَحْسَنُ﴾: كلمة التوحيد ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾
يحملهم على الشرك ويغري بينهم وبين المؤمنين بالعداوة ﴿زَبُكُمُ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فإن
علم منكم توبةً باستماعكم مواعظ الله وعملكم بها رَحِمَكُم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا
محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ مسلطاً مكرهاً على الإيمان، إنما عليك الإنذار.

ففسّر العباد بالكفار، وبنى عليه تفسير باقي الآية، بينما كلُّ الأقوال الأخرى
تجعلها في المؤمنين.

وهذا كله لم نجد منه شيئاً فيما توفّر من مصادر، وهو ليس سوى غيضي من
فيض؛ كما سنرى في هذا الكتاب إن شاء الله.

٥ - كثرة ما فيه من أقوال تفسيرية وفوائد ونكات خاصة بالمؤلف:

فقد كان للمؤلف كثيرٌ من النظرات والنكات التي تفوق فيها على غيره من
المفسرين: - فانظر مثلاً لروعة تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]
حيث قال: أي: وسهّل لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا؛ متكئين وقاعدين وقائمين،
وهذا من عجيب الاختصار؛ لأنّ فيه نزول العنقود إلى الفم والإنسان قاعدٌ،
وارتفاعه إليه وهو قائمٌ، وزوال امتناعه عليه في كلّ حالٍ من أحواله ببعده أو مانعٍ من
شوكٍ أو غيره.

لم أجد من شرحها هذا الشرح ووضحها هذا التوضيح البليغ، ومن يراجع قول الزمخشري مثلاً - وهو صاحبُ الباع في مثل هذا - في تفسيرها ويقارن بينهما يظهر له الفرق في التعبير، وفي حسن البيان والتصوير، فقد قال الزمخشري: وتذليل القطوف: أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاءوا، أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة، من قولهم: حائط ذليل؛ إذا كان قصيراً.

- ومثل هذا قوله في تفسير: ﴿إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٩١]: أي: لم يثبطوا غيرهم من الموسرين والأصحاح عن الخروج، ولم يوهموهم أن قعودهم كان لجواز التخلف لكل من أراحه، بل بينوا سبب تخلفهم، وحرضوا القادرين عليه، وقاموا بأسبابهم عند خروجهم وأسباب من خلفوهم بالمعونة.

فهذا المعنى الذي ذكره لم أجد أحداً من أهل التفسير والمعاني ذكره ولا ما يقاربه في الحُسن وإصابة المَحَزِّ، اللهم إلا ابن كمال باشا الذي في الحقيقة نقله عن المؤلف.

- وانظر ما أروع شرحه لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧] فقد قال في التفريق بين التجارة والبيع: لا تشغلهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار ﴿وَلَا بَيْعًا﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، وحملناها على هذين لتكون لزيادة إفادة لا لمجرد إعادة.

قلت: وهذا التفريق بينهما لم أجد أحداً من المفسرين قد انتبه إليه أو نبه عليه.

- ثم قال في تفسير باقي الآية: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾؛ أي: وعن إقامة الصلاة في وقت الصلاة ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾: أي: وعن إيتاء الزكاة. بين أنهم ليسوا بزمنى لا أبدان لهم، ولا فقراء لا أموال لهم؛ ليكون لهجهم

بالذكر لعجزهم وفقيرهم، بل قال: لهم أبدانٌ يقيمون الصلاة بها، وأموالٌ يؤدُّون الزكاة عنها، ثم لا يشغلهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكره.

وهذه الحكمة التي ذكرها من قرن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بذكر الله لم أجدها عند أحد من المفسرين.

- ومن ذلك كلامه في الحكمة من ختم قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾ الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[البروج: ٨ - ٩] حيث ورد في الآية كونه عزيزاً حميداً ملكاً دون غيرها من صفاته تعالى، فقال المؤلف في تعليل تخصيص هذه الصفات: ﴿الْعَزِيزِ﴾ صفة لـ ﴿اللَّهِ﴾ تعالى، وهو المنيع الذي لا يُغلب، ﴿الْحَمِيدِ﴾ بحمد المؤمنين، وفي عقول جميع المكلفين، والمستحقُّ للحمد على الحقيقة ﴿الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ثم قال: وأشار بهذا كله إلى أنه لو شاء لمنعهم عن ذلك، لكن لم يمنع محنة لأوليائه.

فهذه الحكمة من تخصيص تلك الصفات التي ختم بها لم أجد من تنبه لها ممن تكلم في تفسير الآية، ومنهم الزمخشري الذي قال فيها: وذكر الأوصاف التي يستحقُّ بها أن يؤمنَ به ويُعبَدَ، وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يُخشى عقابُه، حميداً منعماً يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه، ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكلُّ من فيهما تحقُّ عليه عبادته والخشوع له.

وهذا الذي ذكره الزمخشري كلامٌ حسنٌ لكنه غير كافٍ في تعليل التخصيص بتلك الصفات، فإنه ينطبق على كل صفات الله وأسمائه.

- ومن شروحه الحسنة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿[الذاريات: ٥٦] من شرحه لقول ابن عباس: إِلَّا لِيُقَرُّوا لِي بِالْعُبُودِيَّةِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا.

ثم عقبه بقوله شارحاً له: يعني: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُقَرُّونَ لَهُ طَوْعًا، وَالْكَافِرُونَ يُقَرُّونَ لَهُ بِمَا جَبَلَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ، وَاسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ، فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ بِهَذَا لَهُ عَابِدُونَ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْجُدُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ عَلَى مَعْنَى: مَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مِنْ دَلَائِلِ الْحُدُوثِ الْمُوجِبَةِ لَكُونِهَا مَرْبُوبَةً مَخْلُوقَةً مُسَخَّرَةً. وَكُلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْحَصْرِ، بَلْ لِلتَّحْدِيلِ وَالْبَيَانِ، فَكُلُّ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.

٦ - وَمِمَّا تَمَيَّزَ بِهِ هَذَا التَّفْسِيرُ أَيْضًا: الْإِيجَازُ فِي الْبَيَانِ، مَعَ مَتَانَةِ الْعِبَارَةِ، وَجَمَالِ الْإِشَارَةِ، وَالْوَصُولُ إِلَى تَوْضِيحِ الْمَعْنَى بِأَسْهَلِ الطَّرِيقِ وَأَقْرَبِهَا لِنَفْسِ الْمُتَلَقِّي: - فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقِمْ مَنًّا إِلَّا أَتَاءَ مَنَّا يَأْتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] قَالَ الْمُؤَلِّفُ عَلَى لِسَانِ السَّحَرَةِ: وَهَذَا مِمَّا لَا يُعَابَ، بَلْ ثَبَتَ لَهُ الْإِيجَابُ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا عَنْهُ الْإِنْقِلَابُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى إِرْضَائِكَ فَقَدْ اسْتَسْلَمْنَا. - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] قَالَ: أَيُّ: أَمْتَنِي عَلَى الْإِسْلَامِ.

قِيلَ: لَمَّا انْتَضَمَتْ أَسْبَابُهُ وَاطْرَدَتْ أَحْوَالُهُ اشْتَقَّ إِلَى رَبِّهِ. وَقِيلَ: لَمَّا رَأَى أَمْرَهُ عَلَى الْكَمَالِ، عَلِمَ أَنَّهُ أَشْرَفَ عَلَى الزَّوَالِ، سَأَلَ سَعَادَةَ الْإِنْتِقَالِ، قَالَ قَائِلُهُمْ:

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ دَنَا نَقْصُهُ تَوَقَّعُ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ

- ومثله قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] قال في معناه: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعِبِ الصَّيَّانِ، ﴿وَلَهُوَ﴾ كلهو الفتیان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ كتكاثر الدهقان.

٧- ومما تميز به هذا التفسير أيضاً: أنه لا ينقل الأقوال نقلاً حرفياً بل يطبع ما ينقله بأسلوبه ويلوِّنه بفكره.

وأكثر ما رأيتُ هذا في نقله عن «تأويلات أهل السنة» للمأثرِ يدِّي و«لطائف الإشارات» للقشيري، وهما أكثرُ مصدرين نقلَ عنهما المؤلف ورافقاه من أولِ التفسير حتى آخره:

- ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] قال المؤلف: وقال القشيري: إنهم طأحوا في أودية التفرقة، واستطابوا صحبة الأغيار، فشَقَّ عليهم حين طُوبوا بهجرانِ العادة والقرارِ في ساحاتِ التوحيد حتى قالوا ما قالوا.

ولفظ القشيري: (طأحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحات التوحيد، فشَقَّ عليهم الإعراض عن الأغيار)^(١).

- وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥] قال: وقال القشيري رحمه الله: استكثرَ القليلُ من عباده فعدَّد أفعالهم في آيات، واستقلَّ الكثيرُ من نفسه فعدَّ الجنة بما فيها على كثرتها غرفةً.

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٥).

وعبارة القشيري: (يُعطي سبحانه الكثير من عطائه ويعده قليلاً، ويقبل اليسير من طاعة العبد ويعده كثيراً عظيماً، يعطيهم الجنة قصوراً وحوراً ثم يقول: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾، ويقبل اليسير من العبد فيقول: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]^(١).

- وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَتُهُ طَبْعُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] نقل عن القشيري قوله: وقيل: مَنْ حاسبه بكتابه وجد كلَّ زَلَّةٍ ومهلكة، وَمَنْ حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه سبحانه: ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالواجبُ على العبد أن يتَهَلَّ في دعائه فيقول: اللهم حاسبني بكتابك على ما قلت: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] لا بكتابي فإنه مشتمل على القبائح والفضائح.

وعبارة القشيري: (ويقال: مَنْ حاسبه بكتابه فكتابه ملازمه في حسابه، فيقول: رب، لا تحاسبني بكتابي، ولكن حاسبني بما قلت: إِنَّكَ ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] لا تعاملني بمقتضى كتابي فيه بوارى وهلاكي)^(٢).

- وفي أواخر تفسير الفاتحة قال المؤلف: وقوله عليه السلام في حديث القسمة: «هذا بيني وبين عبدي نصفين»^(٣)، أشار الإمام أبو منصور رحمه الله إلى معنيين فيه:

أحدهما: أن يكون كل واحدٍ منهما بين الله وعبده، العبادة من العبد وهي لله تعالى، والاستعانة فعل العبد وهي طلبه من الله تعالى.

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٠).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والثاني: أن العبادة من العبد لله تعالى، والمعونة من الله تعالى للعبد، وهذا أظهر؛ لأنه قال في بقية السورة: «هذا العبدى ولعبدى ما سأل»^(١) لَمَّا كان نفع الهداية للعبد جعله للعبد، فكذلك نفع المعونة^(٢).

فهذا ما ذكره المؤلف، أما قول الماتريدي في «تأويلات أهل السنة»: (وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال في خبر القسمة: «الله يقول: هذا بيني وبين عبدى نصفين»، وذلك يحتمل: أن يكون كل حرف من ذلك، بما فيها جميعاً الفرع إلى الله بالعبادة والاستعانة ورفع الحاجة إليه، وإظهار غناه - جلّ وعلا - عنه؛ فيتضمن ذلك الثناء عليه، وطلب الحاجة إليه.

ويحتمل: أن يكون الحرف الأول لله بما فيه عبادته وتوحيده، والثاني للعبد بما فيه طلب معونته وقضاء حاجته، ويؤيد ذلك بقية السورة أنه أخرج على الدعاء فقال الله عز وجل: «هذا العبدى، ولعبدى ما سأل».

وعلى هذا يقاس أغلب ما نقله المؤلف في تفسيره عمّن تقدّمه من العلماء.

٨ - وأخيراً فإن من أهم ما يميّز هذا التفسير هو أن مؤلفه ليس مجرد ناقلٍ لِمَا سطره من قبله أو رَوّاه، ولا حاطبٍ ليل همّه التجميع دون التحقيق، بل هو من العلماء المحققين المدققين الذين لهم رأيٌ وحضورٌ فيما ينقلونه أو يروونه:

- ففي قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] نقل قول بعضهم في معناه: احبسه. ثم قول عطاء الخراساني: آخره.

ثم قال عن الثاني: وهو الأصح؛ لأنه لم يثبت أنه حبسهما، ويدل عليه قوله: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ﴾ [طه: ٥٨].

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من التصرف.

فهو لم يكتفِ بالترجيح، بل علَّل سببه وبيَّن مأخذه.

- ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ إِيْدِينَا فَاَسْلَخْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] حيث نقل عن مقاتل: كان من مدينة بلقاء، وُسِّمَتْ بلقاء لأن رجلاً ملكها يقال له: بالقي، وكان من قصته: أن موسى عليه السلام أراد أن يغزو ملكاً، فقال الملك لباعم: إن موسى رجلٌ حديدٌ، ومعه جندٌ كثير، فإن ظَهَرَ علينا أهلكنا، فادْعُ الله - تعالى - أن يردهَ عنا، فقال: إن فعلتُ ذلك ذهبتُ دنياي وآخرتي، فلم يزلوا به حتى دعا عليهم، قالوا: فوقَّعَ موسى وبنو إسرائيل في التَّيِّه بدعائه، فلَمَّا انقضتِ المحنةُ قال موسى: يا ربِّ! بأيِّ ذنب وقعتُ لنا هذه المحنة؟ قال: بدعاء بلعم، قال: فكما سمعتَ دعاءه عليَّ فاسمَعْ دعائي عليه، فدعا موسى عليه فسَلَخه الله مما كان عليه، ونزَعَ منه معرفته فخرجتُ من صدره كحمامةٍ بيضاء، وذلك قوله ﴿فَاَسْلَخْ مِنْهَا﴾.

ثم تعقَّبه بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسُهم في التَّيِّه كان بقولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعُ دُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاء بلعم وقد انسلخ من الآيات؟! ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوهم إلى الإيمان؟! - وفي قوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩] ذكر قول القرطبي: تركوها.

ثم ذكر ما روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: أخروها عن وقتها.

ثم أعقب القولين بقوله مرجحاً: الصحيح الأول، فإنه في حق الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ [مريم: ٦٠] فاستثنى المؤمنين منهم، فدَلَّ أن المستثنى منهم هم الكفار.

- وفي قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ [مريم: ٦١] قال: أي: موعودُهُ ﴿مَأْيَا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

ثم قال: ومن جعله بمعنى الآتي فهو خلافُ الوضع، وما قلناه أحسن؛ لأنه مراعاةُ الوضع، وما أتاك فقد أتته.

- ومن أعظم مظاهر تحقيقه وتمحيصه ردُّه لقصة الغرائق التي يذكرها المفسِّرون عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، حيث أبطلها برودِّ غايةٍ في الإفحام والصحة وقوَّة الحجة.

- وكذا عرضُه لقصة طلاقِ زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنها وزواجِ النبيِّ ﷺ منها في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٧ - ٣٩] فساق القصة بأحسنِ سياقٍ وأنزه معنًى، خاتماً إياه بقوله: وقد تكلم الناس في الآية بوجوهٍ وهذا أقومُّها وأسلمُّها.

قلتُ: وهو كما قال، فإنَّ ما ذكره - رحمه الله - هو السياقُ الذي عليه المحققون من العلماء، وهو الذي مدَّحه القرطبيُّ ونقل عن علمائه قولهم: وهذا القولُ أحسنُ ما قيلَ في تأويلِ هذه الآية، وهو الذي عليه أهلُ التحقيقِ من المفسِّرين

والعلماء الراسخين كالزُّهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم^(١).

- ولعل من أجملِ تحقیقاته: استدلاله على أن الذبیح إسماعیل بما یظهر منه قوة عقله وحسن استنباطه وفهمه، وذلك في قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فقال: ودلت الآية أن الذبیح هو إسماعیل، فإن الله تعالى بشر إبراهيم عليه السلام بأن يكون لإسحاق ولد، وكان یعلم أنه لا یموت حتّى یولد له ذلك، فلا يكون على هذا في الأمر بذبح هذا الولد امتحان؛ إذ یعلم أنه لا یتحقق فيه الذبح للحال، فتعین للابتلاء الولد الآخر؛ وهو إسماعیل.

- وكذا استدلاله أن زوجاته ﷺ من أهل بيته من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، حيث قال: وفيه ردٌّ على من أنكر من الرافضة أن يكون أزواج النبي ﷺ من أهل البيت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] قال: أي: من مُتَّبِعِيهِ - يعني: نوحاً - إبراهيم الخليل عليه السلام. ثم ذكر عن الفرّاء قوله: وإن من شيعة محمد لإبراهيم. وتعقبه بقوله: وفيه بُعد.

- ومن ذلك ما نقله عند تفسير: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنتُ لِيُغْلِبَنِي أَلْكَبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] عن الكلبي من أن قوله: ﴿إِنِّي كُنتُ لِيُغْلِبَنِي﴾ هذا خطابٌ منه لجبريل عليه السلام، ومعناه: يا سيدي.

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥٧/١٧)، وانظر: «المفهم» (٤٠٦/١) لأبي العباس القرطبي شيخ المفسر، وهو المراد بقوله: قال علماؤنا.

ثم تعقبه فقال: وقال عامة المفسرين وهو الصحيح: هذا خطابٌ منه الله تعالى ومناجاةٌ معه؛ لأن جبريل عليه الصلاة والسلام بشره من الله تعالى، فخطب به الله تعالى، ودعا الله الولد فاستجاب له.

- ونحوه في قوله تعالى: ﴿قَالَ آيُتُكَ الْأَنْكَمَرُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١] قال: وما قال مقاتلٌ وقتادةُ والرَّبِيعُ بن أنس: إنَّ ذلك كان عقوبةً له حيث سأل الآيةَ بعد البشارة، فذلك باطلٌ، ولا يليق بحال الأنبياء، ولم يكن سؤاله جنايةً، ولا منعه عن الكلام عقوبةً؛ لِمَا قلنا: إنَّ سؤاله لماذا كان، ومنعه عن كلام الناس مع شغلِهِ بذكرِ الله تعالى أعظمُ الكرامات وأرفعُ الدرجات.

وقريبٌ من هذا عنايتهُ بحلِّ الإشكالات، والإجابة عما يُتوهم فيه التناقض:

- ففي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٦] قال: ثم في الآيتين نفْيُ العلم عنهما بقرينه بقرينه: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وإثباتُ العلم لهم بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٦] قال: ثم في الآيتين نفْيُ العلم عنهما بقرينه بقرينه: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وإثباتُ العلم لهم بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ولا تناقض فيه، فإن الأول نفْيُ العلم بأمور الدين، والثاني ثبوتُ العلم بأمور الدنيا، ولأن الأول نفْيُ الانتفاع بالعلم بما ينبغي، والثاني صرفُ العلم إلى ما لا ينبغي، ومن العلم القاصر أن يهَيَّ الإنسان أمورَ شتائه في صيفه وأُمُورَ صيفه في شتائه وهو لا يَتَيَقَّنُ بوصوله إلى ذلك الوقت، ويقصِّر في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها.

- وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] قال: ثم الجمعُ بين الأمرين وأحدهما مكروهٌ والآخرُ محبوب - والمذكور في صدر الكلام هو العصمة - يُشكِل بظاهره، لكن تقديره في الثاني: وَمَنْ يَمْنَعُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً.

فانظر إلى هذه الدققة كيف لاحظها، ثم كيف حلّها بأسلوبه الواضح البسيط.
- ومما يدلّ على دقّته وبعْدِ نظره أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴿آل عمران: ٣٤ - ٣٥﴾ فقال: وقيل: ﴿وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) إِذْ قَالَتِ؛ فهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقاتلتها ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتها.

فالمؤلف عليم أن سائلاً سيسأل: الله سميعٌ عليمٌ دوماً، فكيف قيّد سمعه
وعلمه بوقت قولها؟ فأجاب بما يعلّل كلامه ويردّ السؤال.

- وفي قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ذكر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ثم قال: ولا تُعارض هذه الآية تلك الآية؛ لأن
عزّ الرسول والمؤمنين بإعزاز الله، فله العزّة جميعاً على الحقيقة.

- وانظر لهذه الدققة وحسن حلّها في قوله تعالى: ﴿طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ
نَائِمُونَ﴾ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [القلم: ١٩ - ٢٠] قال: وإنما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾، وقد طاف
الطائف ليلاً؛ لأنّ معناه: فنظروا إليها صباحاً، فصارت لهم كجنتٍ قد صرمت ثمارها،
وكأرضٍ قد حصد زرعها.

- ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لِنَبِّذَ بِالْعَرَاءِ﴾ [القلم: ٤٩] قال: أي: لألقي بالأرض
العارية عن النبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ بزلّته.

قال: وقد مرّ في آية أخرى: ﴿فَنَبِّذْنُهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصفات: ١٤٥]؛ أي: ألقاه
الحوت.

قال: ولا تختلف الآيتان لوجهين:

أحدهما: أنّ الأوّل ليس بمطلق النبد، بل لنبدّه مذموماً ولم يكن كذلك، وفي
الثاني نبذّه بالعراء وقد كان محموداً، وأرسله إلى مئة ألفٍ أو يزيدون.

والثاني: ﴿لَنُذِيقَنَّ الْعَذَابَ﴾؛ أي: لبقِّي في بطن حوته إلى يوم القيامة، ثم أُلقي في عراء عرصَةِ القيامة حين يُحشَر النَّاسُ، ولكنَّ منَّ الله تعالى عليه فنبذَه بعراء الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

- وفي قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] قال: قيل له: ﴿فَاعْلَمْ﴾، ولم يقل: (عَلِمْتُ)، وإبراهيم قيل له: ﴿أَسْلِمَ﴾، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣١]، وجوابه من وجوه:

منها: أنَّ إبراهيم قال: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، فابتلي، ومحمد ﷺ لم يقل: (عَلِمْتُ)، فعُوفِي.

وقيل: إنَّ إبراهيم سبق، فذكر جوابه في الكتاب المُنزَّل بعده، ولم ينزل بعد القرآن كتابٌ آخر يُذكر فيه جوابُ محمد.

وقيل: التسليمُ مُتَنَاهٍ، فيمكنُ الإخبارُ عنه، والعِلْمُ لا يتناهى، فلا يمكنُ الإخبارُ عنه.

وقيل: إنَّ إبراهيم هو قال بنفسه: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، والله تعالى أخبر عن محمد ﷺ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهو إخبارٌ عن عِلْمه وزيادة، وإخبارُ الله تعالى عنه أعلى من جوابه بنفسه.

- ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] قال: وهذا قسمٌ، ورؤيا الأنبياءِ وحْيٌ^(١) لا خطأ فيه، وخبرٌ لا كذب فيه، والقسمُ تأكيدٌ لا وَهْن فيه، ثم قال: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وهو في كلامنا يُذكرُ فيما يكون ولا يكون، فما معناه مع ما سبق؟ وجوابه من وجوه:

(١) في نسخة: «حق».

أَحَدُهَا: أَنَّ مَلَكَ الرُّؤْيَا خَاطَبَهُ فِي الرُّؤْيَا بِذَلِكَ إِطْمَاعًا، فَنَزَلَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ إِسْمَاعًا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَحْقِيقٌ لَا تَعْلِيقٌ، وَتَقْدِيرُهُ: لَتَدْخُلَنَّ بِإِدْخَالِ اللَّهِ، وَهُوَ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، لَا مُعْتَرِضَ عَلَيْهِ، وَلَا مُنَازَعَ لَهُ، وَلَا مَانِعَ دُونَهُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لَا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾، فَكَانَ الدُّخُولُ مَوْعُودًا مُتَحَقِّقًا، وَكَانَ الْأَمَانُ عِنْدَ ذَلِكَ مَوْعُودًا مُعَلَّقًا.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: إِذْ شَاءَ اللَّهُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أَي: إِذْ كُنْتُمْ.

فَهَذَا مَا هَدَانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ مِنْ بَيَانٍ بَعْضٍ مَا تَمَيَّزَ بِهِ هَذَا السَّفَرُ الْكَرِيمُ، وَمَنْ يَبْجُرُ فِيهِ بِفِكْرِهِ وَيَتَأَمَّلُ بِعَقْلِهِ يَجِدُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ، كَمَا سَيَاتِي لَاحِقًا مِنْ بَيَانٍ مِنْهُجِ الْمَوْئَلَفِ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ.

رابعاً: بيان منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره

هذا كتابٌ فريدٌ مفيد، دقيقٌ أنيق، زاخرٌ بالفوائد والنكات، حسنُ الترتيب، متقنُ التأليف، قد جمع فنونَ التفسير، وسلك فيه مؤلفه طريقةً واحدةً من أولِ سورة وحتى الأخيرة، فهو يبدأ في كلِّ سورة بمقدمة تتناسب مع ما سيرد فيها من مواضع: - فسورة البقرة بدأ تفسيرها بقوله: بسم الله الذي أنزل الكتاب بلا ريب، الرحمن الذي لطف بالمؤمنين المتقين بالغيب، الرحيم الذي منَّ على المقصرين بستر العيب.

- ومقدمة سورة الأنفال كانت: بسم الله الذي منَّ عنده النصر وهو العزيز الحكيم، الرحمن الذي لم يعاجل بالعقوبة للقائلين: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، الرحيم الذي وعد الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا بالمغفرة والرزق الكريم.

- ومقدمة الرحمن: بسم الله الذي خلق الإنسان، الرحمن الذي علَّم القرآن، الرحيم الذي جعل جزاء الإحسان الإحسان.

- ومقدمة الحاقة: بسم الله الذي أخذ الطَّاعِينَ أَخْذَةً رَابِيَةً، الرحمن الذي لا يخفى عليه خافية، الرحيم الذي وعد المؤمنين بجنةٍ عالية.

وهكذا جميعُ السور، ثم يذكر نوعَ السورة من حيث المكي والمدني، ثم عدد آياتها فكلما فيها فحروها، ثم يذكر انتظام أولها بخاتمة التي قبلها، ثم انتظامها كلها بمحتوى سابقتها.

وقد أطلال بذلك في سورة البقرة وأبدع، فقد ذكر أن انتظامها بالفاتحة حاصل من سبعة أوجه: بواحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة.

فعدّد هذه الأوجه مفصّلةً، ونكتفي بما جاء في الوجه السابع، حيث قال:
وأما السبعة: فالفاتحة سبعُ آياتٍ، وكلماتُ آياتها مذكورةٌ في سورة البقرة:
﴿الْحَمْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].
و(الله) في آياتٍ.

و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].
و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].
و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيه ذكرُ يومِ القيامة، وفي سورة البقرة: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهي آخرُ آيةٍ نزلت، وهي أبلغُ آيةٍ نزلت في ذكر يومِ القيامة.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ونحوه.
﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالْصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].
وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقد أريد به الأنبياء صلوات الله عليهم، وذكر من الأنبياء في سورة البقرة: آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى، وحزقيل^(١)، وأشموئيل^(٢)، وعزير، صلوات الله

(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْعَوْبِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] رواه الطبري عن وهب بن منبه وسيأتي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْوَلَدِيُّ لَهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال ابن كمال باشا في «تفسيره»: اختلفوا فيه، والأشهر الأظهر أنه أشموئيل من نسل هارون عليه السلام.

عليهم. وعلى العموم في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفي قوله: ﴿كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ذكر الغضب في قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم هم اليهود والنصارى، وأكثر صدر السورة في ذكرهم، إلى أن قال: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠].

وستناول في بيان منهج المؤلف ما يلي:

١ - أهم المصادر التي نقل منها.

٢ - تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٣ - التفسير بالمأثور فيه.

٤ - ردوده على المذاهب الفاسدة.

٥ - منهجه في النحو.

٦ - منهجه في الفقه.

٧ - منهجه في القراءات.

٨ - تعامله مع الإسرائيليات.

١ - أهم المصادر التي نقل منها المؤلف:

هذا التفسير هو من التفاسير التي عُيِّنَتْ بالمعاني ولم تَخْرُجْ عن مواضيع الآيات إلى مواضيع أخرى متصلة بها سواء كان ذلك الاتصال مباشراً أو غير مباشر، كما وقع فيه كثير من المفسرين الذين توسَّعوا في تفاسيرهم على حساب تفسير

الآيات، فخرَجوا عن التفسيرِ إلى مواضيعٍ أخرى وتشعَّبوا فيها.

وقد انعكسَ هذا المنهجُ للمؤلفِ على المصادر التي استقى منها، حيث اقتصرَ رحمه الله في الغالب على كتبِ التفسير، بل على الأمَّهات منها، فنقل عنها بالتصريحِ أحياناً ودونَ ذلك في أحيانٍ أخرى، ومن أكثرِ الكتب التي نقلَ منها المؤلفُ:

١ - «تأويلات أهل السنة» لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصورٍ الماتريديّ ت (٣٣٣هـ): وقد أكثرَ من النقلِ عن هذا الكتابِ من البداية وحتى النهاية، وهو في الغالبِ يصرِّحُ بالنقلِ عنه، تارةً باسم المؤلف وتارةً باسم كتابه، وله احترامٌ خاصُّ تُجاه الماتريديّ، فكثيراً ما كان يصفه بأوصافٍ تدلُّ على ذلك، فقد وصفه مرةً بقوله: الشيخ الإمام الزاهد أبو منصورٍ الماتريديّ رحمه الله، وإن كان في الغالبِ يقتصرُ على وصفه بالإمام، ولا يذكرُه مجرداً عن ذلك الوصف.

٢ - «لطائف الإشارات» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيريّ ت (٤٦٥هـ): وهذا الكتاب كالذي قبله في كثرةِ النقلِ عنه واستمراره، وهو كذلك لا يذكرُ مؤلفه إلا بنعت الإمام، وغالبُ ما ينقلُه عنه في خواتيم الآياتِ لبيان ما فيها من الإشارات.

٣ - «معاني القرآن» للفرَّاء: وهو يكثرُ من الرجوعِ إليه، وله اعتمادٌ كبيرٌ على أقواله.

٤ - «معاني القرآن» للزجاج: وهو من المراجع الدوَّارة في الكتاب أيضاً.

٥ - «مجاز القرآن» لأبي عبيدة مَعْمَر بن المشنَّى: وقد نقلَ عنه في مواضع كثيرة جداً مصرَّحاً بذلك في الغالب.

٦ - «تفسير مقاتل بن سليمان»: قد أكثرَ المؤلفُ رحمه الله من ذكرِ أقوالِ مقاتلٍ،

وهي مذكورة في «تفسير مقاتل بن سليمان» باختلاف يسير في الغالب، وسيأتي تفصيل لهذا في هذه المقدمة.

٧- «تفسير الثعلبي»: وهذا التفسير من المراجع الأساسية للمؤلف، وخصوصاً في الآثار، مع أن المؤلف لم يصرح بالنقل عنه سوى في مواضع قليلة جداً.

٨- «تفسير الطبري»: وهو من المراجع الهامة لهذا التفسير، وقد صرح المؤلف بالنقل منه مرات، وهو ينقل عنه بالإضافة للآثار أقوال الطبري التفسيرية.

٩- كتب الواحدي «السيط» و«الوسيط» و«أسباب النزول»: وهي من المصادر التي نقل عنها كثيراً، لكنه لم يصرح بالنقل عن الواحدي سوى مرة واحدة، وذلك في أوائل الكتاب في تفسير سورة الفاتحة حيث قال: وروى الواحدي وهو علي بن أحمد المفسر في «تفسيره» بإسناده عن أبي ميسرة قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع منادياً يناديه... الحديث.

١٠- تفسير السلمي المسمى «حقائق التأويل»: وهو من مصادر أقوال المتصوفة كأبي عثمان الجري، وابن عطاء السكندري، وفارس بن عيسى الصوفي، ونقل عنه أيضاً بعض أقوال جعفر الصادق، وقد صرح المؤلف مرة بالنقل عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَرُقٌّ﴾ [البقرة: ١٩]، لكنه سماه: «حقائق القرآن».

١١- «تفسير أبي القاسم ابن حبيب»: وهذا التفسير ليس من التفاسير المتوفرة، لكن المؤلف صرح بالنقل عنه مرات مكتفياً أحياناً باسم المؤلف كما في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ومصرحاً بكليهما في أحيان أخرى كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَهُمَا لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

١٢- تفسير أبي الليث السمرقندي المسمى «بحر العلوم»: وكثير من الأخبار

التي ذكرها المؤلفُ موجودةٌ فيه، وقد صرَّحَ بالنقلِ عنه مرةً عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقال: وفي «تفسير الفقيه أبي الليث رحمه الله»: فحملت ذاتَ يومٍ حزمةَ شوكٍ... الخبر.

١٣ - كتاب «عصمة الأنبياء» للشيخ أبي الحسين محمد بن يحيى البشاغري: نقل عنه فأكثر في تفسيرِ سورة يوسفَ دون غيرها، مصرّحاً بذلك.

١٤ - تفسير «المشافهات» لعليّ بن إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ السمرقندي: وقد صرَّحَ المؤلفُ بالنقلِ عنه مرّات.

١٥ - «تأويل مشكل القرآن» و«غريب القرآن» كلاهما لابن قتيبة: وهو في نقله عنهما يصرّح باسم المؤلف غالباً، دون الكتاب.

١٦ - «تفسير أبي بكر الفارسي»: أحمد بن محمد بن أيوب الفارسيّ الواعظ المفسّر، نقل عنه مرةً مصرّحاً به عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن كتبِ اللغة التي أكثرَ من النقلِ عنها:

١٧ - «العين» المنسوبُ للخليل بن أحمد: وينقل عنه بالتصريح دائماً. وهذا الكتاب يعدُّ أحدَ مصادره الأساسيّة في المعاني اللّغويّة، هو والآتي بعده وهو:

١٨ - «معجم ديوان الأدب» لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي.

وقد أكثرَ من النقلِ عن الكسائيّ وقطربٍ والأخفشِ ونفطويه وابن وهبٍ والحسين بن الفضلٍ والقفال. ولهم جميعاً مؤلفاتٌ لكنّ كتبهم ليست بين أيدينا.

فهذه غالبُ المصادر التي نهَل منها المؤلّفُ في هذا الكتاب، لكن ينبغي التنبيهُ إلى أن ما نقله المؤلّفُ عن هذه المصادر ليس سوى جزءٍ بسيطٍ من هذا التفسير، كما سيظهرُ جليًّا من الفصل الآتي، وهو:

٢ - تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

التفسيرُ: هو البيان، قال ابنُ فارسٍ: الفاءُ والسَّيْنُ والراءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانٍ شيءٍ وإيضاحه^(١).

فمعنى تفسير القرآن بالقرآن إذاً: بيان القرآن بالقرآن.

وتفسير القرآن بالقرآن ليس محصوراً بالبيان اللفظي، بل هو مطلقُ البيان، فمتى استفدنا بيان آيةٍ من آيةٍ أخرى من أيِّ وجهٍ فهو داخلٌ في هذا النوع من التفسير. ومعلومٌ أن آيات القرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، ويوضح بعضها الآخر، فإن القرآن الكريم قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والإطلاق والتقييد، والعام والخاص، وما أُوجِزَ في موضعٍ بسط في آخر، وما أُجْمِلَ في مكانٍ فصل في غيره، وما جاء مطلقاً في آيةٍ قد يلحقه التقييد في أخرى، وما كان عامّاً في مكانٍ قد يدخله التخصيصُ في مكانٍ آخر.

وكذلك نجدُ في قصص القرآن تأتي القصةُ في مكانٍ مختصرةً، ثم تفصلُ في موضعٍ آخر، وقد يُذكرُ في مكانٍ تفصيلٌ لا يُذكرُ في المكان الآخر، فعندما تُجمعُ المواضعُ التي عرّضت تلك القصة، وترتبطُ الأجزاء ببعضها، عند ذلك تكتُمِلُ الصورة، وتصبحُ واضحةً لهذه القصة أو تلك.

فهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، لكن ليس هذا عملاً آلياً لا يقومُ على شيءٍ من

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٥٠٤).

النَّظَر، وإنما هو عملٌ يقومُ على كثيرٍ من التدبُّرِ والتعقُّل، إذ ليس حملُ المَجْمَلِ على المَبِينِ، أو المَطلَقِ على المَقْيَدِ، أو العامُّ على الخاصِّ، أو إحدى القراءتينِ على الأخرى، بالأمرِ الهَيِّنِ الذي يدخلُ تحتَ مقدورِ كلِّ إنسانٍ، وإنما هو أمرٌ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ والنَّظَرِ خاصَّةً^(١).

ولقد عُني العلماءُ بتفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ عنايةً كبيرةً، حتى عدَّوه أَصَحَّ طرقِ التفسيرِ، كما قال بعضهم: إن أَصَحَّ الطرقِ في التفسيرِ أن يفسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فما أَجْمَلُ في مكانٍ فإنه قد فُسِّرَ في موضعٍ آخر، وما اخْتُصِرَ من مكانٍ فقد بُسِّطَ في موضعٍ آخر.

لكن ينبغي التنبيهُ هنا على أن تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ - فيما عدا ما فسَّره النبي ﷺ من ذلك - هو نوعٌ من أنواعِ التفسيرِ بالرأي، فإنَّ عمليةَ التفسيرِ المعتمدةَ على الفهمِ والاجتهادِ بين الآيتين، والحكمَ بأنَّ إحداهما مَبِينَةٌ للأخرى، أو مفصَّلةٌ لمجمَلِها، أو مطلقةٌ لمَقْيَدِها، أو ناسخةٌ لحكمِها، إنما هو من قبيلِ التفسيرِ بالرأي.

وثمةَ أمرٌ آخرٌ لا بد من التنبيهِ عليه أيضاً: أن كونَ تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ عن طريقِ الاجتهادِ فقد يدخلُهُ الاختلافُ؛ لِمَا جُبِلَ عليه البشرُ من اختلافِ العقولِ، فالآيةُ التي يجتهدُ عالمٌ في تفسيرِها بآيةٍ أخرى قد يجتهدُ غيره فيفسِّرها بغيرِها.

وملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه ليس كلُّ مَنْ حَمَلَ آيةً على أخرى يُقبلُ قوله بحجةٍ أنه من تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ، فإنَّ هذا الأسلوبَ قد يستعملُهُ أحياناً أَهْلُ الْبِدْعِ لتقريرِ بِدْعَتِهِمْ، كما فسَّرَ بعضُ المعتزلةِ قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ رَهَنَا ظُورَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] بأنها تتنظَّرُ ثوابَ ربِّها، وينفون رؤيةَ الباري، ويستشهدون لذلك

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» (١/٣٣).

بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولولا قولهم بعدم رؤية الباري لَمَا حملوا هذه الآية على تلك.

وممّا ينبغي أن يُعلم أيضاً: أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحد طرق التفسير، وثمة طرق أخرى لتفسير القرآن منها التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، والمفسرون بشكل عام يعتمدون في تفاسيرهم جميع أنواع التفسير، وقلما يقتصر تفسير على لون واحد، وعلى هذا فتفسير القرآن بالقرآن لا شك موجود في كل التفاسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وإنّما الذي يختلف هو نسبة اعتماد هذه الطريقة بالقياس إلى غيرها من طرق التفسير، فابن كثير رحمه الله - مثلاً - وهو ممن أكثر من اعتماد هذه الطريقة في التفسير قد عُرف تفسيره من ناحية أخرى بأنه من أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور.

وكذلك هذا التفسير فإنك تجد فيه كل أنواع التفسير، لكن من أهم ما تميّز به إن لم يكن أهمّها هو هذا الأسلوب من التفسير، فقد قطع فيه المؤلف شوطاً لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، وتفنّن فيه تفنّن الحاذق المتمكّن من المعاني القرآنية والآيات الربّانية، الأمر الذي يدلّ على فكرٍ ثاقبٍ وقلبٍ خاشعٍ وعقلٍ قد فتح الله عليه أنوار العلم والاستنباط، وقد كنّا أشرنا إليه في ذكر مميّزات هذا التفسير، وحثّ الآن بيانه والخوض فيه:

وأبسط أنواع تفسير القرآن بالقرآن هو أن يُؤتى في تفسير آية بآية أخرى تُوافقها في المعنى إرادةً لتفسير هذه بتلك، وهذا أمرٌ موجود في غالب التفاسير كما ذكرنا، لكن ما يميّز هذا التفسير هو تفرد بتفسير آيات بآيات لم ترد عند غيره، ومن أمثلة ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿عُمِّيَا وَيُكْمَاوِصَمَّا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال: حين يحشرون، ثم يزول ذلك بدليل قوله: ﴿وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارُ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿دَعُوا هَٰؤُلَاءِ نُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] قال: أي: صرّفنا في هذا القرآن القول في بطلان ما يقولونه ويعتقدونه؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١] صرّح بالقول في تلك الآية وأضمره هاهنا.

- وفي قوله تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] قال: أي: فتشاوروا؛ كما قال: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وهو أخذ بعضهم القول من بعض، كقوله تعالى: ﴿يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] هو أخذ بعضهم الكأس من بعض.

- وفي قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠] قال: أي: كذباً عظيماً، وهذا كما قال: ﴿هَٰذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] وعظمته ما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: أقبَلْتُمْ على ذلكم عهدي، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ أي: لا يُقبل.

- ونحو هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ آتَيْنَ أَجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قال: أي: قبلت؛ كما هو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

- ومنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبا: ٤٤] قال: أي: ولم تُرسل إليهم قبلك رسولاً يا محمدُ يخبرهم عن الله بإبطال أمرك، فليست عندهم حجة على ما يقولونه في القرآن وفيك، وهو كقوله: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَنْتَرُوْا مِنْ عَلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٤].

- وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَرَّرْتُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: قال الله للأنبياء:

أأقررتم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الأمر، كما في قوله: ﴿ءَاسَلَّمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٣] قال: أي: وكلُّ أمرٍ

من الخير والشرِّ، والحقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقرُّ يوماً قَرَارُهُ، ويتناهى نهايته، فتخرجُ حقيقته، وتزولُ شُبُهته، وعند العواقب تظهرُ الحقائق، وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبشارةٌ للرسول والمؤمنين، وهو كقوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]؛ أي: إِنَّ مُدَّتَهُ وَإِنْ طَالَتْ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَقَرَّ قَرَارُهُ، وتنكشفُ حقيقته من حقٍّ وباطل.

- وقال في قوله تعالى: ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: أي: بالإيمان، كما

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾

بالكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [البقرة: ٦١].

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[هود: ١١٩] قال: أي: مضى قولُ ربِّك فيهم بما علمَ منهم، وهو كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وهناك بعض التعلُّقات التي يذكرها مما لا تَخْطُرُ على بالٍ حتى المهمِّين بهذا

الشان:

- فانظر كيف ربطَ بين هاتين الآيتين فقال: وقوله تعالى: ﴿يُذْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ

بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٣]؛ أي: ليقضي، وفي الكتاب بيانُ الحكم، فأضيف الحكم إليه،

كما في صفة القرآن: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] لأنَّ فيه بيانَ التبشير والإنذار.

- ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) خَلِيدِينَ فِيهَا ﴿[آل عمران: ٨٧ - ٨٨] قال: أي: في اللعنة، والخلود في اللعنة خلود في جهنم، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) خَلِيدِينَ فِيهِ ﴿[طه: ١٠٠ - ١٠١]؛ أي: في الوزر، وذاك خلود في جهنم.

- ونحوه قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] قال: أي: إلا كخلقت نفس واحدة وبعثت نفس واحدة؛ كقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: كدوران الذي يغشى عليه.

- ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [يونس: ٤] قال: متصل بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ... لِيَجْزِيَ﴾؛ كما قال: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦].

- ومنه ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠] قال: أي: ما كثون إلى أن يكون ذلك، جعلهم منتظرين له وإن لم يقصدوا ذلك لأنه كان يأتيهم لا محالة، فكان كقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩].

وقيل: كان بعضهم شاكًا فيه فكانوا ينتظرونه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الحج: ٥٥].

- ومنه: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] قال: قيل: أي: كل الذي يعدكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]: أي: كله.

ثم أضاف إليه فائدة، وهي ذكر ما جاء على عكس ذلك، فقال: وقد جاء كل في إرادة البعض؛ كما في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

- وذكر مثل هذا أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] قال: أي: كل ما تعملون، وهو كقوله: ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؛ أي: كله.

- ومن الأمثلة أيضاً: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] قال: أي: إلا من إذا بلغ فاجر وكفر، وهو كقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿يُعَلِّمُ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]؛ أي: إذا بلغ مبلغ العلم والحلم صار موصوفاً بهما.

- ومنه: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ﴾ [القمر: ٣٧] قال: أي: وقيل لهم ذلك. وقيل: معناه: أذقناهم ذلك؛ كما قال: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَأْخُذُوا بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّن مَّا مَنِئِي وَآيَاتٍ لِّمَنِئِي وَآيَاتٍ لِّمَنِئِي﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: سَيَّرناهم كذلك.

- ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله في الصراط المستقيم: إن معناه: أن سالكه مستقيم فيه، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكَارِ مُبْصِرًا﴾؛ أي: يُبْصِرُ فيه، وكقولك: نهض جاري؛ أي: الماء جارٍ فيه، ونظيره في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزموا فيه. وقوله: ﴿فَمَارِجَتْ بَحْرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: ما ربحوا فيها، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

فلا شك أن من يرى هذا الربط بين الآيات يُوقن أن القرآن لا تتناهى معانيه، فلو سلك سالك هذا الطريق لوجد العجب العجيب.

ومن تفنن المؤلف بتفسير القرآن بالقرآن: أن تحتل الآية وجوهاً، فلا يذكر وجهاً من وجوهاً إلا ويُتبعه بدليله من القرآن:

- ومن أروع هذه الاستدلالات ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: حيث أورد معاني الذكر في الآية كل مع دليله من القرآن، فقال:

وقيل: عن توحيدى كما قال: ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].
 وقيل: عن طاعتي؛ كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].
 وقيل: عن العلم؛ كما قال: ﴿فَتَسْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].
 وقيل: عن الذكر باللسان؛ كما قال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].
 وقيل: عن الذكر بالقلب؛ كما قال: ﴿ذْكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لَذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].
 وقيل: أي: عن وَعْظِي؛ كما قال: ﴿أَوْ يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].
 وقيل: عن الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تُلْهِيمِمْ تَحَنُّرًا وَلَا بَعْثًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].
 وقوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢] وقوله: ﴿فَأَسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

- ومن الأمثلة الجميلة عليه: قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾:
 قال السُّدِّي: أي: رافع درجات أهل الجنة. وأيده المؤلف بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ﴾ [الزمر: ٢٠].
 وقيل: درجات الغزاة، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩٥)
 دَرَجَاتٍ مِّنْهُ [النساء: ٩٥-٩٦].
 وقيل: درجات العلماء والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].
 وقيل: درجات أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
 - ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]:
 ذكر فيها أقوالاً فمنها:

وقيل: أي: في كتب الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أي: صفتهم.

وقيل: معناه: حدّثتم ووجدتم خير أمة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُورُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقيل: معناه: أنتم خير أمة، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكَبرَتْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦] مع أنه قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وإنما صلح ﴿كُنْتُمْ﴾ مقام ﴿أَنْتُمْ﴾ لأنّهما ضدّان لكلمة: (لستم)؛ لأنّ ذلك للنفي وهذان للإثبات، فقام أحدهما مقام الآخر لمشاكلتهما في مُضَادَّتَهُمَا كلمة النفي.

وقيل: معناه: صرّتم خير أمة، كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِفِينَ﴾ [هود: ٤٣] أي: صرّتم بالإيمان بخير الرُّسل وبخروجه في زمانه خير الأمم.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِن زُلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ذكر قولين كلٌّ مع دليله من القرآن، فقال:

وقيل: أراد بها شدائدّها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [١] وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا.

- ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] فعُدّد أنواع الميثاق كلّ مع دليله، فقال: وأخذ الميثاق كان على ثلاثة أوجه:

ميثاق الذرية: وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].
وميثاق الأنبياء بتبليغ الرسالة: وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وميثاق الأنبياء بالإيمان بمحمد عليه السلام على التَّعِينِ، وهو في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

ومن مظاهر تفسير القرآن بالقرآن عند المؤلف ذكر النظائر، وهو أمرٌ برع فيه رحمه الله بشكل لا يدانيه فيه أحد: وهو يدلُّ على ثقابة فهمه وعمق نظره، وغوصه في معاني الآيات، وغزارة علمه بالكتاب الكريم:

- فمن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾: وقالوا: لَمَّا نادى الخليلُ الخلقَ بالحج باسم النَّاسِ، فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قد بنى لكم بيتاً وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه) ذكرَ اللهُ تعالى أمورَ الحجِّ في آيٍ مِنَ القرآنِ مَقْرُونًا بِاسْمِ النَّاسِ؛ فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ [الحج: ٢٧]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

- وقال: نظير قوله: ﴿بُنَىٰ بَوَجهه﴾ [الزمر: ٢٤] قوله: ﴿تَلَفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجُوهِهِمُ الْكَارُ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: والجوابُ محذوفٌ

وهو أبلغ؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، وهو كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٣٩]، ونظائرها.

- ومما يندرج تحت هذا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]: و﴿مَا كَانُوا﴾ تأكيد نفى؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿وَمَا كُنَّا سَاقِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

ونحو النظائر جمع الآيات في موضوع واحد:

- فقال في أوائل الكتاب عند تفسير الاستعاذة: ومن صفاته [أي: الشيطان] وأفعاله: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿إِنَّمَا أَسْأَلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿فَأَنسَنَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿وَمَا أَنسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿إِنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانُ يَنْصُبِ وَعْدًا﴾ [ص: ٤١]، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، ﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿أَسْتَعِذُّ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ

وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٦٩﴾ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٨﴾ ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ﴾ ﴿البقرة: ٢٧٥﴾ ﴿كَأَلَيْكَ اسْتِهْوَاهُ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿الأنعام: ٧١﴾، ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] ﴿لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا أَضِلَّهُمْ وَلَا تَشْتَتِيهِمْ ﴿الآية﴾ ﴿فَعِزَّكَ لَا غَوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

- وفي قوله تعالى: ﴿مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢-٤] قال: ولَمَّا قَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: ضَلَّ مُحَمَّدٌ عَنْ دِينِ آبَائِهِ، أَجَابَ اللَّهُ بهذا، وسائر الناس كانوا يُجِيبُونَ بأنفسهم، قال قومُ نوحٍ لنوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقال عادٌ لِهودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالَ يَقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقال فرعونٌ لموسى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

والله تعالى تَوَلَّى جوابَ ما قالوا للمصطفى ﷺ: ﴿مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تُذَكِّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

وخصُوصيةٌ أخرى: قال لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال للمصطفى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، وقال لآدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وقال للمصطفى: ﴿مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾.

- ومن هذا النوع ما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] قال

في آخر شرحها: فكأنه قال: أَكَّدْنَا المحبةَ، وأَبْرَمْنَا القربةَ، فَمَقْبُولُهُ مَقْبُولِي، وَمَرْدُودُهُ مَرْدُودِي، وَأَبَانَ ذلك في آياتٍ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَصْطِرْوَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَاقْذُوبُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسِيرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، فما هو له فهو لي، وما هو لي فهو له، وهذا مقام ليس فوقه مقامٌ.

ومِمَّا أَبْدَعَ فِيهِ الْمُؤَلِّفُ وَتَفَرَّدَ عَنْ سَائِرِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ غَالِبًا مَا يُتَّبَعُ الْقَوْلُ الْمَأْثُورُ بِمَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] ذكر المؤلف عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لَمَّا بَلَغَ قَرِيشًا أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَجَحَدُوهُمْ قَالُوا: لعن الله اليهود والنصارى، لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدى منهم.

ثم أعقبه بقوله: ونظيره قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقوله: ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] ذكر عن ابن

عباس رضي الله عنهما قوله: أي: اضربوا الأعناق فما فوقها. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: اثنتين فما فوقهما.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِكَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] أورد قول سعيد بن جبير: الأواب: المسبح. وأعقبه بقوله تعالى: ﴿يَجِبَالٌ أَوَّيْبٌ مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبّحي.

- وفي قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾؛ نقل قول يمان بن رثاب: يعني: الصناديد. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]

- وعند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرٌ أَلَّهِ﴾ [الحج: ٣٢] قال: والشعائر: هي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة، ونحوها.

وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها.

ثم ذكر دليل كل من القولين لكن على طريقة اللف والنشر غير المرتب، فقال في الاستدلال لقول مجاهد: قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبَرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]، وأتبعه بدليل قول ابن زيد فقال: ودليل القول الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ﴾ [الفجر: ٩] ذكر قول مجاهد: أي: قطعوا الجبال بيوتًا. ثم استدلل له بقوله تعالى: ﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

- ومن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦] قال: قال علي بن الحسين بن واقد: أي: في اللوح المحفوظ. ثم قال: وهو كقوله في سورة الحج: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: ٧٠] وكذا في سورة الحديد.

- وعند قوله تعالى: ﴿وُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ [التوبة: ٨٧] ذكر قول الضحاك: أي: لا يقبلون أمر الله. وأعقبه بقوله: وهذا كقوله: ﴿مَنْفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: لا نقبل.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤] قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إن عملتم خيراً وتبتم إلى الله من تخلفكم فسيرى الله عملكم ورسوله فيما تستأنفون، ثم ترجعون ﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء الله لا يخفى عليه شيء فيخبركم بما عملتم ويجزيكم على ذلك. وأعقبه بقوله: وهو كقوله تعالى: ﴿يَخْلِفُوكَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُذْنَ﴾ [التوبة: ١٠٠] ذكر عن عطاء قوله: يريد: الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالخير والرحمة والدعاء. قال المؤلف: أشار إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

ويصنع مثل ذلك أيضاً مع أقوال المتقدمين من العلماء:

- ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١] قال: قال القتيبي: أي: لم يفهموا ذلك ولم يقفوا عليه.

ثم بين المؤلف مأخذه فقال: من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

ثم ذكر قول الفراء في الجملة نفسها: أي: لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، يقال: صارع فلان فلاناً وظهر عليه. واستدل له المؤلف بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقد ينتهج مثل هذا في القراءات:

- ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠] قال: وقرأ ابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي: ﴿آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، وقرأ الباقون: ﴿آيَةً مِّن رَّبِّهِ﴾.

استدل المؤلف لكل قراءة بما يوافقها من الآيات، فعقب قراءة الجمع بقوله: لأنهم كانوا يقترحون آيات كما قال: ﴿وَقَالُوا لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

ثم عاد إلى القراءة الأولى فقال: وَمَنْ وَحَّدَ فَهُوَ لِلْجِنْسِ فَيُؤَدِّيْ مَعْنَى الْجَمْعِ، وهو كقوله: ﴿فَلْيَأْنِسْنَا نَبَاكَ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

- ومثله عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] قال: مَنْ قرأ بفتح اللام فمعناه: إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ بِتَوْفِيقِكَ وَعَصَمْتَهُمْ مِنْ فِتْنَتِي، مِنْ قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

وَمَنْ قرأ بكسرها^(١) فمعناه: إِلَّا عِبَادَكَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا أَعْمَالَهُمْ لَكَ، مِنْ قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

فهذه بعض الأمثلة من تفسير القرآن بالقرآن، ذكرناها على سبيل البيان لا الاستقصاء، فالكتاب كله على هذا النحو، وهو كما ذكرنا مما تميّز به هذا التفسير، لكنه تميّز بسمية أخرى لا تقل عنه أهمية، وهي:

٢ - التفسير بالماثور في تفسير «التيسير»:

وهذا الجانب من التفسير لا يقل أهمية عن الذي قبله، بل إن هذا الكتاب ليعدُّ

(١) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها.

من أنواع التفسير بالمأثور؛ لكثرة ما فيه من أقوال السلف، فلا تمرُّ آيةٌ، بل ولا لفظةٌ، إلا ويسرُّ المؤلف ما روي عن السلف في تفسيرها، بما قد يصل أحياناً إلى عشرة أقوال أو أكثر.

ونعني بالمأثور: ما روي عن النبي ﷺ، ثم من بعده من الأجيال الثلاثة وهم:

١ - الصحابة: وقولهم رضي الله عنهم مقدّم على كل قول، فإنَّ صُحبتهم للنبي ﷺ، ومخالطتهم له، وتلقُّفهم كل قول أو فعل منه عليه الصلاة والسلام، واقتداءهم به في كل صغيرة وكبيرة، قد أكسبهم - بالإضافة لما جُبلوا عليه من شدة الفطنة وسلامة الفطرة - فهماً ثاقباً، وعقلاً راجحاً، وعلماً واسعاً، وقريحةً وقادةً، إضافةً لما عَرَفوا من أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود، هذا مع ما كانوا عليه من التقوى العظيمة التي أكسبتهم نوراً يضيء طريقهم، ويكشف لهم ما غمض على غيرهم من المسائل، ويجلّي ما أشكل من المعاني، فلا عَجَب أن كانت لهم تلك المكانة السامقة والمرتبة العالية التي لا يمكن أن يبلغها غيرهم بعد النبي ﷺ.

وأكثر من روي عنه التفسير في جيل الصحابة ابنُ عباس رضي الله عنهما، ثم عليٌّ وابن مسعود، ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

٢ - التابعين: وللتابعين مكانة لا تُنكر عند أهل العلم، فهم قد تلقوا التفسير عن الصحابة الذين شأنهم ما قدَّمناه، وكانوا - أي: التابعون - في عصر الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعُجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، إضافةً إلى خلوّهم من البدع والأهواء، فلم يكونوا شيعاً وأحزاباً، بل كانوا متفقين على أصول أهل السنة والجماعة التي أرساها الصحابة. كلُّ هذا جعل لكلامهم وزناً عند العلماء، مع الاختلاف في الرجوع إلى تفسيراتهم وحجّة أقوالهم.

وأبرز هذا الجيل: مجاهدُ بنُ جَبْرِ، وقَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ، والحسنُ البَصْرِيُّ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعطاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وإسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيِّ، وزُفَيْعُ بنُ مِهْرَانَ أبو العاليةِ الرياحيُّ.

٣ - أتباع التابعين: وعندهم ينتهي جيل السلف، وتأتي أهمية أقوالهم عند العلماء من قرب عهدهم بأنوار النبوة، وشمول حديث النبي ﷺ لهم في قوله: «خيرُ القرونِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، فهو لا شكَّ يشملُ جيلَ أتباعِ التابعين الذين هم آخرُ القرونِ المُنيَفةِ في الخيرِ على من بعدها بشهادة النبي ﷺ، وكفى به شرفاً أكسبهم إياه النبي الكريم عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، ثم هم قد تتلمذوا على جيلِ التابعين الذي قدّمنا صفاته، ونهلوا من معينِ علمهم، وحملوا التراثَ الذي خلّفوه، ثم زادوا عليه بمقدارٍ كشفٍ ما زاد من غموضٍ عند الناس، وما جدَّ من اختلافٍ في الرأي بينهم، فصار التفسيرُ في جيلهم بين التفسيرِ النقلِيِّ المحضِ، والتفسيرِ الذي يدخله الاجتهاد، وعن هؤلاء أخذ من جاء بعدهم، فكانوا هم الينبوع الذي صدرت عنه أجيال العلماء الذين لحقوهم.

ومن أبرز هذا الجيل: عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ بنِ أسلمَ، وابنُ جُرَيْجٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، ومقاتلُ بنُ حيانَ، ومنهم محمدُ بنُ السَّائِبِ الكلبيُّ ومقاتلُ بنِ سليمانٍ إلا أنهما متروكان لا يوثقُ بروايتهما كما سيأتي.

والمؤلف رحمه الله لا يمرُّ بآية ورد فيها حديثٌ مرفوعٌ أو قولٌ للسلف إلا توقّفَ عندها وأوردَ أكثرَ ما روي عن السلف فيها، وسنذكرُ هنا بعضَ الملاحظاتِ الضرورية لفهم ما جاء في الكتاب:

فأما حديثُ النبي ﷺ فيلاحظُ عند المؤلفِ عدمُ التمييزِ بين الصحيحِ والضعيفِ

وحتى الموضوع، فهو يُوردُ ما وقَّفَ عليه من رواياتٍ دون النظرِ إلى حالها، فوقعَ فيه لذلك بعضُ الأحاديثِ الموضوعة:

وأولُ هذه الأحاديثِ: الحديثُ الموضوعُ في فضائلِ السُّورِ سورةً سورةً، فقد وقعَ المؤلفُ رحمه الله فيما وقعَ فيه كثيرٌ من المفسِّرين - كالثعلبيِّ والواحيِّ والزمخشريِّ والبيضاويِّ - من الاغترارِ بهذا الحديث، فيذكر في مطلعِ كلِّ سورةٍ قطعةً منه، وهو ما تضمَّنَه في فضلها منسوبةً إلى أبيِّ بن كعب رضي الله عنه، وأولُ مَنْ فعَلَ هذا الثعلبيُّ، ثم تبعه تلميذه الواحيُّ، وتابعهما على ذلك المؤلفُ والزمخشريُّ، ثم البيضاويُّ وأبو السعود. وهذا الحديث قد نبَّه العلماء على وضعه، وعلى رأسهم ابنُ الجوزيِّ رحمه الله الذي قال عنه في «الموضوعات»: وهذا حديث فضائلِ السورِ مصنوعٌ بلا شك.

قال: وقد فرَّقَ هذا الحديثَ أبو إسحاقَ الثعلبيُّ في «تفسيره»، فذكر عند كلِّ سورةٍ منه ما يخصُّها، وتبعه أبو الحسن الواحيُّ في ذلك، ولا أعجبُ منهما لأنَّهما ليسا من أصحابِ الحديث، وإنما عَجِبْتُ من أبي بكرِ بنِ أبي داودَ كيف فرَّقه على كتابه الذي صنَّفه في فضائلِ القرآن وهو يعلمُ أنه حديثٌ مُحال، ولكنَّ شرَّه جمهورُ المحدثين، فإن من عاداتهم تنفيقُ حديثهم ولو بالبواطيل^(١).

وقال السيوطيُّ في حاشيته على البيضاويِّ: هذا من الحديثِ الموضوع الذي رُوي عن أبيِّ بن كعبٍ في فضائلِ القرآنِ سورةً سورةً، وقد نبَّه أئمةُ الحديث وحُفَاظُه ونقَّادُه قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسولِ الله ﷺ، وعابوا على مَنْ أوردَه من المفسِّرين في تفاسيرهم^(٢).

(١) انظر: «الموضوعات» (١/ ١٧٤).

(٢) انظر: حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة: «نواهد الأبيكار» (٣/ ١١٢).

وقال مرعي الكرمي: أحاديث فضائل السُّورِ المروية عن ابن عباس وأبي بن كعب، كالذي ذكره البغوي والواحدي ونحوهما كلها كذبٌ باتفاق أهل المعرفة بالحديث، قال العراقي:

(وكلُّ مَنْ أَوْدَعَهُ كِتَابَهُ كَالوَاحِدِيِّ مُخْطِئٌ صَوَابَهُ)^(١)

وقال ابن كثير في أول يوسف: وهو منكرٌ من سائر طرقه. وممن نبّه على وضعه أيضاً المُنَاوِي في «الفتح السماوي» مفرّقا ذلك في كلِّ سورةٍ على حسب ما أورده البيضاوي. وكذا المَلّا عليّ القاري، وقال: وقد اعترف بوضعها واضعُها وقال: قصدتُ أَنْ أَشْغَلَ النَّاسَ بِالْقُرْآنِ عَنْ غَيْرِهِ^(٢).

وإنما أطلت في الكلام عليه لأنه سِرِدٌ في هذا الكتابِ مع كلِّ سورةٍ، فلا بدَّ من جلاء حاله وبيان حقيقته.

ومن الأحاديث الموضوعة التي أوردها أيضاً: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَخْبَرَنِي عَنْ أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ اللَّاتِي سَجَدَ لِيُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ أَتَوْ مِنْ بِي؟» قَالَ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَهَا، الْحَدِيثُ. وهو من طريق الحكم بن ظهير عن السُّدِّي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر.

(١) انظر: «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» لمرعي الكرمي المطبوعة ضمن «مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي».

(٢) انظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لعلي القاري (ص: ٤٧٥).

قال ابنُ حَبَّانَ: هذا لا أصلَ له من حديثِ رسولِ الله ﷺ، والحكمُ بنُ ظهيرٍ الفَزَارِيُّ الكوفيُّ كان يَشْتِمُ أصحابَ محمدٍ ﷺ، يَروي عن الثُّقاتِ الأشياءَ الموضوعات.

وقال ابنُ الجوزيُّ: هذا حديثٌ موضوعٌ على رسولِ الله ﷺ، وكان واضعُه قصدَ شينِ الإسلامِ بمثلِ هذا، وفيه جماعةٌ ليسوا بشيءٍ، قال يحيى بن معين: الحكمُ بن ظهيرٍ ليس بشيءٍ. وقال النسائيُّ: متروكُ الحديث.

وقال الجوزجانيُّ كما في «التهذيب»: ساقطٌ لميله وأعاجيبُ حديثه، وهو صاحبُ حديثِ نجومِ يوسف.

ومنها: حديثُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في بعضِ طرقاتِ المدينة، إذا برجلٍ قد صُرع، فدنوتُ فقرأتُ في أذنه فاستوى جالساً، فقال النبيُّ ﷺ: «ماذا قرأتَ في أذنه يا ابنَ أمِّ عبدٍ؟» قلتُ: فذاك أبي وأمي، قرأتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «والذي بعثني بالحقِّ لو قرأها موقنٌ على جبلٍ لذاب».

وهذا الحديثُ رواه الإمامُ أحمدُ في «العلل»، والعقيليُّ في «الضعفاء»، وابنُ الجوزي في «الموضوعات»، من طريقِ سلامِ بنِ رزينٍ عن الأعمش عن شقيقٍ عن ابنِ مسعودٍ به. قال الإمامُ أحمد: هذا حديثٌ موضوع، هذا حديثُ الكذابين. وقال الذهبيُّ في «الميزان» ترجمة سلامِ بنِ رزين: لا يُعرف، وحديثه باطلٌ.

فهذه بعضُ الأمثلةِ على ما وَرد في الكتابِ من الموضوع، مع التنبيهِ إلى أن أمثالَ هذه الأحاديثِ لم يَسَلَمْ منها كثيرٌ من كتبِ التفسير، حتى إنَّ حديثَ

الحكم بن ظهير في أسماء الكواكب قد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، وابن أبي حاتم معروف في الجلالة والعلم.

ونذكر هنا أيضاً أن كثيراً مما أورده المؤلف هو من الأحاديث الصحيحة المروية في الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام المعروفة، لكن مع ذلك قد وقع فيه بعض الأحاديث التي لم نقف عليها في المصادر التي بين أيدينا:

- فمن ذلك: حديث: «أنا قائدُها، وعيسى سائقُها» عن أمة المؤمنين.

- وحديث: «مفتاحُ القرآن التَّسمية».

- وحديث: «الصلاةُ ثانيةُ الإيمان».

- وحديث: «إذا غَضِبَ الله على قومٍ سلَّطَ الله عليهم شرارَهم في البرِّ والبحر».

- ومن ذلك: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ في ليلةٍ سورة تنزيل السجدة، وسورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أو في يوم، بنى الله له بيتان في الجنة، وكان كَمَنْ وافق ليلةَ القدر، وحفَّت به الملائكةُ، وحفَّتْه سورة ﴿الْعَمَّ﴾ ١ ﴿تَنْزِيلُ﴾ السجدة، ومنعته ملائكة العذاب».

- وحديث عائشة في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] قالت:

سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو قولُ الله تعالى: لولا العتابُ ما كان مع أُمَّتِكَ الحسابُ».

- ومثله في الآية نفسها: وقيل: أوحى الله إليه: «إِنِّي صَمِنْتُ الرِّزْقَ لعبادي وَأُمَّتُكَ لَا يَتَّقُونَ بِذَلِكَ، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِأَعْدَائِي وَهُمْ يَجْتَهِدُونَ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَأَنَا لَمْ أُطَالِيَهُمْ بِعَمَلِ الْغَدِ وَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنِّي رِزْقَ الْغَدِ، وَأَنَا لَا أُعْطِي رِزْقَهُمْ غَيْرَهُمْ وَهُمْ

يُؤَدُّونَ طَاعَتِي لِرُؤْيَةِ غَيْرِي، وَأَنَا الْمُعَزُّ وَالْمُدَلُّ وَهُمْ يَرْجُونَ وَيَخَافُونَ غَيْرِي، وَأَنَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَشْكُرُونَ لَغَيْرِي».

ثم قال: يُروى هذا عن فاطمة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ عن هذا، فقال هو هذا.

- وقول ابن عباس في الآية نفسها: قال الله تعالى له: عَبْدَتْنَا فِي الْخَلْوَةِ، فَاشْفَعْ لَأُمَّتِكَ فِي الْخَلْوَةِ.

- وهذا من الموقوف، ومنه أيضاً: قول ابن عباس رضي الله عنهما: إجلال القرآن: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ومفتاح القرآن: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
- وقول ابن مسعود رضي الله عنه: سورة ﴿الْعَرَّ ۝١﴾ تَزِيلُ ﴿﴾ هي المانعة تمنع من عذاب القبر.

فهذا ما يتعلّق بالأحاديث المرفوعة والموقوفة، أمّا الآثار فلنا معها هنا ملاحظاتٌ وتنبيهاتٌ مهمةٌ:

فأول هذه الملاحظات ما يتعلّق بتفسير الكلبي:

والكلبي: هو محمد بن السائب، أبو النضر الكوفي المفسّر النسابة الأخباري. وقد اتّفق جميع العلماء على تركه وعدم الاحتجاج برواياته، أمّا أقواله في التفسير فاختلّفوا فيها.

قال الثوري: اتّقوا الكلبي، فقليل: فإنك تروي عنه، قال: أنا أعرف صدقه من كذبه.

وقال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي.

ثم قال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ما حدّثتك عن أبي صالح فهو كذب.

وقال سفيان: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباسٍ فلا تروه.

وقال ابن معين: قال يحيى بن يعلى عن أبيه، قال: كنتُ أختلفُ إلى الكلبيِّ أقرأُ عليه القرآن، فسمعتُه يقول: مرضتُ مرضةً فنسيتُ ما كنتُ أحفظُ، فأُتيتُ آلَ محمدٍ ﷺ فتعلّوا فيَّ، فحفظتُ ما كنتُ نسيْتُ. فقلتُ: لا والله، لا أروي عنك بعد هذا شيئاً، فتركته.

وقال يزيد بن زريع: حدّثنا الكلبي وكان سبئياً.

وقال ابن حبان: كان الكلبيُّ سبئياً من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمِتْ، وإنه راجعٌ إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وإن رأوا صحابةً قالوا: أميرُ المؤمنين فيها.

وقال التبوذكي: سمعتُ هماماً يقول: سمعتُ الكلبيَّ يقول: أنا سبئيٌّ.

عباس عن ابن معين قال: الكلبيُّ قال ليس بثقة. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوحُ الكذب فيه أظهرُ من أن يحتاجَ إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ التفسيرَ، وأبو صالحٍ لم يرَ ابنَ عباسٍ، ولا سمعَ الكلبيُّ من أبي صالحٍ إلا الحرفَ بعد الحرف، فلمّا احتججَ إليه أخرجت له الأرضُ أفلاذَ كبدها، لا يحلُّ ذكرُه في الكتب، فكيف الاحتجاج به!

فهذا حاله في الرواية، أما في التفسير فقد اختلفوا فيه كما ذكرنا:

ففریقٌ منعه، منهم الإمام أحمد، قال أحمد بن زهير: قلتُ لأحمد بن حنبل: يحلُّ النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا.

وفريق ارتضوا أقواله في التفسير، قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير^(١).

وإنما أطلت في بيان حاله لكثرة ما أورد المؤلف من أقواله، وتمهيداً لملاحظة هامة في نقل العلماء عن الكلبي يجب التنبيه عليها، وقد لاحظتها من خلال عملي الطويل في التفسير، وإطلاعي على كثير من أمهات التفاسير، وقد وقع منها في هذا التفسير الكثير:

وهذه الملاحظة: هي أنه كثيراً ما يقع الخلط وعدم التمييز بين ما يروى عن الكلبي، وما يروى عن ابن عباس من طريقه، وهي طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فتجد مثلاً خبراً يذكره بعض العلماء عن الكلبي، بينما يذكره آخرون عن ابن عباس، وهؤلاء منهم من ينسبه لابن عباس دون بيان الراوي، ومنهم من يشير إلى أنه من طريق أبي صالح عن ابن عباس، ومنهم من يذكره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، لا أعني أن هذا كله يحصل في خبر واحد، لكن أكثر الأخبار يجري فيها شيء من هذا، وإنما يعرف حال ما ذكرنا بالتقريب في كتب التفسير، وحصر ما ورد فيها في ذلك الخبر.

ومن الفوائد التي تتحصل من هذا الأمر: معرفة حال المروي عن ابن عباس، وأنه من طريق الكلبي، فالاحتجاج به على ما قدمنا، كما يستفاد منه في الترجيح إذا وردت عن الحبر رواية أخرى أو أكثر مخالفة لتلك الرواية، وكانت من طريق أصلح منها.

ثم إن من ينسبه لابن عباس دون بيان لعله إنما يفعل ذلك لتقوية حاله؛ لمعرفة

(١) انظر: «میزان الاعتدال» (٤/ ١٢٥) بتصرف وتقديم وتأخير.

بمكانة أقوال ابن عباس رضي الله عنهما عند الناس، ولعلمه أن ذكر الكلبي فيها يدفع للإعراض عنها.

وسنسوق بعض الأمثلة لبيان المسألة:

- ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ذكر المؤلف عن الكلبي قوله: ﴿مُنَادِيًا﴾: داعياً، يعني: محمداً ﷺ.

وهذا القول ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١١٣] قال: قال الكلبي رحمه الله: فأتوه وكانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم، وكان يعلمهم رجلان مجوسيان من أهل نينوى.

وهذا أورده الثعلبي والبغوي عن الكلبي كالمؤلف، بينما ذكره الرازي في «تفسيره» عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] قال: قال الكلبي رحمه الله: نزلت في رجلين من قريش أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنها ستكون بعده في أصحابه، وقد كانت تلك الواقعة بعد وفاته ومضت.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» من طريق أبي صالح عن ابن عباس مختصراً بلفظ: نزلت في رجلين من قريش، ولم يسمهما.

- وفي قوله: ﴿يَخْطِفُكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال: قال الكلبي: أي: أهل مكة.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

السُّوءُ ﴿[الأعراف: ١٨٨] قال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا: يا محمد! ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلوا فتشتريه فتربح به، أو يخبرك بالأرض التي يريد أن تجذب فترحل منها إلى ما أخصبت، فأنزل الله هذه الآية.

ورد هذا الخبر في «تفسير الثعلبي»، و«البسيط» للواحدي، و«تفسير البغوي»، و«زاد المسير»، عن ابن عباس، وفي «تفسير أبي الليث»، و«أسباب النزول» للواحدي، عن الكلبي

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال الله تعالى للسموات والأرض والجبال: إن أحسننَّ جوزيتنَّ وإن أسأتنَّ عوقبتنَّ.

ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» عن الكلبي، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] قال: قال الكلبي: لما أنزل الله الفرائض فعمل بها الناس، ثم جاء ما ينسخها من القرآن وقد غاب أناس وهم يعملون بالأمر الأول من القبله والخمر وأشباه ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ذكره الثعلبي والبغوي عن مقاتل والكلبي، وابن الجوزي في «زاد المسير» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مریم: ٦٨] قال المؤلف: قال الكلبي: أي: جماعات.

ذكره عن الكلبي الماوردي في «النكت والعيون»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» والواحد في «البيسط»، عن ابن عباس

- ومثل ذلك: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاة الفجر، ﴿وَأَصِيلًا﴾: سائر الصلوات.

ذكره الماوردي في «النكت والعيون» والبغوي في «تفسيره» والواحد في «البيسط» عن الكلبي.

- وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كُتُبَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ [المطففين: ٧] قال: روى أبو صالح عن ابن عباس قال: عمل الكفار مكتوب في صخرة تحت الأرض السابعة، خضراء خضرة السماوات منها.

ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن الكلبي.

- وفي سبب نزول سورة الطارق ذكر عن ابن عباس قوله: نزلت في أبي طالب، وذلك أن ليلة من الليالي انحط نجم، فامتألت الآفاق نارا، ففرع لذلك أبو طالب، فقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجم رُمي به، وهو آية من آيات الله»، فعجب أبو طالب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ الآيات.

ذكره القرطبي من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي عن الكلبي، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره»، والواحد في «أسباب النزول».

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: كان عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى صلوات الله عليه: إنني باع من بني إسماعيل نبيا أميا؛ فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين اثنين، فذكرهم ذلك بهذه الآية.

كذا ذكره المؤلف عن ابن عباس، وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الثعلبي في «تفسيره» عن الكلبي. ومثل هذا كثير جداً، وإنما اقتطفنا بعض الأمثلة لتوضيح المسألة لا أكثر.

ملاحظة ثانية: وهذه الملاحظة تتعلق بما يروى عن عطاء، وهناك علّمان من السلف بهذا الاسم: عطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، وثمة فرق كبير بين الرجلين:

فالأول تابعي ثقة فاضل روى عن جمع من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وابن الزبير ومعاوية وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وغيرهم، وكان مع ذلك كثير الإرسال، وقد روى له الستة.

والثاني روايته عن الصحابة مرسله، وهو صدوق يهمل كثيراً ويرسل ويدلس، ولم يصح أن البخاري أخرج له، وروى له مسلم متابعه.

ويحصل الخلط في الأخبار هنا بأن ينسب الخبر لعطاء دون تعيين من هو، ومن ناحية أخرى كثيراً ما ينسب بعض العلماء الخبر لعطاء، وينسبه آخرون لابن عباس، ويصرح بعض هؤلاء بأنه من طريق عطاء عن ابن عباس، وأكثر ما يقع هذا عند الواحد في كتابيه «السيط» و«الوسيط»، فيجعل أكثر أخبار عطاء متصلة لابن عباس، وهذه الأخبار ضعيفة واهية لا يحتج بها كما بين ابن حجر في «العُجاب» فقال: ومن التفاسير الواهية لوهاة رواها التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدّر مجلدين يُسند إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث، ورواه عن موسى عبد الغني بن سعيد الثقفي وهو ضعيف.

وقد قال ابن حَبَّان في «المجروحين»: مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّنَعَانِيُّ شَيْخٌ دَجَّالٌ يَضَعُ الْحَدِيثَ رَوَى عَنْهُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ، وَضَعَ عَلَى ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كِتَابًا فِي التَّفْسِيرِ جَمَعَهُ مِنْ كَلَامِ الْكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَأَلْزَقَهُ بَابَن جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَمْ يَحْدِثْ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَلَا عَطَاءٌ سَمِعَهُ، وَلَا ابْنُ جَرِيرٍ سَمِعَ مِنْ عَطَاءٍ، وَإِنَّمَا سَمِعَ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي التَّفْسِيرِ أَحْرَفًا شَبِيهًا بِجُزْءٍ، وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ شَيْئًا وَلَا رَوَاهُ، لَا تَحِلُّ الرِّوَايَةُ عَنْ هَذَا الشَّيْخِ وَلَا النَّظَرُ فِي كِتَابِهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِبَارِ^(١).

ويظهرُ من كلام ابن حَبَّان أن عطاءَ المذكورَ في هذا التفسير هو الخراساني، فهو لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا التفسيرُ قد روى طرفاً منه الطبرانيُّ في «الكبير» عن شيخه بكر بن سهل الدِّمياطيِّ، عن عبد الغنيِّ بن سعيدِ الثَّقَفِيِّ، عن موسى بن عبد الرحمن الصَّنَعَانِيِّ، عن ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس.

وما ذكره الواحدِيُّ من رواياتِ عطاء عن ابن عباس موافقٌ لتلك الرواياتِ التي عند الطبرانيِّ، لكنَّ الواحدِيَّ قد أكثرَ من نقلها مع شدَّةِ ضعفها وهائها.

وسنذكرُ فيما يلي بعضَ الأمثلةِ للاختلافِ الحاصلِ بين الرواياتِ من هذه

الطريق:

- ففي قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] ذكر المؤلف

عن عطاء قوله: شعيبُ بنُ توبةَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيم.

(١) انظر: «المجروحين» (٢/٢٤٢).

ذكره الثعلبي والبغوي عن عطاء كالمؤلف، وذكره الواحدي في «البيسط» عن عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال المؤلف: وقال عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لله لبسوا المِسْوَحَ، وغُلُّوا أيديهم إلى أعناقهم؛ تواضعاً لله، وخوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، فرفعها الله تعالى عن هذه الأمة.

ذكره الواحدي في «البيسط» عن عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥] قال: وقال عطاء: يعني: يوم بدر وأحد.

ذكره الواحدي في «البيسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

- وكذا: وقال عطاء: ﴿وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]: بلا إله إلا الله.

ذكره عن عطاء الثعلبي والبغوي، وذكره الواحدي في «البيسط» من طريق عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] قال: قال عطاء: وإما يعرضنك من الشيطان عارض.

ذكره الواحدي في «البيسط» من طريق عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ [التوبة: ٥٨] قال: قال عطاء: أي: يفتأبك.

ذكره الثعلبي عن عطاء، والواحدي في «البيسط» عن عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٤] قال المؤلف: وقال عطاء: هم سبعون رجلاً أنزل الله تعالى أسماءهم وأسماء آبائهم، ثم رفعت مرحمة على العباد، ولأن أولادهم أسلموا وأخلصوا.

ذكره الواحدي في «السيط» عن عطاء عن ابن عباس، والبغوي في «تفسيره» عن ابن عباس.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ذكر عن عطاء أنها في سهل بن رافع.

ذكره الواحدي في «السيط» من طريق عطاء عن ابن عباس.

- وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسَنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠] قال: وقال عطاء: يريد: الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالخير والرحمة والدعاء.

ذكره الثعلبي عن عطاء، وذكره الواحدي في «السيط» من طريق عطاء عن ابن عباس.

والأمثلة كثيرة جداً، لكن الملاحظ أن هذه الروايات مقتصرة تقريباً على الثعلبي والواحدي والبغوي، وقد يوردها من يأخذ عنهم كالرازي وابن الجوزي والقرطبي. ويوضح هذا الأمر معرفة أن الواحدي تلميذ الثعلبي، وقد نقل في تفاسيره كثيراً مما أورده الثعلبي في «تفسيره»، كما أن البغوي تلميذ الواحدي، وقد أكثر في «تفسيره» من نقل ما جاء عند شيخه الواحدي وشيخه الثعلبي. والله تعالى أعلم.

أمّا الملاحظة الثالثة: فتتعلق بما ينقل عن مقاتل، وهاهنا علّمان أيضاً بهذا الاسم: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والبون بينهما شاسع أيضاً:

فالأول قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في رَعْمِهِ أن وكيماً كذّبه، وإنما كذّب الذي بعده.

ويعني بالذي بعده مقاتل بن سليمان فإنه أعقبه به وقال: كذّبوه وهَجَرُوهُ ورُمِيَ بالتجسيم.

قلت: لكن بعضهم استحسن تفسيره، فقد قال الحافظ نفسه في «التهذيب»:
وروي عن الشافعي من وجوه: الناس عيالٌ على مقاتلٍ في التفسير.
وقال نعيم بن حماد: رأيتُ عند ابنِ عيينةَ كتاباً لمقاتلٍ فقلتُ: يا أبا محمدٍ تروي
لمقاتلٍ في التفسير؟! قال: لا، ولكنْ أstdلُّ به وأستعين.
وقال ابن المبارك لما نظر إلى شيءٍ من تفسيره: يا له من علمٍ لو كان له إسناد.
وقال مكِّي بن إبراهيم عن يحيى بن شبلي: قال لي عبَّادُ بن كثيرٍ: ما يمنعُك من
مقاتلٍ؟ قلتُ: إن أهل بلادنا كرهوه، فقال: لا تكرهه، فما بقي أحدٌ أعلم بكتاب الله
تعالى منه.

وبعضهم لم يقبل تفسيره كإبراهيم الحربي، فقد ذكر عنه الحافظ في «التهذيب»
قوله: وإنما جمع مقاتلٌ تفسيرَ الناس وفسرَ عليه من غيرِ سماع، قال إبراهيم: ولم
أدخل في تفسيري عنه شيئاً، وقال إبراهيم: تفسيرُ الكلبي مثل تفسيرِ مقاتلٍ سواءً.
قلت: وكلاً المقاتلين قد روي عنه أقوالٌ في التفسير أوردها المفسرون في
كتبهم، وقد رأيتُ من خلال العمل في هذا التفسير وقوعَ خلطٍ أيضاً بينهما، فما
ينسبُه بعضهم للأول ينسبه غيره للثاني، كما أن كثيراً مما يُنسب لابن حيان وجدته
مذكوراً في التفسير المنسوب لابن سليمان، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:
- ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] قال
المؤلف: وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: على المعرفة
ولم يرتدوا.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه الواحدي في «البيسط» والبغوي
في «تفسيره»، أما الثعلبي فعزاه في «تفسيره» لمقاتل بن حيان.

ثم ذكر المؤلف بعده عن مقاتل بن حَيَّان: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: على أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ. وهذا على العكس مما قبله ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» عن مقاتل بن سليمان. - وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] قال: وقال مقاتل بن حَيَّان: وحمل نوحٌ في السَّفينة معه ثمانين نفساً؛ أربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وفيهم أولادُه الثلاثة.

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

- وفي موضع آخر قال المؤلف: وقال مقاتل بن حَيَّان: لَمَّا نزل قوله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الفتح: ٥]، قال عبد الله بن أُبَيٍّ: ما نحن وهم - يعني: الصَّحابة - إلا في منزلة واحدة، فأنزل الله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [الفتح: ٦].

وهذا أيضاً ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه ابن الجوزيُّ في «زاد المسير».

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥] قال المؤلف: وقال مقاتل بن حَيَّان: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ من قبلِ المشرق وهو بمكة قد ملأ الأفق بكلِّكَله، رجلاه في الأرض، ورأسه في السَّماء، جناحٌ له بالمشرق، وجناحٌ له بالمغرب، فغُشيَ عليه فتحوَّل جبريل في صورة بني آدم، ف قيل لرسول الله ﷺ لَمَّا رجع: ما رأيناك منذ بُعثتَ أحسنَ منك اليوم، فقال: «جاءني جبريل في صورته، فعَلَّقني هذا من حسنه».

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

- وفي موضع آخر قال المؤلف: وقال مقاتل بن حَيَّان: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]؛ أي: مكتوبٌ لهم في ساق العرش، ﴿بِشَهَدَةِ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]؛ يعني: يشهدُ ذلك

الكتاب سبعة أملاك من مقرّبي أهل كلّ سماءٍ حتّى يُصعد به إلى السّماء، من كرامة المؤمن على الله تعالى.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان».

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] ذكر المؤلف عن مقاتلٍ دون تعيينٍ: نزلت في ثلاثة نفرٍ، وذلك أنّ النبيّ ﷺ بعث سريةً وأمر عليهم المنذر بن عمرو، فخرج بنو عامر بن صعصعة عند بئر معونة، فرصدوهم على الطريق وقتلوهم، فرجع ثلاثةٌ منهم، فلمّا دنوا إلى المدينة خرج رجلان من بني سليم صالحا رسول الله ﷺ، وقد كان أعطاهما وكساهما، فقالا: نحن من بني عامر؛ لأنّ بني عامر كانوا أقرب إلى المدينة، فقتلوهم وأخذوا ثيابهما، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.

وهذا الخبر ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره».

لكن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٣٠) عن مقاتل بن حيّان.

وغير هذا كثير، وإنما ذكرنا ما ذكرنا لتوضيح المسألة.

وتبقى هنا ملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه يجب التفريق بين ما يرويه الضعفاء ممن ذكرنا كمقاتلٍ والكلبيّ وبين ما يقولونه من التفسير، فبابُ التفسيرِ واسعٌ، وما دامت أقوالهم لا تخرج عن الأصول فلا ضيرَ فيها والله أعلم، بل كثيرٌ مما يذهبون إليه هو في الحقيقة من الوجوه المقبولة أو المستحسنة، حتّى رجّح الماتريديّ مرةً قول الكلبيّ على قول سعيد بن جبير.

قال الماتريديّ: قال سعيد بن جبير رحمه الله: يُجمع بين أرواح الأحياء وبين

أرواح الموتى، يتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ إلى أجسادها^(١).

قال: وبهذا لم يفهم شيء من تأويل الآية.

قال: وقال الكلبي: النائم متوفى حتى يرده الله إليه نفسه، وأما التي يتوفاها حين موتها فإنه يقبض الروح والنفس معاً، ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغ أجلها المسمى، وهو الموت.

ويقول: إنما يقبض الله من النائم النفس لا الروح.

ثم قال الماتريدي: وهذا الذي ذكره الكلبي أقرب إلى تأويل الآية من الذي ذكره سعيد... إلى آخر كلامه.

فهذه بعض الملاحظات التي عرضت لي خلال العمل في هذا التفسير، وقد كان البعض منها في البال قبلاً، لكن لم يتسن لي التحقيق فيه، حتى يسره الله في هذا التفسير، الذي وقع فيه الإكثار من نقل أقوال السلف، فكان من ضمن ذلك أقوال الأعلام المتقدم ذكرهم، وهو ما يسر الأمر عليّ، والله وليّ التوفيق.

٤ - ردوده على المذاهب الفاسدة والفرق الضالة.

من المعروف عن المؤلف رحمه الله التزامه بعقيدة أهل السنة والجماعة ودفاعه عنها، وإبطال أقوال أصحاب المذاهب الفاسدة، والفرق الضالة، وتفنيدها بالحجة والبرهان.

وهو في تفسيره هذا لم يدع آية فيها رد على أهل الباطل، أو إبطال لتأويلهم الفاسد، إلا بين ذلك، مثبتاً مذهب أهل الحق فيها وأنه هو الصواب، وما عداه من

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/٢١٥).

تلك التأويلات الفاسدة فضلاً وانحرافاً عن الصواب، فهو يردُّ على الجهميَّة والجبريَّة والكرامية والمعتزلة وغيرهم.

فمن رده على الكرامية: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرُ﴾ [البقرة: ٨] قال المؤلف: أخبر عنهم أنهم يدعون ذلك، ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليسوا بمؤمنين، فنفى الإيمان عنهم لأنه لم يكن في قلوبهم، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤]، وبطل بهذا قول الكرامية: إنه مجرد الإقرار، فإن المنافقين أقرُّوا بذلك والله تعالى نفى عنهم ذلك.

وردد مذهب الجبرية والقدرية: وذلك في قوله: ﴿وَيَسُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

فقال: في الآية دليل أهل السنة والجماعة، فإنه قال: ﴿وَيَسُدُّهُمْ﴾، وهو إثبات فعل نفسه، وقال: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهو إثبات فعل العبد، فدلَّ على أنَّ العبد فاعلٌ، والله تعالى لفعل العبد خالقٌ، وبطل قول الجبرية أنَّ لا فعل للعبد، وقول القدرية أنَّ لا صنع لله في فعل العبد.

وعلى الإباحية من جهلة الصوفية: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٩] فقال: ثم إنَّ أهل الإباحة من المتصوفة الجهلة حملوا اللام في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ على الإطلاق، والإباحة على الإطلاق، وقالوا: لا حجر ولا حظر، ولا نهى ولا أمر، وإذا تحققت المعرفة وتأكدت المحبة، سقطت الخدمة وزالت الحرمة، فالحبيب لا يكلّف حبيبه ما يتعبه، ولا يمنعه ما يُريده ويطلبه، وهذا منهم كفرٌ صراح، وخروجٌ من الإيمان بإفصاح، فقد نهى الله تعالى وأمر، وأباح وحظر،

ووعده وأوعده، وبشّر وهدّد، والنصوص ظاهرة، والدلائل متظاهرة، فمن حمل هذه الآية على الإباحة المطلقة، فقد انسلخ من الدين بالكلية، فالمحمل الصحيح ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: خَلَقَ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ.

وردّ مذهب الجهميّة بأبسط طريق: وذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[البقرة: ٣٨ - ٣٩] فقال: وفي الآيتين نقض قول الجهميّة: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ يَفْنَيَانِ وَيَنْقَطِعُ مَا فِيهِمَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى الْخَوْفَ وَالْحَزْنَ عَنْهُمْ، وَلَوْ كَانَتَا تَفْنَيَانِ لَكَانَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَشَدُّ الْخَوْفِ وَالْحَزَنِ.

وردّ على الرافضة بالدليل الذي لا مدفع له: وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعَ﴾ [النساء: ٣] فقال: وتعلّقت الروافض بظاهرها لإباحة الجمع بين تسع نسوة، فإنّه ذكر بالواو لا بـ(أو)، وذلك للجمع.

لكنّا نقول: هذا على البدل دون الجمع في حالة واحدة؛ أي: فانكحوا مثنى، وانكحوا ثلاث، بدل مثنى، وانكحوا رباع، بدل مثنى وثلاث.

والدليل على أن المراد هذا لا غيره: أنّه لو قيل هذا في الأمر بشيء آخر لم يكن إلا على هذا الوجه، فإنّه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدار مثنى وثلاث ورباع، لم يكن أمراً بدخول تسعة منهم جملة في حالة، بل هو أمر لهم أن يدخلوا اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك ثلاثة ثلاثة، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك أربعة أربعة، وكذا في كلّ موضع، هذا هو قضية اللغة.

وفي موضع آخر: وقالت الروافض في قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: لا

يخلو إما أن يكون حزن أبي بكر طاعةً أو معصيةً، فإن كان معصيةً ففيه نقصانه لا فضله، وإن كان طاعةً فلم ينهه رسول الله ﷺ؟

قلنا: لم يكن حزنه سوء الظنِّ برَّبِّه تعالى، ولا استبطاءً لنصره، لكن شفقةً على رسول الله ﷺ وحببيه، وكان ذلك شيئاً نشأ عن طبعه ولا نقص في مثله.

ثم نعارضهم بخوف موسى وهارون عليهما السلام، وقال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ [طه: ٤٦] إلى آخر السؤال حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، على أنهما قالا: ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ [طه: ٤٥]، وليس في القرآن أن أبا بكر رضي الله عنه قال: إني أحزن.

أما ردوده على المعتزلة فكثيرة جداً، فهو لا يدعُ آيةً لهم فيها تأويلٌ منحرفٌ لإثباتِ مذهبهم الفاسد إلا رد عليهم:

- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] قال: أي: هُيِّئَتْ وُحِّلَتْ... والآية ردُّ على المعتزلة، فإنهم قالوا: النار والجنة لم يُخلقا بعد، وإنما يُخلقان يوم القيامة عند حضور أهلها، وقولهم باطلٌ مردودٌ بهذه الآية، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونحوهما من الآيات.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَرَكَّعَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧] قال: وقيل: أي: لم يُخرجهم منه، كما يقال: تركه في الدار؛ أي: لم يُخرجه منها، وهذا تأويل المعتزلة؛ فإنهم لا يقولون بخلق أفعال البشر من الله تعالى، والصحيح من التأويل عند أهل السنة والجماعة: ﴿وَرَكَّعَهُمْ﴾؛ أي: جعلهم في الظلمات، وهو كقوله: ﴿فَرَكَّعَهُ صَلَداً﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ أي: جعله صليداً.

- وردَّ مذهب الجبرية والمعتزلة بكلماتٍ بسيطةٍ واضحةٍ لا لبس فيها لمريد الحقِّ والساعي إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيبُ﴾ فقال: ثم في مجموع الكلمتين تحقيقُ مذهب أهل السنة والجماعة، وهو إثباتُ الفعل من

العبد والتوفيق من الله تعالى، وفيه ردُّ على الجبرية والمعتزلة:

فالجبرية يُنْفُونَ الفعلَ من العبد، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يردُّ عليهم ذلك.

والمعتزلة لَا يَرُونَ التوفيقَ من الله، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يردُّ ذلك عليهم.

وأهل السنة والجماعة يقولون: من العبد الفعل واختيار الفعل، ومن الله تعالى خلق ذلك الفعل ومشية ذلك الفعل، والآية تدلُّ على ذلك كله.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [البقرة: ٣] قال: ثم الرزق يكون هو التغذية

عندنا، وهو عند المعتزلة: التملك، فالحرام عندهم ليس برزق؛ لأنه ليس بملك، وهذا في غاية الفحش منهم، وهو نهاية الضلال؛ فإنه ردُّ كتاب الله تعالى، قال عزَّ وعلا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والحيوانات عندهم ليست تأكل من رزق الله تعالى؛ لأنها لا تملك، وآكل الحرام عندهم وكاسبه في جميع عمره لم يأكل من رزق الله شيئاً، ولم يرزقه الله عزَّ وجلَّ شيئاً.

والأمثلة لا تحصى، وإنما أوردنا منها ما فيه كفاية لبيان المراد.

٥ - منهجه في النحو:

وملخص منهج المؤلف في النحو الذي انتحاه في تفسيره: أنه يُعْنَى بالإعراب، لكنه لا يستقصي كما هي طريقة أبي حيان والسَّمين الحلبي، ويتابع مذهب الكوفيين في بعض المسائل وخصوصاً الفراء، كما يُعْنَى أيضاً بالفوائد النحوية:

فمن أمثلة عنايته بالإعراب وشرحه وتوضيحه:

- قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [طه: ١٢٨] قال: ﴿كَمْ﴾ في موضع الرفع،

وتقديره: كثرة من أهلكنا من القرون، وهو فاعل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾، والمفعول مضمر؛ أي:

أفلم يبين للمشركين كثرة القرون المهلكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك.
ويجوز أن يكون الفاعل هو القرآن، و﴿كَمْ﴾ في موضع النصب لأنه مفعول؛
أي: أفلم يبين القرآن للمشركين كثرة من أهلكنا.

ومن ذلك العناية بالتقديرات عند القول بأن في الكلام حذفاً:

- ففي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] قال: قيل: جوابه
محذوف في آخره، وهو: أَجَلٌ مَثَلٍ.

وقيل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: صفة الجنة، كقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]،
وعلى هذا فيه مُضْمَرٌ أيضاً، تقديره: صفة الجنة التي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ [أنها] تجري من
تحتها الأنهار.

وقيل: الإضمار في أوله: وفيما يُتْلَى عليك مثل الجنة.

وقيل: إضماره: هذا مثل الجنة، ذكر وعد الأولياء بعد ذكر وعيد الأعداء.

- وفي قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى
مِثْلِهِ فَقَامَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَرِ﴾ [الأحقاف: ١٠] قال: وجوابه محذوف ها هنا؛ قال الزجاج: هو:
أتؤمنون؟

وقيل: أفما تهلكون؟!

وقيل: أفلا تكونون ظالمين؟! يدل عليه ما بعده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: ما داموا على ظلمهم.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] قال: قيل:
ها هنا مضمَر: فودُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا.

وقيل: الإضمار في آخره: لو أنهم كانوا يهتدون لخرجوا من العذاب الذي رأوا.

وقيل: بل المضمَّر في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلك العذاب.

ومن أمثلة عدم استقصائه:

- ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] قال: قيل: هو نصبٌ على التفسير؛ كقولك: هذا لك هبةً منِّي.

وقيل: هو مصدرٌ فعلٍ مدلولٍ عليه أو مضمَّر؛ لأن قوله: ﴿لَا تُكْفِرَنَّ﴾ (ولأدخلن) بمعنى: لأُثْبِنَنَّ بهذا، والإضمارُ: يثابون بذلك ثواباً.

فهذا ما ذكره من إعراب واقتصر عليه، وله عند الاستقصاء وجوهٌ أخرى، ف قيل: هو حال من ﴿جَنَّتِ﴾ لو صفها؛ أي: مثاباً بها، أو من ضمير المفعول في ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ﴾؛ أي: مثابين، وقيل: إنه بدل من ﴿جَنَّتِ﴾ على تضمين ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ﴾ معنى: ولأعطيتهم، وقال الكسائي: إنه منصوب على القطع. وفَسَّر بعضهم القطع بالنصب على الحال^(١).

ومن متابعته للكوفيين والفرَّاء:

قوله بكون الألف واللام بدلاً عن الإضافة:

- كما في قوله تعالى: ﴿فَشُدُّوا الرِّبَاطَ﴾ [محمد: ٤] قال: أي: فشدُّوا وثاقهم، والألف واللام بدلٌ عن الإضافة ها هنا.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] قال: أي: منع نفسه من اتباع هواها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] قال: أي: مأواه، والألف واللام بدل الإضافة في ﴿الْمَأْوَىٰ﴾، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

- وفي قوله تعالى: ﴿مَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] قال: ﴿الْفُؤَادُ﴾: أي:

(١) انظر: «البحر المحيط» (٦/٣٦٨).

فؤاده، بالألف واللام بدل عن الإضافة؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

قلت: وهذا مذهب كوفي، قال الفراء: والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة فيقولون: مررت على رجل حسن العين قبيح الأنف، والمعنى: حسنة عينه قبيح أنفه، ومنه قوله: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(١).

هذا قول الفراء، وأما البصريون فالتقدير عندهم: هي المأوى له^(٢).

ومن ذلك أخذه بمذهب الكوفيين في مسألة النصب على الصّرف:

- كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] قال: هو نصب على

الصرف كما في قول الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

قال: ومعنى الصرف: أنه مصروف عن معنى مطلق العطف، فإنه ليس معناه

النهى عن إتيان مثله قصداً كالنهى عن النهي عن خلق، بل معناه النهي عن الجمع

بينهما، وكذا معنى الصرف في هذه الآية ليس هو مطلق نفي علم الصابرين كنفي

علم المجاهدين، بل معناه نفي اجتماعهما.

قلت: وهذا أيضاً مذهب كوفي، قال ابن الأنباري: ذهب الكوفيون إلى أن

الفعل المضارع في نحو قولك: (لا تأكل السمك وتشرّب اللبن) منصوب على

الصرف. وذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير (أن)، وذهب أبو عمر الجرمي

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨١).

من البصريين إلى أن الواو هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف^(١).
ومن ذلك القول بزيادة الواو:

- ففي قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَهُ أَنْ يَتَّخِذَهُمْ﴾ [الصفات: ١٠٤] قال المؤلف: قال
الفراء وغيره: الواو مُقَحَّمَةٌ زائدةٌ، ومعناه: نادينا، جواباً لقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُ
الْجَبِينُ﴾، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا
ذَهَبُوا بِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥].

فذكر قول الفراء ولم يذكر غيره، وهو مذهبٌ كوفي، ومذهبُ البصريين أن
يقدَّر في هذه الآيات محذوفٌ يُعرفُ من سياق الكلام، وتكون الواو عاطفةً عليه
كما هو الأصلُ فيها، فقدَّروا في هذه الآية جوابَ «لما»: سَعِدَا وأَجَزَلْ لهما الثواب،
ونحوه من التاويلات، قالوا: والقول بالتقدير خيرٌ من الحكم بالزيادة، لا سيما في
كتاب الله تعالى^(٢).

أَمَّا الْفَوَائِدُ النَّحْوِيَّةُ عِنْدَ الْمُؤَلِّفِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى:

- فمن ذلك كلامه في أول سورة البقرة عن (الذين) حيث قال: وأصله: (الَّذِينَ)
بلامين؛ إحداهما: لأم التعريف، والثانية: لأم (لذ)، وإنما اكتُفي في الكتابة بواحدةٍ
تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا تُكتب في التثنية في (الَّذَانِ) بلامين؛ لأنه لم يكثر
استعماله.

ثم قال: وإنما لم يُعرب لأنه موصولٌ لا يَتِمُّ إلا بصلته، فصار لفظه كأنه بعضُ
الكلمة، ولا إعرابَ إلا لتمام الكلمة في آخرها، فأَمَّا (الَّذَانِ) في التثنية فإنما أعرب-

(١) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري (٢/٤٥٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/٣٢٤).

فكان رفعه بالألف، ونصبه وخفضه بالياء - لأن منع الإعراب كان لإلحاقه بالحروف، ولا تثنية للحروف فلم تُلحق بها، بل تحقق فيه معنى الاسم فأعرب لذلك.

- ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣] قال: قُرى فيه بالرفع على الاستئناف، وبالنصب على المدح، وهذا شاذٌّ، وبالخفض على البدل، وهو قراءة الزهري، وهو كما قال كثير به: وكنْتُ كذي رَجَلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ يُنْشَدُ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ مَعًا.

ولو قلت: مررت بثلاثة: صريعٌ وجريحٌ، واقتصرت عليهما، لم يَجْزُ بِالْجَرِّ؛ لَأَنَّكَ لَمْ تَسْتَوْفِ الْعَدَدَ، وَيَجُوزُ بِالرَّفْعِ، وتقديره: منهم صريعٌ، ومنهم جريحٌ، وإذا قلت: مررت بثلاثة؛ صريع وجريح وسليم، جاز فيه الرفع والجَرُّ، فَإِنْ زِدْتَ فِيهِ: اقْتَتَلُوا، جاز فيه الرفع والجَرُّ والنصب.

فانظر إلى هذا التفصيل والتمثيل الذي لا تجده عند غيره.

- وفي قوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣] قال: منصوباتٌ بالترجمة عن ﴿مَا﴾، ولا تنوينَ فيهنَّ لَأَنَّهَا غَيْرُ مَنْصُوفَةٍ، فَإِنَّهَا مَعْدُولَةٌ عَنْ اثْنَيْنِ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ، ومعناه: اثنين اثنين وثلثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ومع العدل فيها معنى آخرٌ، وهو وهم الألف واللام؛ لَأَنَّهَا كَالْمَعَارِفِ، ولهذا لا إضافة فيها، فامتنع صرفها لذلك.

- وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْزِرُوا مَا بَنَفْسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] قال: حُذِفَ النون من (يكن) تخفيفاً لكثرة الاستعمال؛ لأن (كان) و(يكون) أمُّ الأفعال؛ لأن (ضرب) في معنى: كان ضرب، و(يضرب) في

معنى: يكون يضربُ، فلما كانت أمّ الأفعالِ وكثُر استعمالُها للحاجة إليها احتملت هذا الحذفَ، ولم يحتمله نظائرها من: لم يَصُنْ ولم يَخُنْ.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] قال: يُقرأ بالياء والتاء^(١)، فَمَنْ أَنْتَ فَلَأَنَّ الشفاعةَ مؤنثةٌ لفظاً، وأمّا التذكيرُ فلأنَّ تأنيثَ ما ليس بذِي رُوحٍ غير حقيقيٍّ، ولأنَّ الفعلَ مقدّمٌ على الاسم، ولأنَّ بينهما حائلاً.

وفي القرآن: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٩٤]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٧].

والحاصل: أن ما كان تأنيثه ليس بحقيقيٍّ فتأنيثه وتذكيره جائزٌ إن تقدّم أو تأخّر، وكان بينهما حائلٌ أو لم يكن، وفي الحقيقيٍّ يجوز تأنيثها بكلِّ حالٍ، وتذكيرها إذا تقدّم الفعلُ وبينهما حائلٌ، ولا يحسُنُ بغير حائلٍ.

- ومن أجمل فوائده: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا﴾ [الحجر: ٣] قال: جُزِمَ ﴿يَأْكُلُوا﴾ لأنّه جوابُ الأمرِ، وكذا ما بعده، وفي قوله: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لم يُجْزَمَ لأنّه حالٌ لا خبرٌ، وتقول العربُ: دَعُ زَيْدًا يَنْمُ، ودَعُ زَيْدًا يَنَامُ، فإذا كانَ غيرَ نائمٍ نقولُ: دَعُ زَيْدًا يَنْمُ جواباً للأمر، وإذا كان نائماً نقولُ: دَعُ زَيْدًا يَنَامُ؛ أي: قَرَّرَهُ على حالةِ النَّومِ.

- وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ

(١) قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ باقي السبعة بالتاء.

يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿[الأحقاف: ٣٣]﴾ قال: الباء زائدة، وإنما أُدْخِلَتْ لَأَنَّ معنى قوله: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾: أوليس، وذاك تدخل فيه الباء.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق: ١] قال: اختلف في جواب هذا القسم، وأصله: أن جوابه بأحد خمسة أشياء:

(إن) المُشَدَّدة؛ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

و(ما) النَّافِيَةُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣].

و(اللام) المفتوحة: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الفجر: ٩٢].

و(إن) الخفيفة بمعنى (ما): ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

و(لا): ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى﴾ [النحل: ٣٨].

قال: وزاد البعلِّي على هذا:

(قد)؛ كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾.

و(بل)؛ كما في قوله في هذه السورة: ﴿قَبَّ وَالْقُرْآنِ... بَلْ عَجِبُوا﴾.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَالْتَاهُوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] قال: وفي زيادة الواو أقاويل:

قيل: الواو تدخل للمبالغة في المدح للمنعوت واحداً كان أو جماعة، قال تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: لأن الأمر والنهي متقابلان، والمعروف والمنكر كذلك، فكانا كالمتعاندَيْن^(١)، فأدخل بينهما حرف العطف كما في قوله تعالى: ﴿تَنَبَّأَتْ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥].

(١) في نسخة: «المتغايرين».

وقيل: هي واو الثمانية؛ لأنها الصفة الثامنة، والعربُ تخصُّ ذلك بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿ثَبَّتْ وَأَبْكَرًا﴾ [التحریم: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَأْمَنُكُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأن أبواب الجنة ثمانية.

ولا أصل لهذا القول عند المحققين، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ولا استعمال على الاطراد كذلك، قال الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَلْسَلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] بغير واو، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ﴾ الآية بغير واو في الثامن.

ومن فوائده جمع المعاني أو الاستعمالات لكلمة أو حرف:

- من ذلك: الكلامُ على (أم) في أول سورة البقرة، حيث قال: وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾: هذه الكلمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: عطفٌ على ما دخله ألفٌ استفهام كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦] ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧].
والثاني: ابتداء استفهام كالألف: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ﴾ [النساء: ٥٣]؛ أي: أَلَهُمْ؟

والثالث: بمعنى (بل): ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزمر: ٥٢]؛ أي: بل أنا خير.

والرابع: بمعنى (أو) من غير استفهام كما في هذه الآية: ﴿أَنذَرْتَهُمْ أَم لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [يس: ١٠]؛ أي: أو لم تنذرهم، فلا استفهام في هذه الآية.

- ومن فوائده تعديد استعمالات الفعل (كان)، فقال: وكلمة (كان) قد تجيء

للماضي، كما في قوله: ﴿وَكَاَنَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وقد تجيء للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَاَنَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾

وقد تجيء للحال، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقد تجيء جامعاً لذلك كله، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أي: لم يزل رحيماً بهم في الأزل وفي الحال وفي الأبد.

وقد تجيء بمعنى: صار، كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقد تجيء بمعنى: وقع، كما في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

- ومن ذلك ذكر معاني (أو) في القرآن، فقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]: (أو) جاءت في القرآن لثلاثة عشر معنى:

أحدها: للشك، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَيْسَ نَبِيًّا وَهُوَ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

وللتشكيك: قال تعالى: ﴿أَفَاَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا غير الأول، هذا إخفاء الحال على السامع من غير شك من القائل.

وللتخيير: قال تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

وللإباحة: قال الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا غير التخيير، ذاك بيان أن الواجب أحدها لا الكل وله الخيار، وفي الإباحة له أن يفعلهما وله أن يفعل أحدهما.

قلت: وهذا من أحسن ما رأيت في التفريق بين الشك والتشكيك، والإباحة والتخيير.

ثم قال: وللتفصيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]، كل عقوبة منها لجناية غير الأخرى.

وبمعنى الواو: قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَوْ يَخْشَوْنَ﴾ [طه: ٤٤].

وبمعنى: بل، قال تعالى: ﴿كَلِمَاحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وبمعنى: ولا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبمعنى: حتى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

إلى آخر المعاني الثلاثة عشر.

ومثله كثير، وفيما ذكرنا كفاية.

٦ - الفقه في تفسير «التيسير»:

لم يقف المؤلف عند الأحكام الفقهية كثيراً، بل كان منهجه الإشارة إليها دون التوسع فيها، ثم الإحالة إلى كتب الفقه بشكل عام لمن أراد التوسع، أو يخصص بعض كتبه التي ألفها في الفقه، وهو في الغالب يكتفي بعرض أقوال أئمة مذهبه أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزُفر، مع الإشارة لاختلافهم إن كان:

- ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْنَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] قال: اختلف العلماء فيمن

بلغ مبدراً سفيهاً؛ هل يُحجر عليه؟

وأراد بالعلماء علماء مذهبه، فإنه لم يذكر عقبه سواهم، ثم إنه اكتفى بذكر

أقوالهم مختصرة جداً، حيث قال:

فأبو حنيفة رحمه الله لا يرى الحجر عليه في تصرفاته، وأبو يوسف رحمه الله

يقول: لا ينحجر بذلك، لكن يستحق حجر القاضي عليه، وقال محمد رحمه الله:

ينحجر بسفهة.

ثم ختم كلامه في المسألة بقوله:

ويُعرف ذلك في الفقهيات، وقد أوضحناه في «حصائل المسائل».

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَهُنَّكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوْتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ﴾ [النساء: ٢٣] قال بعد ذكر بعض ما يتعلق بالآية: والرضاع في الكبر لا يحرم عندنا؛ لقوله عليه السلام: «الرضاع ما أنبت اللحم، وأنشز العظم»^(١)، وذلك في الصغير، وذاك في ستين عند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله، وستين ونصف عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وثلاث سنين عند زفر رحمه الله، ويعرف ذلك في الفقهيات.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]: قال: وهؤلاء مصارف هذا المال بصفة الحاجة، فلا يحل للغني منهم، ويجوز الصرف إلى صنف واحد منهم، وهو بيان الصرف دون الاستحقاق كما عُرف في مصارف الصدقات، وهذا عندنا.

وأربعة أخماسه يُقسم بين الغزاة: للفرس سهمان وللراجل سهم عند أبي حنيفة، وهو قول أكثر الصحابة رضي الله عنهم، وفيه أكثر الأحاديث، وعند أبي يوسف ومحمد رحمهم الله: للفرس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه، وهو قول بعض الصحابة، وفيه بعض الأحاديث.

ثم فيمن شهد الأمر من لا يستحق السهم ويُرضخ له، ومنهم من لا يُرضخ، وفي موضع الرضخ ومقدار الرضخ والمال الذي منه الرضخ كلام، وشرحه في الفقهيات، وقد أشبعنا الكلام فيه على التهذيب والترتيب في «حصائل مسائل الفقه».

فهذا منهجه رحمه الله في آيات الأحكام، وهو كما يظهر من الأمثلة التي ذكرناها

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٩) و(٢٠٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قوله: أنشز العظم؛ أي: رفعه وأعلاه وأكبر حجمه، ويروى بالراء؛ أي: شده وقواه.

ومن غيرها قائمٌ على الاختصار، والاختصار على أقوال أئمة المذهب، والإحالة في التفاصيل على كتب الفقه، ومنها كتبه التي ألفها، وخصوصاً «حصائل المسائل»، وهو - والله أعلم - قد تناول فيه بسط مسائل الفروع وتفصيلها.

٧ - منهجه في القراءات:

أمَّا القراءاتُ فالمؤلفُ رحمه الله له عنايةٌ كبيرة بها، وهو قد انتَهَجَ فيها طريقةً ثابتةً من أول الكتاب إلى آخره، وهي ذكرُ القراءاتِ السبعة في الغالب، وفي أحيانٍ قليلةٍ يضيفُ باقي العشرة، لكنه لا يكتفي بالإشارة إلى القراءة بل إنَّ له عنايةً خاصةً بتوجيهها وبيان ما أشكل، مع الدقَّة في عزو القراءة لقائلها من السبعة، أمَّا القراءاتُ الشاذةُ فقليلاً ما يتعرَّض لها، ومن أمثلة العناية بالقراءات عنده:

- قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤) ﴿لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٤-٢٥] قال: قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بالتخفيف^(١)، ومعناه: (ألاً) كلمة تنبيه، و﴿سَجُدُوا﴾ بمعنى: يا اسجدوا، (يا) نداءٌ والمنادى مضمراً؛ أي: يا هؤلاء اسجدوا لله، قال ذو الرِّمَّة:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ

وقرأ الباقر بالتشديد، وله وجوه:

أحدها: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾.

والثاني: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أعمالهم لئلا يسجدوا.

والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ لئلا يسجدوا.

(١) ويقف هؤلاء على (يا)، وينتدئون: (اسجدوا) على الأمر.

والرابع: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أَنْ لَا يَسْجُدُوا، ومعناه: أَنْ يَسْجُدُوا، و(لا) زائدة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أَنْ تَسْجُدَ.

والخامس: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لَقُبْحِ أَنْ لَا يَسْجُدُوا لله، كما قالوا في قوله: ﴿يُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: كراهة أَنْ تَضِلُّوا، على الإضمار.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: ١١] قال: قرأ عاصم وابنُ عامر وحمزة والكسائي بضمِّ الياء وتشديد الشين ونصبِ سينِ ﴿النُّعَاسِ﴾ من التغشية وهي تعدية الغشيان.

وقرأ نافع بضمِّ الياء وتخفيفِ الشين من الإغشاء، وهو للتعدية أيضاً، ولذلك نصب هو ﴿النُّعَاسِ﴾ أيضاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سينِ ﴿النعاسُ﴾ من الغشيان وهو لازمٌ، و﴿النعاسُ﴾ فاعل.

ويجدرُ التنبيه هنا على أن قوله في آخر النص: (وهو لازم) فيه نظر، فإن الفعل هنا متعدٍّ، ومفعوله مذكورٌ معه، وهو الكافُ في (يغشاكم)، لكن الفرقَ عن القراءتين الآخرين أنه فيهما متعدٍّ لاثنتين، وهنا في (يغشاكم) تعدَّى الفعلُ لواحدٍ، ولعل هذا مرادُ المؤلف باللزوم؛ أي: التعدِّي لواحدٍ في هذه القراءة في مقابلةِ التعدِّي لاثنتين في القراءتين الآخرين.

والمؤلفُ رحمه الله دقيقٌ في عزو القراءاتِ السبعةِ لأصحابها مما يتوافقُ مع المراجع الأساسية لهذه القراءات كـ«السبعة في القراءات» لابن مجاهد، و«التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني، لكن لا يخلو الأمرُ من بعضِ السهو - وهو نادرٌ - كما في قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قال: على قراءة المد: مستويةٌ على

الأرض، من قولهم: ناقةٌ دكاءٌ؛ أي: لا سنام لها، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والتأنيث راجع إلى مؤنثٍ مضمر؛ كأنه قال: جعله أرضاً دكاً، وقرأ الباقون غير ممدودة بالتنوين.

كذا قال في نسبتها والصواب العكس، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بغير مدٍّ، وقرأ باقي السبعة - وهم حمزة والكسائي وعاصم - بالمد؛ كما في «السبعة» و«التيسير».

وله تحقيق في القراءات، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَبَقَرِيَّ حَسَانَ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال: وَمَنْ تَكَلَّفَ وَقرأ: (عَبَقَرِيَّ) بالياء^(١) - لِيَصِحَّ وَصْفُهَا بِالْحِسَانِ جَمْعاً - لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَكَانَ يَصِيرُ جَمْعاً، فَأَمَّا الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ فَيَبْقَى وَاحِداً كـ«الْجَوَالِقِيَّ»، إِلَّا أَنْ يُقْرَأَ: (عَبَاقِر) بدون الياء، فيصيرُ جَمْعاً، وَلَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، فَإِنَّا قُلْنَا: إِنَّ الْعَبَقَرِيَّ جَمْعٌ، وَوَاحِدُهَا: عَبَقَرِيَّةٌ.

وهناك قراءاتٌ من الشواذ ذكرها المؤلف ولم أجدها فيما توفّر لديّ من المصادر، ومنها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] قال: وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: (وإذا كالوا لهم).

وفيما أوردناه كفايةً لبيان المراد، والله تعالى أعلم.

٨ - الإسرائيليات في هذا التفسير:

الإسرائيليات: جمعُ إسرائيليةٍ، نسبةٌ إلى بني إسرائيل، وهي معارفُ اليهود وثقافتُهم المتمثلةُ بالتوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود -

(١) وهي قراءة شاذة نسبت لجمع من السلف، كما نسبت للنبي ﷺ في خبر، لكنه لم يصح، وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه.

وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية، وشروح وتفسير وتعاليم وروايات كانت تُتناقل وتُدّرس شفهيًا من حين إلى آخر - وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها أو تناقلوها عن غيرهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زحرت بها بعض كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حقٌ ففيها باطلٌ كثير، وإن كان فيها صدقٌ ففيها كذبٌ صراح، وإن كان فيها سمينٌ ففيها غثٌ كثير، فمن ثمّ انجرّ ذلك إلى الإسرائيليات.

وقد يتوسّع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملةً لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم، ونحو ذلك؛ وإنما سمّيت إسرائيليّات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم. والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيّات أو من النصرانيّات هو شيءٌ قليلٌ بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يُذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب^(١).

قلتُ: وأخبثُ الإسرائيليات وأكثرُها خطراً هو تلك التي يُخلط فيها بعض آيات القرآن، فلا شكّ أنها من وضع كذابٍ خبيثٍ؛ لأنه أراد بتضمينه إياها آيات من القرآن إيهامَ رفعها، ودفع الشكّ عنها، وهذا أسلوبٌ لجأ إليه بعض الوضّاعين بأن خلطوا مع الإسرائيليات بعض ما ورد في القرآن والسنة؛ ليلبسوا على العامة أنها ليست من الإسرائيليات، وليست مما يقال بالرأي، وبالتالي فهي من المرفوع،

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبه (ص: ١٢ - ١٤).

فينفقوا بذلك أكاذيبهم وأباطيلهم، ويدسُّوا من خلاله شُبُههم، وسيأتي بعض الأمثلة على هذا ضمن هذا الفصل.

وقد كُثِرَ في كتب التفسير إيرادُ الإسرائيليات، وأكثرها كما تقدَّم طامَّاتٌ لم ينبَّه ناقلوها على أصله، ولم يُوقَفْ على قائله، فكانت ماثراً للشكِّ والطعن والتقوُّلِ على الإسلام ونبِيِّهِ ﷺ.

لكن قد نبَّه أبو شهبة رحمه الله هنا إلى مسألةٍ مهمَّةٍ فقال: وأحبُّ أن أنبِّه أنه ليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوباتِ والباطلاتِ مرويةٌ عن كعب الأحمار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم، أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم ذلك بعضُ الناسِ اليومَ، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين روَّوها، ونقلوها لبعضِ الصحابة والتابعين من كتبِ أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقوها واقتجروا أسلافهم القدماء.

ولم يقلْ أحدٌ من أئمة الجرح والتعديلِ على حصافتهم وبُعد نظرهم: إن كعباً ووهباً وعبد الله بن سلام وتميماً الداريَّ وأمثالهم كانوا وضَّاعين، يتعمَّدون الكذب والاختلاقَ من عند أنفسهم، وإنما الذي قالوه عنهم: إنهم كانوا هم الواسطة في حمل ونقلِ معارفِ أهل الكتاب إلى المسلمين، وإن البعضَ رواها عنهم، فليس الذنبُ ذنبهم، وإنما الذنبُ ذنبُ مَنْ نقلها ورواها عنهم من غيرِ بيانٍ لكذبها وبطلانها^(١).

وهبٌ هو عالمُ أهلِ اليمن، روى عن ابن عمرَ وابن عباسٍ وجابرٍ وغيرهم، وكان ثقةً، توفي سنة أربع عشرة ومئة، وقد روي عنه في التفسير رواياتٌ كثيرةٌ جداً، مما في كتب أهل الكتاب.

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٦-٩٧).

وكعبُ الأحبار روى عن النبي ﷺ، ولكنه مرسل؛ لأنه لم يلق النبي ولم يسمع منه، وعن عمر، وصهيب، والسيدة عائشة، وروى عنه من الصحابة معاوية وأبو هريرة وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيره من التابعين. وقد أثنى عليه العلماء، وكان قبل إسلامه يهوديًا عالمًا بكتبهم وثقافتهم، حتى قيل له: كعبُ الحبر، وكعبُ الأحبار.

ويمكن تقسيم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسامٍ لا حجة في ذكر أيٍّ منها:

فمنها: ما علمنا صحته بشرعنا، فما جاء به شرعنا أولى بالذكر.

ومنها: ما علمنا كذبه لكونه خالف ما عندنا، فلا يجوز ذكره.

ومنها: ما هو مسكوتٌ عنه، فلا نكذبه ولا نصدقه، وتجاوز حكايته، لكن لا فائدة فيه تعود على الدين، وإنما لجأ إليه كثير من المفسرين لملء الفراغات التي يتركها القرآن في القصص بأسلوبه المعجز المترفع عن إيراد التفاصيل التي لا لزوم لها، بل قد تشتت الذهن وتصرف عن العبرة التي سقت القصة لأجلها.

وينبغي الاعتراف أن هذا التفسير من التفاسير التي وقع فيها ذكر الكثير من الإسرائيليات، وغالبه نسبه المؤلف رحمه الله لوهب بن منبه، وبعضه عن كعب الأحبار.

ويجب التنبيه هنا إلى ملاحظة مهمة أشار إليها أبو شعبة رحمه الله، وهي أن من أورد الإسرائيليات وعزاها لكعب الأحبار أو وهب بن منبه أو عبد الله بن سلام وأضرابهم، فإنه قد دلَّ بعزوها إليهم أنها مما حملوه وتلقَّوه عن كتبهم ورؤسائهم قبل إسلامهم، ثم لم يزالوا يذكرونه بعد إسلامهم، وأنها ليست مما تلقَّوه عن النبي

أو الصحابة، فكانت نسبتها إليهم تشير إلى مصدرها، ومن أين جاءت، وأن الرواية الإسلامية بريئة منها^(١).

قلت: ولعل هذا يفسر كون بعض هذه الأخبار قد رويت في كتب تُنسب لأئمة كبار من أهل الحديث عُرف عنهم التحري في الأخبار، ككتاب «الزهد» للإمام أحمد، و«تفسير الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم»، فقد روي فيها بعض أخبار وهب التي لا غبار على أنها مما أخذه عن الإسرائيليات، كقصة أيوب التي وردت عند الطبري في أكثر من عشر صفحات، ولم يتعقبها بشيء، وكقصة موسى التي وردت أيضاً مطوّلة في «الزهد» للإمام أحمد، وسيأتي العزو لهذين المصدرين في الكتاب في مواضعه إن شاء الله، فما أورده المؤلف كذلك منسوباً لمن ذكرنا لا يحط من قيمة الكتاب كما لم يحط ذلك من تلك الكتب، نعم قد يكون في الإكثار منها ما يؤخذ عليه.

وتبقى الطائفة في الكثير من الإسرائيليات الذي جاء موقوفاً على الصحابة، ومنسوباً إليهم رضي الله عنهم، فيظن من لا يعلم حقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم بالحديث، أنها متلقاة عن النبي ﷺ؛ لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها. وأما الطائفة الأكبر والأعظم والأخطر فهي أن بعض الزنادقة والوضّاعين وضعفاء الإيمان قد رفعوا هذه الإسرائيليات إلى المعصوم ﷺ، ونسبوا إليه صراحةً، وهنا يكون الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام، والتجني الآثم على النبي ﷺ؛ فإن نسبة الغلط أو الخطأ أو الكذب إلى الراوي أيّاً كان أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي ﷺ^(٢).

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤ - ٩٥).

فهذه مقدمة لا بدَّ منها قبل الخوض فيما ورد في هذا الكتاب من الأخبار التي لا شك أن كثيراً منها هو من خرافات بني إسرائيل وأباطيلهم، فالمؤلف رحمه الله مثل عامة المفسرين لم يتوان عن إيراد الإسرائيليات التي يراها مناسبة للموضع، ولو كان واضحاً أنها كذلك؛ كما في إirاده قصة خلق آدم وأكله من الشجرة نقلاً عن وهب بن منبه، وقد صرح مكِّي بأن ذلك الخبر مما أخذه وهب عن أهل الكتاب.

ومن ذلك ممَّا يوازي الإسرائيليات في الخرافة بل يفوقها قصة النمرود التي رواها المؤلف بالسند المتصل إلى الراوي، وهو دهقان أسلم على زمن عمر، وهي قصة طويلة مليئة بالعجائب والغرائب والأساطير التي لا تقبلها العقول.

- ومن أمثلة ما نقله المؤلف من الإسرائيليات: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، فقد ذكر خبراً عجيباً غريباً لا تقبله عقول ولا تتسع له الأفهام، فقال: وقال وهب: صار أعظم ثعبانٍ نظر إليه الناظرون، أسود مدلهماً يدب على قوائم غلاظٍ قصارٍ شدادٍ في مثل بدن البُختي العظيم، إلا أنه أطول منه بدنًا وعنقًا ومشفرًا، وإن له ذنبًا طويلًا غليظًا يقوم عليه فيُشرف على حيطان المدينة برأسه وعنقه، ثم يقع على الأرض فلا يأتي على شيء إلا حطمه، وخدش بقوائمه الصخر والرَّخام والحيطان والبيوت، حتى يرمي بعضُها على بعضٍ، يتنفس في البيوت والخزائن فيشتعل كل شيء منها نارًا، وله عينان تتوقدان نارًا، ومنخران يخرج منهما الدخان، وقد صار له المحجن عُرفًا على ظهره، وشعورًا سودًا غلاظًا مثل الرِّماح الطَّوال لا يُصيب منها شيئًا إلا قطعه، وقد جعلت الشعبتان له فمًا مثل القلب الواسع يخرج منه رياح السموم لا يُصيب أحدًا منه نفخةٌ إلا صار أسود مثل الليل المظلم، في فيه أضراسٌ وأنيابٌ، في أعلى شدة اثنتان وسبعون ضرسًا، وفي أسفلِه مثل ذلك، له صريرٌ يصمُّ من سمعه، ما يسمعُ الرجل كلامَ جليسه إذا ضرب

أضرأسه بعضُها على بعضٍ، وإنه ليهدر مثل البعير يتزبد شدقاه زبدًا أبيض، يتطاير لعبه فلا يقع منه قطرة على أحدٍ إلا اشتعل برصاً، فأدخل الثعبان أحدَ شدقيه تحت سريرِ فرعونَ والآخرَ فوقه وفرعونُ - لعنه الله - على سريرهِ، فسَلَحَ في ثيابه، فلمَّا عاين الناسُ ذلك من أمر الثعبان - وكان قد اجتمع أهلُ المدينة بأسرهم - انهزموا وولَّوْا ذاهبين، وتزاحموا في الأبواب، وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً، فمات يومئذ خمسٌ وعشرون ألفاً، فقام فرعونُ اللعينُ فوقَ عن سريرهِ، وكان الله تعالى قد أملى له حتى كان يمكثُ أربعينَ يوماً لا يخرجُ من بطنه شيءٌ، ولا يحدثُ إلا في كلِّ أربعينَ يوماً مرةً، فلمَّا كان يومئذٍ أحدثَ في ثيابه حتى علمَ به جلساؤه، وكان يأكلُ ويشرب جاهداً، ولا يبصقُ ولا يتمخطُ لا يتنخَّعُ ولا تذرِفُ عيناه، ولا يمرضُ ولا يصدغُ ولا يسقمُ ولا يهرمُ ولا يفتقرُ، شابَّ السنُّ، فكان على هذا أربعَ مئةَ سنةٍ، فلمَّا كان يومئذٍ أحدثَ وبصقَ وامتخَطَ وأخذَه المرضُ والصُّدَاعُ واختلفَ بطنُه أربعينَ مرةً، فلم يزل بعد ذلك يختلفُ حتى مات عليه.

هذا الخبرُ رواه ابنُ عساکر في «تاريخه»، وهو مع ما فيه من المبالغاتِ التي لا يقبلُها العقل، فيه مخالفةٌ لِمَا جاء به الشرعُ، فهذا الحيوان بوصفه المذكور في هذه القصة يخالفُ نصَّ القرآن الذي جاء فيه أنه حيَّةٌ تسعى، وأنه ثعبانٌ مُبين، وهذا المذكور لا يُشبهه الحيَّة ولا الثعبان، ولا حتى غيرهما من الحيوانات التي نعرفُها أو نتخيَّلُها، ثم من الذي استطاع أن يثبتَ في ذلك الموقفِ الرهيبِ الغريبِ العجيبِ ليعدَّ أضرأسه التي في شدقه الأعلى أنها اثنان وسبعون، وإن تسنى له ذلك واستطاعه فكيف عرَفَ عددَ تلك التي في شدقه الأسفل؟! وكيف هي الوسيلةُ التي عرَفَ بها جلساءُ فرعون أنه أحدث؟ أو من هو الذي كان بينَ جلسائه ونقلَ لنا هذا الحدث؟

أم كيف عُرف كم اختلف بطنُ فرعون إذ ذاك؟ ومَن الذي كان يراقبه ويعدُّ ذلك الحدث عليه؟ فلا شكَّ أن هذا الخبر من أباطيل بني إسرائيل.

- ثم ذكر بعده المؤلفُ عن الحسن أنه قال: ولمَّا عاينَ ذلك قال: يا موسى، ارجع يومك هذا وكفَّ ثعبانك هذا، قاله سرَّادون أصحابه، وقال لأصحابه: ﴿إِنَّ هَذَا السِّحْرُ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقال له: يا موسى، أَلَا رَفَقْتَ بِالْأَمْرِ، قَتَلْتَ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ أَلْفًا، بهذا أَمَرَكَ رَبُّكَ الذي بعثك؟ قال: يا فرعون، أنتَ فعلتَ هذا، يا فرعونُ أسألكَ واحدةً وأعطيك أربعًا، قال: وما الَّذي تسألني؟ قال: أسألكَ أن تعبدَ الله وحده ولا تشركَ به شيئًا، وأعطيك الشبابَ لا تهرم، والملكَ لا ينازعك فيه أحد، والصحةَ لا تسقم، والجنةَ خالدًا، فخضعَ له فرعون وقال: حتى أستمِرَّ آسِيَةً بِنْتَ مِزَاحِمٍ، فدخلَ عليها فقال لها: يا آسِيَةُ، أَلَا تَرَيْنِ إِلَى مُوسَى إِلَى مَا يَدْعُونِي وَمَا يَعْطِينِي؟ قالت: وما هو؟ قال: يدعونني إلى أن أعبدَ الله ولا أشركَ به شيئًا، وأنَّ لي الشبابَ لا أهرمُ، والملكَ لا ينازعُنِي فيه أحد، والصحةَ لا أسقمُ، والجنةَ خالدًا، قالت: يا فرعون، وهل رأيتَ أحدًا يصيبُ هذا فيدعُه؟ قال: فخرجَ فدعا هامانَ - قال الحسن رحمه الله: وكان لا يُعرف له نسبٌ - فذكرَ له ذلك واستشاره، فقال له هامان: أَتَعْبُدُ بَعْدَ إِذْ كُنْتَ تُعْبَدُ؟! فبدا له وذكرَ أَمَرَ الشَّيْبِ، فقال: أَنَا أَرَدُّكَ شَابًّا، فَخَضَّبَهُ بِالسَّوَادِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَضَّبَ بِالسَّوَادِ، فدخلَ على آسِيَةَ، وقال: يا آسِيَةُ، أَلَا تَرَيْنِي صَرْتُ شَابًّا؟ قالت: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ؟ قال: هامان، قالت: ذاكَ إِن لَّمْ يَنْصَلْ.

وهذا أيضًا رواه ابنُ عسَكر في «تاريخه»، وليس هذا بأحسنَ من سابقه، ولا شكَّ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ عَلَى الْحَسَنِ، وَمَنْ وَضَعَهُ كَذَابٌ خَبِيثٌ، فَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْهُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ هُوَ صَاحِبُ كِتَابِ

«المبتدأ» كَذَّبَهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وقال الدارقطني: كَذَّابٌ متروك. وقال ابن حبان: لا يحلُّ كَتْبُ حديثه إلا على جهة التعجب^(١).

كما أن قولَ فرعون: قَتَلْتُ خَمْسَةً وَعَشْرِينَ أَلْفًا، ظاهر أنه مبنيٌّ على الخبر السابق وتابعٌ له، والسابق رواه ابن عساكر من طريق إسحاق عن إدريس عن وهب، ولعله مكذوب على وهب أيضاً، فإسحاق هو ابنُ بشرٍ، وقد ذكرنا حاله، وإدريس هو ابنُ سنانٍ سبطُ وهب بن منبه، قال عنه الدارقطني: متروك^(٢).

ثم كيف يُتصوَّر أن يدعو موسى فرعونَ إلى الإيمان بالله على أساس تلك المرغبات التي يخالف بعضها سنة الله في عباده، فمن ذا الذي يعطى الشباب بلا هَرَمٍ، والصحة بلا سقم؟! وأيُّ إيمان هذا الذي يُبنى على زهرة الحياة الدنيا التي هي فتنةٌ للكفار وليست طريقاً للإيمان بالله سبحانه؟ كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فأَيُّ ميزة لفرعون حتى يكونَ ما جُعلَ فتنةً لغيره سبيلاً له إلى الإيمان؟ علماً أن هذا التمتع الذي في الآية هو أقلُّ بكثيرٍ مما وعد به موسى فرعون في هذا الخبر.

وإنما قلتُ: إن واضعها كذابٌ خبيث؛ لأنه ضَمَّنَ الخبر آيةً من القرآن لإيهام رفعها، وقد تقدَّم بيان ذلك، ومن الأمثلة عليه أيضاً ما ذكره المؤلف في الآية نفسها عن قتادة، حيث قال:

وقال قتادة: لَمَّا أَخَذَ مُوسَى الْأَلْوَحَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَةِ - أَيْ: الْأَلْوَحِ - أُمَّةً هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٨٠).

فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد ﷺ، فقال: يا رب، إني أجد في التوراة أمة سَمَّيْتَهُم المتقين وسمَّيْتَهُم عابدين وصالحين؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمة يأخذون صدقاتها فيأكلونها في بطونهم فيؤجرون عليها؟ قال: هم أمة محمد، قال يا رب، إني أجد في التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمة يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الدجال؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم؟ فقال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمة الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها نبيهم، وعلى الأمم حتى تدخلها أمته؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمة غفرت لهم قبل أن يستغفروك، وأعطيتهم قبل أن يسألوك؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمة رضوا عنك باليسير من الرزق ورضيت عنهم باليسير من العمل؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمة هم الشافعون والمشفوع لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: فاجعلهم أمتي، قال: إنك لن تدركهم، فقال موسى: الوفد وفدي والحياء لأمة محمد، فاجعلني من أمة محمد، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ الآية، فرضي، وزيد: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

قال أبو شهبه: إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه، والسند مطعون فيه، وهي أمور مأخوذة من القرآن والأحاديث، ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة، وجعلت على لسان موسى عليه السلام.

ثم نقل عن ابن كثير قوله: وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضّاعون، وأفّاكون وزنادقة.

قال: وصدق ابن كثير فيما قال، وأرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كي يُظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين، لا بمظهر الإخوان المتحابين...

قال: ومما يؤيد أنه من وضع الإسرائيليين الدُّهاة أن نحواً من هذا المروي عن قتادة قد رواه الثعلبي وتلميذه البغوي عن كعب الأخبار، ولا خلاف إلا في تقديم بعض الفضائل وتأخير البعض الآخر^(١).

فهذا مجمل ما لاح لنا في استبيان منهج المؤلف في هذا السفر الكبير، وهو بحاجة إلى أفراد دراسات أكاديمية علمية عنه، لعل الله ييسر - بعد أن منّ علينا بإخراجه للنور - من يقوم عليه من الطلبة والباحثين بالدراسات اللائقة به في قادم الأيام. والله الموفق.

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠٥).

سادساً: وصف النسخ الخطية

تمّ الاعتمادُ في تحقيق هذا الكتابِ على ثلاثِ نسخٍ خطيةٍ، تكاملت مع بعضها لإخراج النصّ على أقرب صورةٍ أرادها مؤلّفها إن شاء الله تعالى.

النسخة الأولى:

نسخة مكتبة (أيا صوفيا) التابعة إلى المكتبة السلیمانية في إسطنبول، وهي مكوّنة من مجلدين برقم (٩٦) (٩٦)، يقع المجلد الأول منها في (٣٧٩) ورقة، والمجلد الثاني في (٣٩٢) ورقة، وفي كلّ ورقةٍ وجهان، وفي الوجه (٣١) سطراً تقريباً، تمّ الفراغُ من نسخِ المجلدِ الأولِ عامَ (٩٦٩هـ)، والثاني عامَ (٩٧٣هـ)، وهي أتقنُ النسخ وأدقّها، تميّزت بوضوح الخط، وقلة التصحيّفات والسُّقوط، ولوّنت الآيات فيها بالمداد الأحمر.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (أ).

النسخة الثانية:

نسخة مكتبة (فيض الله أفندي) في إسطنبول برقم (٨٨)، تقع في مجلدٍ واحد في (٤١٧) ورقة، في كلّ ورقةٍ وجهان من القَطْع الكبير، وفي الوجه (٦٣) سطراً تقريباً، وهي نسخةٌ جيّدةٌ واضحةُ الخط، اختصّت بترجمة العبارات الفارسية التي أوردتها المصنّف إلى العربية، وبضبط بعض الكلمات المشكّلة، إلا أنه كثر فيها السُّقوط، وفي آخرها نظمٌ للإمام نجم الدين النسفي بعد فراغه من تصنيفه، كُتبت النسخة في الثاني والعشرين من جمادى الآخر سنة (٨٦٠هـ).

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ف).

النسخة الثالثة:

نسخة مكتبة (راغب باشا) التابعة إلى المكتبة السلিমانيّة في إسطنبول، برقم (٩٩)، تقع في مجلد واحد في (٦٠٩) ورقات، وفي كلّ ورقة وجهان، وفي الوجه (٤٤) سطراً تقريباً، ليس فيها ذكرٌ لاسمِ الناسخ أو تاريخِ النسخ، وهي نسخة جيدة فيها بعضُ التصحيّفات، وفي آخرها النظمُ نفسه الذي تقدّم في النسخة السابقة.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ر).

سابعاً: عملنا في الكتاب

وأخيراً فإننا لم ندّخر وسعاً في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه على الوجه اللائق به، ونسأل الله سبحانه أن نكون قد وفقنا في مسعانا، وقد تلخّص عملنا فيه بما يلي:

١ - تمّ تحقيق الكتاب على عددٍ من النسخ الخطية النفيسة التي تقدّم وصفها آنفاً، وقد قمنا بنسخه من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا المرموز لها بـ (ر) وقابلنا الكتاب عليها، ثم قمنا بمقابلته على النسختين الآخرين لمكتبتي أيا صوفيا (أ) وفيض الله أفندي (ف)، وقد حرصنا على إثبات الصواب أو الأنسب بسياق الكلام، مع الإشارة إلى فروق النسخ الخطية، وإهمال الفروق التي التحريف فيها ظاهراً ولا فائدة في إثباتها بل تثقل الحواشي بلا داع. ولا يستغربنّ مُطالعُ هذا التفسير كثرة فروق النسخ الخطية التي فيه فقد كانت أضعاف ما هي عليه في ثوبها الأخير، وبذلنا جهدنا في الاختصار والاقتصاد في إثبات الفروق.

٢ - ضبط النصّ وتفصيله وترقيمه بعلامات الترقيم المناسبة التي تُساعد على فهمه، مع العناية بضبط المُشكِـل.

٣ - الحرص على أن يكون النصّ صحيحاً سالماً من الأخطاء والتحريفات والسقوبات، ومن ذلك مقابلته على المراجع التي اعتاد المؤلف النقل منها، والاستفادة من ذلك في تصحيح التحريف، واستدراك الساقط بين معكوفتين، وشرح المبهّم، والتنبيه على الخطأ، وغير ذلك.

٤ - تخريج جميع الأحاديث المرفوعة من مصادر التخريج مقتصرين على الصحيحين أو أحدهما إن وجد فيه الحديث، وإلا فمِن باقي الكتب الستة و«مسند

الإمام أحمد»، فإن لم يُوجد الحديثُ فيها فمن باقي كتب التخريج، مع شرح ما فيها من غريب، وبيانِ علةٍ إن وُجدت.

٥ - تخريجُ الأخبار والآثار وأسبابِ النزول الواردة فيه من كتبِ التخريج والتفسير وأسبابِ النزول.

٦ - تخريجُ الشواهد الشعرية وغيرها من كتب دواوين الشعر، فإن تعذر فمن باقي كتب الأدب المعتمدة، مع شرح الغريب إن وُجد.

٧ - توثيقُ ما ينقله المصنفُ من مصادره مع مقابله على ما جاء في تلك المصادر لضمان صحة النص، وبيان الاختلاف إن وجد وكان وجيهاً.

٨ - تعقُّبُ المصنف إن وقع خطأً أو سهوٌ أو سبقُ قلم، والتعليقُ في المواضع التي تحتاج إلى تعليق.

٩ - كتابةُ مقدمةٍ للكتاب تتضمنُ بيانَ موقعِ هذا التفسير وأهمِّ المراجع التي نهل منها، مع ترجمة المؤلف ترجمةً وافية، كما قُمنَا بدراسةٍ مستفيضة لخصائص هذا التفسير ولمنهج المؤلف فيه.

١٠ - تذييل الكتاب بالفهارس العلمية المناسبة.

والحمد لله رب العالمين،

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

صور المخطوطات

[illegible]

الفقر

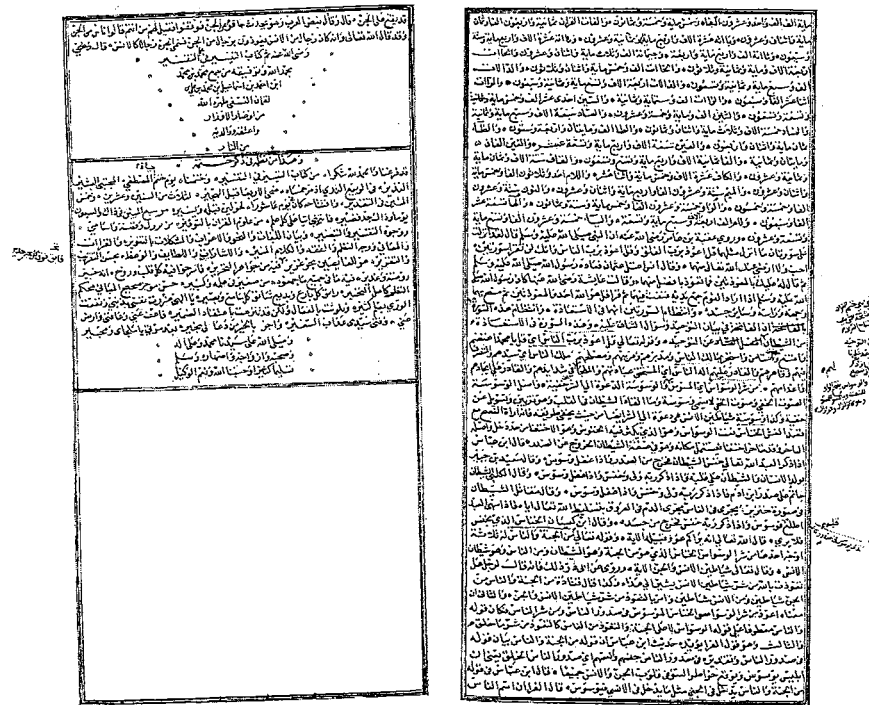
[illegible]

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة أيا صوفيا والمرموز لها بـ (أ)

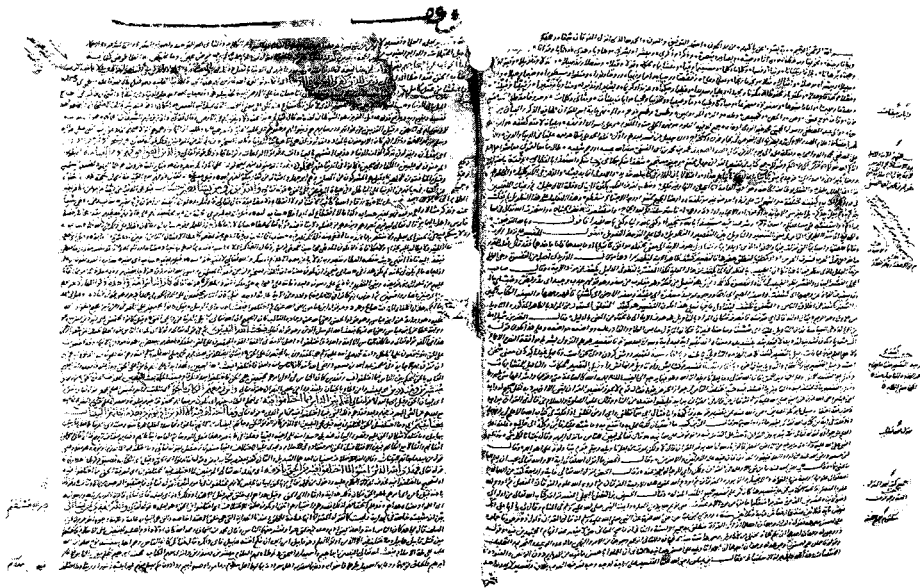
[illegible]

والكاظم

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ (ر)



صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ (ر)



صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة فيض الله والمرموز لها ب (ف)

التَّيْسِيَّةُ
فِي
التَّفْسِيرِ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ
أَبِي حَفْصٍ النَّسَفِيُّ
نَجْمُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ النَّسَفِيِّ الْحَنْفِيِّ
٥٢٧-٤٦١ هـ

نُطْبِعَ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى نَدْوَى شَرْعِ فَطَنَةِ

التَّيْسِيَّةُ

فِي

التَّفْسِيرِ

(١)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

يُمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المساءلة الدنيوية والأخروية



دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00905454729850

00902125255551

info@allobab.com



İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ،
رَبِّ تَمِّمْ بِالْخَيْرِ، وَبِهِ ثِقَتِي وَرَجَائِي^(١).

الحمد لله الذي أنزل القرآن^(٢) شفاءً ورحمة، وفضلاً ونعمة، وحكماً وحكمة،
وبياناً وبيّنة، وتخويفاً وموعظة، وميراثاً^(٣) ووصية، وبصائر وتبصرة، وتذكيراً
وتذكرة، وذكرًا وذكرى، ومبشراً وبُشْرَى، وهادياً وهدى، وكتاباً وقرآناً، وحديثاً
وفرقاناً، وحجةً وبرهاناً، وبلاغاً وتبياناً، ونبأً وقسماً، وكلاماً وكليماً، ومستقيماً
وقيماً، ومتشابهاً ومحكماً، وقولاً وقِيلاً، ومفصلاً وتفصيلاً، ومُنزَلاً وتنزيلاً،
وصراطاً وسيلاً، وميسراً وموصلاً، وأمثالاً ومُثَلّاً، ونُجوماً ونُجُماً، ومعلماً وعلماً،
وقصصاً ووَحْيًا، وأمرًا ونهياً، ورُوحاً ونوراً، ومتلوّاً ومسطوراً، وخبراً وحَبْلاً، وحقّاً
وفصلاً، وصدقاً وعدلاً، ومكتوباً ومكنوناً ومحفوظاً، ومجيداً وعظيماً، وعليّاً
وحكيماً^(٤)، وعزيزاً وكريماً، وبشيراً ونذيراً، ومنادياً ومنيراً، ومُبِيناً ومُبِينًا، ومصدقاً

(١) في (ف): «رب يسر وأعن يا كريم، من مُمد الكون أستمَد التوفيق والعون»، وسقطت العبارة من (أ).

(٢) في (ف): «الفرقان».

(٣) في (أ): «وميزاناً».

(٤) في (ف): «ومكتوباً ومحفوظاً ومكنوناً ومجيداً وعليّاً وسديداً وعظيماً وحكيماً». ومن قوله: «وخبراً وحَبْلاً...» إلى هنا سقط من (أ).

وَمُهِمَّنَا، وَإِمَامًا وَمَتْبوعًا^(١)، وَمَعْقُولًا وَمَسْموعًا، وَمَبَارَكًا وَطَيِّبًا، وَمَاءً وَصَيِّبًا، وَغَرِيْبًا وَعَجَبًا^(٢)، وَأَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَمُبَيِّنَاتٍ وَمُبَيِّنَاتٍ^(٣)، وَمَثَانِيَّ وَكَلِمَاتٍ، وَحُرُوفًا مَقْطَعَاتٍ، مِثْلُ ﴿تَ﴾ وَ﴿قَ﴾ وَ﴿حَمَ﴾ ① ﴿عَسَقَ﴾ وَ﴿صَ﴾ وَ﴿الْمَصَ﴾ وَ﴿كَهَيْعَصَ﴾ وَ﴿طَهَ﴾ وَ﴿الرَّ﴾ وَ﴿الْمَرَّ﴾ وَ﴿يَسَ﴾ وَ﴿طَسَ﴾ وَ﴿طَسَمَ﴾ وَ﴿حَمَ﴾ وَ﴿الْمَ﴾. فَهِيَ^(٤) مِثْلُ اسْمٍ لِلْقُرْآنِ، لَهَا^(٥) فِيهِ الذِّكْرُ وَالْبَيَانُ، بِهَا كُلُّهَا سَمَاءُ^(٦)، وَإِلَى عَبْدِهِ الْمُصْطَفَى وَرَسُولِهِ الْمُجْتَبَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى ﷺ أَوْحَاهُ، جَمَعَ لَهُ فِيهِ الْعُلُومَ، وَفَهَّمَهُ الْجَلِيَّ مِنْهُ وَالْمَكْتُومَ، وَعَلَى أَسْرَارِهِ أَوْقَفَهُ، وَبَيَّانَهُ لِأُمَّتِهِ كَشَفَهُ، وَأَبْرَزَ مَوَدَّعَاتِهِ لَهُمْ بِاسْتِنْبَاطِ أَعْلَامِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَيَسَّرَ بِهِ إِلَى الْغُوصِ فِي بَحَارِ غُرَرِهِ^(٧) وَاسْتَخْرَاجِ دُرَرِهِ سَبِيلَ مَنْ فَسَّرَ بَعْدَهُمْ وَأَوَّلَ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى^(٨) تَظَاهُرِ نِعَمِهِ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَقْلَةٍ عِلْمِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الزَّاهِدُ الْأَسْتَاذُ الْحَجَّاجُ^(٩)، نَجْمُ الدِّينِ، زَيْنُ

(١) فِي (ف): «وَأِمَامًا وَمَتْبوعًا».

(٢) فِي (ف): «وَعَرِيْبًا وَعَجَبًا»، وَفِي (ر): «وَعَرِيْبًا وَعَجْمِيًّا».

(٣) قَوْلُهُ: «وَمُبَيِّنَاتٍ وَمُبَيِّنَاتٍ» سَقَطَ مِنْ (ف)، وَجَاءَ فِي هَامِشِهَا: «وَأَيَاتٍ مَبِينَاتٍ».

(٤) فِي (أ): «وَهِيَ».

(٥) فِي (أ) وَ(ر): «لَمَّا».

(٦) فِي (ر): «سَمَاءُ اللَّهِ».

(٧) فِي (ر): (غُورُهُ).

(٨) فِي (أ): «فِي».

(٩) «الْحَجَّاجُ» لَيْسَتْ فِي (ر)، وَسَيَأْتِي لَفْظُ (ف). وَالْحَجَّاجُ: حَاجِبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: بَدَأَ حَجَّاجُ الشَّمْسِ، أَي: حَاجِبُهَا، وَهُوَ قَرْنُهَا، وَهُوَ مَجَازٌ. انْظُرْ: «التَّاج» (مَادَّة: حَجَج).

الأئمة، جمال الإسلام والمسلمين، أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي^(١)، ستر الله عيبه ورحم شبيهه، رحمه الله عليه^(٢): طال ما سألتُموني معاشر أهل العلم - أتاكم الله سُؤلكم، وسهّل إلى المرادات وصولكم - جمع كتاب في تفسير القرآن سهل ممتنع، وجيز مستجمع، شغفاً منكم بكلامي، وحباً منكم^(٣) واستعداداً لنظامي، وثقةً باختياري، ورضى بإيرادي وإصداري، فوجدتُم مني تأبياً بأعذار، وتأبياً على حذار، واعتلاياً بأن الكلام في كتاب الله شديد، والأمد في إنهائه بعيد، والذهن في الكبر قليل، والخاطر على ترادف العلل عليل، والشغل بوظائف الخاصّة وحوادث العامة آناء الليل والنهار غير قليل، وخطب تفرّق القلب بكثرة العيال وقلة المال جليل.

ثم رغبتُ الملتَمِسِينَ في قَدْر ذلك الكتاب وكيفيّته مختلفّة، والشهوات على نمطٍ واحدٍ منه غير مؤتلفة، وإرضاء الجميع ممتنع، ورجاء الاجتماع مُنقطع، وهذا التعليل على هذا التطويل لم يُقلّ حدّكم، ولم يُقلّ جدّكم، بل أُبيّث مني إلا الإجابة بدءاً وعوداً، والإيجاب إرادةً وروداً، فاسترسلتُ لكم بعد الجَمّاح، واستشعرتُ لكم بخفض^(٤) الجَنّاح، واستخرتُ الله تعالى في إسعافكم بمرادكم، واستعنته على مساعدتكم وإسعادكم، وشرّعتُ فيه مستعيذاً بالله تعالى ومستجيراً، وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً.

(١) في (ف): «قال العبد الضعيف عمر بن محمد بن أحمد النسفي»، وجاء في هامشها كالمثبت لكن

دون كلمة: «الحجاج».

(٢) من قوله: «ستر الله عيبه...» إلى هنا، وقع بدلاً منه في (أ): «رحمه الله».

(٣) «وحباً منكم» من (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «واستشعرت خفض».

فأقول وبالله التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق:

الناس في معنى التفسير والتأويل بين التّقصير والتّطويل، ولنا على التوسّط التعويل؛ فنقول:

التفسير: علمُ نزول الآية وشأنها وقصّتها، والأسباب^(١) التي نزلت فيها، والأقوام الذين أريدوا بها، ولا يُتكلّم إلا بالسمع.

والتأويل: صرفُ الآية إلى معنى تحتمله موافق لما قبلها وما بعدها.

فأمّا مأخذهما: فقد قال ثعلبٌ: التفسير مأخوذٌ من قول العرب: فسّرتُ الفرس، إذا ركضتها لينطلق حُضرها^(٢)، فالتفسير: كشفُ ظاهر الآية ليظهر مرادها.

وقال الدّريدي^(٣): أصله من التّفسرة، وهي الدليل من ماء العليل الذي ينظر فيه

(١) في (ف): «وأسبابها»، وفي هامشها: «والأسباب».

(٢) ضبطت الحاء في (أ) و(ر) بالضم، والحُضر - بضم الحاء - كما في «القاموس» (مادة: حضر): ارتفاع الفرس في عدوه. وقول ثعلب نقله أبو حيان بلفظ: (فسرت الفرس: عرّيته لينطلق في حُضره)، ثم قال: (وهو راجعٌ لمعنى الكشف، فكأنّه كشفَ ظهره لهذا الذي يريدُه منه من الجري)، وهذا يدل على أن الكلمة بالحاء والضاد، لكنها وقعت في بعض المصادر بالحاء والصاد، قال الثعلبي: هو من قول العرب: فسرتُ الفرس: إذا ركضتها مصورة لينطلق حَصيرها. وأوضح من هذا قول الفيروز أبادي: وقيل: اشتقاقه من قول العرب: فسرت الفرس وفسرته؛ أي: أجرته وأعديته إذا كان به حُضر، ليستطلق بطئه، وكأنّ المفسّر يجري فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، ويُحلّ عقد إشكالها. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/٨٦)، و«البحر المحيط» (١/٣٦)، و«وبصائر ذوي التمييز» للفيروز أبادي (١/٧٨).

(٣) الدّريدي بضم الدال المهملة وفتح الراء، هذه النسبة إلى الجد، وعرف بها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي الدوسي، بصري المولد نشأ بعمان وطلب الأدب، وورد بغداد بعد أن =

الأطباء^(١)، فكما أن الطبيب بالنظر في الماء يكشف عن حال العلة، فكذا المفسر بالنظر في الدليل يكشف عن مراد الآية.

وقال صاحب «المجمل»: الفسر: البيان، والفسر: نظر الطبيب في الماء، والتفسر: كذلك^(٢).

وقيل: هو تفعيل من فسر، وهو مقلوب من سفر، وهو كقولهم: جذب وجذب؛ أي: مدّ، وبَصَّ وضَبَّ الماء؛ أي: سال، وقد سَفَرَت المرأة عن وجهها؛ أي: كشفت، وأسفر الصبح؛ أي: أضاء، ووجوه^(٣) مُسْفَرَة؛ أي: مُضيئة، وسَفَر الأرض؛ أي: كنسها^(٤) فأظهر وجهها، والسفر: الكتاب المبين^(٥)، والسفر يكشف عن أخلاق الناس، والسفرة تُكشف لِيُتناول ما فيها.

فعلى هذا يكون التفسير هو: كشف المنغلق المستور من المراد بالظاهر المذكور.

= أسن فأقام بها إلى آخر عمره، حدث عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم السجستاني، والرياشي، وغيرهم، وهو الإمام المشهور في اللغة، وله شعر حسن، روى عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وغيرهما، وتوفي ببغداد سنة (٣٢١هـ). انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الجزري (٤٩٩/١). وقوله الآتي لم أجده في «الجمهرة» ولا غيره من كتبه المطبوعة، لكن رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨٦/١).

(١) في (ر): «الطبيب».

(٢) انظر: «مجلد اللغة» لابن فارس (ص: ٧٢١).

(٣) بعدها في (ف) زيادة: «يومئذ».

(٤) في (ر) و(ف): «كشفها».

(٥) في (ر): «البيان».

والتأويل من الأول وهو الرجوع^(١)؛ يقال: أوْلته قال؛ أي: صرّفته فانصرفت، فكأن المراد بالتأويل: هو صرف الآية إلى ما تحتمله من المعنى بالدليل.

وقال النّضربن شَمِيل^(٢): أصله من الإيالة وهي السياسة، يقال: أُنّا وإيل علينا؛ أي: سُنّا وساسنا غيرنا، فكأن المؤول سائس الكلام والقادر عليه، وواضعه مواضعه.

وعلى هذا يكون^(٣) آل متعدياً، ويكون تشديده لترديده لا لتعديته بتشديده، ومعناه: أنه تتبّع آية بعد آية وسورة بعد سورة.

فالتفسير هو علم النزول لا يتكلّم فيه إلا بالسماع، والتأويل سائغ بالاستنباط بشرط موافقة النص والإجماع، ولأهل العلم فيهما عبارات:

قيل: التفسير كشف ظاهر الكلام، والتأويل كشف باطنه، وبالفارسية: (تفسير روشن کردن روی سخن است، وتأويل^(٤) پیدا کردن مغز سخن است)^(٥).

وقيل: التفسير بيان أول الكلام، والتأويل بيان آخره، وبالفارسية: (تفسير من كشایش را، وتأويل مر نما یش را).

وقيل: التفسير للمُحكّمات، والتأويل للمتشابهات.

وقيل: علم التفسير للخلق، وعلم التأويل للحق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

(١) في (ر): «الرجع».

(٢) في (أ): «سهيل»، وهو تحريف، والكلام الآتي رواه عن النضر: الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٨٧).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «قوله».

(٤) في (ر): «والتأويل».

(٥) في (ف): «تعريبه: التفسير معناه إيضاح ظاهر الكلام، والتأويل معناه: إظهار معنى الكلام»

تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهَ ﴿[آل عمران: ٧] وهو فيما يَرْجِعُ إِلَى التَّأْوِيلِ^(١): الغَيْبُ الَّذِي أَبْهَمَهُ اللَّهُ؛ كَالسَّاعَةِ مَتَى وَقُوعُهَا؟ وَأَشْرَاطُهَا مَتَى ظُهُورُهَا؟

وقيل: التفسير ما لا يُخْتَلَفُ فِيهِ، والتأويل ما اُخْتَلَفَ فِيهِ.

ثم اُخْتَلَفَ النَّاسُ فِي جَوَازِ الْخَوْضِ فِيهِمَا:

فَقَالَ قَوْمٌ: لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَرُدَّ بِهِ نَقْلٌ صَحِيحٌ؛ لِرَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»^(٣).

وَسُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَكَهَأَ وَابَّأَ﴾ فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا^(٤) لَا عِلْمَ لِي بِهِ؟^(٥)!

(١) «التأويل» من (ر).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» برواية ابن العبد كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤٢٣)، والترمذي (٢٩٥٠) و(٢٩٥١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣١). قال الترمذي: حديثٌ حَسَنٌ. قلت: في إسناده عبد الأعلى الثعلبي وهو ضعيف.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣٢) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ غَرِيبٌ، وقد تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي سَهِيلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ.

(٤) في (ر): «بما».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٠٧).

وفي رواية قال^(١): إِذَا قُلْتُ فِي آيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا^(٢).
 وقال أبيُّ بن كعب رضي الله تعالى عنه: مَا اسْتَبَانَ لَكَ فَاعْمَلْ بِهِ وَانْتَفِعْ بِهِ، وَمَا
 شَبَّهَ عَلَيْكَ فَامِنْ بِهِ وَكُلَّهُ إِلَى عَالِمِهِ^(٣).
 وعامةُ أهل العلم على جوازه؛ لقوله تعالى^(٤): ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]،
 وهو حثٌّ على التأمل فيه والوقوف^(٥) على معانيه.
 وقال تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].
 وقال الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].
 وقال تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
 وقال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْأَرْضِ الْعِلْمُ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يُرْفَعُ^(٦)
 الْقُرْآنُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ يَمُوتُ مَنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ، وَيَبْقَى قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى أَهْوَائِهِمْ»^(٧).
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ^(٨).

(١) «قال» ليس في (ف).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٣٩ - تفسير). ووقع في (ر): «لغير ما أراد..»، والمثبت من باقي
 النسخ والمصدر.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٨١).

(٤) في هامش (ف): «بقول الله تعالى».

(٥) في (ر): «للووقوف».

(٦) في (ر): «أُيرفع».

(٧) رواه عبد بن حميد عن أبي قلابة عن النبي ﷺ، وهو مرسل. انظر: «الدر المشور» (٦٩/٢).

(٨) رواه ابن المبارك في «الجهاد» (٨١٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٩٦)، والفريابي =

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: ما أنزل الله تعالى آيةً إلا والله تعالى يحبُّ أن يَعْلَمَ العبادُ ما عَنَى بها^(١).

وقال عليُّ رضي الله تعالى عنه: ما من شيءٍ إلا وعِلْمُهُ في القرآن، ولكنَّ رأيَ الرجال يَعجزُ عنه^(٢).

وقال الحسن: أنزل الله تعالى مئةً وأربعةَ كتبٍ من السماء، أودَعَ علومَها أربعةً منها: التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقان، ثم أودَعَ^(٣) علومَ هذه الأربعةَ القرآنَ^(٤)، ثم أودَعَ الله علومَ القرآنِ^(٥) المفصَّلَ، ثم أودَعَ الله علومَ المفصَّلِ فاتحةَ الكتابِ^(٦)، فَمَنْ عَلِمَ تفسيرَها كان كَمَنْ عَلِمَ تفسيرَ جميعِ كتبِ الله^(٧) المنزلةَ^(٨).

= في «فضائل القرآن» (٧٨)، بلفظ: (إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه...). ورواه أبو الليث في تفسيره «بحر العلوم» (٣٥ / ١) بلفظ: (من أراد العلم فليثر القرآن.. وفي رواية أخرى عنده: (فليؤثر)).

(١) رواه عبد بن حميد في «تفسيره». انظر: «الدر المنثور» (٦٩ / ٢).
(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٣٥ / ١)، و«المحرر الوجيز» (٤٠ / ١)، ورواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للبقاعي (٣٧٩ / ١). وروى أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٩٦)، وزهير بن حرب في «العلم» (٥٠) عن مسروق قال: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء، إلا وعلمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

(٣) في (أ): «أودع الله تعالى». (٤) في (أ) و(ف): «الفرقان». (٥) في (أ) و(ف): «الفرقان». (٦) بعدها في (ر) زيادة: «ثم أودَعَ علومَ فاتحةَ الكتاب (بسم الله)، ثم أودع علومَ (بسم الله) بآءه، ومعناه: بي كلُّ ما كان، وبي كلُّ ما يكون» وليست هذه الزيادة في (أ) و(ف)، ولا في مصادر التخريج الآتية. (٧) في (ر) و(ف): «الكتب»، والمثبت من (أ) وهامش (ف)، والمصادر. (٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩١ / ١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٣٧١).

وقال الحسين بن الفضل البجلي المفسر^(١) رحمه الله: قرأت كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره ثمانية وعشرين ألف مرة متدبراً متفكراً، ما منها من مرة إلا وعثرت على نوع جديد من العلم، ورأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا أبا علي! إنك تعيش مئة وثلاثين سنة، قال: فعاش مئة وثلاثين سنة^(٢).

وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن ذلولٌ ذو وجوهٍ فاحملوه على أحسن وجوهه»^(٣).

فقوله: «ذلول» له وجهان:

أحدهما: أنه ممكن القراءة ينطق^(٤) به جميع الألسنة.

والثاني: أنه واضح المعاني حتى لا تقصُر عنه أفهام المجتهدين فيه.

وقوله: «ذو وجوه» له وجهان:

أحدهما: أن نظم كلماته يحتمل من التأويل وجوهاً متناسبة لإعجازه.

والثاني: أنه يجمع وجوهاً من الأمر والنهي والوعد والوعيد والتحريم

والتحليل.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه» له وجهان:

(١) هو مفسر معمر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، توفي سنة

(٢٨٢هـ) وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١٤).

(٢) كذا ذكر سنه هنا، ولم أجد من ذكره، والذي في كتب التراجم هو ما ذكرناه عن «السير» أنه توفي

وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٣/ ١٨)، و«لسان الميزان» (٢/ ٣٠٨)،

و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٨).

(٣) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٧٦).

(٤) في هامش (ف): «ينطق».

أحدهما: أي^(١): احمّلوا تأويله على أحسن معانيه.

والثاني: أي^(٢): اعملوا بأحسن ما فيه من العزائم دون الرخص، والعفو دون الانتصاف.

وهذا كله دليل جواز الاستنباط.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب بكلامها، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى^(٣).

قالوا: فالأول هو حقائق اللغة وموضوع الكلام، والثاني هو التوحيد وأصول الشرع^(٤)، والثالث فروع الأحكام وتأويل المحتملات، والرابع الغيوب: من وقت قيام الساعة، ووقت ظهور آياتها.

وما لا يُعذر أحدٌ بجهله فهو فرض عين، وما يختص به العلماء فرض كفاية. وأما^(٥) الجواب عن احتجاجهم بقوله ﷺ: «مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ..» فمعناه: مَنْ حَمَلَهُ عَلَى مَا يَتَرَأَى لَهُ بِخَاطِرِهِ، وَلَمْ يَحْمِلْ^(٦) عَلَى شَوَاهِدِ أَلْفَاظِهِ بِدَلَالَةٍ، فَأَصَابَ الْحَقَّ، فَقَدْ أَخْطَأَ الدَّلِيلَ.

(١) في (أ) و(ف): «أن».

(٢) في (أ) و(ف): «أن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٣٤٥).

(٤) في (أ): «الشرائع».

(٥) في (أ): «فأما».

(٦) في (أ) و(ف): «يعمل».

وقيل الرأي نوعان:

رأْيٌ يَتَرَاءَى من هاجسِ نفسٍ، وهو الظنُّ والحِسبان^(١)، وذلك هو المزجور^(٢) عنه المحجور عليه في القرآن.

ورأْيٌ ينشأ من عقلٍ كاملٍ وعلمٍ باهر، وتأْييدٍ من الله تعالى ظاهرٍ، وهو الاستنباط المعهود والرأْيُ المحمود.

وقال^(٣) الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله: أنكر بعض السلف ثبوت هذا الخبر، فقد ثبت من الأئمة تفسير القرآن والقول فيه، وللناس حاجةٌ إلى معرفته، والذين أقرّوا بصحته اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم:

التفسير بالرأْي: هو أن يَحْمَلَه المرء على ما يراه بقلبه^(٤)، دون الفحص عنه بالعَرَض^(٥) على الدليل الذي أُذِنَ له في الحكم به في عامّة أمور الدين.

قال: وقيل: هذا الوعيد في حقِّ مَنْ يَقْطَعُ القولَ بصحة^(٦) ما أَدَّاه إليه اجتهاذه، وقد يبدو له فيرجع، فأَمَّا مَنْ قال: يَحْتَمِلُ هذا، ويقول^(٧): إن كان خطأً فمَنِّي، وإن كان صواباً فمَن الله تعالى، فهذا لا بأس به.

(١) في هامش (ف): «الحسبان بالكسر هو الظن، والحسبان بالضم من الحساب»، وقد ضبطت الكلمة فيها بكسر الحاء.

(٢) في (أ): «المردود».

(٣) في (أ): «قال».

(٤) في هامش (ر): «بعقله».

(٥) في (ر) و(ف): «بالغوص».

(٦) في (أ): «القول بصحته على».

(٧) في (ف): «فيقول».

قال: وقيل: هو أن يجعل رأيَه عياراً^(١) لِمَا جاء في القرآن يبيّن عليه مذهبه.
قال رضي الله عنه: وهو كَحَمْلِ المعتزلة النظرَ في قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾
[القيامة: ٢٣] على انتظار الكرامة دون الرؤية، وحملهم الإضلال المذكور من الله تعالى على التسمية دون الإيجاد.

قال: وقيل: هو في المتشابه الذي ليس للناس^(٢) حاجةٌ إلى معرفة ما فيه.
قال: وقيل: النهي عن التفسيرِ دون التأويل، وبينهما فرق:
فالتفسير: هو الإخبارُ عن شأنٍ مَنْ نزل فيه، وعن سببِ نزوله، وذلك علمٌ مَنْ شهد ذلك، فهو يقول فيه بالعلم، وغيره بالرأي.
والتأويل: هو تبين ما يحتمله اللفظ من المعاني، وقد جعل الله القرآن أصلاً لجميع ما تقع به البلوى من النوازل إلى قيام الساعة.
قال: وجميع^(٣) ما جاء عن الأئمة وبنى الفقهاء عليه فهو تأويلٌ لا تفسير.
قال: والتفسير: تبين حقيقة ذلك، والتأويل: تبين المقصود منه، فإنه في اللغة: صرفُ الكلام إلى ما يؤول إليه.

قال: والتفسير يكون ذا وجه، والتأويل ذو^(٤) وجوه.
وهذا كله مختصرُ كلام الإمام أبي منصورٍ رحمه الله.

(١) في (ر): «معياراً». وجاء في هامش (ف): «قوله: عياراً، العيار الذي يقاس به غيره ويستوي»

(٢) في (ف): «بالناس».

(٣) في (أ): «وقال جميع».

(٤) في (ر): «ذا».

قال^(١) الإمام نجم الدين رحمه الله: ونذكر مثلاً واحداً لهما، قالوا في قوله تعالى: ﴿وَلِنْ طَافِقَانٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]: هما الأوسُ والخزرج. وفي قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]: هم فارسُ وأهلُ اليمامة.

وفي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤]: هو الأخنسُ بن شريق. وفي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧]: هو صهيب. فهذا ونحوه من التفسير، ولا يُتكلَّم فيه إلا بالسَّماع. وقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال بعضهم: أي: شبَّاناً^(٣) وشيوخاً.

وقال آخرون: أي: فقراءً وأغنياء. وقال قومٌ: أي: عزاباً ومتأهلين. وقال جماعةٌ: أي: أصحَّاء ومرضى. وقالت طائفة: أي: نشاطاً وغير نشاط. فهذا من التأويل، وكلُّه جائزٌ مقبول، ولا بأسَ بالقول به بما وافقَ الأصول، ولم يخالفِ المعقول.

قال رضي الله عنه^(٤):

(١) في (ر): «وقال».

(٢) في (أ): «أو».

(٣) في (ر): «شبَّاناً».

(٤) «رضي الله عنه» من (أ).

الكلام في قولنا قبل قراءة القرآن العظيم:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال أهل المعرفة: هذه الكلمة وسيلة المتقربين^(١)، واعتصام الخائفين، وعُتْبَى^(٢) المجرمين، وزُجَعَى الهاربين، ومباسطة المحبِّين، وهو امتثال لقول^(٣) ربِّ العالمين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ونزولها كان عند إلقاء الشيطان في تلاوة النبي ﷺ ما^(٤) قصَّ الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] وسيأتيكم بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه، وبالله العصمة والتوفيق. ومعنى أعوذ: أَلْتَجَى، وقيل: أَسْتَعَصِم، وقيل: أَسْتَجِير، وقيل: أَسْتَعِين، وقيل: أَسْتَغِيثُ.

وفارسيته: (مي اندخشم ويناہ مي خواہم، ونکاه داشت مي خواہم، وامان مي خواہم، وقاري مي خواہم، وفرياد مي خواہم)^(٥). والعوذ والعياذ مصدران: كاللوذ واللياذ، والصوم والصيام. وقيل: هو الاستجارة بذی منعة.

(١) في (أ): «المقربين».

(٢) في (ر): «وعقبى».

(٣) في (أ) و(ف): «قول».

(٤) في (ف): «كما».

(٥) في هامش (ف): «تعريب الفارسية: قوله إلى: فرياد مي خواہم، تفسير لما قبله من الأقوال في تفسير أعوذ على الترتيب».

وقيل: هو الاستعانة^(١) عن خضوع.

وقيل: هو مأخوذ من العَوْد - بضم العين وتشديد الواو -: وهو كلُّ نبتٍ في أصل شجرة يتسَّر بها، قال الشاعر:

خَلِيلِي خُلْصَائِي لَمْ يُنْقِ حُبُّهَا مِنْ الْقَلْبِ إِلَّا عَوْدًا سَيْنَالُهَا^(٢)

فعلى هذا: العَوْدُ: هو التسَّرُّ بستر الله الجميل، والتبوءُ في ظلِّ حمايته الظليل.

وقيل: هو من العَوْد بهذه الصيغة، وهو اللحم الذي لَصِقَ بالعظم، يقال: أَطِيبُ اللَّحْمِ عَوْدُهُ، فعلى هذا: العَوْدُ: هو الانقطاع عن غير الله تعالى، والاتِّصَالُ بالله تعالى.

وقولُ القائل: أعوذ، إخبارٌ عن فعله، وهو في التقدير: سؤالُ الله تعالى من فضله؛ أي: أعِزَّنِي يَا رَبِّ، كما يقول القائل: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ؛ أي: اغْفِرْ لِي يَا رَبِّ، وهو احترامٌ واستعظامٌ، لا انبساطٌ واجترامٌ^(٣)، ولولا سَبْقُ الأمرِ به لم يتيسَّر الإقدام^(٤).

ثم هذا الأمرُ عند بعض الناس يقتضي وجوب الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة، فإنَّ الفاءَ للتعقيب، وعند عامَّة الناس^(٥) هو قبل القراءة، ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: فإذا أردتَ قراءة القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]،

(١) في (ف): «الاستغاثة».

(٢) البيت للكُميت كما في «الناج» (مادة: عوذ)، ودون نسبة في «الصحاح» (مادة: عوذ)، و«مجمل اللغة» (ص: ٦٣٦)، و«المخصص» لابن سيده (٣/ ١٢٦).

(٣) في (ف): «لا انبساط اجترام»، وفي (ر): «وانبساط واجترام».

(٤) في (ر): «لم تيسر الأقدام».

(٥) في هامش (أ) و(ر): «المسلمين».

وهذا إضمارٌ^(١) ثابتٌ بالبديهة، فإنَّ الاستعاذة للتحرُّز عن وسوسة الشيطان عند قراءة القرآن، وذلك بالتقديم لا بالتأخير، وهذا شائعٌ^(٢) في اللغة، قال الشاعر:

إذا طَحَنْتِ فَأَبْدَيْي بِالْمَيْمَنَةِ^(٣)

وذلك مقدَّم لا مؤخَّر.

وقال بعض أهل الإلحاد: إنكم رَوَيْتُمْ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَهْرُبُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ»^(٤) فأَيُّ حاجةٍ إلى الاستعاذة منه^(٥)؟ قلنا: عنه أجوبة:

أحدها: أَنَا تُعَبِّدُنَا بِهِ فَلَا عُدُولَ عَنْهُ بِمِثْلِ هَذَا.

والثاني: أَن هَذَا الْوَعْدَ فِي حَقِّ مَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِهِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا لَمْ يَنْهَكَ الْقُرْآنُ فَلَسْتَ بِقَارِئٍ»^(٦)، وفي العمل به خللٌ، فلم يَثِقْ بِنِيلِهِ^(٧)، فلا يُسْتَغْنَى عَنْ سُؤَالِهِ.

(١) في (ر): «إخبار».

(٢) في (ر): «وهذا شائع»، وفي (ف): «وهو شائع».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

(٥) «منه» من (أ).

(٦) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢٢٣/١). ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٣) من طريق نافع أبي سهيل عن النبي ﷺ، وهو مرسل، ونافع هذا هو ابن مالك بن أبي عامر الأصبحي. ورواه أبو عبيد أيضا في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٤) عن الحسن بن علي قوله.

(٧) في (أ): «فلا يثق»، وفي (ر): «فلا يثق بنيله».

والثالث: أن الشيطان يجتهد^(١) في أن يصرفه عن هذه العزيمة، فيدفعه^(٢) بالاستعاذة، وأسعى ما يكون الشيطان في إفساد حال الإنسان عند قصده مكالمته الرحمن، فيجتهد^(٣) في دفع شره بالاستعاذة الآن.

والرابع: أن الغرض به ما قال جعفر الصادق رضي الله عنه: التَّعَوُّذُ تَطْهِيرُ الْفَمِ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَالْبَهْتَانِ؛ تعظيماً لقراءة القرآن، إذ^(٤) هو الاستئذان لمكالمة الله تعالى بالقرآن.

وقالوا أيضاً: إذا عُدْتُمْ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، فَلِمَ وَقُوعُ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ^(٥)، والابتلاء بالعصيان؟

وقلنا: حفظُ الله عند العيادِ بالله موعودٌ على التقوى والتذكُّرِ والإبصارِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فَمَنْ أَخْلَ بهذه الشروط لم يَنْلُ هذا^(٦) الموعود.

ومثال مَنْ استعاذ بالله من الشيطان، ثم اتَّبعه إذا دعاه إلى العصيان: مثالُ التاجر يخرج إلى السفر بمالٍ خطيرٍ كثيرٍ، ويلتجئ في حفظه بخفيرٍ حقير^(٧)، ثم يستجيش^(٨) دهاة السُّراق من أقاصي الآفاق.

(١) في (ر): «يجهد».

(٢) في (ر): «فندفعه».

(٣) في (ر): «فنجتهد».

(٤) في (أ): «و».

(٥) في (ف): «بالنسيان».

(٦) في (ر): «لم ينل ما هو».

(٧) في (أ): «بحقير»، بدل: «بخفير حقير».

(٨) في (ر): «يتجيش».

ألا ترى أن الذين وفوا بالشروط نالوا ما نالوا^(١) بما قالوا:

قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾^(٢) [يوسف: ٢٣].

وقالت امرأة عمران: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقالت مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ [مريم: ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار على ما ورد في الأخبار: أعوذ بالله الذي^(٣) خلقني فهداني، من شرِّ من عصاه فأذاني.

وقال نبينا محمد ﷺ: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ۖ﴾^(٤) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

وقال: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ السورة، وقال: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ السورة.

وقال ليلة المعراج: «أعوذُ بعفوك من عُقُوبَتِكَ، وأعوذُ برضاك من سَخَطِكَ، وأعوذُ بك منك»^(٤).

فنال نوح عليه السلام السلامة، وموسى الكرامة، ويوسف العِصمة، وامرأة عمران الإعادة، ومريم البشارة، وإبراهيم الخُلة، والمصطفى الشفاعة.

(١) «ما نالوا» من (ف).

(٢) «أحسن مثواي» من (ر).

(٣) في (ف): «أعوذ بالذي».

(٤) رواه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقالوا أيضاً: في الاستعاذة من الشيطان إظهارُ الخوف من غيرِ الله تعالى، وهو يُخَلُّ بالعبودية!

وقلنا: اتخاذُ العدوِّ عدوًّا تحقيقٌ للمحبَّة، والفِرارُ من غيرِ الله إلى الله تَمِيمٌ للعبودية، والامتنالُ لأمرِ الله تقديمٌ للطاعة، والخوفُ ممن لا يخافُ الله إظهارٌ للمسكنة، والالتجاءُ بالله تأكيدٌ للمباينة.

وقيل: التَّعَوُّذُ للتَّبَعْدِ والتَّوَحُّشِ، وهي كلمةٌ استيحاشٌ عند بعضهم، والتَّبَعْدُ من المَبْعَدِ لا يكونُ لخوفه، بل يكونُ وفاقاً لمن بَعْدَه؛ ألا تَرى أن الإنسان يتباعدُ عَمَّنْ^(١) بَعْدَه السلطان، لا خوفاً من ذلك الإنسان، بل وفاقاً للسلطان على ما كان.

كأنه يقول: أي إبليسُ الذي بَعُدْتَ من القُرْبَةِ والرضا فابعدُ عنا بعيداً^(٢).

ألا تَرى أن السامريَّ لَمَّا بَعْدَه^(٣) الله تعالى من رحمته، أمره موسى أن يدوم على قوله: ﴿لَا مَسَاسَ﴾ [طه: ٩٧] في جميع مدته، يُبعدُ الناسَ بذلك عن صحبته.

وقيل: هي للتَّبَرِّي من^(٤) الحول والقوة؛ كأنه يقول: هلك الشيطانُ بالنظرِ إلى أصله وفعله، وأنا أتبرأُ إلى الله تعالى من مثله.

وقيل: هو الاستعاذة بالله من حالِ إبليس ومآله، لا عن كيده وإزاله وإضلاله.

(١) في (ر): «ممن».

(٢) في (أ) و(ف): «أردحمت وقريب دور مارا ان تودو دورا دورا»، مع بعض اختلاف في الرسم بينهما. وجاء في هامش (ف): «تعريبه: يا إبليس الذي بعدت من القربة والرحمة فابعد عنا بعداً بعيداً».

(٣) في (ر): «أبعده».

(٤) في (ف): «عن».

وقيل: هو تملُّق، والله تعالى يحبُّ المتملِّقين، وكما أن الأب يحبُّ من ولده أن يتملِّق به، فالله تعالى يحبُّ من عبده أن يتملِّق به.

وقيل: مثلُ العبد إذا خطر بباله حالُ إبليس فعاذ منه بالله كمثِّل صَيِّد قصده سُبُع ففرَّ إلى الحرم فدخله فأمن^(١)، فرجع السَّبُع خاسراً.

وكمثِّل عبدٍ هارب من مولاه، فتلقاه^(٢) لصٌّ فاتك^(٣)، فهرب منه إلى مولاه فأواه، فبقي اللصُّ قاصراً، فالعبدُ^(٤) إذا عاذ بالله من الشيطان الرجيم خَسَأ الشيطانُ خاسراً.

وقولنا: (بالله) الباءُ صلة؛ وهي لمعانٍ، وهاهنا للإلصاق: وهو: وصلُ الفعل اللازم بالاسم الذي يقع الفعل عليه.

و(الله) اسم الله الأعظم، وتفسيره: القادرُ على الاختراع.

وقيل: هو المستحقُّ لأوصاف العُلُوِّ.

وقيل: هو مَنْ له الخلقُ والأمر.

وقيل: هو المعبود.

وقيل: هو المستحقُّ للعبادة.

واختلف في أنه مشتقُّ أو غيرُ مشتقٍّ؛ قال الخليل بن أحمد من أهل اللُّغة، والزجاج من أهل النُّحو، والحسين بن الفضل البجليُّ من أهل التفسير، ومحمد بن

(١) في (ف): «كمثِّل رجل رأى سباعاً فأخذ السلاح واحترز به عنه».

(٢) في (أ): «تلقاه».

(٣) في (ر): «قاتل».

(٤) في (ر): «خاسراً والعبد»، وفي (ف): «قاصراً والعبد».

الحسن من أئمة الفقه، والشافعي من أهل الحديث، وجماعة: هو غير مشتق، وهو اسمٌ تفرَّد الله تعالى به، فهو اسمٌ^(١) له خاص، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]^(٢).

جاء في التفسير أن معناه: هل تعرفُ أحداً تسمي (٣) الله؟!

وقال آخرون: هو مشتق، ثم منهم^(٤) من قال: اشتقاقه من وَلِهَ يَوْلُهُ وَلَهَا: إذا فزع وَلَجًا، قال الشاعر:

بَرَزْنَا لَنَرْدَى وَالْقَوَاضِبُ رَكْعٌ وَقَدْ صَيَّرَتْ رَأْسُ الْأَسِنَّةِ سُجْدًا^(٥)
وَلَهْتُ إِلَيْكُمْ فِي بَلَايَا تَنُوبُنِي فَأَلْفَيْتُكُمْ فِيهَا كَرِيماً مَجْدًا^(٦)
فمعناه: أن الخلق يلجؤون به ويفزعون إليه في حوائجهم.

(١) بعدها في (ر): «الله».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩٦/١)، وعزا هذا القول للخليل وجماعة لم يسمهم، وخالفه غيره فنسب إلى الخليل القول بالاشتقاق، منهم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» (ص: ٢٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٦٣/١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥٧/١)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣٩/١)، والسمين الحلبي في «عمدة الحفاظ» (١٠٧/١). ونقل الزجاج في «معاني القرآن» (١٥٢/٥) عن سيويه أنه قال: سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إله، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقال مرة أخرى: الأصل لاه، وأدخلت الألف واللام لازمة.

(٣) في (أ): «سمي».

(٤) في (ر) و(ف): «ومنهم».

(٥) هذا البيت ليس في (أ) و(ف). والقواضب جمع القضيبي: وهو السيف اللطيف الدقيق.

(٦) في (ر) و(ف): «كراماً ممجداً»، وذكر هذا البيت الخازن في «تفسيره» (١٧/١)، وفيه: «كرائم

ومنهم مَنْ جعله من الوله الذي هو التَّحِيرُ، والواله: الحيرانُ لفَقْدِ الولد ونحوه.

والوله: شدّة الشوق أيضاً، قال الشاعر:

ولَهَتْ نفسي الطُّروبُ إليكم ولهاً حالٌ دون^(١) طعمِ الطَّعامِ^(٢)

ومعنى الاسم: أن الخلق متحيّرون في عظمته، والِهونَ من شوق^(٣) لرؤيته؛ فعلى هذا^(٤) أصلُ الاسم: ولّاه، أبدلت الواو همزةً كما قالوا: وشاح وإشاح، فقليل: إله، ثم دخلته الألف واللام فقليل: الإله، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً فقليل: الله.

ومنهم مَنْ جعل الاسم من أَلِه يَأْلُه؛ أي: دام وثبّت، يقال: أَلِه بالمكان؛ أي: دام وأقام، قال الشاعر:

أَلِهْنَا بدارٍ ما^(٥) تَبِينُ رسومُها كأنَّ بقاياها وشامٌ على اليدِ^(٦)

ومعنى الاسم: أنه القديمُ الأزليُّ الدائمُ الأبديُّ.

ومنهم مَنْ جعله من أَلِه يَأْلُه^(٧) إلهة؛ أي: عبَدَ، وفي قراءة بعضهم:

(١) في (ر): «ذوق».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩٨/١).

(٣) في (ر): «الشوق».

(٤) في (أ): «هذين».

(٥) في (ر): «لا».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩٨/١).

(٧) بفتح اللام في الماضي والمضارع. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: أله). وباقي الاشتقاقات بكسر =

(وَيَذَرُكَ وَإِلَاهَتَكَ) ^(١)؛ أي: وعبادتكَ، قال ^(٢) الشاعر:

وَأَلَهُ إِلهُكَ وَاحِدًا مَتَفَرِّدًا ^(٣)

وتأله يتأله؛ أي: تعبّد، قال الشاعر:

لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ ^(٤) سَبَّحَنَ وَاسْتَرْجَعَنَ مِنْ تَأْلُهُ ^(٥)

ومعنى الاسم: أنه يحقُّ له العبادة.

ومِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَلَهُ إِلَى فَلَانٍ ^(٦)؛ أي: رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، قَالَ

الشاعر:

أَلِهْتُ إِلَيْهَا وَالرَّكَائِبُ وَقَفَ ^(٧)

= اللام في الماضي وفتحها في المضارع. انظر: «البحر المحيط» (٣٩ / ١) بتحقيقنا.

(١) رواها أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١ / ١٢٢)، عن ابن عباس

رضي الله عنهما. وهي في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥).

(٢) في (أ): «وقال».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠ / ٦٤٦)، وعجز البيت فيه:

ساد الملوك بعزة وتمجّدا

(٤) في (ر): «المدهي»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٥) في (أ) و(ف): (تأله). والمثبت من (ر) والمصادر. والرجز لرؤبة، كما في «العين» للخليل (٤ / ٣٢)،

و«تفسير الطبري» (١ / ١٢١)، و«تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاجي (ص: ٢٦)، و«الحجة» لأبي

علي الفارسي (٥ / ٢٦)، و«المحتسب» لابن جني (١ / ٢٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (١ / ٩٦)، و«النكت

والعيون» للماوردي (١ / ٥١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١ / ٦٣).

(٦) في (ر): «أله فلان إليه».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١ / ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١ / ٥٠)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: أله). ولم

أقف على قائله ولا تمامه.

ومعنى الاسم: أن رجوع الخلق إليه وتوكلهم عليه.

ومنهم من جعله من الأله الذي هو التحير، قال الشاعر:

ويبداء تيه تآله العين وسطها مخففة^(١) غبراء صرماء سملق^(٢)

ومعناه: ما قلنا في الوله.

ومنهم من جعله من قولهم: ألهمت إليه؛ أي: سكنت إليه، قال الشاعر:

ألهمت إليها والحوادث جمّة^(٣)

ومعنى الاسم: أن قلوب الخلق تسكن بذكره، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومنهم من جعله من آله؛ إذا^(٤): ارتفع^(٥)، والعرب تسمي الشمس: إلهة؛ لرفعتها، قال الشاعر:

(١) في (أ) و(ف): «مخلقة»، وفي (ر): «بحلقة»، والصواب المثبت.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «النكت في القرآن» لأبي الحسن علي بن فضال القيرواني (ص: ١٨٩)، و«إعراب القرآن» لأبي القاسم الأصبهاني (ص: ٨).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩٧/١)، و«تفسير البغوي» (٥٠/١)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: آله). ولم أقف على قائله ولا تمامه كشبيهه المتقدم.

(٤) في (ر) و(ف): «أي».

(٥) كذا جعل المؤلف هذا المعنى من باب (آله) في الاشتقاق، وذكره غيره من باب: (لاه يلية). انظر: «تفسير البضاوي» (٢٦/١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣٩/١)، و«المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاسي (٣٠/١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢٤/١)، و«اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (١٣٨/١)، و«القاموس» (مادة: لاه)، و«روح المعاني» (٢٢٢/١).

تَرَوُّخَنَا مِنَ الدَّهْنَاءِ أَرْضاً وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَوُوبَا^(١)
ومعنى الاسم: أنه العَلِيُّ العظيم.

فعلى هذه الوجوه: (إله) فِعَالٌ على أصلِ الكلمة من غير إبدال همزة عن واو،
ثم حُذفت الهمزة مع الألف واللام لِمَا مَرَّ.

ومنهم مَنْ جَعَلَهُ مِنْ لَاهَ يَلُوه؛ أي: عَلَا، ومعناه^(٢): العَلِيُّ العالي المتعالي.

ومنهم مَنْ جَعَلَهُ مِنْ لَاهَ يَلُوه وَلَاهَ يَلِيه؛ أي: احتَجَبَ، قال الشاعر:

لَا حَتُّ تَوَافِقِ عَيْنِ النَّاسِ رَوَيْتَهَا وَنَحْنُ نَلْنَا الْمُنَى لَمَّا أَتَيْنَاهَا

لَاهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِخَارِجَةٍ يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ حَتَّى رَأَيْنَاهَا^(٣)

ومعناه: أَنَّهُ حَجَبَ أَبْصَارَ أَهْلِ الدُّنْيَا عَنْ رَوَيْتِهِ^(٤)، وَوَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَهُ وَهُمْ

فِي جَنَّتِهِ.

فعلى^(٥) هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ: قَوْلُنَا: اللَّهُ، هُوَ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ، وَقَدْ
وَرَدَ أَيْضاً بِهَذِهِ الصِّيغَةِ فِيمَا لَيْسَ فِي أَوَّلِهِ أَلْفٌ وَلَامٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) البيت لبنت عتيبة بن الحارث اليربوعي. انظر: «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٢٢٥)، و«تفسير

الطبري» (١٠/ ٣٦٩)، ودون نسبة في «البارع في اللغة» لأبي علي القالي (ص: ١١٠)، و«المحتسب»

لابن جني (٢/ ١٢٣)، و«الصحاح» (مادة: أله)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٩٨). وصدر البيت من (ر)

وليس في (أ) و(ف)، ووقع في ألفاظه اختلاف في المصادر.

(٢) بعدها في (أ) و(ر): «أنه».

(٣) في (ف): «عرفناها». والمثبت من (أ) و(ر) والمصادر، وقد ورد البيت دون نسبة في «تفسير

الثعلبي» (١/ ٩٨)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٥)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

أما البيت الأول فلم أجده، ولم يرد في (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «ومعناه أنه محتجب حجب عن أبصار أهل الدنيا»، وصحح في الهامش إلى المثبت.

(٥) في (ف): «وعلى».

يَسْمَعُهَا لَاهُ الْكُبَارُ^(١)

وقال آخر في النداء:

لاهمَّ إِنَّ جُرْهَمًا عِبَادُكَ النَّاسُ طَرَفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ^(٢)
فهذه عشرة أوجه في الاشتقاق.

وبقي وجه لطيف غريب:

قيل: كان أصله هاء الكناية، وذلك أنهم أشاروا إليه بما وُضع له^(٣) في نفوسهم من دلالة الفطرة، إذ لم يعلموا له اسماً مسموعاً، ثم أدخلوا عليه لام المُلْك فصار: له، يَعنون: له الخلق والأمْر، ثم مدّوا بها أصواتهم تعظيماً فقالوا: لاه، ثم وصلّوه بالألف واللام للتفخيم فصار: الله.

ومن النحويين مَنْ قال: أدخلت الألف واللام فيه بدلاً من الهمزة المحذوفة

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٢٣٤)، وصدّره:

كحلفة من أبي رياح

الحلفة: المرة من الحَلَف، و(الكبار) بضم الكاف صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم، وهو صفة (لايه). وأبو رياح اسمه: حصن بن عمرو بن بدر، رجل من ضبيعة، وروي بدل (يسمعها): يشهدا. قاله البغدادي.

(٢) البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، كما في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٢٥٥)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٥٢٤) وفيه: عامر، بدل: عمرو. والطرف: المستحدث من المال، وهو عكس التلاد.

(٣) «له» من (أ).

منه^(١)، فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة، ولهذا لم تسقطا عند النداء: يا الله^(٢)، كما سقطتا من^(٣) غيره من الأسماء: يا رحمن يا رحيم، ونحوه.

وعن كعب الأخبار قال: كان داود عليه السلام ألها ألوها. أي: مؤلعا^(٤) بمقاله في كل أحواله: إلهي إلهي.

وقال جعفر الصادق في هذا الاسم: أبرزه الله تعالى من غيبه إلى قوله، ومن قوله إلى قلمه، ومن قلمه إلى لوحه، ومن لوحه إلى وحيه، ومن وحيه إلى أنبيائه، سكية ووقارا لقلوب أوليائه.

وقولنا: (من الشيطان) كلمة (من) في اللغة لأشياء، وها هنا تكون لأحد معان ثلاثة:

إمّا للابتداء: كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وإمّا للانتقال: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧].
وإمّا للتعدية: فإن وقوع هذا الفعل على الاسم المذكور بعده مختص بهذه الكلمة لغة.

وتحقيق المعنى الأول والثاني: أن العوذ يبدأ^(٥) بالانفصال من الشيطان ويتم بالاتصال بالله، وهو انتقال من غير الله إلى الله.

(١) أي: بدلاً من الهمزة المحذوفة في (إله)، انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، وقد ذكره عقب قوله: «يسمعها لاهه الكبار».

(٢) في (أ): «عند النداء به».

(٣) في (ف): «عند».

(٤) في (ر): «مولها».

(٥) في (ف): «يبتدا».

والشيطان هو إبليس، وفي اشتقاقه عشرة أقاويل:

أحدها: أنه من الشُّطون وهو البُعْد، قال الشاعر:

فَأَضَحْتُ بَعْدَمَا وَصَلْتُ^(١) بَدَارِ شَطُونٍ لَا تُعَادُ وَلَا تَعُودُ^(٢)

ومعناه: المُبْعَدُ مِنَ الرَّحْمَةِ.

والثاني: أنه من قولهم: شاط يَشِيطُ؛ أي: هلك، قال الأعشى:

قَدْ نَطَعَنْ الْعَيْرَ فِي مَكْنُونٍ فَائِلِهِ وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ^(٣)

ومعناه: الهالك في الدارين.

والثالث: أنه من قولهم: شَيَّطَ الشَّيْءُ؛ أي^(٤): أَحْرَقَهُ، واستشاط غضباً؛ أي:

احْتَرَقَ، ومعناه: المحرق^(٥) في الدنيا بنارِ الفُرقة، وغداً بنارِ الحرقَةِ والعقوبة.

والرابع: أنه من قولهم: فرسٌ شَطُونٌ؛ أي: جَمُوحٌ رَمُوحٌ، ومعناه: العَصِيُّ

الْأَبْيُّ.

والخامس: أنه من الشَّطَنَ: وهو الحبلُ الطويل المديد، ومعناه: المتماذي في

الطُّغيان، الممتدُّ إلى العصيان.

(١) في (ف): «اتصلت».

(٢) البيت للناطقة الذبياني، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٤).

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» ميمون بن قيس (ص: ١١٣)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١٠٢٠)،

و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢١)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٦). قال ابن قتيبة: الفائلان

عرقان عن يمين الذنب وشماله... والفارس الحاذق يتعمد بالطعن في الخربة وهي نقرة في الورك

فيها لحم ولا عظم فيها تنفذ إلى الجوف، يقول: إنا بصراء بموضع الطعن.

(٤) في (ر): «إذا».

(٥) في (أ): «المحرق»، وفي (ف): «المحترق».

والسادس: أنه من قولهم: فرسٌ شيطانٌ؛ أي: مَرِحٌ^(١) نشيط، ومعناه^(٢): المتكبر المترفع.

والسابع: أن الشيطان هو العاتي المتمرد من كل جنس، ولذلك تسمّى الحية شيطاناً، قال تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]؛ أي: الحيات، وقال جرير:

أَيَّامٌ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي وَهَنْ يَهْوَيْنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَاناً^(٣)
والثامن: أنه من قولهم: شَيَّطَ اللحم؛ أي: دَخَنَه - من الدخان^(٤) - ولم يُنْضِجْهُ، ومعناه: أنه مفسد كل شيء، وما به صلاح شيء.

والتاسع: أنه من قولهم: فرسٌ مَشِيطٌ؛ أي: ممتلئٌ سِمَنًا، ومعناه: أنه ممتلئٌ خُبثًا ونكرًا، وشرًا ومكرًا.

والعاشر: أنه من قولهم: شاط؛ أي: بَطَلَ، ومعناه: أنه الباطل عمله الخائب أمله.

وإذا جُعِلَ اشتقاقه من الشُّطُونِ والشُّطَنِ فهو فِعَالٌ، وإذا جعلته من الشَّيْطِ والتَّشْيِيطِ والمَشِيطِ^(٥) فهو فَعْلَانٌ.

والأصحُّ الأول؛ لأن الشاعر أخرجَه على لفظِ الفاعل بالنون، فقال:

(١) في (ر): «مرج».

(٢) في (أ): «فمعناه»، في هامش (ف): «فمعنى».

(٣) انظر: «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٦٥).

(٤) «من الدخان» من (ر).

(٥) في (أ): «والشيطة».

أَيُّمَا شَاطِئِنِ عَصَاهُ عَكَاهُ وَرَمَاهُ^(١) فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ^(٢)
وَقَوْلُنَا: (الرَّجِيمُ) قَالَ الْكِسَائِيُّ: هُوَ الْمَشْتُومُ^(٣)، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمَنَّكَ﴾ [هود: ٩١]؛ أَي: شَتَمْنَاكَ^(٤).

وَقِيلَ: هُوَ الْمُهْلَكُ بِأَقْبَحِ وَجْهِهِ، مَأْخُوذٌ مِنَ الرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ لِأَنَّهُ أَقْبَحُ الْقِتْلَاتِ.
وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الرَّجْمِ وَهُوَ الرَّمْيُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَجَمْنَا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]؛
أَي: رَمِيًّا.

ثُمَّ هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ رَامِيَ بَنِي آدَمَ بِالْذَّوَاهِي
وَالْبَلَايَا، وَبِمَعْنَى الْمَفْعُولِ عِنْدَ آخَرِينَ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَرْمِيٌّ مِنَ السَّمَاوَاتِ بِالْقَاءِ
الْمَلَائِكَةِ حِينَ لُعِنَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ الْمَرْمِيُّ بِشَهْبِ السَّمَاءِ إِذَا قَصَدَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥].

ثُمَّ هَذِهِ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَلَهُ فِي الْقُرْآنِ أَسْمَاءٌ مَشْوُومَةٌ وَصِفَاتٌ
مَذْمُومَةٌ؛ وَهِيَ: إِبْلِيسُ، وَالشَّيْطَانُ، وَالْغُرُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وَالْوَسْوَسُ، وَالْخَنَاسُ.

وَالْكَافِرُ: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(١) فِي (أ) وَ(ر) وَ(ف): «ورمى»، والمثبت من هوامش النسخ الثلاث.

(٢) الْبَيْتُ لِأُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، وَهُوَ فِي «دِيوانه» (ص: ٤٤٥)، و«اللسان» (مادة: شطن). وَهُوَ فِي
وصف نبي الله سليمان عليه السلام. عكاه: شده في الحديد.

(٣) فِي (أ): «المشؤوم». والمثبت من (ر) وَ(ف)، وَهُوَ الصَّوَابُ. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١١٠)،
و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٧).

(٤) «أَي شَتَمْنَاكَ» سَقَطَ مِنْ (أ) وَ(ف).

- والصاغر: ﴿فَأَخْرَجَ إِنْكَ مِنَ الصَّنَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].
- والمارد: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧].
- والمريد: ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّارِدًا﴾ [النساء: ١١٧].
- والطائف: ﴿طَلَفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١].
- والفاتن: ﴿لَا يَفْنَىٰ عَنْكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧].
- والملعون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨].
- والمذموم والمذؤوم والمدحور: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].
- والمقذوف: ﴿وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨-٩].
- والكفور: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].
- والخذول: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].
- والعصي: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].
- والعدو: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].
- والمضلل: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].
- ومن صفاته وأفعاله: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿فَأَنسَلْنَا الشَّيْطَانُ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿وَمَا أَنْسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿أَفَنِي مَسْنَى الشَّيْطَانِ بُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الكهف: ٦٣].

[الحج: ٥٢]، ﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿وَإِذْ نَزَّلْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿كَأَلَيْكَ اسْتِهْوَاتُهُ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿لَا حَتَّكَ دُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [١١٨]، ﴿وَلَا ضِلَّكُمْ وَلَا مَنِيتَهُمْ﴾ [النساء: ١١٨]، ﴿فَعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ثم أجمعُ الأسماءَ لمخازيه^(١) ومساوئه هو الرَّجِيمُ؛ فإنه^(٢) لو جُعلَ بمعنى الرَّاجِمِ كان جامعاً لجميع ما يقعُ منه من الجنایات، ولو جُعلَ بمعنى المرجوم كان شاملاً لجميع ما يقعُ عليه من العقوبات؛ فلذلك ذُكر في الاستعاذة منه هذا الاسم دون غيره من الأسماء والصفات.

ثم هذه الاستعاذة أوجهُ الاستعاذات، وللناس فيها اختياراتٌ وردت^(٣) بها رواياتٌ:

(١) في (ف): «بمخازيه».

(٢) في (ف): «لأنه» وفي هامشها: «فإنه».

(٣) في (أ) و(ف): «ووردت».

رُوي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «أعوذُ بعفوِ الله العظيم من عذابه الأليم، ومن هَمَزَاتِ الشياطين، إن الله ^(١) هو السميع العليم» ^(٢).

ورُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أعوذُ بالله الواحد ^(٣) الماجد من كلِّ عدوٍّ حاسدٍ، ومن كلِّ شيطانٍ ماردٍ، إن الله هو السميع العليم.

وعن عمرَ الفاروق ^(٤) رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أعوذُ بالله المُعين من الشيطان اللعين إلى يوم الدين ^(٥).

وعن عثمانَ ذي النورين ^(٦) رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أعوذُ بالله من الشيطان والكفر والطغيان، وهو المنعم المستعان.

وعن عليٍّ المرتضى ^(٧) رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أعوذُ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ^(٨).

وكان الحسنُ والحسينُ - رضي الله عنهما - وأبو ذرٍّ وأسماءُ وعمارُ رضي الله تعالى عنهم يقولون: أعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ^(٩).

(١) في (أ): «إنه».

(٢) لم أجده مسنداً.

(٣) في (أ): «الواحد».

(٤) في (أ): «وعن عمر بن الخطاب»، و«الفاروق» ليست في (ر).

(٥) في (أ): «القيامة».

(٦) «ذي النورين» ليس في (أ) و(ر).

(٧) «المرتضى» ليس في (أ) و(ر).

(٨) رواه أبو داود (٤٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً، وحسنه

النووي في «الأذكار» (٩٤).

(٩) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٨٣) من حديث عمار رضي الله عنه مرفوعاً.

وكان محمد ابن الحنفية رضي الله تعالى عنه يقول: أعوذُ بالله القوي من الشيطان الغوي.

وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول: أعوذُ بالله الجبار المتكبر من الشيطان المستكبر، إن الله هو السميع العليم^(١).

ومن القراء السبعة من يقول: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٢).

ومنهم من يقول: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم.

ومنهم من يقول: أعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

ومنهم من يجمع بين العظيم والسميع والعليم.

ومنهم من يقول: أستعيذُ بالله.

ومنهم من يقول: نستعيذُ بالله.

والمختار هو قول الجمهور: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

قال نجم الدين^(٣): ولي فيه حديثٌ مسلسلٌ ينتهي إلى عاصم، عن زرٍّ، عن ابن

مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، أنه أخذه من اللوح المحفوظ هكذا^(٤).

(١) لم أجده، وكذا ما ورد هنا من الأخبار مما لم نذكر له تخريجاً.

(٢) وروى هذه الصيغة في الاستعاذة أبو داود (٧٧٥) و(٧٨٥) من حديث أبي سعيد وعائشة، والترمذي (٢٩٢٢) من حديث معقل بن يسار.

(٣) في (ر) و(ف): «قال يعني المصنف».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤١ / ٦) مسلسلاً، وعنه تلميذه الواحدي في «الوسيط» (٨٣ / ٣ - ٨٤)،

وفي آخره: فلقد قرأت على عاصم فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على زر بن حبيش فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من =

ثم التَّعَوُّدُ به افتتاحُ قراءةِ القرآن، وبالمعوذَتَيْنِ خَتَمُ سُورِ القرآن، فَيُرْجَى بذلك حفظُ ما بينهما.

وفي أَخِذِ المِثَاقِ خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وعند النَّزْعِ يَخَاطَبُهُ بقوله: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآية [الفجر: ٢٧]، فَيُرْجَى بذلك عَفْوُ ما بينهما.

والنَّبِيُّ ﷺ يقول في حَقِّ هذه الأُمَّة: «أنا قائدُها، وعيسى سائقُها»^(١)، فَيُرْجَى بذلك نِجَاةُ ما بينهما.

ويلي^(٢) التَّعَوُّدَ التَّسْمِيَةُ، وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم). وانتظامُ هذه بذلك: أَنَّ التَّعَوُّدَ بالله هو التَّحْفُظُ بِذِكْرِ اللهِ، ولذلك ورد الخبرُ باستحبابِ هذا التَّعَوُّدِ: «أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ^(٣)»^(٤)، ومنها هذه الأسماءُ الثلاثةُ العظيمة.

= الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على عبد الله بن مسعود فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم، فقال لي: «يا ابن أم عبد قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيهِ جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ».

قلت: وقد ورد جواز الاستعاذة بلفظ: (أعوذ بالله السميع العليم) في حديث كل من أبي سعيد وعائشة ومعقل بن يسار رضي الله عنهم، وقد تقدم تخريجها قريباً.

(١) لم أجده.

(٢) في (ف): «وتلو».

(٣) في (ف): «التامة».

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، و(٢٧٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: الجامع بينهما كأنه^(١) يقول في التقدير: أعوذ بالله وأنا موسومٌ بِسْمَةِ اللَّهِ، وهي فِطْرَةُ اللَّهِ، وَصِبْغَةُ اللَّهِ، وهما: التكوينُ والكونُ، والتلوينُ واللون^(٢)، قائمان بالمخلوق، والله تعالى مُنَزَّهٌ عنهما. أفريدن مي حكونه ومي جكونه، وأفرينش مرده باحكونه وبرحكونه.

وجامعٌ آخرٌ بينهما: ما^(٣) قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إجلالُ القرآن: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم، ومفتاحُ القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم^(٤).

وقال النبي ﷺ: «مفتاح القرآن التسمية»^(٥).

وروي أن أول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم، وأنه أول ما نزل^(٦) على آدم، وأنه أمانُ أهل السماوات والأرضين، وأنه كلمة جوازٍ من الله تعالى، وأنه خاتمُ الله لعباده الموحدين.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ المُعَلِّمَ إذا قال للصبي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن

(١) في (أ): «أنه».

(٢) في (ف) و(أ): «وهما التكوين والتلوين والكون واللون».

(٣) «ما» من (أ).

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، لكن روى الطبراني في «الأوسط» (٦٢٥) عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «بأي شيء تستفتح صلاتك وقراءتك» قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: «هي هي».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٩/٢): رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الكريم بن أبي المخارق وهو ضعيف لسوء حفظه وفيه من لم أعرفهم.

(٦) في (أ): «أنزل».

الرحيم، كَتَبَ اللهُ تَعَالَى بَرَاءَةً لِلصَّبِيِّ، وَبَرَاءَةً لِأَبُوَيْهِ، وَبَرَاءَةً لِلْمُعَلَّمِ مِنَ النَّارِ^(١).
وعن جابر رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَرَبَ الْغَيْمُ
إِلَى الْمَشْرِقِ، وَسَكَنَتِ الرِّيحُ، وَهَاجَ الْبَحْرُ، وَأَصْغَتِ الْبَهَائِمُ آذَانَهَا، وَرُجِمَتِ
الشَّيَاطِينُ مِنَ السَّمَاءِ، وَحَلَفَ اللهُ عَزَّ وَعَلَا بِعِزَّتِهِ لَا يُسَمَّى اسْمُهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا شَفَاهُ،
وَلَا يُسَمَّى اسْمُهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَارَكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، دَخَلَ
الْجَنَّةَ^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه^(٣): مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْجِيَهُ اللهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ التَّسْعَةِ
عَشَرَ فَلْيَقْرَأْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهَا تَسْعَةُ عَشَرَ حَرْفًا، لِيَجْعَلَ^(٤) اللهُ تَعَالَى
بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا جُنَّةً^(٥) لَهُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ^(٦).

وقال بعض أهل المعرفة: التَّسْمِيَةُ كَلِمَةٌ قَدْسِيَّةٌ مِنْ كَنْزِ الْهَدَايَةِ، وَخَلْعَةٌ رَبُّوبِيَّةٌ
مِنْ خِلْعِ الْوَلَايَةِ، وَوَصْلَةٌ قَرِيبَةٌ لِأَهْلِ الْعَنَايَةِ، وَرَحْمَةٌ خَاصَّةٌ^(٧) لِأَصْحَابِ الْجَنَانِيَةِ.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩١ / ١)، وابن الجوزي في «التحقيق في أحاديث الخلاف» (١٥٧٨)،
قال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به؛ لَأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَرَوِيِّ،
وهو الجوباري، وكان كذاباً يضع الحديث. وقال ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٢٥٣٠):
هذا الحديث موضوعٌ.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩١ / ١).

(٣) في (أ): «وعن ابن مسعود».

(٤) في (ر): «يجعل»، وفي (ف): «فيجعل»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٥) في هامش (ف): «الْجُنَّةُ: الْوَقَايَةُ كَالْحَصَنِ الْمَنِيعِ».

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩١ / ١)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٢٦ / ١)،

وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤٣ / ١).

(٧) في (أ) و(ر): «خاصية».

وقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: الباءُ حرفُ تَضمينٍ وإِصاقٍ، ولها وجوهٌ خمسة :

أحدها: أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِمَا تَقَدَّمَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ؛ أَي: أَعُوذُ بِسْمِ اللَّهِ.

والثاني: أَنَّهُ يَتَّصِلُ^(١) بِأَمْرِ مُضْمَرٍ أَوْ إِخْبَارٍ مُضْمَرٍ؛ الأَمْرُ: إِبْدَأْ، لِلوَاحِدِ، وَ: ابدؤوا، لِلْجَمْعِ، وَالْإِخْبَارُ: اَبْدَأْ أَنَا، أَوْ: نَبْدَأْ نَحْنُ، وَالْإِخْبَارُ أَوْلَى؛ لِيُوَافِقَ مَا قَبْلَهُ: أَعُوذُ وَأَبْدَأُ.

والثالث: أَنَّ مَعْنَاهُ: أَتَيْمَنُ وَأَتَبَرَّكُ وَأَسْتَعِينُ وَأَسْتَثْبِتُ وَأَسْتَغِيثُ بِسْمِ اللَّهِ.

والرابع: بِسْمِ اللَّهِ كَانَ مَا كَانَ وَيَكُونُ مَا يَكُونُ.

ويحكي^(٢) عن جعفرٍ الصادقِ أَنَّهُ قَالَ: أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ كُلِّ كِتَابٍ الْقُرْآنَ، وَأَوْدَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْفَاتِحَةَ، وَأَوْدَعَ عِلْمَ الْفَاتِحَةِ التَّسْمِيَةَ، وَأَوْدَعَ عِلْمَ التَّسْمِيَةِ الْبَاءَ؛ أَي: بِي كَانَ مَا كَانَ وَيَكُونُ مَا يَكُونُ.

وقيل: كَشَفَهُ: بِالْهَيْئَةِ عَرَفَهُ الْعَارِفُونَ، وَبِعَظْمِهِ ارْتَزَقَ الْعَالِمُونَ، وَبِرَحْمَتِهِ نَجَا الْمَذْنُبُونَ.

وقيل: كَشَفَهُ: بِاللَّهِ سَلِمَتْ قُلُوبُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَمَّا لَيْسَ فِيهِ رِضَى اللَّهِ، وَبِالرَّحْمَنِ سَعَتْ نَفُوسُ عِبَادِ اللَّهِ فِي خِدْمَةِ اللَّهِ، وَبِالرَّحِيمِ تَخَلَّصَتْ أَرْوَاحُ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ عَمَّا يُوجِبُ سَخَطَ اللَّهِ.

والخامس: أَنَّهُ خَبِرُ مَبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ؛ أَي: هَذَا بِسْمِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]؛ أَي: هَذِهِ سُورَةٌ، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [ص: ٢٩]؛ أَي: هَذَا كِتَابٌ.

(١) فِي (ف): «مُتَّصِلٌ».

(٢) فِي (أ): «وَحَكِي».

ثم اللَّطِيفَةُ فِي أَنَّ هَذِهِ الْوَجْهَ الَّتِي بَيْنَا إِضْمَارَهَا لَمْ تُظْهَرْ، وَبِذِكْرِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ لَمْ تَبْدَأْ^(١): أَنْ تَكُونَ الْبِدَايَةُ بِسْمِ اللَّهِ، فَلَا يَكُونُ افْتِتَاحُ كَلَامِ^(٢) الْقَارِئِ بِذِكْرِ فِعْلِ نَفْسِهِ، بَلْ بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّهِ كَمَا بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] لَا كَمَا قَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، فَلَا يُسْتَفْتَحُ بِأَحْسَنِ مِنْ اسْمِ اللَّهِ^(٣) كَلَامٌ، وَلَا يُسْتَجْعَلُ بِأَعْظَمِ مِنْ فَضْلِهِ مَرَامٌ، تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: بِقُوَّةِ اسْمِ اللَّهِ قَدَرْتُ أَنْ بَدَأْتُ، وَهُوَ مَعْنَى^(٤) قَوْلِنَا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ بِذِكْرَيْنِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وَ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: الْأَشْيَاءُ بِهِ وَجُودُهَا وَلَهُ مَلَكُهَا.

ثُمَّ إِنَّمَا طَوَّلَتْ هَذِهِ الْبَاءُ دُونَ سَائِرِ الْبَاءَاتِ؛ لَوْجُوهُ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرَ بِذَلِكَ فِيمَا رُويَ لَنَا بِإِسْنَادٍ عَنْ مَكْحُولٍ الشَّامِيِّ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: كُنْتُ أَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُعَاوِيَةُ، أَلْقِ الدَّوَاءَ، وَحَرِّفِ الْقَلَمَ، وَأَنْصِبِ الْبَاءَ، وَفَرِّقِ السَّيْنَ، وَلَا تُعَوِّرِ الْمِيمَ، وَحَسِّنِ اللَّهَ، وَمَدِّ الرَّحْمَنَ، وَجُودِ الرَّحِيمَ»^(٥).

(١) فِي (ر): «نَبْدَأُ».

(٢) فِي (أ): «بِكَلَامٍ»، وَلَيْسَتْ فِي (ف).

(٣) فِي (أ): «مِنْ اسْمِهِ».

(٤) فِي (ف): «بِمَعْنَى».

(٥) رَوَاهُ السَّمْعَانِيُّ فِي «أَدَبِ الْإِمْلَاءِ وَالِاسْتِمْلَاءِ» (ص: ١٧٠)، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْفَرْدُوسِ»

(٥/ ٣٩٤)، وَمَكْحُولٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاوِيَةَ، كَمَا فِي «مُرَاسِيلِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ» (ص: ١٦٦).

قَوْلُهُ: (أَلْقِ الدَّوَاءَ) بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ أَمْرٌ مِنْ أَلَاَقِ الدَّوَاءِ: إِذَا جَعَلَ لَهَا لَيْقَةً وَأَصْلَحَ لَهَا =

والثاني: ما قاله القُتَيْبِيُّ^(١): أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا^(٢) أَنْ يَفْتَتَحُوا كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا بِحَرْفٍ مَفْخَمٍ مُعْظَمٍ^(٣).

والثالث: أَنَّهُمْ لَمَّا^(٤) أَسْقَطُوا الْأَلْفَ مِنَ الْأَسْمِ، فَرَدُّوا طَوَلَ الْأَلْفِ عَلَى الْبَاءِ؛ لِيَكُونَ دَلَالَةً عَلَى سَقُوطِ الْأَلْفِ مِنْهُ؛ وَإِنَّمَا أَسْقَطُوهَا هَاهُنَا؛ لِكثَرَةِ دَوَرِهَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَفِي الْكِتَابَةِ طَلَبًا لِلخَفَّةِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْرَرِكَ﴾ [العلق: ١] وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، لَمْ يَوْجَدْ هَذَا، فَلَمْ يَحْذَفِ الْأَلْفَ وَلَمْ تَطَوَّلِ الْبَاءُ.

ثُمَّ إِنَّمَا كُسِرَتِ الْبَاءُ مَعَ أَنَّهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ، وَالْحُرُوفُ الْمَفْرَدَةُ مُفْتَوَحَةٌ - كَالتَّاءِ وَالْفَاءِ وَالْكَافِ وَاللَّامِ وَالْوَاوِ - لِثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

= مدادها؛ أي: استمرَّ على تعمييرها في وقتٍ قليلًا قليلًا، ومنه قولُ عليِّ بنِ هلالٍ المعروفِ بابنِ البَوَّابِ في قصيدته في صناعة الكتاب:

وَأَلْقَى دَوَاتِكَ بِالْمِدَادِ مُعَمَّرًا بِالْخَلِّ أَوْ بِالْحِضْرِمِ الْمَعْصُودِ

(وحَرَفَ القلم) بتشديد الراء المكسورة: أَمَرٌ مِنَ التَّحْرِيفِ؛ أي: اجْعَلْ طَرَفَ شَقِهِ الْأَيْمَنِ أَزِيدَ مِنَ الطَّرَفِ الْآخِرِ قَلِيلًا لِأَنَّهُ أَسْرَعَ فِي الْكِتَابَةِ وَأَبْدَعَ فِي اللَّطَافَةِ.

(وَفَرَّقَ السَّيْنَ)؛ أي: أَسَنَانَهَا (وَلَا تَعَوِّرِ الميم)؛ أي: لَا تَطْمِسْهَا بِلِ بَيْنَ وَسَطِهَا، وَهُوَ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ بَعْدَ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ. انظر: «شرح الشفا» للملا علي القاري (١/ ٧٢٧)، وفيه: (وَأَقَمِ الْبَاءُ)؛ أي: طَوَّلَهَا.

(١) في (ر): «القُتَيْبِيُّ».

(٢) في (ف) و(أ): «يَرِيدُوا».

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعزاه للقيسي.

(٤) «لَمَّا» من (ف).

أحدها: أَنَّ الباءَ حرفٌ ممالٌ في الاسم، فَإِنَّكَ تَقْرَأُ^(١) الباءَ على الإمالة، وهي دليل^(٢) الكسرة، وليس كذلك الكافُ واللامُ والواوُ؛ لَأَنَّهَا لَا تُمَالُ، وَلَا يَلْزَمُ عَلَيْهَا التَّاءُ أَنَّهَا^(٣) تُمَالُ وَمَعَ ذَلِكَ تُفْتَحُ فِي قَوْلِكَ: تَاللهِ؛ لَأَنَّهَا بَدَلُ وَاوِ الْقَسَمِ، وَالْوَاوُ مَفْتُوحَةٌ فَأُلْحَقَ الْبَدَلُ بِهَا، وَبِخِلَافِ^(٤) الْفَاءِ فَإِنَّهَا^(٥) مَمَالَةٌ، وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ فِي قَوْلِكَ: فَاللهِ؛ لَأَنَّهَا^(٦) لَوْ كُسِرَتْ فَقِيلَ: فَاللهِ، اشْتَبَهَتْ بِ: فِي اللهِ، فَفُتِحَتْ؛ لِيَزُولَ الْاشْتِبَاهُ.

والثاني: قَوْلُ سيبويه: أَنَّهَا لَا عَمَلَ لَهَا إِلَّا الْكُسْرُ، فَكُسِرَتْ لَذَلِكَ، بِخِلَافِ الْكَافِ؛ لَأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ لِلخَطَابِ لَمْ تَكُنْ كَاسِرَةً، وَكَذَلِكَ التَّاءُ، وَأَمَّا اللَّامُ فَكَثِيرٌ مِنَ اللَّامَاتِ لَيْسَتْ بِكَاسِرَةٍ، وَكَذَا الْوَاوُ وَالْفَاءُ.

والثالث: قَوْلُ الْمَبْرُودِ: أَنَّ أَصْلَهَا الْيَاءُ، فَإِنَّكَ^(٧) تَقُولُ: بَيَّيْتُ؛ أَي: كَتَبْتُ الْيَاءَ^(٨)، وَلَا كَذَلِكَ سَائِرُ الْحُرُوفِ، فَإِذَا رَدَدْتَهَا إِلَى الْيَاءِ كَسَرْتَهَا؛ لِأَنَّ الْيَاءَ أَخْتُ الْكُسْرَةِ.

(١) فِي (ف) وَ(أ): «تَقُولُ».

(٢) فِي (ر): «دَلَالَةٌ».

(٣) فِي (ف): «وَلَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ التَّاءُ لِأَنَّهَا».

(٤) فِي (ف): «بِخِلَافِ».

(٥) فِي (أ) وَ(ر): «أَنَّهَا».

(٦) فِي (ف): «فَإِنَّهَا».

(٧) فِي (ر): «لِأَنَّكَ».

(٨) فِي (ر): «الْبَاءُ». وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ. انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (١/ ٩٢)، وَلَفْظُهُ: (..) أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا

أَخْبَرْتَ عَنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ قُلْتَ: بَيَّيْتُ، فَرَدَدْتُهَا إِلَى الْيَاءِ وَالْيَاءُ أَخْتُ الْكُسْرَةِ...

وبعد الباء ﴿اسم﴾ وفيه أربع لغات: (اسم) بكسر الألف، و(اسم) بضمها، و(سم) بكسر السين، و(سم) بضمها، قال الشاعر:

والله سَمَّاكَ سُمًّا مَبَارَكًا أَثَرَكَ اللَّهُ بِهِ إِثَارَكَ^(١)
وقال آخر:

سُبْحَانَ مَنْ فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمُهُ قَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى طَرِيقِ نَعْلُمُهُ^(٢)
وقال آخر:

وعامُنَا أَعْجَبَنَا مُقَدَّمُهُ يُدْعَى أَبَا السَّمْحِ وَقِرْضَابُ سِمُهُ^(٣)
واشتقاقه من: سَمًا يَسْمُو سُمًّا، وَسَمَى يَسْمِي سُمِيًّا؛ أي: عَلَا، فقولهم:
(أَسْم) بِالضَّمِّ؛ بُنِيَ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ مِنَ الْوَائِي مِنْهُ، وَقَوْلُهُمْ: (أَسْم) بِالْكَسْرِ؛
بُنِيَ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ مِنَ الْيَائِي^(٤) مِنْهُ، كَقَوْلِهِمْ: (أَمْس) عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ،
مِنْ: أَمَسَى يُمَسِي^(٥).

(١) الرجز في «إصلاح المنطق» (ص: ١٣٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٣). قال ابن السكيت:
أُنْشَدَنِي الْقَنَانِي. فَنَسَبَهُ الْعَيْنِي فِي «المقاصد النحوية» (١/ ٢٠٤) إِلَى أَبِي خَالِدِ الْقَنَانِي.
(٢) الرجز أورده أبو البركات الأنباري في «الإنصاف» (١/ ١٥ - ١٦)، وابن منظور في «لسان العرب»
(مادة: سما).

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٤)، و«تهذيب اللغة»
(٢٨٧/ ٩). قِرْضَبَ الرَّجُلُ: إِذَا أَكَلَ شَيْئًا يَابَسًا.

(٤) فِي (أ): «الثاني».

(٥) قوله: (أَمْس) عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ، مِنْ: أَمَسَى يُمَسِي) كَذَا فِي النسخ، وفيه نظر لأنه قياس للثلاثي على
الرباعي، ولا وجه له هنا، ولعل الصواب: (امس من مَسَى يُمَسِي)؛ أي: من الثلاثي، يقال: مَسَى
يُمَسِي مَسِيًّا: إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ بَعْدَ حُسْنٍ. وَمَسَى يُمَسِي مَسِيًّا وَأَمَسَى وَمَسَى كُلُّهُ: إِذَا وَعَدَكَ بِأَمْرٍ ثُمَّ أَبْطَأَ
عَنْكَ. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٨٢).

والأسماء المبنية على صيغة الفعل كثيرة، كقولهم: يشكر وي زيد وتغلب ويعمل، ومعنى الاسم من هذا المأخذ: أَنَّ المسمَّى يعلو بتسميته، وذاكرُ الله تَعَلُّو درجته بذكر الله ومُدَحِّته.

ومن قال: إِنَّ اشتقاقه من وَسَمَ يَسِمُ، فقد أخطأ؛ لأنَّ الفعل منه: سَمَى يُسَمِّي، وتَسَمَّى يَتَسَمَّى، وجمع الاسم: الأسماء والأسماء، وتصغيره: السَّمِي، وحرفُ العلة في آخره، ولو كان من الوسم لم يكن كذلك. والألف في أوله مُدْرَجَةٌ تذوبُ عند الوصل؛ لأنها أُدْخِلَتْ في أوله زائدة بعد حذف آخره تخفيفاً، والزوائد الضرورية كذلك، كما في الابن والابنة والاثنين^(١)، وألفات الأمر من الأفعال الثلاثية والأفعال المتشعبة.

ثم تكلموا في إدخال كلمة (اسم) هاهنا:

قال أبو عبيدة: هو صلة وزيادة، ومعناه: بالله، كما في قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]؛ أي: يُذْكَرُ هو، وقوله: ﴿بَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]؛ أي: تبارك ربك، كما قال: ﴿بَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال لبيد^(٢):

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يئيكِ حَولاً كامِلاً فقد اعتَذَرَ^(٣)

(١) في (أ): «والابنين».

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥١).

(٣) في هامش (ف): أوله:

تمنى ابتيأي أن يعيش أبوهما وما أنا إلا من ربيعة أو مضر

وقالوا: في القرآن أربع كلمات هي ^(١) صلات؛ وهي: الاسم، والوجه، وكاد، وطفق:

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: ٨]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠]، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وتكلموا في معنى الزيادة: قال الأخفش: هو للتبرك، ولو قيل: بالله، لظنوه قسماً، فأزيل الاشتباه بذكر هذه الزيادة.

وقال قطرب: إنه لإجلال ذكر ^(٢) الله؛ ليقع به الفرق بين ذكره وبين ذكر خلقه في مثل قولهم: تبركت بفلان ^(٣).

وأكثرهم على أن الكلمة مقصودة غير زائدة، ومعناه البداية بذكر أساميهِ التي سمى نفسه بها والتبرك بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفيه شيان: الشاء على الله بها، واستنجاح الحوائج بذكرها.

فأما ^(٤) الأول: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهي تسعة وتسعون اسماً متفرقة في القرآن، وسمى المؤمنين بأسمائهم حسنة في القرآن، كما في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآيات [المؤمنون: ١]، ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ﴾ [الآية [التوبة: ١١٢]، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الآية [الأحزاب: ٣٥]، ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ^(٥) الَّذِينَ هُمْ ﴿[الآيات [المعارج: ٢٢ - ٢٣]، وقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) في (ف) و(أ): «هن».

(٢) في (ر): «اسم». والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «النكت والعيون» (١/٤٧).

(٣) في (ر): «اسم». والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «النكت والعيون» (١/٤٧).

(٤) في (ف): «أما».

وقال عليه السلام: «مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ^(١) ذِكْرِهِ»^(٢)، والله تعالى أَحَبُّكَ فَأَكْثَرَ ذِكْرَكَ وَعَدَّ أَسْمَاءَكَ الْحَسَنَةَ، وَأَنْتَ تَحِبُّهُ فَادْعُهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى.

وقد أَمَرَ اللهُ تعالى بِذِكْرِ اسْمِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ثُمَّ خَصَّ الزَّمَانَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]، وَالْمَكَانَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِي مَيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، وَالْمَحَلَّ فَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ [الحج: ٣٦]، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحِلَّ فَقَالَ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨]، وَحَرَّمَ مَا لَا^(٣) يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَمَنْ خَتَمَ لَهُ بِاسْمِ اللَّهِ مَاتَ سَعِيداً، وَمَنْ وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فَقِيلَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ لُقِّنَ الْجَوَابَ وَلَقِيَ الثَّوَابَ، وَمَنْ أُعْطِيَ كِتَابَهُ فِي الْقِيَامَةِ وَأُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ، أُلْهِمَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَفِي الْخَبَرِ: أَنَّ عَبْدًا يُؤْتَى كِتَابَهُ فَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيَنْشُرُهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ لَا شَيْءَ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: كَانَ مَمْلُوءاً سَيِّئَاتٍ فَمُحِيَ بِبِرْكَةِ التَّسْمِيَةِ، وَإِذَا مَرَّ عَلَى الصَّرَاطِ وَأُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ أُلْهِمَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٤).

وَفِي الْخَبَرِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُونَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيَمْرُونَ عَلَيْهَا وَثِيَابُهُمْ نَدِيَّةً مِنَ الْعَرَقِ.

(١) «من» ليست في (ف).

(٢) رواه أبو نعيم والديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وانظر: «ضعيف الجامع».

(٣) في (ف): «لم».

(٤) في (أ) و(ف): «أن يقول هذا».

وأما استنجاح الحوائج فقد قال علي رضي الله عنه: كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ^(١) مُسهلة للوعور، مُجَنِّبة للشرور، شفاء ^(٢) لِمَا في الصدور، أمان يوم النُّشور. وأما اسمه ^(٣) (الله) مرَّ الكلام فيه ^(٤) في التَّعوُّذ.

وقوله ^(٥): ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هما اسمانِ مشتقانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ورحمة الله هي إرادته الخير بأهله.

وقيل: هي إعطاء الله العبد ما لا يستحقُّه مِنَ المثوبة، ودفع ما يستوجه مِنَ العقوبة.

وقيل: هي ترك عقوبة مَنْ يستحقُّ العقوبة.

وقيل: هي المِنَّة على المحتاج.

وقيل: هي العطف.

وكثرت أقاويل السلف والخلف في تفسيرهما:

روى أبو سعيد الخُدري رضي الله تعالى عنه أن عيسى عليه السلام قال:

﴿الرَّحْمَنُ﴾ رحمن الدنيا، و﴿الرَّحِيمُ﴾ رحيم الآخرة ^(٦).

(١) «الرحمن الرحيم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وشفاء».

(٣) في (أ): «وقوله»، بدل: «وأما اسمه».

(٤) في (ف): «عليه».

(٥) في (ف): «وأما اسماء».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/١٢٦)، وفيه: «الرحمن: رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم

الآخرة». ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (١/٣٠٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات»

(١/١٤٥)، وقال ابن عدي: حديث باطل. وقال ابن الجوزي: موضوع. وفيه: إسماعيل بن يحيى =

ويرجع إلى ذلك قول مجاهد: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بأهل الدنيا، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل الآخرة^(١).
وقول يحيى بن معاذ الرازي: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بمصالح معاشهم، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بمصالح معادهم^(٢).

وقول بكر بن عبد الله المزني: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بِنِعَم^(٣) الدنيا، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بنعيم الآخرة^(٤).

وقول الحارث بن أسد: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ برحمة النفوس، و﴿الرَّحِيمُ﴾ برحمة القلوب^(٥).

وقال أبو بكر الورّاق: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالنعماء، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بالآلاء؛ فالنعماء ما أعطى وحبا، والآلاء ما صرف وزوى^(٦).

= التيمي، قال عنه الأزدي كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٤٥): ركن من أركان الكذب.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٩).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١). ويحيى بن معاذ الرازي من كبار المشايخ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة، توفي بنيسابور سنة (٢٥٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥).

(٣) في (ر) و(ف): «بنعيم».

(٤) في (ف) و(أ): «بنعم الدين». وبكر بن عبد الله هو أبو عبد الله المزني البصري أحد الأعلام، يذكر مع الحسن وابن سيرين، حدث عن المغيرة بن شعبة وابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وعدة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣٢).

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٠). والحارث بن أسد هو أبو عبد الله البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية، كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، توفي سنة (٢٤٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٠).

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٠).

وقال محمد بنُ عليّ الترمذي^(١): ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالإنقاذِ مِنَ النيرانِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإدخالِ إِلَى الجنانِ.

وقال السَّريُّ بنُ مُغلَّس^(٣): ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بكشفِ الكروبِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بغفرانِ الذنوبِ.

وقال عبد الله بنُ الجراح^(٤): ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بتبيينِ الطريقِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بالعصمةِ والتوفيقِ.

وقال ابنُ عباس: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: العاطف على البرِّ والفاجرِ بالرِّزقِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنينَ خاصَّةً^(٥).

وقال مقاتل بنُ سليمان: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: العطوف على كُلِّ عباده بفضلِهِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾: الرفيق بأهل طاعته؛ إذ لم يكلفهم ما لا يُطيقون، وأوجبَ لهم مِنَ الرحمةِ ما لا يستحقُّون.

وقال خارجةُ بنُ مصعبٍ^(٦): ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بكُلِّ خَلْقِهِ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي صاحب «نوادير الأصول»، المتوفى نحو (٥٣٢٠هـ). ووقع في مطبوع «تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٠): المزيدي.

(٢) في (ف): «في».

(٣) الزاهد المعروف، أبو الحسن البغدادي السقطي خال الجنيدي وتلميذ معروف الكرخي، توفي سنة (٢٥٧) وكلامه أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٤) لعله عبد الله بن الجراح بن سعيد التميمي، أبو محمد القهستاني نزلي نيسابور، من رجال «التهذيب»، وكلامه أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٥) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢) بنحوه.

(٦) خارجة بنُ مُصعب بن خارجة أبو الحجاج الضُّبَعِيُّ السَّرْحَسِيُّ، عالمُ أهل خراسانَ على لِينِ فيه، توفي سنة (١٦٨). انظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٨).

وقال السَّريُّ بنُ مُغلَّسٍ أيضاً: ﴿الرَّزْمَنُ﴾: العاطفُ على عباده؛ يَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، و﴿الرَّجِيحُ﴾: بِالْمُؤْمِنِينَ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا يُذْنِبُونَ.

وقال الضحاك: ﴿الرَّزْمَنُ﴾: بِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ حِينَ أَسْكَنَهُمُ السَّمَاوَاتِ، وَطَوَّقَهُمُ الطَّاعَاتِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِقُرْبِهِ، وَاتَّمَنَّهُمْ عَلَى وَحْيِهِ، وَجَنَّبَهُمُ الْآفَاتِ، وَقَطَعَ^(١) عَنْهُمْ الشَّهَوَاتِ، وَأَنْطَقَ أَلْسِنَتَهُمْ بِأَنْوَاعِ التَّسْبِيحِ، وَأَبْعَدَهُمُ عَنِ الشَّبَهَاتِ^(٢)، وَكَسَاهُمْ مَلَابِسَ النُّورِ، ﴿الرَّجِيحُ﴾: بِأَهْلِ الْأَرْضِ حِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَأَعَذَّرَ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ بَيْنَ لَهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ وَصَرَفَ الْبَلَايَا عَنْهُمْ^(٣).

وقال ابنُ المَبَارَكِ: ﴿الرَّزْمَنُ﴾: الَّذِي إِذَا سُئِلَ أَعْطَى، و﴿الرَّجِيحُ﴾: الَّذِي إِذَا لَمْ يُسْأَلْ غَضِبَ^(٤).

وقال بَسَّامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِرَاقِيُّ^(٥): ﴿الرَّزْمَنُ﴾: بِأَهْلِ طَاعَتِهِ؛ حِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ الطَّاعَاتِ وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ صَافِيَاتٍ، ﴿الرَّجِيحُ﴾: بِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ؛ إِذَا تَابُوا مَحَا عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ وَأَبْدَلَهَا حَسَنَاتٍ.

(١) فِي (ف): «وَوَضَعَ».

(٢) قَوْلُهُ: «وَأَبْعَدَهُمُ عَنِ الشَّبَهَاتِ» مِنْ (ر).

(٣) أَوْرَدَهُ بَنَحْوَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٩٩ - ١٠٠).

(٤) أَوْرَدَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ١٠٠).

(٥) بَسَّامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرِيفِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْكُوفِيُّ، رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ وَجَعْفَرِ الصَّادِقِ وَعَطَاءٍ وَعُكْرَمَةَ، وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَوَكَيْعٌ وَأَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ رِجَالِ «التَّهْذِيبِ».

وقال مطرُ الورَّاق: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بغفرانِ السيئات، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بقبولِ الطاعات^(١).

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بِمَنْ جَحَدَهُ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بِمَنْ وَحَّدَهُ^(٢).

وقيل: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بِمَنْ كَفَرَهُ، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بِمَنْ شَكَرَهُ.

وقيل: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالفِطْرة، و﴿الرَّحِيمُ﴾ بالدَّعوة.

وروى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابنِ عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ و﴿الرَّحِيمُ﴾ اسمانِ رقيقان^(٣)؛ أحدهما أرقُّ من الآخر^(٤).

قال الحسين بنُ الفضل البجليُّ: هذا وَهْمٌ مِنَ الرَّاوي؛ لأنَّ الرَّقَّةَ ليست من صفاتِ الله تعالى - وتفسيرها: الشفقةُ الناشئةُ من رقة القلب - وإنما هما رقيقان، والرَّفْقُ من صفاتِ الله تعالى، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، وَيَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ»^(٥).

وكثيرٌ من العلماء صحَّحوا روايةَ القاف، وفسَّروا الرَّقَّةَ باللطف وكمالِ العطف، مجازاً مأخوذاً من رقةِ قلوب العباد على أحبَّتهم، وهو كمالُ عطفهم ورحمتهم.

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١)، وزاد: والرَّحْمَنُ بِمَنْ كفر والرَّحِيمُ بِمَنْ شكر، والرَّحْمَنُ بِمَنْ قال ندًا والرَّحِيمُ بِمَنْ قال فرداً.

(٣) في (ف): «رقيقان»، والصواب المثبت كما سيأتي بيانه.

(٤) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس موقوفاً. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير، وهو كذاب، والكلبي متروك. وقال ابن حجر في «الفتح» (٣٥٩/ ١٣): لا يثبت هذا الحديث؛ لأنه من رواية الكلبي، وهو متروك.

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر كلام الحسين بن الفضل في «الأسماء والصفات» عقب الخبر رقم (٨٣).

واختلفوا بعد ذلك في المراد بهذا الحديث على أربعة أقاويل:
فقال بعضهم: معناه: أن أحد الاسمين أدلُّ على زيادة لطفٍ، لا يفهم ذلك من
الاسم الآخر.

وقالوا: لا يُعرف^(١) ذلك الاسم على التعيين؛ لوجود الإبهام وعدم التبيين.
وقال سعيد بن جبير: هو الرحمن؛ لأنه يعمُّ الكافر والمؤمن جميعاً، قال الله
تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾
[البقرة: ١٢٦].

وقال وكيع بن الجراح: هو الرحيم؛ لأنه يشمل المؤمن في الدنيا والآخرة؛
أمّا^(٢) في الدنيا فظاهرٌ، وأمّا في الآخرة فغفرانُ ذنوبهم وإدخالُهم^(٣) الجنة، قال الله
تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ
اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقال قائلون: معناه: أن كل واحدٍ منهما أرقُّ من الآخر؛ على معنى: أن في
كل واحدٍ من الاسمين معنى يفهم منه ما لا يفهم ذلك من الآخر، بحيث لا يمكن
تفضيل أحدهما على الآخر، وذلك فيما حكينا من الأقاويل.

وقال ثعلب: الرحمنُ أمدحُ من الرحيم، والرحيم أرقُّ من الرحمن.
وقال جعفر بن محمد الصادق: الرحمنُ خاصٌّ في التسمية عامٌّ في الفعل،
والرحيم عامٌّ في التسمية خاصٌّ في الفعل^(٤).

(١) في (ف): «نعرف».

(٢) في (ف): «فأما».

(٣) في (ف) و(أ): «فغفران ذنوبه وإدخاله».

(٤) أورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥) عن عبد الرحمن بن يحيى.

وخصوصُ الرَّحْمَنِ في التسمية أنه لا يَتَسَمَّى به أحدٌ غيرُه، وعمومُه في الفعل أنه يَرَحِمُ البَرَّ والفاجرَ، وعمومُ الرحيمِ في التسمية أنه يجوز أن يَتَسَمَّى به غيرُه، قال الله تعالى في حقِّ نبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿الْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال في حقِّ أصحابه^(١): ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وخصوصُه في الفعل أنه يَرَحِمُ المؤمنَ دونَ الكافرِ.

وقال أبو عبيدة: الرحمنُ ذو الرحمة، كالعَطْشان هو ذو^(٢) العَطَش، والرَّيَّان هو ذو الرِّيِّ، والرَّحِيمُ هو الراحم، كالقَدِير هو القادر، والعَلِيم هو العالم، فالأَوَّل إثباتُ صفةٍ، والثاني إثباتُ فعلٍ^(٣).

وقيل: الرحمنُ على وزن فَعْلان^(٤)، وهو مبالغةٌ في الصفة، فإنَّ الغضبانَ هو الممتلئُ غضباً، والسكرانُ هو الممتلئُ سُكراً، والرَّحِيمُ هو الدائمُ الرحمة، والرَّاحِمُ هو الذي وُجدت منه الرحمةُ.

وقيل: الرَّحْمَنُ: مَنْ له الرحمةُ، كالغَضَبان: مَنْ له الغضبُ، والرَّحِيمُ: مَنْ يَرَحِمُ، كالسَّمِيع: مَنْ يَسْمَع.

ثم معنى الجمع بين الاسمين مع أنَّهما من صفةٍ واحدةٍ وجوهٌ أربعةٌ:

(١) في (ف): «الصحابة».

(٢) في (أ): «هو ذا» وفي (ر): «ذو» دون «هو».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢١ / ١)، ولفظه: «الرَّحْمَن» مجازه ذو الرحمة، و«الرَّحِيم» مجازه الراحم، وقد يقدِّرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد، وذلك لآتساع الكلام عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: ندمان ونديم.

(٤) في (أ): «الفعْلان».

أحدها: الإشباع، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ كالتَّدْمَانِ وَالتَّيْدِيمِ، وَاللَّهْفَانِ وَاللَّهْيَفِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا كَالْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِمْ: جَادُّ مُجَدُّ.

والثاني: قولُ ثعلب: أَنَّ الرَّحْمَنَ عِبْرَانِيٌّ الْأَصْلُ، فَقَرَنَ بِهِ الرَّحِيمُ الَّذِي هُوَ مَفْهُومُ الْعَرَبِ^(١).

والثالث: أَنَّ مَعْنَى الْأَسْمِينَ مُخْتَلَفٌ كَمَا مَرَّ مِنَ الْأَقْوَالِ^(٢)، فَلَمْ يَكُنْ تَكَرُّارًا.

والرابع: أَنَّهُ بَدَأَ بِاسْمِ اللَّهِ وَهُوَ دَلَالَةُ الْهَيْبَةِ، فَذَكَرَ بَعْدَهُ أَسْمِينَ مُشْتَقِّينَ مِنَ الرَّحْمَةِ، يَبْشُرُهُمْ أَنَّهُ يُوصِلُ إِلَى عِبَادِهِ آثَارَ رَحْمَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُوصِلُ إِلَيْهِمْ آثَارَ رَهْبَتِهِ^(٣).

ثُمَّ مَعْنَى تَقْدِيمِ اسْمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الرَّحِيمِ: أَنَّهُ اسْمٌ خَاصٌّ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَدَّمَ عَلَى الرَّحِيمِ الَّذِي قَدْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَلِأَنَّ الرَّحْمَنَ أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ، فَكَانَ أَوْلَىَّ بِالسَّبْقِ، وَلِأَنَّ مَعْنَاهُ: الرَّازِقُ، وَمَعْنَى الرَّحِيمِ: الْغَافِرُ، وَأَثَرُ ذَلِكَ أَسْبَقُ^(٤) وَصُولًا إِلَى الْعَبْدِ^(٥)، فَسَبَقَ فِي الذِّكْرِ.

وَمَعْنَى الْبَدَايَةِ فِي التَّسْمِيَةِ^(٦) بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ بِالرَّحْمَنِ، ثُمَّ بِالرَّحِيمِ: أَنَّ النَّاسَ عِنْدَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا فِرْقًا ثَلَاثَةً:

مُشْرِكِي الْعَرَبِ: وَكَانُوا يَعْرِفُونَ اسْمَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٥٥-٥٦).

(٢) فِي (أ) وَ(ف): «الْأَقَاوِيل».

(٣) فِي (أ) وَ(ف): «هَيْبَتُهُ».

(٤) فِي (أ): «أَسْبَقَ».

(٥) فِي (أ): «الْعِبَاد».

(٦) بَعْدَهَا فِي (ف): «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿ [لقمان: ٢٥]، وما كانوا يعرفون الرَّحْمَنَ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠].

واليهود: كانوا يعرفون اسمَ الرَّحْمَنَ، قال عبد الله بن سلام لما أسلم: يا رسول الله، لا أرى في كتابكم ذِكْرَ الرَّحْمَنَ، فنزل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] ^(١).

والنصارى: كانوا يعرفون اسمَ الرَّحِيمِ.

فوقعت البداية في خطاب القوم بذكر هذه الأسماء الثلاثة؛ لمعرفة المخاطبين بها.

ولأنَّ كلَّ عبدٍ له ثلاثة أشياء: قلبٌ، ونفسٌ، وروحٌ؛ فعلى القلبِ بهذه التسمية سِمَةُ المعرفة والإيمان، وعلى النفسِ سِمَةُ الرِّزْقِ والإحسان، وعلى الروحِ سِمَةُ العفو والغفران.

ولأنَّ (الله) اسمٌ ممتنع اللفظ والمعنى، والرَّحْمَنُ ممتنع اللفظ مُطلق المعنى، والرَّحِيمُ مُطلق اللفظ والمعنى، فكان البداية باسمِ الله أولى ثم بالرَّحْمَنِ ثم بالرَّحِيمِ. ولأنَّ أحوال العبدِ ثلاثة: سابقته وحالته وخاتمته، فرتَّب هذه الأسماء الثلاثة يُعلمك أنَّه ^(٢) الله الذي أصلح سابقتك، والرَّحْمَنُ الذي هيأَ حالتك، والرَّحِيمُ الذي يُحسن عاقبتك، الله الذي خلَقك، والرَّحْمَنُ الذي رَزَقك، والرَّحِيمُ الذي يَغْفِرُ لك.

وقالوا: لله تعالى ثلاثة آلاف اسمٍ؛ ألفٌ عرفها الملائكة لا غير، وألفٌ عرفها

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٣٣) عن الكلبي بنحوه.

(٢) في (ف): «أن».

الأنبياء لا غير، وثلاثُ مئةٍ في التوراة، وثلاثُ مئةٍ في الإنجيل، وثلاثُ مئةٍ في الزبور، وتسعةٌ وتسعون في القرآن، وواحدُ استأثر الله به.

ثم معنى هذه الثلاثة آلاف اسم^(١) في هذه الأسماء الثلاثة، فمن علمها وقالها فكأنما ذكر الله بكل أسمائه.

وفي القرآن تسعةٌ وتسعون اسماً، فإذا جعلت أثلاثاً^(٢) فكلُّ ثلثٍ ثلاثةٌ وثلاثون، والأمة ثلاثة أصنافٍ: سابقون، ومقتصدون، وظالمون، فثلاثةٌ وثلاثون على^(٣) نصيب السابقين، ومثلها على نصيب المقتصدين، ومثلها على نصيب الظالمين. وهذه الأسماء الثلاثة تتضمن معاني الجميع؛ (الله) يتضمن معاني ثلاثةٍ وثلاثين اسماً، و(الرحمن) كذلك، و(الرحيم) كذلك.

وجُمعت هذه الأسماء^(٤) في التسمية وضُمّنت معاني الجملة: (أي سابقان الله بنم بيدار باشيد، أي مقتصدان رحمن منم هشار ياشيد، أي ظالمان رحيم منم بنوه بركار باشيد، ظالم سيار والمقتصد دوار والسابق طيار^(٥))، وكلهم أنت الظالم نفسك، والمقتصد قلبك، والسابق سرُّك، نفس لمحراب دونه آست دل در ملكوت كرده آست هفرد رير عرس مريده آست الله رحمن رحيم هر سه وأنوار ريده آست).

قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه: وكان شيخنا الإمام الأستاذ الخطيب أبو

(١) «اسم»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «على الأثلاث».

(٣) «على» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «الأسماء».

(٥) في (ف): «طبد».

محمد إسماعيل بن محمد النوحى النسفى^(١) - رحمه الله ورضي عنه - روى لنا عن بعض أولاد علي رضي الله عنه: أن الله تعالى لما خلق القلم قال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فلما سمع اسم^(٢) (الله) وَلَـهُ الْقَلَمُ وانشقَّ نصفين، فوضع رأسه على اللوح كذلك مشقوقاً ألف عام حتى رَحِمَهُ الرَّبُّ تعالى، فأسمعه الاسمين: الرحمن والرحيم^(٣)، فالتأم أحد الشَّقَّين بسماع أحد الاسمين، والتأم الشَّقُّ الآخر بسماع الاسم الآخر.

وقالوا في حذف الألف من (بسم): هي سقطة خيرة، وفيها نقطة فكرة؛ أي: حار القلم فحذف الألف في الكتابة، فصارت هذه السقطة نقطة فكرة لأهل الكتابة. وقالوا: أوجد الله الأشياء بالهيته، وأمسكها برحمته، فما من نعمة على الأولين ولا على الآخرين، ولا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا برحمته، كان^(٤) غفران آدم وحواء برحمته، قال تعالى خبراً^(٥) عنهما: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكذا في حق نوح عليه السلام فإنه قال: ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وكذا في حق موسى وهارون

(١) هو إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح، كتب الحديث بسمرقند، وجلس فيها للعامة كثيراً، وخطب على منبر سمرقند، سمع أبا العباس جعفر بن محمد بن المعتر المستغفري الحافظ، توفي سنة (٤٨١ هـ) بسمرقند، وعاش تسعاً وخمسين سنة. انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٥١).

(٢) في (أ): «فبسماع اسم»، وفي (ف): «فبسماع اسمه».

(٣) في (ف): «الرحمن الرحيم».

(٤) في (ر): «وكان».

(٥) في (ر): «مخبراً».

وإمطارُ السَّحابِ علينا وإنباتُ الأرزاقِ بها برحمته، قال تعالى: ﴿رُسُلُ الرِّيحِ
بُشْرًا يَبْتَغِيكَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وتزيينُ العالمِ في الربيعِ لنا برحمته، قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾
[الروم: ٥٠].

ومنافعُ الليلِ والنهارِ لنا برحمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣].

وسدُّ يأجوجَ ومأجوجَ ودفعُ ضررهم عنا برحمته: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾
[الكهف: ٩٨].

وتوسيعُ الرِّزْقِ علينا برحمته، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا
لَأَمْسَكْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وإعطاءُ الخِصْبِ لنا^(١) برحمته، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

ودوامُ العافية لنا برحمته، قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٩٨].
والألفةُ بين الزوجين برحمته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾
[الروم: ٢١].

وإرسالُ الرسلِ إلينا برحمته، قال: ﴿أَهْمُرِ قَسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].
وإنزالُ القرآنِ برحمته، قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

(١) «لنا»: من (ف).

- وإِعْطَاءُ الْإِيمَانِ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨].
- وَالْعَصْمَةُ مِنَ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ وَالتَّثَبُّتُ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨].
- وَصَلَاحُ الْعَبْدِ وَوَرَعُهُ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].
- وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى وَالنَّفْسِ^(١) بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].
- وَمُخَالَفَةُ الشَّيْطَانِ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].
- وَالْتَوْبَةُ بَعْدَ الْوُقُوعِ فِي الْمُخَالَفَةِ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].
- وَكُلُّ شَيْءٍ نَّالَهُ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
- وَالْخُصُوصُ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٤].
- وَمِنْ أَهْلِ الْخُصُوصِ الْمُحْسِنُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

(١) فِي (أ): «هَوَى النَّفْسِ».

(٢) فِي (ر): «نَّالَهُ بِرَحْمَتِهِ».

والمطيعون أطاعوا الله برحمته، قال تعالى ^(١): ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

والممتقون اتقوا الله برحمته ^(٢)، قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

والمجاهدون مفضلون على القاعدين برحمته ^(٣)، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(٤٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴿ [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وجواز العفو عن القاتل وأخذ الدية بالصلح برحمته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وإمهال من يؤذي ^(٤) المسلمين بلسانه عن المؤاخذه في الحال ^(٥) برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

وإمهال الكفار برحمته، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ الآية [الكهف: ٥٨].

فلا ينبغي للعبد أن يقنط من رحمة الله ^(٦)، قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] فالكافر هو الذي يئس من رحمة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنَ اللَّهِ﴾

(١) قوله: «والمطيعون أطاعوا الله برحمته قال تعالى» ليس في (أ)، وفي (ف): «والمطيعون قال».

(٢) قوله: «اتقوا الله برحمته» ليس في (أ) و(ف).

(٣) قوله: «مفضلون على القاعدين برحمته» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ر) و(أ): «وأمان مؤذي».

(٥) في (ف): «المؤاخذه للحال».

(٦) في (أ): «من رحمة».

رَحْمَتِي ﴿[العنكبوت: ٢٣] والمؤمن راجي رحمته، قال تعالى: ﴿رَجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقد ضلَّ مَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ويختصُّ المؤمن يومَ القيامةِ برحمته، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والجمعُ يومَ القيامةِ برحمته، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤].

ومغفرةُ الذنوبِ برحمته، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].
وشفاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ للأُمَّةِ برحمته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وصرفُ العقوبةِ برحمته، قال تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ [الأنعام: ١٦].

ودخولُ الجنَّةِ برحمته، قال تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وإعطاءُ الشهواتِ فيها برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تَزُلَّازِنَ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿[فصلت: ٣٢].

والبشارةُ برحمته، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ [التوبة: ٢١].

والسلامُ والرؤيةُ برحمته، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

(١) في (أ): «رحمة ربه».

ثم التسمية عند مالك آية من رأس كل سورة، وعند الشافعي آية من رأس^(١) الفاتحة، وعن محمد بن الحسن: أنها آية أنزلت للفصل بين السور. وظاهر مذهب أصحابنا أنها ذكرٌ تبدأ به القراءة تيمناً وليست بآية، وفي سورة النمل هي ما دون آية.

وقالوا: اللطف في أنها ليست^(٢) بآية تامة في القرآن، أن لا يكون^(٣) الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عنها^(٤) عند كل أمر ذي بال، كالشهادتين لم يجمعاً في القرآن في موضع واحد لئلا تتم آية، وربما يحتصر الجنب ونحوه، فلا يمكنه التكلم بهما عند ختم عمره.

وبالله التوفيق وعليه توكلني، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، تم القول على البسمة.

(١) «رأس»: من (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وقالوا ليست»، وفي (ر): «بل هي دون آية، وليست»، بدل: «وقالوا اللطف في أنها ليست».

(٣) في (ر): «إذ لو كانت آية لكان»، بدل: «أن لا يكون».

(٤) في (أ) وهامش (ف): «عنه» وفي (ف): «منها».

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقني^(٢)

(٢) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وانتظام قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالتسمية ما مرَّ: أَنَّ الأشياءَ وجودُها باللهِ وله ملكُها.

وله وجهٌ آخر: بدأتُ بِسْمِ اللَّهِ بِعَوْنِ اللَّهِ، فالحمدُ لله.
ووجهٌ آخرُ: بِسْمِ اللَّهِ الموصوفِ بالرحمةِ، وهي أَجَلُ نعمةٍ، فله الحمدُ على نِعَمِهِ جملةً.

ثم هذه السُّورة ثمانِي آياتٍ في قول الحسنِ البصريِّ رحمه الله، وستُ آياتٍ في قول الحسين الجعفي^(٣)، وسبعُ آياتٍ في قول الجمهورِ مِنْ أَهلِ العلم؛ فالحسنُ عدَّ التسمية و﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيتين، وتركهما الجعفيُّ، والباقون اتَّفَقوا على أَنَّها سبعُ آياتٍ.

(١) في (ر): «سورة فاتحة الكتاب»، وفي (ف): «تفسير سورة الفاتحة».

(٢) قوله: «وبه ثقني» من (ر).

(٣) هو حسين بن علي بن الوليد، أبو عبد الله وأبو محمد الجعفي مولاهم، الكوفي الحافظ المقرئ الزاهد، توفي سنة (٢٠٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/٣٩٧). وذكر قوله القرطبي في «تفسيره» (١٧٦/١) وقال: وهذا شاذ، وذكر القول بأنها ثمانِي آيات عن عمرو بن عبيد المعتزلي، وتعقبه أيضا بقوله: هذا شاذ.

لكن أصحابنا - رحمهم الله - عدُّوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً، وقالوا: ليست التسمية من الفاتحة، والشافعي - رحمه الله - جعلها من الفاتحة، ولم يجعل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

وهي خمس وعشرون كلمةً، ومئة وثلاثة وعشرون حرفاً: اثنان وعشرون ألفاً، وثلاث باءات، وثلاث تاءات، وثلاث حاءات، وأربع دالات، وذال واحدة، وسبع^(١) عشرة لاماً، وثلاث كافات، وغينان، وست راءات، وسينان، وصادان، وضادان، وطاءان، وست عینات، وقاف واحدة، واثنان عشر ميماً، وعشر نونات، وأربع واوات، وأربع هاءات، ولأم ألف واحدة، وثلاث عشرة ياءً.

فمن الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون، وأعوام النبي ﷺ بعد الوحي اثنان وعشرون، وهذه السورة مشتملة على جميع معاني ما أوحى الله تعالى إليه فيها، وليست فيها سبعة أحرف: الثاء والجيم والخاء والزاي والشين والظاء والفاء^(٢).

وفي بعض الآثار: أن الحكمة فيها: أن الثاء من الثبور، والجيم من الجحيم، والخاء من الخوف، والزاي من الزقوم، والشين من الشقاوة، والظاء من الظلمة، والفاء من الفراق، ومعتقد هذه السورة وقارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الأشياء السبعة.

ثم هذه السورة التي آياتها سبع تشتمل على أعداد من الواحد إلى السبع: هي سورة واحدة، وهي نصفان، وفي نزولها ثلاثة أقوال^(٣)، وأقسامها أربعة، وأسماء الله

(١) في (ر): «وست».

(٢) في هامش (ف): «سواقط الفاتحة سبعة: يجمعها قولك: فجش تظخر».

(٣) في (ف) و(أ): «أقاويل».

تعالى فيها خمسة، والأشياء التي يُظهر العبدُ فيها من نفسه^(١) ستّة، وأساميها سبعة.
أما الأول: فهذه السورة واحدة، وإلهنا واحد، وهذه الأُمَّة أُمَّة واحدة، ورسول الله ﷺ يعظُّنا بواحدة، وما خلقكم ولا بعثكم^(٢) إلّا كنفسٍ واحدة، وآياتها ظاهرة.

وأما قولنا: نصفان؛ فنصفها ثناء، ونصفها دعاء، وذلك فيما روي عن أبي هريرة^(٣) رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: «يقول الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بيني وبين عبدي نصفين؛ فإذا قال العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حَمَدني عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أَثْنَى عَلَيَّ عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله تعالى: مَجَّدَنِي عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفان، وإذا قال العبدُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الله تعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٥).

(جون بنده همه سورة أول خواند خدای عز وجل سورة کوید نبده من من انم که تومی کوینی وجون همه أخواین سورة خواند خدای عز وجل کوید نبده من من دهم که تومی خوی)^(٥).

(١) في (أ): «من نفسه فيها».

(٢) في (ف): «وما خلقنا ولا بعثنا» بدل من «وما خلقكم ولا بعثكم».

(٣) في (أ): «فيما روى أبو هريرة».

(٤) رواه مسلم (٣٩٥).

(٥) هذا الكلام الفارسي من (ف)، وفي (أ) بعضه، وسقط من (ر)، وجاء في هامش (ف): «تعريب

الفارسية: إذا قرأ العبدُ هذه السورة النصف الأول يقول الله تعالى: أنا الذي تقرأه وتعتقده، والنصف

الآخر يقول الله تعالى: يا عبدي أعطيك ما تشتهي».

وأما قولنا: في نزولها ثلاثة أقاويل:

فقد قال عليُّ وابنُ عباس وأبيُّ بن كعبٍ ومقاتل وقتادة والضَّحَّاك بنُ مزاحمٍ ومحمد ابنُ الحنفية وأبو العالية والرَّبيع بنُ أنس وعمرو بنُ شَرَحْبِيل وعطاءُ الخراسانيُّ وعليُّ بنُ الحسين بنِ واقد وجماعة: إنَّها مكيَّةٌ، ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] وهي الفاتحة، وهي في سورة الحَجْرِ وهي مكيَّةٌ.

وروى الواحديُّ - وهو عليُّ بنُ أحمد المفسِّر - في «تفسيره» بإسناده عن أبي مَيْسَرَةَ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا بَرَزَ سَمِعَ منادياً يُناديه^(١): يا مُحَمَّد، فإذا سَمِعَ الصَّوْتِ انطلق هارباً، فقال له وَرَقَةُ بنُ نوفل: إذا سمعتَ النداء فائتُبْتُ حتى تسمعَ ما يقولُ لك، قال^(٢): فلمَّا برزَ سَمِعَ النداء^(٣): يا مُحَمَّد، قال: لَبَّيْكَ، قال: قُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله^(٤)، ثم قال: قُلْ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ حتى فرغَ من فاتحة الكتاب.

(١) في (ر): «ينادي».

(٢) «قال»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «سمع كذا».

(٤) في (أ) و(ر): «عبده ورسوله»، والمثبت من (ف)، واللفظان في المصادر.

(٥) في (أ): «فاتحة القرآن» وفي (ر): «الفاتحة». وفي هامش (ف): «حتى فرغ من فاتحة القرآن». وهذا الخبر رواه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٧١)، ورواه أيضاً في «أسباب النزول» (ص: ١٩) واللفظ منه، ورواه بنحوه مطولاً ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٥٥). وقال ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٢٤): وهو مرسل ورجاله ثقات، فإن ثبت حمل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي، والعلم عند الله تعالى.

وقد ذكر هذا الخبر في هامش النسخة الخطية من «روح المعاني» (١/ ١٧٠) بتحقيقنا، وأتبع =

فَدَلَّ الْحَدِيثُ^(١) عَلَى أَنَّ الْفَاتِحَةَ مَكِّيَّةٌ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ، وَأَنَّ التَّسْمِيَةَ لَيْسَتْ بَأَيَّةٍ مِنْهَا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَحْدَهُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ^(٢).

وَقَالُوا: هَذِهِ هَفْوَةٌ مِنْهُ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُصَلِّي فِيهَا بِغَيْرِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، هَذَا مِمَّا لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ.

وَقَالَ جَمَاعَةٌ - وَفِيهِ تَلَفِيقٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ -: هِيَ مَكِّيَّةٌ مَدَنِيَّةٌ؛ أَيُّ: نَزَلَتْ بِمَكَّةَ مَرَّةً وَبِالْمَدِينَةِ مَرَّةً؛ تَفْضِيلًا لِهَذِهِ السُّورَةِ عَلَى غَيْرِهَا، وَلِهَذَا سَمِّيَتْ مِثْنِيًّا؛ لِثَنِيَّةِ نَزْوِلِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُنَا: وَأَقْسَامُهَا أَرْبَعَةٌ^(٣): فَهِيَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَفِيهِ إِظْهَارُ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ الْعِبَادَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ، وَمَدْحُ الْمَوَافِقِينَ، وَذَمُّ الْمَخَالِفِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُنَا: أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا خَمْسَةٌ: فَهِيَ: اللَّهُ وَالرَّبُّ وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَالْمَالِكُ.

وَأَمَّا قَوْلُنَا: الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُظْهِرُ الْعَبْدُ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ سِتَّةً: فَهِيَ: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ،

= بالقول: ولولا صحة الأخبار على غير هذا النحو كان هذا الخبر أقوى دليل على مكيتها، فافهم.

(١) «الحديث» من (أ).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٣٩/١). وفي قول المؤلف: «وحده» نظر، فقد نقل ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٦٥/١) القول بذلك عن الزهري وعطاء بن يسار وسودة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير، لكن المشهور بالقول به مجاهد، قال السيوطي في «الإتقان» (٤٦/١): اشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية، أخرجه الفريابي في «تفسيره» وأبو عبيد في «الفضائل» بسند صحيح عنه، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله.

(٣) في (ف): «على أربعة».

وسؤال المعونة، واستدامة الهداية، وموافقة أهل الرسالة، ومخالفة أهل اليهودية والنصرانية، ومفارقة أهل البدعة والضلالة.

وأما قولنا: أساميها سبعة: فهي: الفاتحة، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وسورة الحمد، وأساس القرآن، وسورة الشفاء، وسورة الصلوة:

أما^(١) الفاتحة: فلأنَّ الافتتاح هو الابتداء، وبها يُبتدأ كتابة المصاحف، وبها يُفتح قراءة القرآن في الصلاة، وبها افتُتح الوحي إلى النبي ﷺ على ما روينا، وكذا كُتب في اللوح المحفوظ، ولأنَّها فاتحة أبواب الفتوح في الدنيا، وفاتحة أبواب الجنان في العقبى، ولأنَّ الفتح هو النصر^(٢)، والاستفتاح الاستنصار، ولقارئ هذه السورة الظفر والنصرة والاستنصار.

وأما أم الكتاب: فالأم هي الأصل، والوالدة أم الولد؛ أي: أصله، ومكة أم القرى؛ أي: أصل سائر البقاع؛ لأنها أول ما خلقت، ومنها دُحيت البلاد، واللوح المحفوظ أم الكتاب، وهو أصل كُتب فيه الكائنات إلى يوم القيامة، وهذه السورة أم الكتاب، وأم القرآن، وهي أصل المذكورات في سائر السور والمشملة عليها:

فإنَّ جميع ما ذكر في القرآن من التحميد والتمجيد والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والذكر والثناء والشكر والدعاء، فهو تحت كلمة: ﴿الْحَمْدُ﴾.

وجميع ما ذكر فيه من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، وما ذكر من ربوبيته وإلهيته ووحدانيته وفرادانيته، فهو تحت كلمة: ﴿لِلَّهِ رَبِّ﴾.

(١) في (أ): «فأما».

(٢) في (أ): «هي النصر».

وجميع ما فيه من ذكر السماء والأرض، والإنس والجن، والنبيين^(١) والمرسلين، والمؤمنين والكافرين، والملائكة^(٢) المقرّبين، وأهل الملكوت أجمعين، والجنّ والشیاطین، وطیور الهواء، وحيوانات الماء، ووحوش الصحراء، وحشرات الأرض، وذكر سائر المخلوقات والموجودات والمكونات والمحدثات، فهو تحت كلمة: ﴿الْعَلَمِينَ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر الترزيق والإنعام، والتربية والإكرام، والإنظار والإمهال، والإحسان والإجمال، فهو تحت كلمة: ﴿الرَّحْمَنَ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر عفو الإجرام، ومحو الآثام، وغفران العصيان، والتجاوز عن الطغيان، وإعتاق العصاة، والرحمة على الجناة، فهو تحت كلمة: ﴿الرَّحِيمَ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر القيامة، وأسمائها وصفاتها، ومواقفها ومقاماتها، وعقوباتها وعقوباتها، وشدائدها وصعوباتها، وأفزاعها وأهوالها، وحسابها وسؤالها، واختلاف أحوالها، والنار ودركاتها، والجنة ودرجاتها، والصراط وخطره، واللّهيب وشرره، فهو تحت قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر الطاعة والخدمة، والعمل والعبادة، والخضوع والخشوع، والقيام والركوع، والسجود والقعود، والصلاة والزكاة، والصيام والقيام، والحجّ والغزو، والائتمار والانزجار، فهو تحت قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وجميع ما فيه من سؤال المعونة، وطلب النصرة، والتماس التوفيق والعصمة،

(١) «والنبيين» ليست في (أ).

(٢) من هنا وقع سقط في (ف) بمقدار صحيفة، وينتهي عند قوله الآتي: «وجميع ما فيه من ذكر

المشركين والكافرين» وسنبين ذلك في موضعه.

وإرادة اللطف، وابتغاء الفضل، ورجاء الكفاية، وأمل الحماية، فهو تحت قوله: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِثُ﴾.

وجميع ما فيه من سؤال الهداية، وخوف الخاتمة، واغتنام المعرفة، ومدح الإسلام والشرعة، وبيان السنة والجماعة، فهو تحت قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر الأنبياء والأولياء، والملائكة والأصفياء، والصديقين والشهداء، والعباد والزهاد والأتقياء، فهو تحت قوله: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وجميع ما فيه من ذكر المشركين والكافرين^(١)، واليهود والنصارى والصابئين، والمجوس والوثنيين، والضالين^(٢) والمبتدعين، فهو تحت قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وقيل: إنما سُميت بذلك لأنها تجمع أقسام كل القرآن؛ فإن أقسام القرآن كلها هذا الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والقصاص والأمثال، والناسخ والمنسوخ، وهذه السورة تشتمل^(٣) على ذلك كله:

فإن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: معناه: قولوا: الحمد لله، وهذا أمر بالحمد، ونهي عن تركه.

وقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: قصص عن إيجاد الخلق^(٤) أجمعين.

(١) هنا ينتهي السقط الذي في (ف).

(٢) في (أ): «والمجوس والثنوين الضالين».

(٣) في (أ): «مشملة».

(٤) في (أ): «إلحاقه الخلائق» وفي (ف): «إيجاد الخلائق».

وقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيه وعدٌ ووعدٌ وتنبيهٌ^(١).

وتسمية الدين صراطاً مثلاً.

وقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: هم هذه الأمة، وشريعتهم ناسخة.

وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: هم اليهود والنصارى، وشريعتهم منسوخة.

وقيل: معنى أم الكتاب: أن الأم هي الراية ينصبها العسكر؛ قال البعيث:

أُمُّنَا مَعْقِلٌ إِلَيْهِ التَّجَاءُ الـ قَوْمِ فِي الْبَاسِ حِينَ حَرَّ الْقِتَالِ^(٢)
فَأُمُّ الْكِتَابِ إِلَيْهَا مَفْرُغُ الْبَشْرِ؛ كَالرَّايَةِ إِلَيْهَا مَفْرُغُ الْعَسْكَرِ.

وقيل: الأم: الإمام؛ فالسورة إمام أهل الإسلام، وأم القرى مقصد الأنام، وجهنم قيل لها: ﴿فَأُتْمِمْ هَاوِيَةً﴾ [القارعة: ٩]؛ لأن الكافر له إليها المرجع والمقام، والدماغ أم الرأس وللرأس به القيام؛ فأُم القرآن تقوم بهذه^(٣) المعاني العظام.

وأما السبع المثاني: فهي السبع الآيات، وتثنى قراءتها في كل صلاة.

وقيل: هي من الشاء، وفيها أثنية^(٤) على الله تعالى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سُميت مثاني لأن الله تعالى استثنى لها هذه الأمة وذخرها لهم فلم يعطها غيرهم^(٥).

(١) «وتنبيه»: ليست في (أ).

(٢) لم أجده.

(٣) في (ف) و(أ): «بها هذه».

(٤) في (ف): «اثنية على»، وكلمة «على» ليست في (أ).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/١١٨).

وقيل: لأنها نزلت مرّتين؛ مرةً بمكةً ومرةً بالمدينة، شيّعها^(١) سبعون ألفَ مَلِكٍ^(٢).

وقيل: لأنَّ أهلَ السماءِ يُصلُّونَ بها، وأهلَ الأرضِ كذلك.

وقيل: لأنَّ نصفَهَا ثناءُ الرَّبِّ تعالى ونصفَهَا سؤالُ العبدِ.

وقيل: لأنها اشتملت على حقّين: حقَّ الله تعالى وحقَّ العبدِ.

وقيل: لأنها تتضمَّن معانيَ علم^(٣) المثاني؛ ذِكْرُ الربوبيةِ والعبوديةِ، والخالقِ والمخلوقِ، والعملِ والتوفيقِ، والهدى والضلالِ، والوليِّ والعدوِّ.

وقيل: تتضمَّن^(٤) كلماتٍ مثانيَ في معنى واحدٍ؛ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، الصراطِ صراطِ، عليهم عليهم، غير^(٦) المغضوب عليهم ولا الضالِّين^(٧).

(١) في (أ): «يشيّعها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٥٠/٥)، والبخاري في «تفسيره» (٣٩١/٤)، والخازن في «تفسيره»

(٦٢/٣)، جميعهم عن الحسين بن الفضل ولم يذكروا له سنداً، ووقع في (ف) و(أ): «سبع مئة

ألف ملك»، والمثبت من المصادر.

(٣) في (أ) و(ف): «على».

(٤) بعدها في (ر): «معاني».

(٥) في (ر): «الله ورب العالمين»، وفي (ف): «الله رب العالمين».

(٦) بعدها في (ف) و(ر): «ولا».

(٧) جاءت العبارة في (أ) هكذا: «وقيل: تتضمَّن معانيَ كلماتٍ مثانيَ في معنى واحدٍ لله رب العالمين

الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالِّين».

وقيل: سُمِّيتَ بذلك^(١)؛ لأنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَصِفَاتِهِ عَلَى قَسَمَيْنِ:
 قَسْمٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالسُّلْطَانِ.
 وَقَسْمٌ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ وَالْعُطْفِ وَالْإِحْسَانِ.
 وَقَدْ اشْتَمَلَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ عَلَى الْقَسَمَيْنِ.
 وَالْحَمْدُ عَلَى قَسَمَيْنِ^(٢): حَمْدٌ عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَحَمْدٌ عَلَى آلَائِهِ وَنِعْمَائِهِ،
 وَقَدْ اشْتَمَلَ قَوْلُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى الْوَجْهَيْنِ.
 وَالْعَالَمُ يَتَنَوَّعُ نَوْعَيْنِ: عَالَمُ الْفَنَاءِ، وَعَالَمُ الْبَقَاءِ^(٣)، وَقَدْ اشْتَمَلَ قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ عَلَى النَّوَاعِي.
 وَالرَّحْمَةُ عَلَى صَرَبَيْنِ: رَحْمَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَرَحْمَةٌ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ يُقَالُ: رَحْمَةٌ
 عَامَةٌ وَرَحْمَةٌ خَاصَّةٌ، وَكَذَلِكَ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يَعْمُ^(٤) الصَّرَبَيْنِ.
 وَالذِّينُ: الْجَزَاءُ، وَهُوَ عَلَى شَيْئَيْنِ: عَلَى الطَّاعَةِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَى الْمَعْصِيَةِ
 بِالْعِقَابِ، وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ عَلَى الشَّيْئَيْنِ.
 وَالطَّاعَةُ نَوْعَانِ^(٥): عِبَادَةٌ وَعِبُودِيَّةٌ^(٦)، وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى النَّوَاعِي^(٧).

(١) فِي (أ) وَ(ف): «بِهَا».

(٢) فِي (أ) وَ(ف): «وَجْهَيْنِ».

(٣) فِي (ف): «عَالَمٌ لِلْبَقَاءِ وَعَالَمٌ لِلْفَنَاءِ».

(٤) فِي (أ): «وَدَلَّ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ عَلَى»، بِدَلَّ: «وَكَذَلِكَ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يَعْمُ».

(٥) فِي (ف): «صَنَفَانِ».

(٦) فِي (أ): «وَعِبُودَةٌ».

(٧) فِي (ف) وَ(أ): «الصَّنَفَيْنِ».

والاستعانة تكون على أمرين: على تحصيل الخير، وعلى ترك الشر، ودلّ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الأمرين.

والفرق الضالّة فرقتان^(١): جبريّة وقدريّة، ودلّ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ردّ الفرقتين.

والهدى: بيان وإرشاد، ودلّ قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ على الوصفين. والمهديون قومان: الأنبياء، والأولياء، ودلّ قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على القومين.

والمخالفون حزبان: كفار ومبتدعون، ودلّ قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ على الحزبين.

وبالفارسية: (نامش مثاني أزيهر دويه معاني حمد دونه صفات سذا وبر آلاء ونعماء، وعالم ذو عالم فناء وعالم بقاء، وأثر رحمت ذو بدنيا وبعقبا ومراد وبدونا وبرجفا وعبادت ذو يشيده وبيدا واستعانت برد ومراداه أمر وتحمل قضاء وهدايت ذو ثبات وابتداء وصراط دو راه سعده وراه أشقياء وأشقياء دو يهود ونصاري)^(٢). وقال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرَجَ مِنْ بَابٍ

(١) في (أ): «فرقة».

(٢) الكلام الفارسي من (أ) و(ف) على اختلاف في الرسم، والمثبت من (ف)، وفي هامشها: «تعريب: سميت مثاني لثنية المعاني فيها: الحمد اثنان على صفاته العلى وعلى النعم والآلاء، والعالم اثنان: عالم الفناء وعالم البقاء، وأثر رحمته اثنان: في الدنيا وفي العقبى، وجزاؤه اثنان: الثواب والعقاب، العبادة اثنان: في سر وإعلان، والاستعانة نوعان: على أداء الأداء واحتمال مر القضاء، والهداية نوعان: ثبات وابتداء، والصراط اثنان: للسعداء والأشقياء، والأشقياء نوعان: اليهود والنصارى».

(٣) في هامش (ف): «فقال النبي عليه الصلاة والسلام».

المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها»، قال أبي: فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك، ثم قلت: يا رسول الله! السورة التي^(١) وعدتني، قال: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة»، فقرأت عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال النبي ﷺ: «هي هذه السورة؛ وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيت»^(٢).

وروي: أن غيراً قدمت من الشام لأبي جهل بمالٍ عظيم، وهي سبع فرق، ورسول الله ﷺ وأصحابه ينظرون إليها، وأكثر الصحابة بهم جوعٌ وعريٌّ، فخطر ببال النبي ﷺ شيءٌ لحاجة أصحابه^(٣)، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾؛ أي: مكان سبع قوافل لأبي جهل، ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٤) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ؛ أي: هذا أبو جهل لا ينظر إلى ما أعطيناك مع جلاله هذه العطيّة، فلم تنظر إلى ما أعطيناك^(٥) وهو متاع الدنيا الدنيّة؟ وعلم الله تعالى أن تمنّيه لم يكن لنفسه بل لأصحابه، فقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وأمره بما يزيد نفعه على نفع المال، فقال: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٨]، فإن تواضعك أطيب لقلوبهم من ظفرهم بمحبوبهم.

وأما سورة الحمد: فلائها^(٥) افتتحت بالحمد، وفيها أمرٌ بالحمد، وتعليمٌ كيفية

(١) في (ر): «الذي»، بدل: «السورة التي».

(٢) رواه بهذا اللفظ مالك في «الموطأ» (٨٣/١)، وهذه القصة شبيهة بقصة أبي سعيد بن المعلى عند البخاري (٤٤٧٤)، وانظر ما جاء في الجمع بينهما في «فتح الباري» (٨/١٥٧).

(٣) في (ر): «لأصحابه»، بدل: «لحاجة أصحابه».

(٤) في (ف) و(أ): «أعطيته».

(٥) بعدها في (أ): «لما».

الحمد، وبيان أن الله تعالى مستحقُّ الحمد، وبداية القرآن بالحمد، وختم كلام أهل الجنة بالحمد.

والحمدُ المذكور في القرآن على سبعة في الدنيا، وعلى سبعة في العقبى:
أما التي في الدنيا:

فالحمد على الدين والهداية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿
[الفاتحة: ٢ - ٣].

وعلى البيان والدلالة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].
وعلى الوحي والرسالة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].
وعلى المصالح والنعم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ١].
وعلى النقصان والزيادة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].
وعلى إهلاك ظلمة الأمة: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الأنعام: ٤٥].

وعلى حفظ العالم والمملكة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الجاثية: ٣٦].

وأما في الآخرة:

فإن أهل القبور إذا بُعثوا وبقوا قياماً في القبر ثلاث مئة سنة قد أجمعهم العرق،
ثم دُعوا إلى الحساب حمدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبا: ١].
والثاني: إذا فرغوا من الحساب حمدوا، قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

والثالث: إذا مُيزَّ عند الطريقين أهلُ السَّعادة من أهلِ الشقاوة حمدوا، فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَحَثْنَا مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

والرابع: إذا مرُّوا على الصُّراط ووجدوا رائحةَ الجنَّة ونظروا إليها، قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

والخامس: إذا دخلوا الجنَّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤].

والسادس: إذا صعدوا على الدَّرَجَات فأمِنُوا^(١) الحَزَن قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

والسابع: إذا رأوا^(٢) رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بغيرِ كيفٍ حمدوا، قال الله تعالى: ﴿وَعَايَرُوا دَعْوَتَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وأما أساس القرآن: فقد روي: أَنَّ رجلاً أتى الشعبيَّ فشكا إليه وَجَعَ الخاصرة، فقال: عليك بأساسِ القرآن، قال: وما أساسُ القرآن؟ قال: فاتحةُ الكتاب، سمعتُ عبدَ الله بنَ عباس رضي الله عنهما غيرَ مرَّةٍ يقول: إِنَّ لكلِّ شيءٍ أساساً؛ فأساسُ الدنيا مَكَّة؛ لأنَّ^(٣) منها دُحِيت الأرض، وأساسُ السماوات غريبٌ وهي السماءُ السابعةُ العليا، وأساسُ الأرض عجيبٌ^(٤) وهي الأرضُ السابعةُ السفلى، وأساسُ الجنانِ جَنَّةُ عَدْنٍ وهي سُرَّةُ^(٥) الجنان، عليها أُسِّست الجنانُ، وأساسُ النارِ^(٦) جهنم وهي

(١) في (ف) و(أ): «وأمِنُوا».

(٢) في (ر): «نظروا».

(٣) في (أ): «لأنها».

(٤) كما في «تفسير القرطبي» طبعة التركي.

(٥) في (أ): «سورة»، وفي (ر) و(ف): «سور»، والمثبت من المصادر.

(٦) في (ر): «النيران».

الدَّرَكَةُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى؛ عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الدَّرَكَاتُ، وَأَسَاسُ الْخَلْقِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَأَسَاسُ الْأَنْبِيَاءِ نُوحٌ، وَأَسَاسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَسَاسُ الْكُتُبِ
الْقُرْآنُ، وَأَسَاسُ الْقُرْآنِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ^(١)، وَأَسَاسُ الْفَاتِحَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
فَإِذَا اعْتَلَّكَ أَوْ اشْتَكَيتَ فَعَلَيْكَ بِالْأَسَاسِ تَشْفِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

وَأَمَّا^(٣) سُورَةُ الشَّفَاءِ: فَلهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ^(٤) سَبْعِينَ
شَفَاءً»^(٥).

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شَفَاءٌ مِنْ كُلِّ
سُمٍّ»^(٦)، وَفِي رِوَايَةٍ: «شَفَاءٌ»^(٧) مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ^(٨) وَهُوَ الْمَوْتُ.
وَحَدِيثُ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْفَاتِحَةَ عَلَى مَقْطُوعِ الْيَدِ وَبُرءِ يَدِهِ مَشْهُورٌ^(٩).

(١) فِي (أ): «الْفَاتِحَةُ».

(٢) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/١٢٨)، وَذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/١٧٤).

(٣) فِي (أ) وَ(ف): «فَأَمَّا».

(٤) فِي (أ): «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ».

(٥) لَمْ أَجِدْهُ.

(٦) رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سُنَنِهِ» (١٧٨ - تَفْسِيرٍ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَرْفُوعاً، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا. وَانْظُرْ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٠١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي
سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) «شَفَاءٌ»: مِنْ (أ).

(٨) رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٣٣٧٠) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْسَلًا.
وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/١٢٩) بِإِسْنَادٍ مَنْقُوعٍ أَيْضًا. وَلَيْسَ فِيهِمَا: إِلَّا السَّامُ.

(٩) فِي (ر): «وَبُرءُهُ مَشْهُورٌ». وَلَمْ أَجِدْهُ.

وحديثُ قراءة جماعةٍ من الصحابة على مجنونٍ هذه السورة وإفاقته مأثور^(١)،
وهبة قومِه لهم غنماً كثيرةً معروف^(٢).

وأما^(٣) سورة الصلاة: فلقولِ النبي ﷺ: «يقولُ الله تعالى: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين» وقد رويناها.

وتسميتها صلاةً لوجوه:

أحدها: أَنَّ الصلاةَ هي القراءة، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فمعنى قوله: «قَسَمْتُ الصلاةَ»؛ أي: قراءةَ هذه السورة.

والثاني: أَنَّ الصلاةَ هي الثناء، قال اللهُ تعالى: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]
وهي الدعاءُ أيضاً، قال اللهُ تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وهذه السورة ثناءٌ ودعاءٌ.

والثالث: أَنَّ كمالَ الصلاةِ وجمالَها بهذه السورة، فسميتَ هذه السورةُ صلاةً؛
فإنَّها كلها هي تعظيمٌ لها^(٤).

وفي فضلِ هذه السورة أحاديثُ كثيرةٌ:

منها: قوله ﷺ: «هذه السورةُ لو كانت في التوراة لَمَا تهوَّد قومُ موسى، ولو

(١) «مأثورٌ»: سقط من (أ) و(ف).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٩٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢٩/١) من حديث عم خارجة بن الصلت، وإسناده حسن. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة أخرى، ورواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد في قصة اللديغ بنحو قصة المجنون.

(٣) في (ر): «وأما قول تسميتها».

(٤) في (أ): «كأنها هي كلها تعظيماً لها»، وفي (ف): «كأنها كلها هي تعظيماً لها».

كانت في الإنجيل لما تنصّر قوم عيسى، ولو كانت في الزبور لما مُسَخَّ قوم داود، وأيّما مسلم قرأها أعطاه الله جلّ جلاله من الأجر كأنما قرأ القرآن كله، وكأنما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة^(١).

ثم هذه السورة سبع آيات، وأبواب جهنم سبعة، من قرأها أغلقت عنه أبوابها السبعة، وكلّ باب منها عَرَضُهُ كَعَرَضِ السماء والأرض سبع مرّات^(٢)، وبساط هذا البناء الأرضون السبع، وأهلها بنو آدم وتاراتهم^(٣) سبع؛ أي^(٤): خَلِقُوا مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثم من^(٥) نُطْفَةٍ، ثم عَلَقَةٍ، ثم مُضْغَةٍ، ثم عِظَامٍ، ثم لَحْمٍ، ثم يُنْشَأُ خَلْقًا آخَرَ، وإذا وُلِدَ الْإِنْسَانُ فَهُوَ طِفْلٌ، ثم صَبِيٌّ، ثم مُرَاهِقٌ، ثم بالغٌ، ثم شابٌّ، ثم كهْلٌ، ثم شيخٌ.

ورزقه في هذه الأحوال من سبع: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ إلى قوله: ﴿جَاءَ (٢٧) وَعَنَبًا﴾ الآية [عبس: ٢٤-٢٨].

وهو مأمور أن يقول كلمات الشهادة، وهي سبع: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي إقرار بربوبية من^(٦) أوجد الأشياء وأخبر عن وجودها بسبعة أحرف: كُنْ، فيكون.

(١) لم أجده.

(٢) في (أ) و(ف): «كعرض السماء والسموات سبع».

(٣) في (أ): «وماراتهم»، وفي (ف): «وحالاتهم».

(٤) «أي» زيادة من (ف).

(٥) في (ر): «هي» وسقطت من (ف).

(٦) في (ف): «بربوبيته» بدل من «بربوبية من».

وجعلَ مُضَيَّ عَمْرِهِمْ فِي^(١) سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَهِيَ أَيَّامُ الْجُمُعَةِ، وَجَعَلَ مَدَّةَ أَيَّامِ الدُّنْيَا سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ^(٢).

فَمَنْ قَرَأَ مَعْتَقِدًا مَعْظَمًا هَذِهِ الْآيَاتِ السَّبْعَ، أَعْتَقَ جَوَارِحَهُ السَّبْعَ عَنْ عَقُوبَاتِ الدَّرَكَاتِ السَّبْعِ، وَأُعْطِيَ حَسَنَاتٍ مِثْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَوَصَلَتْ بَرَكَتُهُ إِلَى أَهْلِ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ، وَبُورِكَ لَهُ فِي أَرْزَاقِهِ السَّبْعَةِ^(٣)، وَحُفِظَ فِي أَحْوَالِهِ السَّبْعِ، وَثَبَّتَهُ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كَلِمَاتِهِ السَّبْعِ، وَوَصَلَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَ مُضَيِّ هَذِهِ الْأَدْوَارِ السَّبْعَةِ، وَأَمِنَ مِنَ الْأَخْطَارِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ بِالْفَارْسِيَّةِ: (خطر عافيب كه بر كفر بود بأمر مسلماني، وخطر كوركه نوراني بود با ظالماني، وخطر سؤال كه جواب صواب كفتن تواني بان تواني، وخطر بعد كه رويت بالسياهي نود نا نار حشاني، وخطر حساب كه سلامت نابي نادر مالي، وخطر وزن أعمال كه بكه طاعات يا سكي موديا يا كو لك، وخطر دوراه كه جهنمي سوى يا حباني جون ابن آيات نا تعظيم برخواني خونشتر وأرين أخطاء تفصيل ورحمت ولي برهاني)^(٥).

(١) فِي (ف) وَ(أ): «عَلَى».

(٢) لَا صَحَّةَ لِهَذَا التَّقْدِيرِ وَلَا لَأَمْثَالِهِ فِي عَمْرِ الْأَرْضِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ.

(٣) فِي (ف): «السَّبْع».

(٤) فِي (أ) وَ(ف): «وَيُثَبِّتُهُ».

(٥) فِي هَامِشِ (ف): «تَعْرِيبُهُ: الْأَخْطَارُ السَّبْعَةُ: أَوَّلُهَا: خَطَرُ الْعَاقِبَةِ؛ عَلَى الْإِيمَانِ يُخْتَمُ أَمْرُهُ أَمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَالثَّانِيَّةُ: خَطَرُ الْقَبْرِ، فَكُونُهَا مَظْلَمَةٌ أَوْ مَنْوَرَةٌ، وَالثَّلَاثَةُ: خَطَرُ جَوَابِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَسُؤَالِ مَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ؛ يُجِيبُ صَوَابًا أَمْ خَطَأً، وَرَابِعُهَا: خَطَرُ الْبَعْثِ؛ بِأَنْ يَبْيَضَّ وَجْهُهُ أَمْ يَسْوَدَّ، وَخَامِسُهَا: خَطَرُ الْحِسَابِ؛ لَيْسَلَمْ مِنْهُ أَوْ يَتَعَلَّلْ، وَسَادِسُهَا: خَطَرُ الْمِيزَانِ؛ كَفَّةُ طَاعَاتِهِ ثَقِيلَةٌ أَوْ خَفِيفَةٌ، وَسَابِعُهَا: خَطَرُ الطَّرِيقَيْنِ؛ يُسَاقُ إِلَى جَهَنَّمَ أَوْ يُهْدَى إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - أَيْ: السَّبْعَ الْآيَاتِ - بِتَعْظِيمٍ وَاعْتِقَادٍ، خَلَّصَ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْطَارِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ».

وقالوا: خيارُ المسلمين سبعةُ أصنافٍ: الحامدون، والراجون، والخائفون، والمخلصون، والمتوكلون، والمستقيمون، والعارفون.

وفي هذه السورة نصيبٌ لكلِّهم؛ فقولُه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصيبِ الحامدين، وقولُه: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ على نصيبِ الراجين^(١)، وقولُه: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على نصيبِ الخائفين، وقولُه: ﴿إِلَاحُ الْغَيْبِ﴾ على نصيبِ المُخلصين، وقولُه: ﴿وَإِلَاحُ نَسْتَعِثُ﴾ على نصيبِ المتوكلين، وقولُه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ على نصيبِ المستقيمين. وبقيةُ السورة على نصيبِ العارفين.

وقولُه تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما؛ أي: الشُّكر لله بما صَنَعَ إلى خلقه^(٢).

وفي روايةٍ قال: أي: الشُّكرُ لله الذي^(٣) جادَ على العبادِ بسوابغِ النِّعم ومواهبِ القِسَم.

وقال أبيُّ بنُ كعبٍ: أي: الشُّكرُ لله على الأشياءِ كلّها.

وقال مجاهد: أي: الشُّكرُ لله على جميعِ نِعَمائه ديناً ودنياً.

وقال عطاء: أي: على نِعَمائه ظاهرةً وباطنةً.

وقال أبو عبيدة: الحمد لله؛ أي: الثناء لله.

(١) في (ر): «الراحمين».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/٣٥٨)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/١٣٦).

(٣) قوله: «وفي رواية قال أي الشُّكر لله الذي»، كذا العبارة في (أ)، ووقع بدلاً منها في (ر): «أيضاً أي»،

وفي (ف): «وفي رواية قال أي الشُّكر لله بما صنع إلى خلقه أيضاً أي الذي».

وقال ابنُ الأنباري: الحمدُ مقلوبُ المدح^(١).

وقيل: الحمدُ: الثناءُ بالجميل والاعترافُ للمُنعم.

وقيل: الحمدُ معرفةُ الإحسانِ ونشرُهُ.

والكلامُ الجامعُ فيه: أنَّ الحمدَ يُذكرُ لمعانٍ أربعة:

أحدها: الثناءُ بالأفعالِ الحسنة، يقال: حَمَدْتُهُ على فعلٍ كذا، فمعنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا؛ أي: الثناءُ عليه في كُلِّ ما فعلَ؛ أَمَاتَ أو أَحْيَى، أَفْقَرَ أو أَغْنَى، أَعَزَّ أو أَذَلَّ، أَكْثَرَ أو أَقَلَّ، أَبْلَى أو ابْتَلَى، أَبْهَجَ أو أَشْجَنَ^(٢)، وكذا غيرُهُ^(٣)، فَإِنَّ جَمِيعَ ما يَفْعَلُهُ عدلٌ وحكمةٌ وعاقبتهُ حميدةٌ.

والثاني: الحمدُ بمعنى الشكر، يقال: حَمَدْتُهُ على إِنْعامِهِ، فمعنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا؛ أي: الشكرُ لله على نِعَمِهِ التي لا تُحصى وَمِنْهُ التي لا تُنسى، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] فكلُّ النِّعمِ منه، فقد قال: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والثالث: الحمدُ بمعنى الرضى، يقال: حَمَدْتُ سيرةَ فلانٍ ومذهبَهُ، فمعنى الحمدِ على هذا؛ أي: رَضِيتُ بِحُكْمِهِ وقُضِيَّتِهِ وتقديرِهِ وقسمَتِهِ، فلا اعتراض على فِعْلِهِ، ولا إعراض عن حُكْمِهِ، وكيف^(٤) وقد قال: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي،

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٠٨).

(٢) في (ر): «أو أشجى». والشجن والشجى: الحزن.

(٣) في (ر) و(ف): «وكذا يجب»، والمثبت من (أ) ولعل معناه: وكذا غير ما ذكر.

(٤) «وكيف»: سقط من (أ)، وفي (ف): «كيف».

ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر على^(١) نعمائي، فليطلب رباً سوائى^(٢).

والرابع: الحمدُ بمعنى المدحِ بالصفاتِ الحسنَى، يقال: حمدتُ فلاناً على فضله وعلمه، ووقاره وحلمه، وجوده وسماحته، وبأسه وشجاعته، ومعنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا؛ أي: المدحُ لله على صفاته الحسنَى، فهو الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، العليُّ العظيمُ، العزيزُ الحكيمُ، القديرُ القديمُ، الغنيُّ الكريمُ، السَّتَّارُ الحليمُ.. إلى تمامِ أسمائه الحسنَى.

والألفُ واللامُ في ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراقِ الجنسِ، فيصيرُ على مجموعِ المعاني الأربعةِ كأنَّ العبدَ يقول: أثني على الله بكلِّ أفعاله فهي جميلة، والشُّكرُ^(٣) له على كلِّ نعمائه فهي جزيلةٌ، وأرضى بكلِّ أقضيته فهي حميدةٌ، وأحمدُه بكلِّ صفاته فهي جليلةٌ.

(سنا خدای راسزدکه جرّه کند حکمت آست شکر ورا واجب شودکه آروی فی سما ونعمة آست رضا بقائى نای ور آست ای نا ورا مالی)^(٤).

(١) «على»: زيادة من (أ).

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٢٧). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/١٠٥٨): إسناده ضعيف.

(٣) في (أ): «وأشكر».

(٤) في هامش (ف): «تعريبه: الثناء يستحقه الله تعالى لأن جميع أفعال محكمة وفيها حكمة له بالغة، والشكر له واجب لأن النعم التي لا تحصى منه بدت ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ فهو المنعم لا غير، فالشكر له مطلقاً، والرضا بقضائه لازم؛ لنفاذ مشيئته على العموم، والمدح ينبغي أن يكون له لا لغيره لأن صفاته جميعها لا تعبر بالمدح والحمد، فمن لزم على ثنائه يجازيه الله تعالى بالثناء عليه، ومن وازب على الثناء يتجدد له العطاء، ومن رضي منه مطلقاً رضي الله عنه، ومن استقام في محبته يجده على قدر محبته ومعرفته بلا كيف».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: احتمل أن يكون الله تعالى حمد نفسه ليُعلم الخلق استحقاقه^(١) الحمد بذاته فيحمدوه، ويحتمل أن يكون على إضمار الأمر؛ أي: قولوا: الحمد لله، وهو أمرٌ بتوجيه الشكر إليه؛ لأنَّ النعم منه، وذلك يتضمن الأمر أيضاً بكلِّ الممكن من الطاعات، على ما روي عن النبي ﷺ: أَنَّهُ صَلَّى حَتَّى تَوَرَّمت قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢)، فصيّر أنواع الطاعات شكراً له^(٣).

وتكلّموا في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَنَّهُ عَلَى الْأَمْرِ بِهِ، أَوْ عَلَى الْإِخْبَارِ، أَوْ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ:

قال بعضهم: هو على الأمر؛ أي: قولوا: الحمد لله، وإضمار القول ثابت في كثير من الآيات؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ أي: قالوا ربّنا.

وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٤) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ [الزمر: ٧٣]؛ أي: يقولون: سلامٌ عليكم.

وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ أي: يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم.

ويدلُّ على هذا الإضمار قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولا بدّ هاهنا من إضمار: قولوا.

(١) في (ر): «استحقاق».

(٢) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي (١/٣٥٨-٣٥٩).

وقد أظهر ذلك في قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وهذا تعليمٌ من الله عزَّ وعلا لعباده كيفية حمده وثنائه.

وقال بعضهم: هو على الإخبار؛ ومعناه: أنَّ حمدَ جميعِ الحامدين ومدحَ جميعِ المادحين وشكرَ جميعِ الشاكرين وذَكَرَ جميعِ الذاكرين لله عزَّ وجلَّ، وبالفارسية: (حمد خدای داما ندای راشید و خدای راسد ها و جن وردل نشود).

وذلك لأنَّ المُنعم هو الله تعالى، فالشكر له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِهِ فَبتَوْفِيقِهِ وَعُونِهِ، وَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَحَمْدٌ^(١) مِنَ اللَّهِ تعالى لنفسه لأنه يحبُّ الحمد.

قال النبي ﷺ: «لَا أَحَدَ أَحَبُّ لِلْمَدْحِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾»^(٢).

وقال أصحابُ المعاني: حمدُ الله تعالى نفسه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، واستحمدَ من خَلَقَهُ فقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]، ونَزَّهَ نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ [المؤمنون: ٩١] واستنزهَ من خَلَقَهُ فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وشهدَ بوحدانيته فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] واستشهدَ من خَلَقَهُ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١]، وأظهر بذلك محبته الحمد^(٣) والتنزيه والشهادة.

ولأنَّه لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَرَبَّاهُمْ، وفهمهم وهداهم، وجبَ عليهم شكره بذلك

(١) في (أ): «بحمد».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/١٣٧) عن الأسود بن سريع، وإسناده منقطع. ورواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «ليس أحدٌ أحبَّ إليه المدحُ من الله من أجل ذلك مدح نفسه».

(٣) في (ف): «للحمد».

وبسائر نعمه، وَعَلِمَ عَجَزَهُمْ عن شكره على الكمال، أتمَّ الإفضال؛ بأن حمدَ نفسه بنفسه، وناب عنهم في شكره بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وهذا كما يصلِّي على النبي ﷺ بسؤالنا عنَّا: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، مع أنَّه أَمَرْنَا بالصلاة عليه؛ لَعَجْزَنَا^(١) عن الصلاة على ما يستحقُّه.

وهذا كما يُخاطِبُ الملوكَ المنازِعِينَ له في ملكه بعد فناء خلقه: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؛ تقرِّعاً لهم، ويعلم أنَّ أوليائه لو كانوا أحياءً لأجابوا، فينوبُّ عنهم بقوله: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾.

ولأنَّه أظهر لخلقِه^(٢) أنَّ الحمدَ الذي هو له على الكمال، هو الحمدُ الذي حمدَ به نفسه لا حمدُهم إياه، فإنَّهم مُحدثون عاجزون؛ لم يكونوا فكانوا، ولا يكونون بعد أن كانوا، فكيف يكون حمدُهم كفاءً لحقه^(٣)؟

ولأنَّ حمدَهم معلولٌ؛ فإنَّهم^(٤) يطلبون به^(٥) إدامةَ الموجود ووجودَ المفقود، فلا يَخْلُصُ^(٦) لهم^(٧)، واللهُ تعالى حمدَ نفسه في الأزل، وهو حقٌّ، وحمدُه حقٌّ، وأمرُ عباده أن يحمده؛ ليصير حمدُهم الحادثُ المجازي^(٨) بالحمد الأزلِّي الحقيقي صالحاً مرضياً مقبولاً.

(١) في (ف): «مع عجزنا».

(٢) في (أ) و(ف): «للخلق».

(٣) في (أ): «كفاة كفه»، وفي (ف): «كفوا لحقه».

(٤) في (ر): «لأنهم».

(٥) في (ف): «منه».

(٦) في (ر) و(ف): «مخلص».

(٧) في (أ) و(ر): «له».

(٨) في (أ): «المحاذي».

وهذا كما شهد بوحديته في الأزل وأمر عباده بأن يشهدوا له بالوحدانية، وجعل شهادتهم الحادثة الموقّنة بشهادته الأزليّة الدائمة صالحة مرضيّة مقبولة، ووعدهم عليها ثواب الأبد مع أنّها منهم موقّنة؛ لأنّها شهادة لله بما شهد هو بها^(١) لنفسه، وهي أزليّة دائمة على الأبد، فلذلك وعدهم عليها ثواب الأبد.

وعلى الوجوه الثلاثة؛ لا وجه لامتناعك عن الحمد بحال، فإنّه إن حُمل على الأمر فعليك الائتمار، وإن حُمل على الإخبار عن استحقاقه الحمد فعليك الدوام عليه والاستكثار، وإن حُمل على الابتداء - وهو حمده^(٢) نفسه - فلا وجه للمخالفة والاستكبار^(٣).

وكيف^(٤) تُخلّي ساعة من عُمرِكَ عن حمده وشكره، ولا تَخْلُو لحظة عن إنعامه وبرّه؟!

فإن قيل: لم حمد الله تعالى نفسه، ومثله في الخلق غير محمود؟

فجوابه ما قاله^(٥) الإمام أبو منصور رحمه الله: له وجهان:

أحدهما: أنه استحقّق الحمد بذاته لا بأحد، فيكون^(٦) في ذلك تعريفُ الخلق ما

(١) في (ر): «لله لما شهد به»، وفي (ف): «الله بما شهد هو بها».

(٢) في (ر): «حمد».

(٣) في (ر) و(ف): «والاستنكار».

(٤) في (ف): «فكيف».

(٥) في (أ): «ما قاله الشيخ»، وفي (ر): «ما قال».

(٦) في (أ): «يكون». وفي «التأويلات»: «ليكون».

يُزَلِّفُهُمْ لَدَيْهِ، لِيُشْنُوا^(١) عَلَيْهِ بِمَا أَثْنَى هُوَ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَيْهِ تَوْجِيهُ الْحَمْدِ إِلَيْهِ لَا إِلَى نَفْسِهِ.

والثاني: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقِيقٌ لَذَلِكَ؛ إِذْ لَا عَيْبَ يَمُشُّهُ وَلَا آفَةَ تَحُلُّ بِهِ فَيَدْخُلُ نَقْصَانٌ فِي ذَلِكَ، وَلَا هُوَ مَأْمُورٌ بِشَيْءٍ، وَالْعَبْدُ لَا يَخْلُو عَنْ عَيُوبٍ وَأَفَاتٍ، وَيُمَدِّحُ بِالْإِتِّمَارِ، وَيُذَمُّ بِالْتَّرْكِ، وَيَتِمَكَّنُ بِهِ^(٣) فِيهِ النِّقْصَانُ، وَحَقٌّ لِمِثْلِهِ الْفَرْعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَتَغَمَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ.

وعلى ذلك: التَّكَبُّرُ يُحَمِّدُ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يُحَمِّدُ بِهِ غَيْرُهُ؛ إِذْ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مَعْنَى يَسْتَقِيمُ لَذَلِكَ تَكَبُّرُهُ^(٤)، إِذْ هُمْ جَمِيعاً أَكْفَاءُ مِنْ طَرِيقِ الْخَلْقَةِ وَالْمَحْنَةِ^(٥)، وَمَا أَدْرَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَضِيلَةٍ أَوْ رِفْعَةٍ، فَبِاللَّهِ^(٦) أَدْرَكَ لَا بِنَفْسِهِ، فَعَلَيْهِ تَنْزِيهِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَالْفَرْعُ إِلَيْهِ بِالشُّكْرِ، لَا بِالتَّكَبُّرِ عَلَى أَمْثَالِهِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - عَنْ هَذَا الْوَصْفِ مُتَعَالٍ^(٧).

وَتَكَلَّمُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ^(٨):

(١) فِي (ر): «فِيُشْنُوا».

(٢) «هُوَ»: لَيْسَتْ فِي (ر).

(٣) «بِهِ»: لَيْسَتْ فِي (ر). وَعِبَارَةُ «التَّأْوِيلَات»: (وَفِي ذَلِكَ تَمَكَّنَ النِّقْصَانُ).

(٤) فِي (أ) وَ(ف): «يَسْتَقِيمُ لَذَلِكَ بِكَثْرَةِ». وَعِبَارَةُ «التَّأْوِيلَات»: (يَسْتَقِيمُ مَعَهُ تَكَبُّرُهُ).

(٥) عِبَارَةُ «التَّأْوِيلَات»: (مِنْ طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ وَالْخَلْقِ)، وَلَعَلَّ لَفْظَ (الْمَحْنَةِ) الْوَاردُ فِي النِّسْخِ قَدْ تَحَرَّفَ عَنْ لَفْظِ (الْمَحَبَّةِ).

(٦) فِي (ر): «فَمِنْ اللَّهِ وَبِاللَّهِ»، بَدَلَ: «فَبِاللَّهِ».

(٧) انْظُرْ: «تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السَّنَةِ» لِأَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيِّ (١/٣٥٧-٣٥٨).

(٨) انْظُرِ الْأَقْوَالَ فِي ذَلِكَ فِي: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلنَّحَّاسِ (١/٥٧) وَمَا بَعْدَهَا، وَ«تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (١/١٠٨) وَمَا بَعْدَهَا.

ف قيل: الحمدُ بالقول، قال اللهُ تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١] والشُّكرُ بالعمل، قال اللهُ تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وقيل: الحمدُ باللسان، والشُّكرُ بالجنان، وتحقيقُ الشكر بالأركان.

وقيل: الحمدُ لله^(١) على وجوده، والشُّكرُ له على جُوده.

وقيل: الحمدُ: الثناء عليه بما^(٢) هو به، والشُّكرُ: الثناء عليه لِمَا^(٣) هو منه.

وقيل: الحمدُ على الجلال والجمال، والشُّكرُ على الإنعام والإفضال.

وقيل: الحمدُ على ما حَبَا وهو النعماء، والشُّكرُ على ما زَوَى وهو الآلاء.

وقيل: الحمدُ على النعم الظاهرة، والشُّكرُ على النعم الباطنة.

وقيل: الحمدُ ابتداءً، والشُّكرُ جزاءً.

وقيل: الحمدُ بصفاته الحسنى، والشُّكرُ بصنائه الكبرى.

وقيل: الحمدُ مقلوبُ المدح، والشُّكرُ مقلوبُ الكُشر، وهو انفتاح الشَّفَتَيْنِ بالصَّحْكِ حتى تبدو الأسنانُ، فالشُّكرُ^(٤) انكشافُ الغطاءِ عن القلبِ حتى يعرفَ المنَّةُ مِنَ المَنَّانِ.

وقيل: الحمدُ هو الثناء بعموم النعمة، والشُّكرُ هو الثناء بخصوص النعمة.

وقيل: الحمدُ أَخْصُ مِنَ الشُّكْرِ لفظاً وأعمُّ معنًى، والشُّكرُ أعمُّ منه لفظاً وأَخْصُ معنًى، فَإِنَّكَ تقول: الحمدُ لله، ولا تقول: الحمدُ لفلانٍ، فهذا خصوصُ

(١) «الله»: ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «مما».

(٣) في (أ): «بما».

(٤) في (أ) و(ف): «والشكر».

اللفظ، وتقول: الشكرُ لله والشكرُ لفلانٍ، فهذا عمومُ اللفظ، ثم الحمدُ يُوضَع موضعَ الشكرِ، فيقال: حَمَدْتُهُ على صفاته الجليّة، وحَمَدْتُهُ أيضاً على صنائعه الجزيلة، والشكرُ لا يُوضَع موضعَ الحمدِ، فيقال: شكرْتُ له على آلائه ونعمائه، ولا يقال: شكرْتُ له على علائه وكبريائه، فكان كلُّ شكرٍ حمداً، ولم يكن كلُّ حمدٍ شكراً.

وبالفارسية: (الحمد لله استايش همه استانيد كان وراي منتهي، والشكر لله ساس همه دارند كان ورايد همه منتهي)^(١).

وقال قتادة: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ^(٢) حِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختمَ بالحمد فقال: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]^(٣)، فجعل ابتداء العالم وانتهاءه بالحمد.

ثم قراءةُ العامّةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الابتداء، واللامُ بالكسر على الأصل.
وقرأ هارونُ بنُ موسى العتكيُّ الأعورُ ورؤبةُ بنُ العجاج بنصبِ الدالِ على المصدر^(٤)، وهو على الأمرِ بطريقِ الإغراء.
وقرأ الحسنُ البصريُّ رحمه الله: (الحمد لله) بخفضِ الدالِ^(٥)؛ إِتِّباعاً لكسرة اللام.

(١) في هامش (ف): «تعريبه: مدح جميع المُدَّاح له وشكر جميع الشاكرين له على منته».

(٢) في النسخ: «الحمد»، والمثبت من هامش (ف). ولفظ الخبر: (فُتِحَ أولُ الخلق بالحمد لله...).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧٣/٢٠).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، ونسبها لرؤبة.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، وزاد نسبتها لرؤبة، و«المحتسب» (٣٧/١)، وزاد

نسبتها لزيد بن علي.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي برفع الدال وضمة اللام إتباعاً للدال^(١).
ويجوز في الوقف على «الحمد لله» القصْر؛ وهو حذف الألف التي بين اللامين
والهاء، قال الشاعر:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةِ^(٢)
وإثبات الألف أصح وأفصح.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي:
سيدِّ العالمين^(٣).

وهو كقوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ أي: سيِّدك.
وقيل: معناه: المالك، كما يقال: ربُّ الدار؛ أي: مالِكُها.
وقال النبي ﷺ لرجلٍ: «أربُّ إبلٍ أنت أم ربُّ مالٍ وغنمٍ»، قال: من كلِّ
أتاني الله تعالى^(٤).

وقيل: هو المصلح المدبّر، ومنه: ربّة البيت، ومنه: الرّبّانيّون؛ وهم

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (٣٧/١).

(٢) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١٧٦/٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢٦٦/٢)،
و«الكامل» للمبرد (٧٤/١)، و«لسان العرب» (مادة: حرد غلل وأله). وعزاه ابن السيد في «شرح
الكامل» لقطرب كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٣٨٦/١٠)، وقال البكري في «شرح أمالي
القالبي» (٣١/١): قال أبو حاتم: هذا البيت مصنوع، صنعه من لا أحسن الله ذكره. يعني: قطرباً.
ومعنى: حَرَدَ حَرْدَ الْجَنَّةِ: قصد قصدها، وأغلَّت الضيعة: أعطت الغلة.

(٣) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٤١/١)، والمازني في «تأويلات أهل السنة» (٣٥٩/١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤١٦)، من حديث مالك
بن نضلة الجشمي رضي الله عنه.

العلماء المصلحون أمورَ الناس بعلمهم، والمُدبِّرون لأُمورهم، قال^(١) الشاعر:
كانوا كسائلةٍ حَمَقَاءَ إِذْ حَقَنْتْ سِلَاءَهَا^(٢) فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ^(٣)
أي: غير مُصْلِحٍ.

وقيل: هو مربِّي الخلق، ومنه قوله: ﴿وَرَبِّبْكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾،
وقوله: ﴿أَلَمْ نَرْبِّكَ فِتْنًا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

وقد رَبَّه يَرْبُّهُ، وَرَبَّاهُ يُرَبِّيه، فمنهم مَنْ يقول: رَبَّاهُ أَصْلُهُ: رَبَّيْهِ، جُعِلَتْ إِحْدَى
الباءات ياءً، كما في قوله: ﴿يَتَطَهَّرُ﴾، أَصْلُهُ: تَمَطَّطَ؛ أَي: تَمَدَّدَ، ومنهم مَنْ يقول: هو
فَعَّلَهُ مِنْ رَبَّاهُ يَرْبُوهُ؛ أَي: ازداد، فالتربية: إثباتُ الزيادة في المُرَبَّى.

وقال الحسين بن الفضل البجلي: الرَّبُّ: الثابتُ الدائم، من قولهم: رَبُّ
بالمكان وأَرَبَّ؛ أَي: أقام، وكذلك لَبَّ وَأَلَبَّ.

قال عليه السلام: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فَقْرٍ مُرَبٍّ - وَرُؤْيٍ: مُلَبٍّ - وَضَرَعٍ إِلَى غَيْرِ
مُحَبٍّ»^(٤).

(١) في (ف): «وقال».

(٢) في هامش (ف): «سلأت السمن؛ أي: عملته سِلَاءً بالكسر، شبه القوم في عبارتهم بهذه المرأة».

(٣) البيت للفرزدق، انظر: «ديوانه» (ص: ٢٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٤٢). سِلَاءُ السمن يسْلُوهُ: طبخه
وعالجه فأذاب زيده، والسِّلَاءُ بكسر السين: السمن، وَحَقَّنَ اللبن في الوَطْب، والماء في السقاء: حبسه
فيه وعبأه. وَرَبَّ نَحْيِ السمن يَرْبِيهِ: دهنه بالرُّب، وأديم مربوب: قد أصلح بالرُّب، وهو دبسُ كل ثمرة،
وكانوا يدهنون أديم النحي بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه، فتطيب رائحته، ويمنع السمن أن يرشح من
غير أن يفسد طعمه أو ريحه، وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحي فسد السمن. يقول: فعلوا فعل هذه الحمقاء،
ففسد ما جهلوا في تدبيره وعمله. من حاشية الطبري لأحمد شاكر.

(٤) الجزء الأول من الحديث أورده بلا إسناد ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٤٥٢)، والخطابي في =

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: التوجيه^(١) إلى المالك أقرب منه إلى السيد، إذ يستقيم أن يقال: ربُّ السماوات والأرض، ومالكُ السماوات والأرض، ولا يستقيم: سيدُ السماوات والأرض، ولا يقال: هو سيده، إلا في بني آدم خاصة^(٢).

فالله تعالى ربُّ العالمين؛ أي: مالك الخلائق أجمعين، له المُلْك والمِلْك والخَلْق والأمر، وهو سيدهم؛ أي: مالِكهم الواجبُ عليهم طاعته، وسيدُ العبد مالِكُه، وعليه طاعته.

ولا يقال: سيدُ الدار؛ لأنه لا يمكن تحقيق معنى وجوب^(٣) الطاعة فيها.

وهو مصلح أمورهم، ومهيئُ معاشهم ومَعَادهم، أصلح قلوب المؤمنين بالمعرفة، وألستهم بالشهادة، وأنفسهم بالخدمة، وأصلح طاعاتهم على كثرة تقصيرهم فيها بالقبول، وأصلح معاصيهم على كثرتها بالعفو، قال الله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وهو مُرَبِّي الظواهر بالنعمة، وهي النفوس، ومُرَبِّي البواطن بالرحمة، وهي القلوب.

= «شأن الدعاء» (١٢٦)، باللفظين: (مرب) و(ملب). وأورده أبو القاسم الأصبهاني في «محاضرات الأدباء» (٤٨٦/٢) من قول قيس بن سعد بلفظ: اللهم إني أعوذ بك من فقر مكبٍّ، وضروع إلى غير محبٍّ.

(١) بعدها في (ر): «منه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/٣٥٩ - ٣٦٠). وجاء في هامش (أ): «ويردُّ الحديث المشهور المذكور في فضل آية الكرسي، فانظر إلى الكشف وإليه».

(٣) في (ف): «لأنه لا يمكن وجوب تحقيق».

وَالرَّبُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْخُصُوصِ، وَيُطْلَقُ^(١) عَلَى الْمَخْلُوقِ بِالْإِضَافَةِ، فَيُقَالُ: رَبُّ الدَّارِ.

وعن أبي الدرداء وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالَا: هو اسمُ الله الأعظم^(٢).

وقالوا^(٣): دلالة ذلك: أَنَّ كُلَّ اسْمٍ قَلْبَتَهُ بَطَلَ مَعْنَاهُ إِلَّا الرَّبُّ؛ فَإِنَّ مَقْلُوبَهُ الْبَرُّ، وَهُوَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ^(٤) أَيْضًا.

وأشار إليه الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي حِكَايَةٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ هُوَ مَا دَعَا بِهِ كُلُّ نَبِيٍّ وَكُلُّ وَلِيٍّ وَكُلُّ عَدُوٍّ.

وأشار إلى دعوات الأنبياء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ [نوح: ٥]، ﴿رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ الآية [نوح: ٢٨]، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿رَبِّ أَسْرِحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

(١) في (أ): «وينطلق».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٦٥)، والحاكم في «المستدرک» (١٨٦٠).

(٣) في (أ) و(ف): «وقيل».

(٤) «الأعظم» ليس في (ف).

نِعْمَتَكَ ﴿[النمل: ١٩]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ إلى آخر السورة.

وقالت الصحابة الأربعة: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِيلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقالت الأعداء: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا﴾^(١)، ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾.

ثم إن الله جلَّ جلاله أضاف هذا الاسم إلى ﴿الْعَلَمِينَ﴾ على العموم، فقال: ﴿رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾، ثم خصَّ السماوات والأرض وما بينهما فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥]، ثم خصَّ السماء والأرض فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ثم خصَّ المشرق والمغرب فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، ثم خصَّ المشرقين والمغربين فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ثم خصَّ المشرق والمغرب فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ثم خصَّ من الأرض^(٢) بيته فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣].

وأضاف هذا الاسم أيضاً إلى كلِّ الناس فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم خصَّ رسوله فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ثم^(٣) خصَّ أمته أيضاً فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

(١) «فارجعنا» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «من الأرضين»، وفي (ف): «في الأرض».

(٣) في (أ) و(ف): «و».

وأما قوله: ﴿أَعْلَمِينَ﴾؛ فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في رواية الكلبي: هم كلُّ ذي روحٍ يدبُّ على وجه الأرض^(١)؛ لأنهم هم الذين يقبلون التربية. وروى سعيد بن جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم الجنُّ والإنسُ^(٢)، من قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال قتادة: هم الجنُّ والإنسُ والملائكةُ والشياطينُ، وهم المخاطبون^(٣). وقال الحسن البصري رحمه الله: هم الخلائقُ أجمعون^(٤).

وقال الحسين بن الفضل البجلي: همُ الإنسُ، من قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]^(٥).

وقال جعفر بن محمد الصادق: هم أهل الجنة والنار^(٦).

وقال مقاتل بن سليمان: لو فسرتُ ﴿أَعْلَمِينَ﴾ لاحتجتُ إلى ألفِ مجلِّدٍ، كلُّ مجلِّدٍ^(٧) ألفُ ورقةٍ^(٨).

وقال أبو حذيفة: العالمون ستة: الملائكة عالمٌ، والإنس عالمٌ، والجنُّ من

(١) أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤١). والكلبي متروك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٤٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٤٦) بلفظ: ﴿نَبِّ أَعْلَمِينَ﴾: كلُّ صنفٍ عالمٍ.

(٤) في (ف) تقديم وتأخير مع القول الذي يليه.

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١١).

(٦) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

(٧) في (أ): «ألف جلد كل جلد».

(٨) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

بني الجنَّ وذُرِّيَّته عالمٌ، والشَّيْطَانُ إبليس وذُرِّيَّته عالمٌ، والبَهَائِمُ والدَّوَابُّ ودوابُّ البحر^(١) عالمٌ، والطَّيُور عالمٌ، واللَّهِ رَبُّهُمْ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ.

وقال عطاء بن أبي رباح: العالَمون عشرةُ أصنافٍ: الملائكة، والبَشَرُ، والجنُّ، والشَّيَاطِينُ، والوحوشُ، والسَّباعُ، والهوامُّ، والبَهَائِمُ، ودوابُّ البحر، والطَّيُور.

وقال وَهْبٌ: هم ثمانية عشر ألفَ عالمٍ؛ عالمُ الدنيا واحدٌ^(٢) منها، وما العمرانُ في الخرابِ إلا كفسطاطٍ في البحر^(٣).

وقال الضَّحَّاكُ: هم ثلاثُ مئة وستون عالمًا: ثلاثُ مئةٍ منهم حفاةُ عِراءٍ لا يعرفون خالقَهُمْ، وهم حشُو جهنم، وستون عالمًا يلبسون الثياب مرَّ بهم ذو القرنين وكَلَّمَهُمْ^(٤).

وقال سعيد بن جبیر: هم ألفَ عالمٍ: ستُّ مئةٍ في البحر، وأربع مئةٍ على وجه الأرض.

وقال عليُّ بن الحسين بن واقدٍ: العالَمون ألفُ أُمَّةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرُ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال مقاتل بن حَيَّان: العالَمون ثمانون ألفَ عالمٍ: أربعون ألفاً في البرِّ، وأربعون ألفاً في البحر^(٥).

(١) «ودواب البحر» زيادة من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الدنيا عالم»، بدل: «عالم الدنيا واحد».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧٠ / ٤).

(٤) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١١٢ / ١).

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١١٢ / ١).

وقال كعبُ الأخبار: لا يحضر عدد^(١) العالمين أحدٌ من الخلق، قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم وهم أربعة أصناف: الملائكة، والشیاطين، والجن، والإنس، ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء: فتسعة^(٣) منهم الملائكة، وجزء واحد^(٤) الشیاطين والجن والإنس، ثم جعل هؤلاء الثلاث عشرة أجزاء: فتسعة منهم الشیاطين، وجزء واحد الإنس والجن، ثم جعل الإنس والجن عشرة أجزاء: فتسعة منهم الجن، وجزء واحد الإنس^(٥)، ثم جعل الإنس مئة وخمسة وعشرين جزءاً:

فجعل منهم مئة جزء في بلاد الهند، فمنهم ساطوخ: وهم أناس رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب، ومالوخ^(٦): وهم أناس أعينهم في صدورهم^(٧)، وماسوخ^(٨): وهم أناس آذانهم^(٩) مثل آذان الفيلة، ومالوق: وهم أناس لا

(١) «عدد» ليس في (أ).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

(٣) في (أ): «تسعة».

(٤) في (أ): «وجزء منهم».

(٥) إلى هنا أورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» (١/ ٣٣٤) بلا إسناد عن أبي هريرة مرفوعاً. وروى

نحوه الحاكم في «المستدرک» (٦/ ٨٥٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

(٦) في (أ): «ومالوخ».

(٧) في (أ): «على صدورهم»، وفي هامشها: «رؤوسهم»، وعليها علامة التصحيح.

(٨) في (أ): «وماسوخ».

(٩) في هامش (أ): «رؤوسهم»، وعليها علامة التصحيح.

تطاوعهم أرجلهم حين يمشون، يُسمَّون دوال باي^(١)، ومصيرهم^(٢) كلُّهم إلى النار.

وجعل اثني عشر جزءاً في بلاد الروم: النسطورية، والملكانية، والإسرائيلية، ومصيرهم جميعاً إلى النار.

وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق: يأجوج ومأجوج، وتُرك خاقان، وتُرك خَلج^(٣)، وتُرك خَزَر، وتُرك خرخير، وكلُّهم من أهل النار.

وجعل ستة أجزاء منهم في المغرب: الزَّنج، والزُّط، والحبشة، والنُّوبة، والبربر، وسائر كفار العرب^(٤)، ومصيرهم إلى النار.

وبقي من الإنس من أهل التوحيد جزءٌ واحدٌ، فجزأهم ثلاثة وسبعين جزءاً؛ اثنان وسبعون على خطرٍ، وهم أهل البدع والضلال^(٥)، وفرقة ناجيةٌ وهم أهل السنة والجماعة، وحسابُهم على الله تعالى، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

فهذا تفسير ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

والعالمون في القرآن على عشرة أوجه^(٦):

(١) في (أ): «باي».

(٢) في (ف): «ومصير».

(٣) في (ر): «علج»، والصواب المثبت. وخَلج - بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وآخره جيم -: موضع قرب غزنة من نواحي زابلستان. انظر: «معجم البلدان».

(٤) في (ف): «المغرب».

(٥) في (أ): «والضلالات».

(٦) في (أ): «على وجوه عشرة».

أحدها: الإنس والجن، قال الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

والثاني: الناس، قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

والثالث: مَنْ كان بعد نوحٍ إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾
[الصافات: ٧٩].

والرابع: مَنْ كان في زمن موسى من بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

والخامس: مَنْ كان في زمن لوطٍ، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾
[الشعراء: ١٦٥].

والسادس: الغرباء، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠].

والسابع: أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ إلى قوله: ﴿عَنِّي
عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والثامن: المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

والتاسع: المنافقون، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾
[العنكبوت: ١٠].

والعاشر: كل المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
أضاف نفسه إلى كل المخلوقات ملكاً ومُلكاً، وأضاف هذا الاسم إلينا لطفاً وعظماً،
قال الله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ [يونس: ٣٢].

ففي الأول: تعظيمُ نفسه، وفي الثاني: تعظيمُ أحبابه^(١)، كأنه قال: ما أعظمني!
والعالمون لي، وما أعظمكم أحبابي^(٢)! وأنا لكم.

ثم العالمُ جمعٌ لا واحدَ له من لفظه؛ كالأنام والرَّهط والجيش، وهو مأخوذٌ من العَلَم والعلامة، وهو على وزن (فاعِل) بالفتح؛ كالخاتم والطابع، والخاتم: ما يُخْتَم به، والطابع: ما يُطَبَع به، فالعالم: هو ما يُعَلَم به؛ أي: يُسْتَدَلُّ به على الصَّانع.

فوجودُ المخلوقات دليلٌ على وجود الخالق وإيجاده، وحدوثها دليلٌ على قَدَمه، وبقاؤها على هيئةٍ دليلٌ على وحدانيَّته، ووجودها على هيئةٍ مخصوصةٍ مع جواز غيرها دليلٌ على إرادته، وانتظامها واتساقها^(٣) دليلٌ على علمه وحكمته.

وإجابةُ دعاء^(٤) الدَّاعين دليلٌ على سمعه وإجابته.

وعجزُ الخلائق عن^(٥) ردِّ قضائه دليلٌ على جلاله وعظمته.

ونقضُ العزائم وفسخُ الهَمَم دليلٌ على إرادته ومشيتته.

وحرمانُ المجتهدين دليلٌ على قبضه وقدرته، وسعةُ العاجزين عن الكسب دليلٌ على بسْطه ومِنته.

وإمهالُ المفترين على الله تعالى دليلٌ على حلمه ورحمته.

(١) في (ف): «أحبابه».

(٢) في (أ): «أحبابي».

(٣) في (ر) و(ف): «وانقسامها».

(٤) في (أ): «دعوات».

(٥) في (أ): «الخلق عن»، وفي (ر): «الخلائق في».

وافْتِقَارُ الْخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَى غُنَيْتِهِ، وَعَجْزُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَضَعْفُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّتِهِ، وَانْقِيَادُهُمْ دَلِيلٌ عَلَى قَهْرِهِ وَمَلَكَتِهِ^(١).

ثم إضافة الربِّ إلى العالمين بيانٌ أنه ربُّ الجميع، ليس كأربابِ الأشياءِ المخصوصة، وإيضاحٌ أنه مستحقُّ حمدِ الكلِّ؛ إذ هو خالقُهم ومُربِّيهم ومالكُهم، وليس وجود ربوبيَّته بوجودهم، فقد كان ربُّ العالمين قبل أن يكونوا، ويكون ربُّ العالمين بعد أن يبيدوا.

وقد كان^(٢) خالقاً قبل وجود المخلوقات، صانعاً قبل وجود المصنوعات، قادراً قبل وجود المقدورات، قاهراً قبل وجود المقهورات، رازقاً قبل وجود المرزوقين، راحماً قبل وجود المرحومين، مذكوراً قبل وجود الذَّاكِرِينَ، مشكوراً قبل وجود الشَّاكِرِينَ، محموداً قبل وجود الحامدين، معبوداً قبل وجود العابدين، مجيباً قبل دعوات السَّائِلِينَ، غنياً قبل وجود السماوات والأرضين، ملكاً قبل وجود المملكة والمملوكين، باقياً^(٣) بعد فناء الخلق أجمعين، يقول الله جلَّ جلاله بعد موت كلِّ الخلق: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ويقول: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، سبحانه الله هو العزيز الغفار.

ثم قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قراءةٌ العامة بخفض الباء على النعت، وقراءة^(٤) زيد بن عليٍّ بنصبها على المدح أو على النداء^(٥)، وقرأ شقيق بن سلمة بالرفع على الابتداء^(٦).

(١) في (أ) و(ف): «ومملكته»، وفي هامش (ف): «ملكته».

(٢) في (أ): «وكان» بدل: «وقد كان».

(٣) في (ر): «مالكاً».

(٤) في (أ): «على الوصف وقرأ».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٩).

(٦) ذكرها العكبري في «الإملاء» (ص: ٥) دون نسبة.

وكذا ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ على هذه الوجوه^(١).

(٣) - ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: مرّ تفسيرُهما في التسمية.

فإن قالوا: لِمَ كرَّرهما مع أنه^(٢) في التسمية ذكرهما؟

قلنا: عنه أجوبةٌ خمسةٌ:

أحدها: ليُعلم أن التسمية ليست من الفاتحة، ولو كانت منها لَمَا أعادها؛ لخلو الإعادة عن الإفادة.

والثاني: أنه ندب العباد إلى كثرة الذكر، فإن من علامة حبِّ الله حبَّ ذكره، وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ^(٣) ذكره»^(٤).

والثالث: أنه ذكر أنه ربُّ العالمين، فيُبين أن ربَّ العالمين هو الرحمن^(٥) الذي يرزقهم في الدنيا، الرحيم الذي يغفر لهم في العقبى، ولذلك ذكر بعده: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

(١) الجمهور على خفضهما، ونصبهما زيد وأبو العالية وابن السميع وعيسى بن عمر، ورفعهما أبو رزين العقيلي والربيع بن خثيم وأبو عمران الجوني. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/٥٧).

(٢) في (أ): «أن».

(٣) «من» ليست في (ر).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٣٤) عن رابعة. ورواه - كما في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١٩) -

أبو نعيم ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مرفوعاً.

(٥) في (ر): «الرحمن الرحيم».

الرابع: أنه ذكر الحمد، وبالحمد تُنال الرحمة، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حمد الله تعالى من البشر آدم، عطس فقال: الحمد لله، وأجيب للحال: يرحمك ربُّك، ولذلك خلقتك، فعَلَّمَ خَلْقَهُ الحمد، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ يَنَالُونَ^(١) رحمته بالحمد.

والخامس: أن قوله: ﴿رَبِّ الْغَلَمِيتِ﴾ ترهيبٌ، وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ترغيبٌ، فجمع بين الرَّغبة والرَّهبة؛ ليكون ذلك أَعُوْنَ للناس على طاعته، وأَمْنَعَ من معصيته.

ونزيد في الفائدة هاهنا بذكر^(٢) مقالاتٍ لم نذكرها في التسمية في تفسير الاسمين:

قال الإمام أبو منصور عبد الكريم بن هوازن القشيري^(٣): الرحمنُ بما رَوَّحَ، والرحيمُ بما لَوَّحَ، فالترويحُ بالمَبَارِّ، والتلويحُ بالأنوار. الرحمن بكشف تجلّيه، والرحيم بلُطْفِ تَوَلّيه.

الرحمن بما يُوفِّقُ، والرحيم بما يُحَقِّقُ، فالتوفيق للمعاملات، والتحقيق للمواصلات، فالمعاملات للقاصدين، والمواصلات للواجدين. الرحمن بما يصنع، والرحيم بما يدفع، فالصُّنع بجميل الرِّعاية، والدِّفع بِحُسنِ العِناية^(٤).

(١) في (أ): «يسألون».

(٢) في (أ): «ونذكر هاهنا»، بدل: «هاهنا بذكر».

(٣) في (ر) و(ف): «الإمام القشيري عبد الكريم بن هوازن»، والمثبت من (أ) وهامش (ف).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/٤٧).

(٤) - ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قرئ هذا على سبعة أوجه:

﴿مَالِكِ﴾ بالألف وخفض الكاف.

و﴿مَلِكِ﴾ بغير الألف بكسر اللام وخفض الكاف^(١).

و(مَلِكِ) بتسكين اللام وخفض الكاف، فهذه ثلاثة أوجه^(٢) على النعت.

و(مَالِكِ) بالألف ونصب الكاف.

و(مَلِكِ) بكسر اللام ونصب الكاف، وهذان على النداء.

و(مَلِكِ) بفتح الميم واللام ونصب الكاف على الفعل الماضي، و(يَوْمِ الدِّينِ)

بالنصب على المفعول.

و(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بالألف ورفع الكاف^(٣).

و(مَالِكِ) بالألف وتسكين الكاف^(٤).

فأما ﴿مَلِكِ﴾ بالألف وخفض الكاف؛ فقد روي ذلك عن النبي ﷺ، وعن

(١) قرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكِ﴾، وباقي السبعة: ﴿مَلِكِ﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن

مجاهد (ص: ١٠٤)، و«التيسير في القراءات السبع» للداني (ص: ١٨).

(٢) في (أ): «وهي»، وفي (ف): «وجوه».

(٣) انظر هذه القراءات ومن قرأ بها وزيادة عليها في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه

(ص: ٩)، و«تفسير الثعلبي» (١١٢/١ - ١١٤)، و«المحرر الوجيز» (٦٨/١)، و«البحر المحيط»

(٥٩/١).

(٤) «ومالك بالألف وتسكين الكاف» من (ر)، ولم أجدها، مع أن المؤلف أشار في أول كلامه إلى

سبعة، وهذه زائدة عليها.

الخلفاء الراشدين الأربعة، وعن جماعةٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وهو اختيار عاصم والكسائي والأعمش وجماعة^(١).

وأما ﴿مَلِكٌ﴾ بكسر اللام وخفض الكاف؛ فعن النبي ﷺ في رواية، وعن عثمان، وعن عليٍّ، وزيد بن ثابت^(٢)، وابن عمر، وأبي الدرداء، وهو اختيار نافع وابن كثير وأبي عمرو وحمزة وابن عامر.

وأما (مَلِكٌ) بسكون اللام وخفض الكاف؛ فعن أبي عمرو، رواه^(٣) عبد الوارث بن سعيد.

وأما (مَالِكٌ) بنصب الكاف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش.

وأما (مَلِكٌ) بغير ألفٍ ونصبِ الكاف^(٤)؛ فعن أبي حيوة شريح^(٥) بن يزيد^(٦).

(١) «وجماعة» ليس في (أ). وانظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (١١٢/١).

(٢) في (أ): «ويزيد بن عاصم». والصواب المثبت. انظر: «تفسير الثعلبي» (١١٢/١ - ١١٤)، و«البحر المحيط» (٥٩/١).

(٣) في (ر) و(ف): «ورواه»، والصواب المثبت، فهذه القراءة رواها عبد الوارث عن أبي عمرو في غير السبعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩)، و«تفسير الثعلبي» (١١٤/١)، و«البحر المحيط» (٥٩/١).

(٤) في (أ) و(ف): «والنصب».

(٥) في جميع النسخ: «وشريح»، والصواب المثبت.

(٦) في (أ): «زيد». والصواب المثبت. انظر: «التقريب» لابن حجر، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩).

وأما (مَلَكٌ) على صيغة الفعل الماضي؛ فعن يحيى بن يَعْمَر^(١).

وأما (مالِكٌ) بالرفع؛ فعن بعض أهل الشام، ثم عن يحيى بن يَعْمَر^(٢).

وأما^(٣) (مالك) بإضجاعٍ بليغٍ؛ هو قراءة أهل البصرة^(٤).

وعن أيوب السَّخْتِيَانِيَّ بِإِشْمَامٍ^(٥).

وتكَلَّمَ المتأخرون في أولى هذه القراءات، فقليل: أولاهَا ﴿مَلِكٌ﴾ بالألف؛ لأن فيه زيادةً حرفٍ، وبه زيادةٌ ثوابٍ.

يُحْكِي عن أبي عبد الله الثلجي^(٦) أنه قال: كان من عاداتي قراءة ﴿مَلِكٌ يَوْمَ

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٤)، وعزاها أيضاً: للحسن وأبي حمزة وأبي حنيفة. وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩)، وعزاها لأنس بن مالك.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٤)، وفيه: (وهي قراءة عزيز العقيلي). وقال أبو حيان: ونسبها صاحب «اللوامح» إلى أبي روح عون بن أبي شداد العقيلي ساكن البصرة. فلعل (عزيز) محرف عن (عون).

(٣) «وأما» ليس في (أ) و(ف).

(٤) «هو قراءة أهل البصرة» ليس في (أ) و(ف). وانظر: «تفسير الثعلبي» (ص: ١١٤)، وفيه: (روي ذلك عن يحيى بن يعمر)، وكذا في «البحر» وزاد أبو حيان نسبتها لأيوب السختياني.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (ص: ١١٤)، وفيه: (وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم)، وذكرها أبو حيان عن قتبية بن مهران عن الكسائي.

(٦) في (أ) و(ر): «البلخي»، وفي (ف): «الجلبي». والصواب المثبت، فقد ذكر القصة أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٢)، وإسماعيل حقي في «روح البيان» (١/ ١٠) فقالا: عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي، وتحرفت (الثلجي) عند أبي الليث إلى: (البلخي)، والثلجي هذا ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص: ٢٩١) فقال: أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي مبرز على نظرائه من أهل زمانه، وكان فقيهاً ورعاً وثباتاً على آرائه، وهو الذي فتق فقه أبي حنيفة =

الدِّينِ»، فذكر لي بعضُ الأدباء أن ﴿مَلِكٍ﴾ أبلغُ في المدح وأكثرُ في الثواب، فتركتُ عادتي، فكنتُ^(١) أقرأ ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ حتى رأيتُ في المنام أن قائلاً قال لي: لم نقصتَ من حسناتك عشرًا، أما سمعتَ قول النبي ﷺ: «من قرأ القرآن كُتِبَ له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ، ومُحِيت عنه عشرُ سيئاتٍ، ورُفِعَتْ له عشر درجاتٍ»^(٢)، فانتبهتُ، فلم أترك عادتي حتى رأيتُ ثانياً في المنام أنه قيل لي: لِمَ لا تترك هذه العادة؟ أما سمعتَ قول النبي ﷺ: «اقرأوا القرآنَ فحُماً مُفحَّماً»؛ أي: عظيماً مُعظَّماً، فأتيتُ قُطْرُباً وسألته عن الفرق بين (المالك) و(المَلِك)، فقال: المَلِكُ الذي يملك شيئاً من الدنيا^(٣)، والمالك الذي يملك المملوك.

وقيل: لا ترجيح بزيادة حرفٍ، فقد اختلفت^(٤) الصَّحابةُ رضوان الله عليهم في (فَرِهين) و(فارِهين)، و(حَمِئَة) و(حامِئَة)، و(نَخِرَة) و(ناخِرَة)، فلم يحتج أحدهم

= واحتج له... وكان من الواقفة على القراءة إلا أنه يرى رأي أهل العدل والتوحيد. قلت: وذكره ابن عدي في «الكامل» (٢٩١/٦) واتهمه بوضع الحديث.

(١) في (أ): «وكنت».

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٨٧/٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه حفص بن عمر بن حكيم، قال ابن عدي: مجهول. وروى الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود وصححه: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لَا أَقُولُ: الِسم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ».

(٣) في (ر): «الذي يملك الأشياء في الدنيا»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «روح البيان»، أما أبو الليث فلفظه: (فأما مَلِكٌ فهو ملك من المملوك، وأما مالكٌ فهو مالك المملوك). وفيه بعدها قوله: (فرجعت إلى قراءة الكسائي).

(٤) في (أ): «اختلف».

على صاحبه بزيادة الحرف، وإنما رجَّحوا بزيادة المعنى، فبنا^(١) أن ننظر أيهما أبلغ في المعنى.

قال أبو عبيدة والأصمعي وأبو حاتم والأخفش: (مالك) أبلغ، فإنه يقال: مالك كل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنما يقال: ملك الناس.

ولأنه يُضاف إلى الفعل والذات، يقال: مالك العبد، ومالك التصرف.

ولأنه لا يقال: مالك الشيء، إلا وهو يملكه، وقد يكون مَلِكٌ^(٢) شيء وهو لا يملكه، يقال: فلان ملك العرب، وملك العجم، وملك الهند، وملك الروم، وملك الترك.

ولأن (المالك) من المَلِكِ، و(المَلِك) من المُلْكِ، والمالك يدلُّ عليهما، يقال: مالك المُلْكِ، ومالك المَلِكِ، والمَلِك لا يدل عليهما، يقال: مَلِك المُلْكِ، ولا يقال: مَلِك المَلِكِ.

ولأنه أضاف إلى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾، وذكر في آية: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]، فنفي المَلِك عن الخلق، فثبت ذلك لله تعالى.

وقال أبو عبيدة^(٣) وعاصم الجحدري والمبرد وأبو عمرو والزجاج وجماعة: (مَلِك) أبلغ وأوفق للقرآن، قال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، وقال عزَّ و علا: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال في صفة يوم القيامة: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَمَنِ

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: (فلنا)، أو نحو ذلك.

(٢) في (أ) زيادة: «كل».

(٣) قوله: «أبو عبيدة» تكرر في القولين، ولعل أحدهما: (أبو عبيد)، فكثيراً ما يحصل الخلط بينهما لتشابه الاسمين، والمعاصرة حيث إن أبا عبيد تلميذ أبي عبيدة.

الْمَلِكُ الْيَوْمَ ﴿ غافر: ١٦ ﴾، وقال جلَّ جلاله: ﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

ولأن المالك قد لا يكون مَلِكًا، ولا يكون مَلِكٌ إلا و^(١) يكون مالكا، ولأن المالك لا يُذكر إلا مُضافًا، يقال: مالك كذا، والمَلِكُ يذكر غير مضافٍ، يقال: هو المَلِكُ، ومدحُ الذات بما هو اسمُه من غير إضافة أبلغ من مدحه بالإضافة إلى غيره^(٢).

ومأخذُ الاسم في اللغة من قولهم: مَلَكْتُ العَجِينَ، ومَلَكْتُ بالطَّعْنِ اليمينَ، وأَمَلَكْتُ بينَ الزَّوجينَ، وحاصله: الشَّدُّ والرَّبْطُ والشَّدَّةُ والقُوَّةُ، فمعنى الاسم في الحقيقة لله، فله القُوَّةُ الكاملة، والولاية النافذة، والتصرُّفُ الماضي، والحكم الجاري، وهو^(٣) للعباد مُجازي، فَلِلَّهِ الْمَلِكُ وَالْمَلِكُ وَالْمَلَكُوتُ، والعزة والجبروت، وهو الحيُّ الذي لا يموت.

وَمَنْ مَلَكُ مِنَ الْعِبَادِ^(٤)؛ فَلِمُلْكِهِ بَدَايَةٌ وَنَهَايَةٌ، وَحَدٌّ وَغَايَةٌ، وهو على البعض لا على الكلِّ، وعلى الجسم لا على العَرَضِ، وعلى النَّفْسِ لا على النَّفْسِ، وعلى الظاهر لا على الباطن، وعلى الحاضر لا على الغائب، وعلى الحيِّ لا على الميت. ومُلْكُ اللَّهِ تعالى بلا^(٥) بداية ولا نهاية، ولا حَدٌّ ولا غاية، وعلى الكلِّ، وعلى

(١) في (أ) و(ف): «وأن».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١٦/١).

(٣) في (ر): «فهو».

(٤) في (ف): «عباد الله».

(٥) في (أ): «لا».

النفوس والأنفاس، وعلى الظواهر والبواطن، وعلى الفطرات والفكرات، والهيئات والمهمَّات^(١)، وهو المَلِك الذي لم يَزَلْ ولا يَزَال^(٢)، كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ إِلَّا مُلْكُهُ، وَكُلُّ مُلْكٍ بَاطِلٌ إِلَّا مُلْكُهُ، ليس لملكه زوالٌ، ولا لملكه انتقالٌ.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله عليه: في الآية دلالةٌ وصف الربُّ بملك ما ليس بموجود^(٣) وقت الوصف بملكه، وهو يوم القيامة.

ثبت أن الله تعالى بجميع ما يستحقُّ الوصفَ به، يستحقُّه بنفسه لا بغيره، ولذلك قلنا نحن: هو الله خالقٌ لم يزل، ورحيمٌ لم يزل، وجوادٌ لم يزل، وسميعٌ لم يزل، وإن كان ما عليه وَقَعُ ذلك لم يكن، وكذلك نقول: هو ربُّ كُلِّ شيءٍ وإلهُ كُلِّ شيءٍ في الأزل وإن كانت الأشياءُ حادثَةً، كما قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وإن كان اليومُ بعد^(٤) غيرَ حادث^(٥).

ثم قوله: (مالك يوم الدين) كما قرئ بالنصب، فقد قرأ زيد بن علي: (رَبِّ العالمين، الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ) بالنصب^(٦)، وهذا^(٧) على المدح، أو على النداء، وقراءة العامة بالخفض على النَّعْتِ، وقرأ شقيق بن سلمة بالرفع على الابتداء^(٨).

(١) في (أ): «وعلى الحضرات والفكرات والحياة والممات».

(٢) في (أ) زيادة: «ولم يزل ولا يزال».

(٣) في (ر) و(ف): «للموجود».

(٤) في (أ): «يعد».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٢).

(٦) «بالنصب» ليس في (ف). وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٥٥).

(٧) في (أ): «وهو».

(٨) تقدمت قراءته قريباً.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ إنما أضاف المُلْكَ والمَلِكَ إلى يوم الدين على الخصوص؛ لأنه قد أعطى الخلق اليومَ مُلكاً ومَلِكاً، والمَلَأُ يَخْلُون في مُلكهم، والملوك يجورون في مُلكهم، فإذا كان يوم الدين نُزِع المَلِك عن^(١) كُلِّ مالِك، والمُلْك عن كُلِّ مَلِك، فيبقى المَلِك والمُلْك له على الخصوص، فلا يبقى بُخْل ولا جَوْر، بل وجود في ملكه، ويعدل في ملكه، وهو وعدٌ ووعدٌ، يقول للأولياء: أنا المَلِك والمالك، أُعزِّكم بمُلْكي، وأغنيكم بمُلْكي، فلا يمنعني مانعٌ، ويقول للأعداء: أنا المَلِك والمالك، علمتُ ما عاملتُموني به، وأقدرُ على مكافأتكم، فلا فرار لكم عني، ولا يدفع العذاب عنكم دافع.

وفي تفسير ﴿الدِّينِ﴾ أقاويلُ سبعة:

قال ابن عباس وابن مسعودٍ والحسن البصري والسُّدي ومقاتل: هو الحساب، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ أي: الحساب المستقيم^(٢)، والله تعالى يحاسبُ العبادَ يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وقال مجاهدٌ والضحاك وقتادة: هو الجزاء^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦]؛ أي: غير مجزيين^(٤)، وقال: ﴿يَوْمَ يَذْرِبُهُمُ اللَّهُ وَبَيْنَهُمُ الْحَقُّ﴾

(١) في (ر): «من».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١٦٩/٢)، و«تفسير الطبري» (١٥٦/١)، و«تفسير الثعلبي» (١١٥/١)، و«تفسير البغوي» (٥٣/١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥٧/١)، و«تفسير الثعلبي» (١١٥/١)، و«تفسير البغوي» (٥٣/١).

(٤) في (أ): «مجرمين».

[النور: ٢٥]؛ أي: جزاءهم، والله تعالى يجزي العباد يومئذ بأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧].

وقال جماعة: هو القضاء، كما في قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي: قضائه، والله تعالى يقضي بين خلقه يومئذ، كما قال عز وجل: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال محمد بن كعب القرظي: هو التوحيد^(١)، كما في قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، والعز والكرامة يومئذ لأهل التوحيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].
وقيل: الدين: الطاعة^(٢)، قال زهير:

لَيْسَ حَلَلَتْ بَوَادٍ^(٣) فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ^(٤)
أي: هذا^(٥) يوم لا ينفع فيه إلا الطاعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨)
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبا: ٣٧].

وقال الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله: هو الخضوع؛ قال النبي

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٥٣/١) بلفظ: مَلِكٌ يوم لا ينفع فيه إلا الدين.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١١٦/١).

(٣) في «ديوان زهير بن أبي سلمى»: «بَجَوْ».

(٤) انظر: «ديوان زهير بن أبي سلمى» (شرح ثعلب) (ص: ١٨٣)، و«المحرر الوجيز» (٧١/١)،

و«البحر المحيط» (٦٣/١). قال الشارح: جَوَّ: واد، ودين عمرو: طاعته، وعمرو هو عمرو بن هند.

(٥) في (أ): «هو».

عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي طالب: «إني أدعوك إلى كلمة لو قُلْتُهَا دانت لك العرب»^(١)؛ أي: خضعت.

ويوم القيامة: يوم خضوع الخلق، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨].

وقال يمان بن رثاب: هو القهر والغلبة جميعاً^(٢)، تقول العرب: دِنْتُهُ فِدَانٌ؛ أي: قهرتُه فخضع^(٣).

وقال الأعشى فيهما جميعاً:

هو دان الرِّبَابَ إذ كَرَّهوا الدَّيْبَ من دِرَاكاً بغزوةٍ وصِيَالٍ^(٤)

ويوم القيامة: يوم قهر الجبارين وقضم القهارين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآيات [إبراهيم: ٤٢].

وقال الفرّاء: هو العادة^(٥)، قال المثلّب العبدى:

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) «جميعاً»: سقط من (أ)، «والغلبة» سقط من (ف).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٣).

(٤) انظر: «ديوانه» (ص: ١١)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٣٠٠)، و«القطع والائتناف» للنحاس

(ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٣).

وجاء في هامش (ف): «قال في الصحاح: الرِّبَاب بالكسر: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يوماً واحدة وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدي، وإنما سموا بذلك لأنهم غمّسوا أيديهم في رب وتحالفوا عليه، وقال الأصمعي: سموا به لأنهم تربوا؛ أي: تجمعوا، والنسبة إليهم: رُبى - بالضم -؛ لأن الواحد منهم ربة». وقد وقع في العبارة طمس في بعض الكلمات فاستدركنها من «الصحاح».

(٥) في (أ): «العبادة».

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

أَكَلَ الدَّهْرَ حِلًّا وَارْتَحَالَ أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَلَا يَقِينِي^(١)

ويومُ القيامة يومُ يُبعث فيه كُلُّ أحد على عادته، فالكافر المنكِرُ يُبعث على إنكاره^(٢)، يقول الله تعالى خبراً عنهم أنهم يقولون: ﴿وَاللَّوْنِيَّاتُ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣) [الأنعام: ٢٣].

(٥) - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ﴾؛ أي: قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾، ولا بد من هذا الإضمار إن حُمِلَ قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الابتداء أو على الإخبار، وإن حُمِلَ على الأمر وأُضْمِر: (قولوا: الحمد لله) هناك، كان هذا عطفًا على ذاك من غير إضمار ثانٍ.

و﴿إِيَّاكَ﴾ فيها كلامٌ من جهة القراءة واللغة والإعراب والمعنى:

أما القراءة: فقراءة العامة بكسر الألف وتشديد الياء، وقراءة الفضل الرَّقَاشِيَّ

(١) انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٤٧ - ٢٤٨)، و«طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٦٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٧١)، و«غريب القرآن» لابن عزيز (ص: ٢٢٦)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٥). الوضين: حزام الرحل، ودرأْتُ وَضِيئَ البعير: إذا بَسَطْتَهُ على الأرض ثم أَبْرَكْتَهُ عليه لَتَشُدَّهُ به. وأراد: لو قدرتُ ناقتي أن تتكلم لقلت هذا الكلام، وأشار بقوله: (هذا) إلى ما استمرت به عادته معها.

(٢) في (أ): «عادته».

(٣) زيد في (ر): ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.

بفتح الألف وتشديد الياء^(١)، وقراءة عُبَيْد بن عمير: (إِيَاكَ)^(٢) بمدّ الألف وتخفيف الياء^(٣).

وقراءة عَمْرٍو بن فائدٍ: (إِيَاكَ) بكسر الألف وتخفيف الياء^(٤).

قال ابن مجاهد: ما أدري ما هي ويشبه أن تكون خطأ أو لغة.

قال رضي الله عنه^(٥): ووجه الغلط أنهم قالوا: إِيَاةُ^(٦) الشمس عينها، فكأنه يقول: شمسك نعبُد، واعتقاده كفرٌ، والقراءة به خطأ، وهي للصلاة مُفسدةٌ.

ووجه اللغة: أن تخفيف المشدّد أيضاً مسموعٌ كما في قوله: (ربّما)

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٣٩). والفضل الرقاشي هو الفضل بن عيسى بن أبان، أبو عيسى البصري الواعظ، قال عنه ابن معين كما في «الميزان»: كان قاصّاً رجلاً سوء.

(٢) «إِيَاكَ» ليست في (ر).

(٣) لم أجدها.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٤٠)، و«الإبانة عن معاني القراءات» لمكي بن أبي طالب (ص: ١٢١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٩). قال مكي: (وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ إِيَا الشمس، وهو ضيأؤها). وقوله: «وقراءة عَمْرٍو بن فائدٍ: إِيَاكَ، بكسر الألف وتخفيف الياء» سقط من (ف). وعمر بن فائد هو أبو علي الأسواري البصري، ذكره ابن الجزري في «طبقات القراء» (١/ ٦٠٢) وذكر له هذه القراءة، وقال عنه ابن حجر في «اللسان»: قدرني معتزلي توفي بعد المتين.

(٥) في (أ): «قال نجم الدين رحمه الله».

(٦) بعدها في (ف): «حق».

و(رَبِّمَا)، وقد قرئ: ﴿رُبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] بهما جميعاً^(١).
قالوا: ويجوز: (هَيَّاك) بالهاء بدلاً عن الهمزة^(٢)، كما في قولهم: هيهات
وأيهات.

وأما اللغة: فقد قيل: أصله (إُوْيَاك)، وهي من قولهم: آوى إليه وآواه^(٣)، فكأنه
يقول: إليك أنقطع بالعبادة والاستعانة، وهذه الكلمة ضميرٌ مكنيٌ لا يكون إلا في
موضع نصبٍ، ولا يضاف إلا إلى كناية، وقد وردت إضافتها إلى الصريح شاذاً: إذا
بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشَّوابَّ^(٤).

وقال الشاعر:

دَعْنِي وَإِيَّا خَالِدٍ فَلَأَقْطَعَنَّ عُرَى نِيَّاطِهِ^(٥)

وفي^(٦) الكلام الشائع، وفي آيات القرآن الإضافة إلى الكناية: ﴿وَإِنَّا
أَوَّلِيَّاكُمْ﴾ [سبأ: ٢٤] ﴿مِّن قَبْلُ وَإِنِّي﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ﴿تَحَنُّنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كُرمُ﴾
[الإسراء: ٣١]، ﴿مَنْ نَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

(١) قرأ نافع وعاصم بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٦).

(٢) أي: بإبدال الهمزة المكسورة هاء مكسورة، والمفتوحة هاء مفتوحة. ونسبت لأبي السوار الغنوي.

انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٧٢)، و«تفسير القرطبي»

(١/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٩).

(٣) في (أ): «آوى إليه آواه»، وفي (ف): «آوى وآواه».

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٧٩)، وقد ذكر سيبويه عن الخليل أنه سمع أعرابياً يقولها.

(٥) البيت لمحمد بن عينة بن المهلب بن أبي صفرة، من قصيدة في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد. انظر:

«الأغاني» (٢٠/ ٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٧).

(٦) في (ر) و(ف): «وقال في».

ولا يؤتى بها إلا مقدّمةً على الفعل، ولا تؤخّر إلا بفاصلٍ بالاستثناء أو العطف أو تكرار الكناية بها^(١): ما عنيت إلا إياك، ذكرتُك وإياه، أدعوك^(٢) إياك.

وأما الإعراب: فقد قال الخليل بن أحمد: (إيّا) سلّمٌ للشأن^(٣)، والكافُ نصبٌ؛ أي: هي كنايةٌ مقدّمةٌ، ولو أخّرت قلت: نعبدُك، فإذا قدّمت لم يمكن التلفُّظُ^(٤) بحرفٍ واحدٍ، فرادوا (إيّا) سلّمًا للشأن^(٥) ليتمكّنَ منه، أو لأن الكافَ وحدها إذا تقدّمت شابَهَتْ كاف التشبيه، فأزالوا الاشتباه بهذا.

وقال الفرّاء: إنما نُصب لوقوع^(٦) الفعل عليه، والكافُ^(٧) خُفضُ بالإضافة، وبيانه: أن هذا بمنزلة قولك: نفْسُكَ نعبدُ.

وأما المعنى: ففي زيادة هذه الكلمة معنىً بليغٌ، فإنك لو^(٨) قلت: نعبدُك ونستعينك، وإن كان أوجزَ لك، لكن^(٩) في هذا النظم فوائدٌ زوائدٌ: موافقةٌ رؤوس الآي، ونفيُ العبادة والاستعانة عن غيرِ الله تعالى، وأجلُّها: البدايةُ بذكر الله دون ذكر^(١٠) نفسه، وهو نظرٌ من الله تعالى إلى العبادة لا من العبادة إلى الله تعالى.

(١) «بها»: ليست في (أ)، وفي (ف): «على».

(٢) في (ر): «ذكرت وأدعوك» بدل: «أدعوك».

(٣) في (ف): «اللسان».

(٤) في (أ): «اللفظ».

(٥) في (ف): «اللسان».

(٦) في (ف): «بوقوع».

(٧) بعدها في (ر): «إنما».

(٨) في (ر): «فكأنك إن»، وفي (ف): «فكأنك لو».

(٩) «لكن» سقط من (ف)، و«لك»: سقط من (أ).

(١٠) «ذكر» سقط من (ف).

وبهذا ظهر^(١) علوُ درجة نبيِّنا محمدٍ ﷺ على موسى ﷺ بقوله^(٢): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال^(٣) موسى صلوات الله عليه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، وهو معنى لطيفٌ وعِلْمٌ شريفٌ.

فإن قيل^(٤): لَمْ كَرَّرْ ﴿إِيَّاكَ﴾ ولو اكتفى بالأول صحَّ؟

قلنا: لأن (إيا) ^(٥) في أول الكلام كالكَافِ في آخره، ولو قال: نعبدُك ونستعينك، احتيج إلى تكرار الكاف، فكذلك^(٦) (إيّا)، ولأن تكراره تحقيقٌ لكلِّ واحدٍ منهما مفرداً؛ أي: نعبدك لا غير ونستعين بك لا غير.

وقوله تعالى: ﴿تَعَبَّدُوا﴾: فالعبادةُ في اللغة لمعانٍ:

أحدها: التذليل^(٧) والقهر؛ قال تعالى: ﴿أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: ذللتهم وقهرتهم، ومنه قولهم: طريقٌ معبَّدٌ؛ أي: مذلَّلٌ بكثرةِ الوطء، قال الشاعر:

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعْتُ وَظِيْفاً وَظِيْفاً فَوْقَ مَوْرِ مَعْبَدٍ^(٨)

(١) في (أ): «ولهذا ظهر»، وفي (ف): «وبهذا أظهر».

(٢) في (ر): «حيث قال»، بدل: «بقوله».

(٣) في (أ): «وقول».

(٤) في (ف) و(أ): «ولا يقال».

(٥) في (ر) و(ف): «إيّاك».

(٦) في (أ): «وكذا»، وفي (ف): «فكذا».

(٧) قوله: «التذليل» كذا في النسخ، ولعل الأولى: (التذلُّل)، كما في «الغريبين» للهروي (مادة: عبد)،

و«تفسير القرطبي» (٢٢٣/١)، وسيأتي إشارة لهذا في كلام المصنف. أما التذليل فهو معنى التعبد

كما في «النكت والعيون» للماوردي (١٦٨/٤).

(٨) البيت لطرفة من معلقته، وهو في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري =

وبعيرٍ معبَّدٌ؛ أي: مَطْلِيّ بالقَطْران، قال طَرَفَةُ:

إلى أن تحامتنِي العشيرةُ كُلُّها وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البعيرِ المعبَّدِ^(١)
فالعِبادَةُ من التَّعبُد، وهي التَّذلُّلُ لله تعالى.

والثاني: الإكرام والإعزاز، يقال: بعيرٌ معبَّدٌ؛ أي: مُكْرَمٌ، قال حاتم:

تَقُولُ أَلَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْبَاخِلِينَ مَعْبَدًا^(٢)
فالعابِد^(٣) على هذا هو المَكْرَم بالإِذْن في الخِدمة^(٤).

والثالث: الأنفة والاستنكاف؛ قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ) [الزخرف: ٨١] على قِراءةِ حَذْفِ الألف^(٥)، وقال الشاعر:

أُولَئِكَ أَبَائِي فَجَنَنِي بِمِثْلِهِمْ وَأَعْبَدُ أَنْ يُهَجِّيَ كُلِّبٌ بِدَارِمٍ^(٦)

= (ص: ١٥٣)، و«شرح المعلقة السبع» للزوزني (ص: ٩٤). وجاء في هامش (ف): «أي سابت هذه الناقه نوقاً كراماً حسناً مسرعات، فأتبعت وظيفه يدها وظيفه رجلها فوق طريق مطوي بذلك، والعناق جمع عتيق، والمور المعبد: الطريق المذلّل». والوظيف قال الزوزني: ما بين الرسغ إلى الركبة. وقال ابن الأنباري: قوله: (أتبعت وظيفاً وظيفاً)، معناه: لم تتكل يدها على رجلها ولا رجلها على يدها.

(١) البيت من معلقته. انظر: «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ١٩١)، و«شرح المعلقة السبع» للزوزني (ص: ١٠٧).

(٢) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٥)، و«الزاهر» له (١/ ١٠٨)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٩٩). وذكره ابن سيده في «المخصص» (٢/ ٣٩٦) بلفظ: (تقول ألا تمسك عليك...).

(٣) في (ر): «فالعبد».

(٤) في (ر): «بالخدمة».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٧).

(٦) نسب للفرزدق وليس في ديوانه، وورد في المصادر بألفاظ متقاربة لكن مع احتوائها جميعاً على =

فالعابدُ على هذا هو الذي يَأْتَفُ من خدمةٍ غير مولاة، ويستنكِفُ عن^(١) التعلُّقِ بسواه، ولا يعبدُ ولا يستعينُ إلا إياه.

والرابع: التكليف بالأمر^(٢) والنهي، يقال: تعبَّدَه واستعبَّدَه: إذا كلَّفَه أمرَه ونهيَه، قال الشاعر:

تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِعٌ^(٣)
فالعبدُ هو المكلفُ أمرَ الله ونهيَه، والعابدُ هو المؤتمِرُ والمنتهي^(٤).

وأما تفسيره: فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: إياك نُوحِّدُ^(٥).

وقال^(٦) عكرمة: جميع ما ذُكر في القرآن من العبادة فالمرادُ بها التوحيدُ، وجميع ما ذُكر فيه من التسبيح فالمرادُ به الصَّلَاةُ، وجميع ما ذُكر فيه من القنوت فالمرادُ به الطاعةُ، وجميع ما ذُكر فيه من الأرائك فالمرادُ به السُّرُرُ^(٧) التي فوقها

= محل الشاهد. انظر: «مجاز القرآن» (١/٢١٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٤٥)، و«جمهرة اللغة» (١/٢٩٩)، و«تهذيب اللغة» (٢/١٤١)، و«الصحاح» (مادة: عبد).

(١) في (ر): «من».

(٢) في (ف): «الأمر» بدل: «التكليف بالأمر».

(٣) أنشده ابن عباس لنافع بن الأزرق منسوباً لتبّع كما روى السيوطي في «الإتقان» (٢/١٠١)، والطسّتي كما في «الدر المنثور» (٧/٦٧٤)، وهو دون نسبة في «العين» للخليل (١/١٠١)، و«الصحاح» (مادة: عبد)، و«تفسير الثعلبي» (٥/٣٢٥).

(٤) في (أ): «المؤتمِر المنتهي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/١٥٩).

(٦) في (ف): «قال».

(٧) في (ف): «فهي السرر»، وفي (أ): «فهي السور»، بدل: «فالمراد به السرر».

الْكَلَّةُ^(١)، وجميع ما ذكر فيه من الكأس فهو القدح مع الشراب، وجميع ما ذكر فيه من الرياح فهي رياح الرحمة، وجميع ما ذكر فيه من الرِّيح فهي رِيح العقوبة.

وقال سفيان بن عيينة وجماعة: معناه: لك^(٢) نخشع ونخضع؛ أي^(٣): بالطاعة.

وقال الحسن البصري: معناه: إياك نُطيع.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن جبريل صلوات الله عليه قال للنبي ﷺ: قل يا محمد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي: إياك نؤمل ونرجو ربنا لا غيرك^(٤).

وهذا وجه لو ثبت روايته لم يُحتج إلى تأويل سواه^(٥).

وعن الضحاك قال: معناه: إياك نرجو ونخاف، وهو أهل لذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [المدثر: ٥٦].

وقال تعالى في مدح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿وَيَدْعُونَا رَعَبًا

(١) في (ر): «الحلة». والكَلَّة: ستر رقيق مثقّب يتوقّى به من البعوض وغيره، جمعها: كِلَل. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: كلل).

(٢) في (ر): «إليك».

(٣) «أي»: من (أ) و(ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/١٥٩). وفي إسناده بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي، وهو ضعيف، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٨٠): تعرف وتكر. وقال النسائي في «الضعفاء» (ص: ٦): ضعيف. وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/١٨٩): كان يخطيء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته. وذكر ابن كثير عند تفسير الاستعاذة في أول «تفسيره» أن هذا الإسناد فيه ضعف وانقطاع، والمراد بالانقطاع أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) ولم يثبت، لما تقدم.

وَرَهَبًا ﴿[الأنبياء: ٩٠]، وقال في حق القانت: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وأمر فقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال بعض أهل المعرفة: العبادة شغل كُلك به، وهو: شغل القلب بمعرفته، وشغل الروح بمشاهدته، وشغل النفس بخدمته، وشغل اللسان بمدحته.

وقيل: العبادة: إجلال الرب وإذلال النفس.

وقيل: هي الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء.

وقيل^(١): تصديق الله تعالى فيما أخبر، والانقياد له فيما قدر، والطاعة له فيما نهى وأمر، والثقة بما رغب وحثر.

ثم قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ من العبادة ومن العبادة.

(عبادات تواست بندكي كردن وعبودت بنده بودن، عبادت موقت است وإن كردن طاعت وست عبودت بمو بد است وإن ماندن معصيت است واست كفتني عبادت استهمه آوردن نونوي عبودت حوس بودن مردتن مال نفارت وسرقة وثواب أي بیش از ثواب)^(٢).

روى أبو أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «درهم واحد

(١) بعدها في (أ): «هو».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: العبادة: القيام بواجب الخدمة والطاعة، والعبودية: صيرورته عبداً لا ملك ولا قدرة له، وقيل: العبادة موقته وهو الطاعة في أوقات معينة مقدرة، والعبودية مؤبدة وهو ترك العصيان أبداً، وقيل: العبادة الصدق في الكلام والعبودية عدم التكلم بالكذب أصلاً وترك جميع أعوانه، وقيل: العبادة فعل ما يرضى الله عنه والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى، وقيل: العبادة إعطاء المال بطريق الزكاة والصدقة، والعبودية: الفرح بما أخذ منه من المال بطريق التعدي والظلم والنهب والسرقة، وثواب هذا أعظم من ثواب ذلك».

يأخذه السُّلطان ظلماً واعتداءً خيراً من أن يتصدق بثلاث مئة ألف درهم»^(١).

وصاحبُ العبادة عابدٌ^(٢)، وجمعه: عُبَاد، وصاحبُ العبادة عبدٌ وجمعه: عِبَاد، وقد مدح الله تعالى الملائكة والنبيين والمؤمنين بهما، فقال في حق الملائكة في صفة العبادة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقال في صفة العبادة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال في عبادة الأنبياء: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ﴿وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وقال في عبودتهم^(٣): ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ﴿كَانَتْ تَحْتِ عِبْدِينَ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التحریم: ١٠] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ٨١] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ١٧] ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] ﴿نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١] ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [النجم: ١٠] ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩].

وقال في حق المؤمنين في صفة العبادة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في صفة العبادة: ﴿يَعْبَادِي﴾ [العنكبوت: ٥٦].

فمن العبادة: الصَّلَاةُ بلا غَفْلَةٍ، والصَّوْمُ بلا غِيْبَةٍ، والصَّدَقَةُ بلا مَنَّةٍ، والحُجُّ بلا إِرَاءَةٍ، والغَزْوُ بلا سَمْعَةٍ، والعَتَقُ بلا أَدْيَةٍ، والذِّكْرُ بلا مَلَالَةٍ، وسائرُ الطاعات بلا آفَةٍ.

(١) لم أجده.

(٢) في (ف): «عَبْدٌ».

(٣) في (أ): «عبادتهم».

ومن العبادة: الرضا بلا خُصومة، والصبر بلا شكاية، واليقين بلا شبهة، والشهود بلا غيبة، والإقبال بلا رجعة، والاتصال بلا قطيعة.

وقيل: حقيقة العبادة: ترك الدعوى، واحتمال الأذى، وحب المولى.

وقيل: هي أن لا يكون عندك للدنيا خطر^(١)، ولا للكونين في قلبك أثر.

وقيل: هي حفظ الحدود، والوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، وترك طلب المفقود.

وقال شقيق: هي ترك الدنيا لأهلها، وطلب الآخرة بحقها، وأن تجعل هواك تحت قضاء الله تعالى ورضاه، والاستعداد للموت والقيامة.

وقيل: علامتها: أن لا يزيد في رفعتك إلا زدت في التواضع، ولا يزيد في مالك إلا زدت في السخاوة، ولا يزيد في عمرك إلا زدت في الطاعة.

وقيل: هي رؤية المنّة، وجهد الخدمة، وخوف الخاتمة.

فالأول: للخليل حيث قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨].

والثاني: للحبيب حيث قام حتى تورمت قدماه.

والثالث: ليوسف الصديق حيث قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[يوسف: ١٠١].

ثم العبادة أمر خلق الله الجن والإنس ليأمرهم بها، فقال^(٢): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأمر بها الناس على العموم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

(١) في (أ): «حظ».

(٢) في (أ): «قال»، وكلمة «بها» ليست في (ف).

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وخصَّ بها الأنبياء فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وخصَّ من بينهم موسى فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

وقال في حقِّ الأمم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال في قصة كلِّ نبيٍّ: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقال في بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال في حقِّ قوم عيسى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦].

وقال في حقِّ هذه الأمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وخصَّ به المصطفى فقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، وأمره أن يقول ذلك باللسان أيضاً فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خُصَّصَ لِي دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وأمرنا به أيضاً أن نقول: ﴿وَيَاكَ نَبِّدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِثُ﴾: أي: نطلبُ العونَ ونسأله، فإنَّ سَيْنَ الاستفعالِ للطلبِ والسؤال.

وقال بعضُ أهل المعرفة: هي طلبُ العين؛ أي: نسألك أن تجعلنا نعبُدك كأننا

نُعَايُنُكَ، فَقَدْ ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِحْسَانَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: وإياك نستعينُ على عبادتِكَ.

وقال السُّدِّيُّ: معناه: وإياك نستعينُ على ما لا طاقة لنا به.

وقال الحسن رحمه الله: وإياك نستعينُ على الشيطان الذي يمنعنا عمَّا خَلَقْنَا^(٢) له من عبادتِكَ.

وقال ابن عُيَيْنَةَ: وإياك نستعينُ على محاربةِ الشيطان الذي يمنعنا عن^(٣) عبادتِكَ.

وقال مقاتل بن سليمان: أي: بك نستعين في أمورنا على ما يُصْلِحُنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا.

والجامعُ للأقوال: نَسْأَلُكَ أَنْ تُعِينَنَا عَلَى أَدَاءِ الْحَقُوقِ، وَإِقَامَةِ الْفُرُوضِ، وَتَحْمُلِ الْمَكَارِهِ، وَطَلْبِ الْمَصَالِحِ.

فإن قالوا: المعونة إنما تُطلب قبل العمل، فهَلَّا قال: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قبل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب، فمعناه: أنه يأتي بهما ولا يتركهما^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «وإياك نستعين على ما خُلِقْنَا».

(٣) في (ف): «من».

(٤) في (ر): «يأتي بها ولا يتركها».

وَأَخْرُ: ^(١) أَنْ مَعْنَاهُ: إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى التَّوْحِيدِ.
وَأَخْرُ: أَنْ مَعْنَاهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ.
وَأَخْرُ: أَنْ مَعْنَاهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِي الْحَالِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى ذَلِكَ فِي
الاسْتِقْبَالِ ^(٢).

وَأَخْرُ: أَنْ مَعْنَاهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بظواهرنا فهي التي فِي وَسْعِنَا، ﴿وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى حِفْظِ بَوَاطِنِنَا فَأَنْتَ الَّذِي تَقْلِبُهَا كَيْفَ تَشَاءُ.
وَأَخْرُ: أَنْ مَعْنَاهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى الرَّجَاءِ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى الْخَوْفِ.
وَأَخْرُ: أَنْ مَعْنَاهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى الشُّكْرِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى الصَّبْرِ.
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِأَنَّكَ خَلَقْتَنَا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّكَ
هَدَيْتَنَا ^(٣).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ ^(٤): ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فَاقْبَلْ عِبَادَتَنَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ
صَافِيَةٍ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَأَعِنَّا وَإِنْ كُنَّا غَيْرَ مُسْتَحْقِّينَ لِلْإِعَانَةِ.
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَنَادُ ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِأَنَّكَ الصَّانِعُ، ﴿وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّ الْمَصْنُوعَ لَا غَنَى بِهِ ^(٦) عَنِ الصَّانِعِ.

(١) فِي (ر): «وَوَجْهٌ آخَرُ».

(٢) فِي (ف): «فِي الْمُسْتَقْبَلِ» بَدَلُ: «عَلَى ذَلِكَ فِي الْاسْتِقْبَالِ». وَجَاءَ فِي هَامِشِهَا مَا يُوَافِقُ الْمَثْبُتَ.

(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (١/١١٨).

(٤) هُوَ التِّرْمِذِيُّ صَاحِبُ «نَوَادِرِ الْأُصُولِ».

(٥) فِي (ر): «الْحَسَنِ الْقَنَادُ» وَفِي (ف): «الْحَسَنُ الْقَنَادُ». وَالْمَثْبُتُ مِنْ (أ)، وَالَّذِي فِي «تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ»

(١/١١٨): (وَسَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْحَبِيبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَرَّانِ

وَقَدْ سَأَلَ عَنِ الْآيَةِ فَقَالَ..) وَذَكَرَهُ.

(٦) فِي (ر): «لَهُ»، وَالْمَثْبُتُ مُوَافِقٌ لِمَا عِنْدَ الثَّعْلَبِيِّ.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنَّا عبيدُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنك كريمٌ مجيد.
وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك المعبود بالحقيقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على لزوم
هذه الطريقة.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهذا تدلُّلٌ في الظاهر ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على أن تعلم
قلوبنا أنه تعزُّزٌ في الحقيقة والباطن، وقد^(١) قال قائلهم:

وَإِذَا تَذَلَّلَ الرَّقَابُ تَقَرُّبًا مِنَّا إِلَيْكَ فِعْزُهَا فِي ذُلِّهَا^(٢)

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بقطع العلائق والأعراض^(٣) ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على
الثبات على هذا الحال فإنه بك لا بنا.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالإخلاص ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على المكاشفة لأسرارنا.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بأمرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عليها بفضلك.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالدعاء^(٤) ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن تُسقطَ عنا الدعاوي
وتردِّدنا إلى رياض الحقائق.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالتوفيق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على شكر ما وفقَّتنا من
عبادتك.

ثم الجمعُ بين الكلمتين للافتخار والافتقار، فقوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ افتخارٌ بكونه

(١) «وقد»: ليست في (أ).

(٢) البيت لأبي إسحاق الصابي كما في «يتيمة الدهر» (٢/٣٢٥)، ودون نسبة في «لطائف الإشارات»
(١٣/١).

(٣) في (ف): «والأعواض»، وفي (أ): «والأعواص».

(٤) في (أ): «بالدعاوي».

عبدًا له عابدًا له، وقوله تعالى: ﴿نَسْتَعِثُ﴾ افتقارًا إلى معونته، واحتياجًا إلى توفيقه وعصمته، كأنه^(١) يقول: (بناز وسر يراذكه بيده مني، وبنو روسو فر وداركه مي معونت من برهيج مني)^(٢).

وقالوا: هما لتعليم بذل المجهود، وتلقين سؤال العطاء والجود.

ثم تحقيق هذين اللفظين من العبد: أن لا يخدم غير الله، ولا يسأل غير الله، بعدما أظهر هذا من نفسه أنه إياه يعبد وإياه يستعين.

وقد حكي عن سفيان الثوري: أنه أمَّ قوماً في صلاة المغرب، فلما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾ خرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك، فقال: خفتُ أن يُقال لي: فلم تذهب إلى أبواب الأطباء والسلاطين؟

ثم في مجموع الكلمتين تحقيق مذهب أهل السنة والجماعة، وهو إثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله تعالى، وفيه ردُّ على^(٣) الجبرية والمعتزلة^(٤):

فالجبرية يُنفون الفعل من العبد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يردُّ عليهم ذلك.

والمعتزلة لا يرون التوفيق من الله^(٥)، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾ يردُّ ذلك

عليهم.

(١) في (ر): «وكانه».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: كأنه يقول: افتخر وترفع... وافتخر واخفض لعبادتك بغير معونتي لست بشيء ينفع».

(٣) «على» من (ف).

(٤) في (ف): «والقدرية».

(٥) في (ف): «ربهم».

وأهل السنّة والجماعة يقولون: من العبد الفعل واختيار الفعل، ومن الله تعالى خلق ذلك الفعل ومشية ذلك الفعل، والآية تدلّ على ذلك كله.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو على إضمار الأمر؛ أي: قل هذا، ثم لم يجعل له أن يستثنى في^(١) القول به، بل ألزمه القول به، فيجب أن لا يستثنى في التوحيد، فإن من استثنى فيه عن^(٢) شكّ يستثنى، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال النبي ﷺ: «أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكّ فيه»^(٣).

قال: وقوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه إبطال قول المعتزلة؛ لأن الاستعانة لا تصحّ على قولهم؛ لأن تلك المعونة على أداء ما كلف قد^(٤) أعطي العبد ذلك، إذ على قولهم لا يجوز أن يكون مكلفاً وقد بقي شيء مما به أداء ما كلف به عند الله، وطلب ما أعطي كتمان العطية، وهو كفران، فيصير كأن الله تعالى أمر^(٥) أن يكفر نعمه ويكتمها^(٦) ويطلبها منه تعتاً، وظنّ مثله بالله كفر.

ثم لا يخلو من أن يكون عند الله تعالى ما يطلب فلم يُعط التمام إذاً، أو

(١) في (ر): «من»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ف) و(أ): «فعن»، وفي (ر): «فمن»، والمثبت من «التأويلات».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٥١١)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٥٣)، وابن حبان

في «صحيحه» (٤٥٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «إذ قد»، والمثبت موافق لما في مطبوع «التأويلات»، ولعل صوابها: (وقد).

(٥) في (ر): «أمره»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٦) في (ر): «ويكفرها»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

ليس عنده فيكون طلبه استهزاءً به، إذ مَنْ طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده فهو هازئٌ به.

ولأن الذي يطلب إمّا أن يكونَ لله أن لا يُعطيه مع التكليف، فيبطل قولهم؛ إذ^(١) لا يجوز أن يكلف وعنده ما به الصلاحُ في الدين فلا يعطي، أو ليس له أن لا يعطي، فكانه قال: اللهم لا تجرّ، ومَنْ هذا علمه بربه فالإسلامُ أولى به^(٢).

ثم قوله^(٣): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإن أضمر فيه الأمرُ بالقول في أول السورة كذلك، فإنَّ الأول مغايبةٌ وهذا مخاطبةٌ، وكذلك قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾، فكيف جمع بينهما؟

وجوابه: أنه سائغٌ^(٤) في كلام العرب، وواردٌ في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ سُورَابِطُهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان: ٢٢].

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [مريم: ٦٨]، ثم قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠] ثم قال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وهذا كله مغايبةٌ ثم مخاطبةٌ.

(١) في النسخ: «أنه»، والمثبت من «التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٢ - ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من الاختصار والتصرف.

(٣) في (ر): «وقوله»، بدل: «ثم قوله».

(٤) في (ف): «شائع».

وقد وردت المغايبَةُ بعد المخاطبة أيضاً قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرْنَ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بالعِلياءِ فالسَّندِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ^(١)
رجع في هذا من المخاطبة إلى المغايبَةِ.

وقال آخرُ ورجع عن المغايبَةِ^(٢) إلى المخاطبة:

يا ويحَ نفسي كان جِدَّةُ خالدٍ وبياضُ وجهك للثرابِ الأعفرِ^(٣)
ثم اللطيفةُ فيه هاهنا: أن المحبَّ إذا ابتداءً عاتبَ وإذا انبسط خاطبَ.

ومنهم مَنْ جعل ابتداءَ هذه المخاطبة من قوله عزَّ وجلَّ: (مالكِ يومَ الدين)
على قراءةٍ مَنْ نصب الكافَ على النداء، ومَنْ قرأ: (ربَّ العالمين) على النصبِ
جعل الابتداءَ من ذلك، ومَنْ جعلهما نصباً على المدح أو على القطع كان على
المغايبَةِ بناءً على افتتاحِ السُّورة.

وقوله عليه السلام في حديثِ القِسمة: «هذا بيني وبينَ عبدي نصفين»^(٤)، أشار
الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله إلى معنيين فيه:

(١) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٣٠).

(٢) في (ر): «من الغائبة».

(٣) البيت لأبي كبير الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٠١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٥٦)،
و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢٣)، و«المستقصى» للزمخشري (١/ ٦٧). والشاهد
فيه قوله: وبياض وجهك، وكان حقه: وبياض وجهه. وتسمية المؤلف لما هنا بالمخاطبة والمغايبَةِ
قد سماها غيره: الالتفات. انظر: «الكشاف» (١/ ١٣)، و«البحر» (١/ ٧٣).

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله، وتقدم بتمامه.

أحدهما: أن يكون كُلُّ واحدٍ منهما بين الله وعبده، العبادة من العبد وهي لله تعالى، والاستعانة فعلُ العبد وهي طلبه من الله تعالى.

والثاني: أن العبادة من العبد لله تعالى، والمعونة من الله تعالى للعبد، وهذا أظهر؛ لأنه قال في بقية السورة: «هذا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(١) لَمَّا كَانَ نَفْعُ الْهُدَايَةِ لِلْعَبْدِ جَعَلَهُ لِلْعَبْدِ، فَكَذَلِكَ نَفْعُ الْمَعُونَةِ^(٢).

ثم دَلَّتْ هذه القسمة على أَنَّ التسمية ليست من الفاتحة، فإنه جعل السورة نصفين، ثم جعل هذه الآية المتوسطة نصفين، وَقَبْلَهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ بدون التسمية، فتصيرُ مع نصفِ هذه الآية نصفَ السورة، ونصفُ هذه الآية مع الثلاثِ الآياتِ التي بعدها نصفُ السورة، وهي سبعُ آياتٍ.

وأنه لم يَعدَّ البسملة^(٣) في تقسيمها، بل بدأ بقوله: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدُنِي عَبْدِي»^(٤).

وهذا قولُ قَرَاءِ المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة، وعلى ذلك دَلَّتِ الْأَخْبَارُ وَأَثَارُ الصَّحَابَةِ رضي الله تعالى عنهم.

(٦) - ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا﴾: انتظامه بما قبله: أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إظهارُ

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من التصرف.

(٣) في (أ): «التسمية».

(٤) قطعة من الحديث السابق.

التوحيد^(١) من نفسه، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾ طلبُ العونِ من ربه، وقوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ سؤالُ الثباتِ على دينه، وهو تحقيقُ عبادته واستعانته. وفي تفسير الكلمة أقاويلُ:

أحدها - وهو المجمع على صحته -: قول عليٍّ وأبي رضي الله عنهما: ﴿أَهْدِنَا﴾؛ أي: ثبَّتْنَا على هذا الصراط المستقيم^(٢)، وهذا كما يقالُ للرجل: كُلْ، وهو يأكل، و: اقرَأْ، وهو يقرأ؛ أي: دُمْ على ذلك واثْبُتْ عليه، وهو نظيرُ قول إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وهو^(٣) دعاءُ استدامةٍ واستثباتٍ، وبذلك خاطَبَ اللهُ جَلَّ جلالُهُ المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

والثاني: قول مقاتل والسدي: ﴿أَهْدِنَا﴾؛ أي: أَرْشَدْنَا، وهو طلبُ إعطاءِ الرُّشْدِ^(٤) في كُلِّ ساعةٍ إلى الطريق المستقيم كيلا يَزِيغَ عنه لحظةً؛ فعلاً ولا قولاً ولا نيةً، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: أَرْشَدْنَا إلى الطاعات^(٥).

والثالث: قولُ بعضِ المفسرين: إنه طلبُ الزيادةِ المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، قيل^(٦): وهو اليقينُ والنور؛ أي: زدنا اليقينَ الصائبَ والنورَ الثاقبَ حتى نزدادَ كُلَّ يومٍ استبصاراً، وعلى الدين الحقَّ ثباتاً وقراراً.

(١) في (ر): «للتوحيد».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٤٣/١) عن علي، و«تفسير البغوي» (٥٤/١) عن علي وأبي.

(٣) في (أ) و(ف): «هو».

(٤) في (ف): «طلبُ الإعطاء للرشد».

(٥) انظر: «تفسير أبي الليث» (٤٣/١)، و«تأويلات أهل السنة» (٣٦٦/١).

(٦) «قيل» زيادة من (ف).

والرابع: قول بعضهم: معناه: وفّقنا، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ أي: لا يوفّقهم، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ أي: لنوفّقنهم لسلوك سبّلنا، وقال الشاعر:

فلا تعجلني هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً^(١)

والخامس: قول بعضهم: معناه: قدّمنا إلى^(٢) طريق الجنة؛ قال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣]؛ أي: قدّموهم، وهو من قولهم: أقبلت هَوَادي الخيل؛ أي: متقدّماتها^(٣)، وهوادي الجبال: وجوها وأعناقها، وهادية الإجل^(٤): العنز المتقدّمة عليها.

وأصل الكلمة: الإمالة، وأغلب استعمالها في الإرشاد والدلالة، يقال: هداه كذا، ولكذا، وإلى كذا، وثلاثتها في القرآن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والدلالة إمالة، وهداء^(٥) العروس إلى زوجها - وهو زفافها - كذلك، وإهداء

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٣/٢)، و«المقتضب» (٣/٢٢٤)، و«تفسير الطبري» (١/١٦٦)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/١٠٤)، و«الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/٦٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (٦/٢٠٧)، ولفظهم عدا الطبري: (تحنن علي هداك...)، وعزاه أبو عبيدة وجماعة للحطيئة.

(٢) في (ف) و(أ): «في».

(٣) في (ف): «مقدماتها».

(٤) في هامش (أ): «الإجل هو قطع البقر والظباء».

(٥) في (أ): «وإهداء». وكلاهما صواب، قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/٣٣٩): وأهديت العروس إلى زوجها وهديتها. والأخفش فصل فقال في «معاني القرآن» (١/٣٢٥): وبنو تميم يقولون: هديت العروس إلى زوجها، جعلوه في معنى: دللتها، وقيس تقول: أهديتها، جعلوها بمنزلة الهدية.

الهدية إلى الصديق كذلك، وإهداء^(١) الهدى إلى الحرم كذلك، وتهادى القوم في المشي: إذا^(٢) تمايلوا، وخرج فلانٌ يُهادى بين اثنين من ذلك، والهادي: العنق والعصا والسائق^(٣) من ذلك أيضاً.

والهديُّ المذكور في القرآن وإن ذُكرت وجوهه زائدة على العشرة فحاصله شيان:

أحدهما: البيان، كما في قوله عز وعلا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧].
والثاني: خلقُ فعلِ الاهتداء في العبد، كما في قوله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وقد يجيء ثالثٌ وهو الإثباتُ على الاهتداء، وهو عين الثاني لأنه يجدده فيه. فعلى^(٤) هذا قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ ليس هو سؤالُ البيانِ فإنه سابقٌ، ولا ابتداءُ الإيجادِ فإنه قد أعطاه، لكنه سؤالُ التثبيت وهو تجديده فيه ساعةً بعد ساعة. فأما وجوهه المذكورة في القرآن: فقد ذُكر للبيان، وذُكر لخلق فعلِ الاهتداء، وقد تلونا الآيتين.

وللتثبيت: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
وللدعوة: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].
وللدلالة: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الفصص: ٢٢].

(١) في (ر): «وأهدى»، والمعنى واحد.

(٢) في (أ): «أي».

(٣) في (أ) و(ف): «والسابق».

(٤) في (أ): «وعلى».

وللإصلاح: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].
وللإلهام: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]؛ أي: خلق الذكر والأنثى فألهمهما كيف
يأتيها وتأتيه.

وللدين: ﴿إِن هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠].
ولليقين: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].
وللتوحيد: ﴿أَتَخَنُّ صِدْقَ نَكْرٍ عَنِ الْهُدَى﴾ [سبا: ٣٢].
وللرسل والكتب: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].
ولأمر محمد ﷺ خاصة: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٥٩].
وللقرآن خاصة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].
وللتوراة خاصة: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ [الإسراء: ٢].
وذكر الاهتداء في القرآن لوجوه:
لمعرفة طرق الدنيا: ﴿وَبِالتَّجَمُّ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].
وللاسترجاع: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].
وللاستئناس بسنن الماضين: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].
ولسلوك مذهب السنة والجماعة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

ولبعض أهل التحقيق^(١) في قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ كلمات مليحة وهو الإمام
القشيري قال:

(١) في (أ): «ولبعض أهل المحققين»، وفي (ر): «ولبعض المحققين».

﴿ أَهْدِنَا ۖ ﴾: أَي: مِلْ بِنَا إِلَيْكَ، وَاجْعَلْ إِقْبَالَنَا عَلَيْكَ، وَكُنْ عَلَيْكَ دَلِيلَنَا، وَيَسِّرْ إِلَيْكَ سَبِيلَنَا.

اقطعُ أسرارنا عن شهود الأغيار، ولوّح في قلوبنا طوابع الأنوار، وأفرد قُصودنا إليك عن دنس الآثار، ورقّنا عن منازل الاستدلال إلى ساحات القُرب والوصول، وحلّ بيننا وبين مساكنة الأمثال والأشكال بما تكاشفنا به من شهود الجمال والجلال. أزلّ عنا ظلمات أحوالنا لنستضيء بنور بأنوار قدسك، وارفع عنا ظلّ^(١) جهدنا لنستبصر بنجوم جُودك.

احفظنا عن^(٢) التزغات والوساوس، والخطرات والهواجس، كيلا يستهوينّا آفة من فشل أو هوادة، أو طبع أو عادة، أو كسل أو ضعف إرادة، أو طمع مال واستزادة^(٣).

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قالت المعتزلة: المراد بالهداية^(٤) هاهنا البيان، فإنهم لا يرون من الله عز وجل خلق فعل الاهتداء، ولو كان كما قالوا فهم^(٥) والمغضوب عليهم والضالون في ذلك سواء؛ لأنه قد بين للكل^(٦). ثم في هذه الكلمة فوائد:

(١) في (ر): «ظلة» وفي (ف): «ظلمة»، والمثبت من (أ) و«اللطايف».

(٢) في (ف): «واحفظنا من».

(٣) انظر: «لطايف الإشارات» (١/٤٩ - ٥٠).

(٤) في (ر) و(ف): «المراد من هذه الآية».

(٥) في مطبوع «التأويلات»: «فهو»، فإن لم يكن تحريفاً يكون الضمير عائداً على القائل: ﴿ أَهْدِنَا ۖ ﴾ باعتبار اعتقاده أن المعنى من ذلك البيان، والمؤدى واحد لمن تأمل.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٣٦٦).

منها: أن الله تعالى أمر عباده بهذا السؤالِ لأنه أهمُّ حوائجهم، وهو الذي سأله الأنبياءُ عليهم السلام والأولياءُ، قال ^(١) يوسفُ صلوات الله عليه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ ^(٢) [يوسف: ١٠١]، وقال سحرَةُ فرعونَ عليه لعائنُ الله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقالت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وما ينبغي أن يُعتمد على ظاهر الحال، فقد يتغير في المآل، واعتبرَ إبليس وبرصيصا، وبلعام ^(٣) وثعلبة.

ومنها: أنه علّم كيفية الدعاء، وهو البدايةُ بالثناء، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ بدأ بالدعاء قبل الثناء فهو قَمِنٌ أَنْ لَا يُسْتَجَابَ لَهُ» ^(٤).

ومنها: أنه أمر بهذا الدعاء، ولو لم يُرِدْ به ^(٥) الإجابةَ لَمَّا أمر به، وقد حَقَّقَ ذلك فيما روَّينا: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» ^(٦)، وهذا إثباتُ المباشطة، وهو دليلُ حقيقة المحبة، وما روي: أن المصلِّي يناجي رَبَّهُ ^(٧)، فقد قيل: هو في هذا، وفي إثباتِ هذه المناجاةِ إثباتُ المحبة والقربة والخصوصية، فلا مناجاةَ إلا من أهل المحبة، وإلا بعدَ نيلِ القربة، وإلا عند ظهورِ الخصوصية.

ومنها: أن قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا﴾ على الجمع يكون لنفسه ولعامة المسلمين،

(١) في (ف): «فقال».

(٢) زاد في (أ): ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

(٣) في (ف) و(أ): «وبلعم».

(٤) لم أجده، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩١٧١) عن إبراهيم التيمي قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء.

(٥) «به» من (ف).

(٦) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥)، وتقدم.

(٧) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وهو إثبات محلّ الشفاعة له، ويقول في آخر الصلاة: واغفر^(١) للمؤمنين والمؤمنات، فيشفع لهم في طلب المغفرة، ويقول: ﴿إِنِّي أَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فيشفع لهم في سؤال مصالح الدنيا والآخرة، وفي القيام يقول: ﴿أَهْدِنَا﴾ وهذا^(٢) سؤال لنفسه ولهم الثبات على الإيمان والمعرفة، وأنه أعظم الشفاعة، ولما ثبتت الشفاعة لكل مؤمن في حقّ كل أهل الإيمان، فما ظنك بشفاعة النبي ﷺ في حقّ أهل العصيان؟

وقوله تعالى: ﴿أَصْرَطْ﴾: فقد قرأ نافع وأهل العراق والعمامة بالصّاد، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالسّين، وبه قرأ بعض القراء وهو ابن كثير^(٣)، وقرأ حمزة بإشمام الزاي قليلاً^(٤).

فالصّاد لغة قريش، والسّين لغة بني قيس، والزاي لغة بني عذرة.
والصّراط هو السبيل، وقيل: هو الطريق السويّ، وقيل: هو الطريق الواضح.
وقيل: هو لغة الروم.

وقال أبو عبيدة: ليس في القرآن غير اللغة العربية.
وقيل: لما تكلمت العرب به صارت عربية أيضاً.

(١) في (ف): «صلاته اغفر».

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) في (ر) و(ف): «وبه قرأ ابن كثير». وهي قراءة ابن كثير في رواية قبل من السبعة، وقراءة يعقوب في رواية رويس من العشرة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٧١).

(٤) هي قراءة حمزة في رواية خلف حيث وقعت، وخلاّد في الموضع الأول من الفاتحة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨).

وقيل: هو من الاستراط وهو الابتلاع، سمي به لأنه يتلَعُ سالكيه.

وقيل: إن المسترط هو^(١) ممرُّ الطعام، والطريق ممرُّ الأنام، وصارت السينُ صاداً لمطابقة الطاء، وكذا الضعيف يَقْوَى باتصاله بالأقوياء.

واختلف في المراد به هاهنا:

فقال ابن عباس وجابر وابنُ الحنفية والضحاك ومقاتل وابن جريج: هو الإسلام^(٢)، قال تعالى خبراً عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]؛ أي: لأضلنهم عن دين الإسلام^(٣)، وقال لنبيه^(٤) محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

وقال عليّ وابن مسعود رضي الله عنهما: هو كتاب الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿فَأَسْمِسْكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]^(٥).

وقال الحسن البصري وأبو العالية الرِّياحيُّ رحمهما الله: هو طريق النبي ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(٦).

قال الله تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

(١) «هو»: ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣ - ١٧٥) عن جابر وابن الحنفية، وعن ابن عباس وابن مسعود من طريق السدي، وعن ابن عباس من طريق الضحاك وابن جريج.

(٣) في (ف) و(أ): «عن دينك».

(٤) في (ر): «وقال في حق نبيه».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥).

وقال في حق أصحابه^(١): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١٨ - ٢٠].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فسألته عن الصراط المستقيم فقال: سُنِّي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي^(٢).

وقال أبو سليمان الداراني: هو طريق العبودية التي ذكرها قبله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وقال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

وقال السُّدِّيُّ: هو طريق الجنة، فالطريق طريقان: طريقُ الجحيم قال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣]، وطريق الجنة قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثم إنما سمي الدين صراطاً لأن مَنْ كان له مقصودٌ أو مطلبٌ^(٣) فإنما يصل إليه بعد قطع الطريق وسلوك^(٤) سواء السبيل، والله تعالى متعالٍ^(٥) عن الأمكنة، لكنَّ العبد الطالب صاحبُ المكان، فلا بد له من قطع المسافات، ومسِّ الآفات، وتحملِ المخافات، ليكرم بالوصولِ والموافاة.

وقيل لبعض الكُبراء: ما الطريقُ إلى الله تعالى؟ فقال: عَطْفَتَيْنِ^(٦) وقد وصلت: تدورُ مرةً فتنبذُ الدنيا وراء ظهرك، وتدورُ ثانيةً فتنبذُ العُقبى وراء ظهرك، وقد وصلت.

(١) في (أ): «الصحابه».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٠).

(٣) في (ر): «أو مطلب مقصد»، وفي (أ) و(ف): «أو مقصد».

(٤) في (ف): «وسلوكة».

(٥) في (ر) و(ف): «يتعالى».

(٦) في (ر): «خطوتين».

وقوله تعالى: ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: المستوي، يقال: أقامه فاستقام، كما يقال: أوسعه فاستوسع، وأزخاه فاستزخى، واللازم يجيء من ثلاثة أبواب: من الانفعال كالانقطاع، ومن الافعال كالاختلاط، ومن الاستفعال كالاسترسال.

ثم وصف الطريق به له معنيان:

أحدهما: أنه مستو بنفسه غير مُعَوَّج.

والثاني: أن سالكه مستقيم فيه، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: يُبْصِرُ فيه، وكقولك: نهراً جارياً؛ أي: الماء جارٍ فيه، ونظيره في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرَ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزموا فيه، وقوله: ﴿فَمَارِجَتْ بَحْرُهُنَّ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: ما ربحوا فيها، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَكَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

وقال بعض أهل التفسير: هو المستوي الذي لا يميل بسالكة إلى خطأ.

وقال بعضهم: هو الذي يُفْضِي بسالكة إلى الجنة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هو القائم؛ أي: الثابت بالبراهين، الذي لا يزيله شيء، ولا ينقض حُجْجَه كيداً^(١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هو ما عليه من الكتاب والسنة دليل، وليس للبدعة إليه سبيل.

وقال أيضاً: هو ما درج عليه سلف الأمة، ونطق بصوابه دلائل العبرة.

وقال أيضاً: هو ما شهد بصحته دلائل التوحيد، ونبه عليه شواهد التحقيق^(٢).

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٣٦٧). وفي (ر): «حجته».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/٥٠).

قال نجم الدين^(١) رضي الله تعالى عنه: وأنا أقول:

هو ما ليس عليه ظلام النكرة ولا غبار البدعة.

هو ما لا يضلّ سالكه ولا يهتدي تاركه.

هو ما لا يخاف فيه قطع الطريق، ويُمَدُّ سالكه ببدرقة^(٢) العصمة والتوفيق.

هو ما يُسهّل إلى المقصد، والمقصود وصول قصاده، والله تعالى بمرصاده.

(٧) - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾: هو بدلٌ عن قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو كالتفسير له، والبدل يتبع المبدل في إعرابه^(٣)؛ لأنه هو: إمّا عيناً وإمّا اتصالاً^(٤)، وهو كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥٢) صِرَاطُ اللَّهِ [الشورى: ٥٢-٥٣] فأتبع الخفض خفض، وهاهنا أتبع النصب النصب، وهذا كقوله:

(١) «نجم الدين»: ليس في (أ).

(٢) في (ف): «بدرقة». والبدرقة قال في «التاج» (مادة: بذرق): بالذال المعجمة والمهملة، وقال ابن بري: هي الخفارة، وقال الهروي في (فصل عصم) من كتابه «الغريبين»: إن البدرقة يُقال لها: عصمة؛ أي: يعتصم بها، وقال ابن خالويه: ليست البدرقة عريّة، وإنما هي فارسية، فعربتھا العرب، يُقال: بعث السلطان بذرقّة مع القافلة، بالذال معجمة.

قلتُ (القائل الزبيدي): وأصل هذه الكلمة مركبة من: بُدَ وَرَأَ، والمعنى: الطريق الرديء، فعربوا الهاء بالقاف، وأعجموا الذال. والمبذرق: الخفير، نقله الصاغاني.

قلت: وينتج أن المراد بها هنا: العون والمدد، وما في معناهما.

(٣) في (أ): «الإعراب».

(٤) «إمّا عيناً وإمّا اتصالاً»: سقط من (أ) و(ف).

﴿لَسْفَعًا بِالْأَنفِ﴾ (١٥) نَاصِيَةً كَذِبَةً حَاطَّةً ﴿[العلق: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ (١) إِلَى لَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿[قريش: ١ - ٢].

هذا كله عند الخليل يسمّى: البدل، وعند الأخفش يسمّى: عطف البيان، وعند الكسائي يسمّى: الإنباع، وعند الفراء يسمّى: المترجم^(١).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾ هو جمعُ الذي، وهو اسمٌ موصولٌ لا يَتِمُّ إِلَّا بِصِلَتِهِ^(٢) ولا يُذكر بدونها، وتأنيثه: التي، وتثنيته الذي: اللذان، وتثنيته التي: اللتان، وجمعُ الذي: الذين، وجمعُ التي: اللاتي واللواتي واللّائي.

وقوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: مَنَنْتَ عليهم، والاسم منه: النعمة بالكسر، وبالفتح: التَّعْنَم، وبالضمّ: المسرّة.

واختلفَ في هؤلاء المنعم عليهم: مَنْ هم؟ وفي هذا الإنعام الذي عليهم: ما هو؟

قال مجاهدٌ وأبو رَوْق^(٣): هم النبيون، ودليله قوله في سورة مريمَ بعد ذكر الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [مريم: ٥٨].

(١) ورد هذا في مواضع من «معاني القرآن» للفراء، منها قوله فيه (١/١٦٨) في الشعر المشهور (لمية موحشاً طلل): وقد يجوز رفعه (أي: موحشاً) على أن تجعله كالاسم يكون الطلل ترجمةً عنه، كما تقول: عندي خراسانيةٌ جاريةٌ...، وقوله (٢/١٥٩) عند تفسير قول تعالى: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾: ولو جعلت (الحُسنى) رفْعاً وقد رفعت الجزاء ونَوْنَتْ فيه كَانَ وجهًا، ولم يقرأ به أحد، فتكونُ كقراءة مسروق: (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) فحَفَظُ (الكواكب) ترجمةً عَنِ الزينة.

(٢) في (أ): «بصلة».

(٣) «وأبو روق» ليس في (ف). وأبو روق - بفتح الراء وسكون الواو - هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صاحب التفسير، انظر: «التقريب».

وقال ابنُ كيسانَ: هم الأنبياءُ والصَّديقون.

وقال الحسنُ وعبدُ الرحمن بنُ زيدٍ: هم الأنبياءُ وأتباعُهم^(١).

وقال مقاتلٌ: هم الأنبياءُ والصَّديقون والشُّهداءُ والصالحون^(٢).

وقال السديُّ: هم الأنبياءُ والمؤمنون.

وهذه الأقاويلُ الأربعةُ كُلُّها^(٣) متقاربةٌ، ودليلُها كُلُّها قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هم أصحابُ موسى - صلواتُ الله عليه - قبل أن يغيروا نعمةَ الله عليهم^(٤)، ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِمْرَهُمْ يَلْ أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال الضحَّاكُ وابنُ جريجٍ ووكيعٌ: هم المؤمنون^(٥)، ودليلُه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: هم جميعُ مَنْ أنعمَ الله عليهم بالهدى والطاعة؛ لِمَا مَرَّ^(٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٨) عن ابن زيد بلفظ: (هم النبي ﷺ ومن معه).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد عليهم: الملائكة.

(٣) «كلها» ليس في (ف).

(٤) في (ف): «قبل أن يغير الله نعمه عليهم». والخبر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٢) بلفظ: هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيروا نعم الله عليهم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٨) عن وكيع، وعن ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) «لما مر»: من (أ).

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ: هم الذين أنعم الله عليهم بالسُّنَّةِ^(١)، وذلك دليلٌ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨].

وقال محمد بن عليٍّ: هم الذين أنعم الله عليهم بشكرٍ ما أنعم عليهم، وذلك لأنَّ النعمة إنما تبقى لمن شكر لا لمن كفر، فإذا زالت فكأنَّها لم تكن.

وقال عليُّ بن الحسين بن وإقيد: هم الذين أنعم الله عليهم بالشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء^(٢)؛ لأنَّ الشكر لا يتمُّ إلا بالصبر.

وقال الحسنُ رحمه الله: هم الصحابةُ الأربعة، ودليله ما تلونا: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، وهي نزلت فيهم.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: هم الذين أنعم الله عليهم بالهداية إلى الصَّراط المستقيم؛ لأنها هي المذكورة قبله، وهم الأنبياء والأصفياء^(٣).

وقال الحسينُ بن الفضل: هم الذين أتمَّ الله عليهم النعمة وختمَ لهم بالموت^(٤) على الإسلام؛ لأنه هو النعمة بالحقيقة.

هذه أقاويل المفسرين، وفيه أقاويل للمحققين:

قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالعلم بك والفهم عنك^(٥).

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢١) بلفظ: (طريق السُّنَّة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٢) وتحرف في مطبوعه: «واقد» إلى: (داود).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥١).

(٤) في (ف): «بختهم»، وفي (أ): «بجهم»، بدل: «وختم لهم بالموت».

(٥) ذكره السلمي في «تفسيره» (١/ ٤٣).

وقال محمد بن علي الترمذي: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) زَمَمْتُ^(٢) جوارحهم بالهبة عند الخدمة.

وقال أبو العباس بن عطاء: هم طبقات، فالعارفون أنعم الله عليهم بالمعرفة، والأولياء أنعم عليهم بالصدق والرضا واليقين والصفوة، والأبرار أنعم الله عليهم بالحلم والرافة، والمريدون أنعم الله عليهم بحلاوة الطاعة، والمؤمنون أنعم الله عليهم بالاستقامة^(٣).

وقال أبو عثمان الحيري: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن عرفتهم مهالك الصراط، ومكائد الشيطان، وخيانة النفس^(٤).

وقال محمد بن الفضل رحمه الله: [﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾ لقبول ما افترضت عليهم.

وقال أبو الحسن الوراق: [﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإعانة على الاستقامة^(٥) في طريق مناجاتك.

وقال بعض البغداديين: صراط من أغنيته^(٦) عن النظر إلى النعمة بدوام التنعم بقربك ومؤانستك.

وقيل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾ بالنظر إلى جريان ما جرى عليهم في الأزل، فلم يشغلهم كشف ذلك عن الشغل بك.

(١) «أنعمت عليهم» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «رمت»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير السلمي» (٤٣/١).

(٣) ذكره بنحوه السلمي في «تفسيره» (٤١/١).

(٤) ذكره السلمي في «تفسيره» (٤٢/١).

(٥) في النسخ: «الاستعانة»، والمثبت من «تفسير السلمي».

(٦) في (أ): «أفنيته»، ومثله في «تفسير السلمي».

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإيمان والهداية والتوفيق والرعاية والمراقبة والكلاءة.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بفناء حظوظهم وقيامهم معك بحسن الأدب.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بمشاهدة المنعم دون النعمة.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بإزالة ظلمات الأكوان عن سرائرهم، وطهرت أرواحهم بنور قدسك، فشاهدوك بهمهمهم ولم يشاهدوا معك سواك.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بعبادتك على المشاهدة حتى عبدوك كأنهم يرونك.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن أذنت لهم في سؤالك ومُنَاجاتك^(١).
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالوصول، فلم يَقِفُوا في الطريق.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالقيام بحقوقك دون التعرّيج على استِجْلاب حظوظهم، وهو قول القشيري.
وقال أيضاً: صراط مَنْ طَهَّرْتَهُمْ عن^(٢) آثارهم حتى وصلوا إليك بك.
وقال أيضاً: أي: حَفِظْتَ عليهم آثارَ الشريعة عند غَلَبَات وإرادات^(٣) الحقيقة حتى لم يخرجوا عن حدِّ العلم، ولم يخلُوا بشيء من أحكام الشرع^(٤).
وقيل: أي: أَهْلَيْتَهُمْ لِإِنْعَامِكَ وَأَصْلَحْتَهُمْ لِإِكْرَامِكَ.
وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في البداية بالعناية، وفي الحال بالهداية، وفي النهاية بالحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وهذا

(١) انظر هذه الأقوال جميعاً في «تفسير السلمي» (١/ ٤٢ - ٤٤)، وما تقدم بين معكوفتين منه.

(٢) في (ر): «ظهرتهم من»، وكذا هي في نسخة من «اللطائف».

(٣) في (أ): «غلباته وإراداته». وفي «اللطائف»: «غلبات بَوَادِهِ».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥١).

في البداية، وقال تعالى: ﴿أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وهذا في الحال، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ وهذا في النهاية.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى على أحد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين؛ إذ لا نعمة من الله تعالى على أحد إلا الأصلاح^(١) في الدين والبيان للسبيل المرصّي، وتلك قد^(٢) كانت على جميع الكفرة، فبطل على قولهم الثنا^(٣)، وبالله العصمة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: فكلمة (غير) تجيء على ثلاثة أوجه: بمعنى: المغاير، وفارسيته: (جر)، قال تعالى: ﴿لَفَقَرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾ [الإسراء: ٧٣]. وبمعنى: (لا)، وفارسيته: (ني)، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]؛ أي: لا باغياً ولا عادياً.

وبمعنى: (إلا)، وفارسيته: (مكر)، قال تعالى: ﴿فَمَا وَحَدَّنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]؛ أي: إلا^(٥).

ويجوز صرفها هاهنا إلى هذه الوجوه:

فإن حُمِلَتْ على الأول فمعناها: ثَبَّتْنَا على طريق^(٦) الذين أتممت النعمة عليهم، المغايرين للمغضوب عليهم.

(١) في (ر): «الإصلاح»، وفي (ف): «للأصلاح»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ر): «وتلك نعمة»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٣) في (ر): «الثناء»، وفي (ف): «الثنا»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١ / ٥١). وفيه: (والله الموافق) بدل: «وبالله العصمة».

(٥) «أي: إلا»: سقط من (أ) و(ف).

(٦) بعدها في (ر): «صراط».

وإن حُمِلَتْ على الثاني فمعناها: على طريقِ المنعمِ عليهم لا المغضوبِ عليهم .

وإن حُمِلَتْ على الثالث فمعناها: إلا المغضوبَ عليهم .

وهذا على قراءة الخفض^(١)، وقد رَوَى الخليلُ بن أحمدَ عن ابنِ كثيرٍ أنه قرأ بالنصب^(٢)، وللنصب وجوه:

أحدها: الاستثناء، وللاستثناء وجهان:

أحدهما: حقيقةُ الاستثناء على تفسيرِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم بنو إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، ويكون هذا سؤالَ التثبيتِ على طريق^(٣) أهلِ الكتاب الذين آمنوا بكلِّ الأنبياء وبكلِّ الكتب، واستثناء اليهود والنصارى منهم الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

والثاني: أن يكون استثناءً منقطعاً بمعنى: لا؛ أي: نسألك طريق^(٤) الأولياء لا طريق الأعداء.

ووجه آخرُ للنصب: أنه على الحال.

وقال الكسائي: هو على القطع.

(١) في (أ) و(ف): «النصب».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«البحر المحيط» (١/ ٨٧). والمشهور عن ابن كثير أنه قرأ كالجمهور بالجر.

(٣) في (أ): «طرائق».

(٤) في (ف): «منقطعاً بمعنى: لا نسألك إلا طريق».

وقيل: هو على المدح، وتقديره: لا مغضوباً عليهم.

وقراءة الخفض - وهي ^(١) قراءة العامة - لِمَا أَنَّهُ نَعْتُ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وذلك مخفوضٌ بالإضافة.

ويجوز في اللغة الرفع على الاستئناف، بمعنى: وهم غير المغضوب عليهم، ولم يقرأ به أحدٌ، فلا يقرأ به.

فأما المغضوب عليهم: فالغضب هو نقيض الرضا.

وقيل: هو إرادة الانتقام.

وقيل: هو تحقيق الوعيد.

وقيل: هو الأخذ الأليم، والبطش الشديد.

وقيل: هو هتك الأستار والتعذيب بالنار.

ثم الغضب فعل لا يتعدى إلا بصلة، وهي على وجوه، ويجيء منه ^(٢) المفعول به موصولاً بهذه الصلة، ثم التثنية والجمع والتأنيث يدخل على الصلة لا الموصول؛ لأن هذه الزيادات تدخل بعد التمام، وتماؤه بصلته.

فيقال: رجلٌ مغضوبٌ عليه، و: امرأةٌ مغضوبٌ عليها، و: رجلان مغضوبٌ

عليهما ^(٣)، و: امرأتان مغضوبٌ عليهما، و: رجالٌ مغضوبٌ عليهم، و: نساءٌ مغضوبٌ عليهنَّ.

وفي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ سبع قراءات:

(١) في (أ): «هي».

(٢) «منه»: ليست في (ف).

(٣) «مغضوبٌ عليهما»: زيادة من (أ).

بكسر^(١) الهاء وتسكين الميم، وهي قراءة أهل المدينة^(٢) والبصرة والكوفة والشام^(٣).

وبضمّ الهاء وتسكين الميم، وهي قراءة الأعمش^(٤).

وبكسر الهاء وضمّ الميم مع الواو، وهي قراءة ابن كثير^(٥).

وبضمّ الهاء والميم مع الواو، وهي قراءة عيسى بن عمر.

وبكسر الميم مع الياء قراءة الحسن.

وباختلاس ضمة الهاء وإسكان الميم رواية عبد الوهّاب عن أبي عمرو^(٦).

(١) في (ر) و(ف): «كسر».

(٢) في (ر): «وهي قراءة الأعمش وأهل المدينة»، وفي (ف): «وهي قراءة المدينة».

(٣) وهي قراءة الجمهور عدا من سيأتي تخصيصهم. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٢) عن الأعمش. وهي قراءة حمزة من السبعة، ويعقوب من العشرة.

انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«النشر» (١/ ٢٧٢).

(٥) هي قراءة ابن كثير وقالون بخلاف عنه، وقرأ بها من العشرة أبو جعفر. انظر: «التيسير» للداني

(ص: ١٩)، و«النشر» (١/ ٢٧٣).

(٦) كذا ذكر المؤلف هذه القراءة باختلاس ضمة الهاء وإسكان الميم، والذي ذكره الثعلبي فيها: بكسر

الهاء وضمّ الميم مضمومة مختلصة. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٢)، ومثله في «البحر» (١/ ٨١).

عن الخفاف عن أبي عمرو، لكن لم يذكر الاختلاس. ووقع في مطبوع الثعلبي بدل (عبد الوهّاب):

(عبد الله)، وهو خطأ، فهو: عبد الوهّاب بن عطاء بن مسلم، أبو نصر الخفاف العجلي البصري ثم

البغدادي، ثقة مشهور، روى القراءة عن أبي عمرو، وعن إسماعيل بن مسلم عن ابن كثير، وعن أبان

بن يزيد عن عاصم، توفي ببغداد سنة (٢٠٤هـ)، وقيل: سنة ست أو سبع. انظر: «طبقات القراء» لابن

الجزري (١/ ٤٧٩).

بكسر^(١) الهاء والميم بغير ياءٍ قراءة عمرو بن فائد^(٢).

فأما المراد بالمغضوب عليهم^(٣) في هذه الآية: فقد روى عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أَنَّهُمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَالضَّالُّونَ هُمُ النَّصَارَى^(٤).

وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما^(٥)، واستشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]^(٦)، وذلك أَنَّهُمْ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]؛ أي: يستنصرون على كفار العرب بمحمد ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] لأنَّهُمْ^(٧) كانوا يَرَجُونَ أَن يكون محمد من ولد إسحاق وهو أبوهم، فلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وهو من ولد إسماعيل كفروا به حسداً وبغياً^(٨) ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]؛ أي: انقلبوا بسخطٍ على سخطٍ، ولعنة على لعنة، الأول بكفرهم بعميسى، والثاني بكفرهم بمحمد عليهما السلام.

وكذا فسّر الضحّاك ومقاتل والسدّي وعطاء وابن جرير وابن كيسان، وفيه كلامٌ كثيرٌ نذكره^(٩) بعد ذكر الضالين.

(١) قبلها في (ر): «الحسن».

(٢) انظر هذه القراءات في: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٤٤)، و«تفسير

الثعلبي» (١/ ١٢٢)، و«البحر المحيط» (١/ ٨١).

(٣) في (أ) و(ف): «فأما المراد بهم».

(٤) رواه الترمذي (٢٩٥٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٨ - ١٨٩ و ١٩٦).

(٦) الذي استشهد بها هو الطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٧٧).

(٧) في (ر) و(ف): «وأنهم».

(٨) في (أ): «وتعتأأ».

(٩) في (أ): «يذكر».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: قيل: (لا) ^(١) صلة مؤكّدة، ومعناه: غير المغضوب عليهم والضالّين، لكن زيدت (لا) لئلا يُظنّ أنه معطوفٌ على ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقيل: هو بمعنى (غير) الذي تقدّم، كأنه قال: غير المغضوب عليهم وغير الضالّين، وإنما جاز أن يُعطف بـ(لا) على (غير) لأنهما جميعاً للنفي فتناسباً، يقال: هذا غير عاقلٍ وغير عالمٍ، و: هذا غير عاقلٍ ولا عالمٍ، و: هذا لا عاقلٌ ولا عالمٌ.

وقيل: كلمة (لا) لفائدة زائدة، فإن قولك: ما جاءني زيدٌ وعمرو، ينفي مجيئهما جميعاً ^(٢). وقولك: ما جاءني زيدٌ ولا عمرو، ينفي مجيئهما جميعاً ^(٣) وتفرقة، وهذا أبلغ في النفي، فكَذلك في سؤال التثيت على طريق المنعم عليهم، والعصمة عن طريق الضالّين والمغضوب عليهم.

وأما قوله تعالى: ﴿الضَّالِّينَ﴾ فالضلال نقيض الرشد، وهو في القرآن لمعانٍ: للغي ^(٤) والكفر: قال الله تعالى خبراً عن إبليس لعائن الله عليه: ﴿وَلَا ضَلَّاهُمْ﴾

[النساء: ١١٩].

وللزّل ^(٥): قال تعالى: ﴿لَهَمَّتْ طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

وللخسار: قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥].

(١) في النسخ الثلاث: «ولا»، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «جمعاً».

(٣) في (أ): «جمعاً».

(٤) في (ر): «الضلال بمعنى الغي».

(٥) في (أ): «وللزّل».

ولللخطأ: قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف صلوات الله عليهم: ﴿إِنَّا بَنَا لِي صَٰلِحٌ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٨].

وللبطلان: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١].

ولللجهالة: قال تعالى خبراً عن موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

ولللنسيان: قال الله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وللالتأشي: قال تعالى: ﴿أَفَاَضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠].

وفي هذه الآية هو ضلال الكفر؛ لأنه مقابل بالإيمان المذكور في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم ^(١) هو كفرٌ مخصوص؛ لأنهم معطوفون على المغضوب عليهم، فالظاهر أنهم غيرهم، وقد قلنا: إنه روي أنهم النصارى.

ثم الغضب والضلal وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم، ولليهود والنصارى جميعاً على الخصوص:

قال الله تعالى في حق جميع الكفار: ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

وقال في حق اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ إلى أن قال: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال في حق النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا

(١) «ثم»: من (أ).

كَثِيرًا ﴿ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].
 وإنما خصَّ اليهود بالغضب في هذه الآية والنصارى بالضلال؛ لأن وعيد
 الغضب فوق الوصف بالضلال؛ لأن الغضب هو إرادة الانتقام لا محالة، واليهودُ
 أحقُّ^(١) بذلك؛ لغاية قبح كفرهم، وبلوغهم الغاية في التمرد والمعاندة، فقد قالوا:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي:
 هو بخيل، وقالوا: إن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ فلَغِبَ^(٢)
 فاستراح يوم السبت، وكانوا يعادون جبريل صلوات الله عليه وسلامه، وكانوا
 يقتلون النبيين بغير الحق، وقصدوا قتل عيسى صلوات الله عليه، وقالوا: قد
 قتلناه، وقالوا على مريم ﴿هَتَّنَا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] وحرفوا التوراة ﴿وَكَاؤُأَمِنْ قَبْلُ
 يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] فاستحقوا
 بذلك كله الغضب.

وأما الضلالُ فهو الميلُ عن الطريق المستقيم، والنصارى قد عدلوا عنه بعد
 غاية التبين، فقد دعاهم موسى وعيسى ومحمدٌ عليهم الصلاة والسلام بالتوراة
 والإنجيل والفرقان، فهم في غاية الضلالة بعد وقوع البيان على الكمال، ولأنهم
 في غاية العمى والتَّماذي في التردِّي بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]،
 وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وذلك لأنهم^(٣) رأوه بدعائه
 يُصَحُّ المرضى ويُحيي الموتى وكذا وكذا، وذاك شيءٌ أعطاه الله عزَّ وعلا معجزةً له،
 والله تعالى هو الموجدُ والمُظهرُ لذلك، فجعلوه من عند عيسى نفسه، واتَّخذوه

(١) في (ف): «ألحقوا».

(٢) في (ر): «فَتَعَبَ». وفي هامش (أ): «اللغوب الإعياء».

(٣) في (أ): «أنهم».

إِلَهًا وَأَشْرَكُوا بِهِ، مع ما رأوه يأكلُ ويشرب، ويجيءُ ويذهب، ويستريحُ ويتعب، ولم يكن لهم من الفطنة ما يعلمون أن المضطرَّ المغلوبَ المقهورَ المربوب لا يكون إلهًا، فَرَجَعُوا إِلَى مَا رَجَعَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

ولأن^(١) المغضوبَ عليه لا ينال الرضى أبدًا، فكذلك اليهود لا يُسلمون أبدًا^(٢)، فأما الضالُّ فقد يهتدي.

وقد رُوي أن عيسى صلوات الله عليه حين ينزل من السماء في آخر الزمان يدعو النصارى إلى الإيمان بمحمدٍ فيؤمنون، وبعد الضلال يهتدون.

وقال بعضُ المحققين: المغضوبُ عليهم هم المعاندون من أهل الكتاب، والضالُّون هم المقلِّدون منهم، كما^(٣) قال تعالى في حقِّ المعاندين منهم: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَفْتِنَا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال في حقِّ المقلِّدين منهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وقال: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ

(١) في (ر): «لأن».

(٢) فيه نظر، فلا يخلو الأمر من يهود أسلموا وحسن إسلامهم من لدن النبي ﷺ وحتى يومنا هذا، وهؤلاء وإن كانوا بجانب غيرهم من الملل الذين أسلموا قليل، لكن النظر في التعميم.

(٣) «كما»: من (أ).

﴿مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وقال: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: ٢١].

ثم الغضب للمعاندین، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ [الشورى: ١٦] والضلالُ صفةُ المقلِّدين قال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ثم في مجموع الكلمتين كلامٌ كثيرٌ للسلف:

قال سهل بن عبد الله التستري: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بالبدعة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن السنة.

وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: المكابرون، والضالون: المرتابون.

وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: المشركون، والضالون: المنافقون.

وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: أئمة الكفر، والضالون: أتباعهم.

وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الكافرون، والضالون: المبتدعون.

وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الموقعون في مَهاوي الرَّدَى، والضالون: الحائدون^(١) عن طريق الهدى باتباع الهوى.

وعلى لسان أهل المعرفة:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ برؤية الأفعال، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بطلب الأَعْوَاضِ على الأعمال.

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بتركِ حُسنِ الأدب في أوقات القيام بخدمتك، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن رؤية مَنَّتِكَ.

(١) في (أ): «الجائرون»، وفي (ر): «الحائرون».

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بالعُجب والمراءاة^(١) ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن مراعاة السُّنَنِ في أركان العبادات.

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بأنَّ وُكِّلَتْهم إلى أنفُسهم ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بترك اعتصامهم بك وتمسُّكهم.

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: الذين صَدَمَتْهم^(٢) هَوَاجِمُ^(٣) الخذلان، وأدركتهم^(٤) مصائبُ الحرمان، وكسبتهم^(٥) سَطْوَةُ الردِّ، وغلبَتْهم صدمةُ الصَّدِّ.

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بنسيانِ التوفيق والعصمة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن شهود سوابق^(٦) الاختيار والقسمة.

وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لتضييعهم آداب الخدمة، وتضجيعهم^(٧) في أداء شروط الطاعة.

وقيل: هم الذين تقطَّعوا^(٨) في مفاوز الحرمان، وتبدَّدت بهم الهموم في أودية وجوه الحسابان.

(١) قوله: «بخدمتك»، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن رؤية مَنَّاك، وقيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بالعُجب والمراءاة وقع بدلا منه في (ف): «للطاعات».

(٢) في (أ): «وقيل المغضوب عليهم الذين صدمتهم».

(٣) في (ر): «هواجر».

(٤) في (ر) و(ف): «ودرکتهم».

(٥) في (ر): «وكسبتهم»، وفي (ف): «وكسبتهم».

(٦) في (أ): «سابق».

(٧) أي: تقصيرهم، قال في «القاموس» (مادة: ضجع): ضجَّع في الأمر تضجيعاً: قَصَّرَ.

(٨) في (ر): «ينقطعون»، وفي (ف): «يقطعون».

وقيل: قوله تعالى: ﴿اهدنا﴾؛ أي: ثبّتنا على طريق الذين أنعمت عليهم بتوفيقهم لحمدك^(١)، ورؤيتهم استحقاق الحمد لك دون غيرك، لا على طريق ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين استجازوا^(٢) حمد غيرك، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ الذين إذا حمدوك شاهدوا فعلهم في حمدك^(٣)، وغفلوا عن رؤية منتك في توفيقهم لحمدك^(٤).

وقيل: أي: ثبّتنا على طريق الذين أنعمت عليهم فقلت: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، واعصمنا عن طريق المغضوب عليهم والضالين الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ١٨]، فاجعلنا من أحبائك^(٥) الذين صحّ لهم المعنى، ولا تجعلنا من أعدائك الذين قطعهم عنك كاذب الدعوى.

وقيل: أي: ثبّتنا على طريق الذين أنعمت عليهم فرضيت عنهم إذا رضوا عنك بما كان عليهم منك، ولا تجعلنا من الذين^(٦) غضبت عليهم إذا سخطوا عنك بما أصابهم من مكروه سبق به القضاء منك، ولا من الذين ضلّوا عن الطريق، بأن قصّدوا في سلوك الطريق عين الطريق، وإنما أمروا بسلوك الطريق للوصول^(٧) إلى من أمرهم بسلوك هذا الطريق، فإذا نازلوا الطريق فقد انقطعوا عن الوصول، وحُجبوا عن الدخول، وليس كل من وصل دخل^(٨)، ولا كل من دخل قرب، ولا

(١) في (أ): «بحمدك».

(٢) في (ف): «استخاروا».

(٣) في (أ) و(ر): «بحمدك».

(٤) «لحمدك»: سقط من (أ).

(٥) في (ر): «أحبائك».

(٦) في (أ) و(ف): «ممن».

(٧) في (ر): «الموصل».

(٨) في (ر) و(ف): «حصل».

كُلُّ مَنْ قُرِبَ بَرٌّ، وَلَا كُلُّ مَنْ بَرٌّ خُصَّ، وَلَا كُلُّ مَنْ خُصَّ بَقِيَ^(١)، فكم من مقربٍ بعدَ ومختصٍّ طرد.

ثم ذكر هاهنا الهدى والصَّراط، فأضاف^(٢) الهدى إلى نفسه في قوله جلَّ جلاله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِي﴾ [البقرة: ١٢٠] وأضافه إلى العباد في قوله تعالى: ﴿فِيهِ هَدَاهُمْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأضاف الصَّراط إلى نفسه في قوله عزَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٣]، وأضافه إلى العباد في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وكذا قال في الدين: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ثم قال: ﴿أَلَيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وذلك^(٣) لوجوه:

أحدها: أن ذلك كله له^(٤) شرعاً ولنا نفعاً، هو الذي شرع ذلك وجعل لنا نفع ذلك، ولأنها له ارتضاء واختياراً ولنا سلوكاً واثماراً، ولأنه أيضاً أضافه إلى نفسه قطعاً لعجب العبد ثم أضافها إلى العبد تسكيناً لقلب العبد، ولأنه أضافها إلى العبد تشريعاً له وتقريباً ثم أضافها إلى نفسه قطعاً لطمع إبليس عنه وتخيباً.

وهذا كما قيل: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] قال اللعين^(٥): إِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى سَلْبِ عِزَّةِ اللَّهِ وَعِزَّةِ رَسُولِهِ أَسْلُبُ عِزَّةَ^(٦)

(١) في (أ): «نقي».

(٢) في (ر) و(ف): «وأضاف».

(٣) في (ف): «وهذا».

(٤) في (ف): «الله».

(٥) في (أ): «الشيطان». وفي (ف): «الشيطان اللعين».

(٦) في (ف): «عز الله وعز رسوله أسلب عز» وفي (ر): «عن الله ورسوله أسلب عن».

المؤمنين، فقال الله جل جلاله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فقطع طمعه عن ذلك.

وقول القارئ: (أمين) بعد تمام السورة^(١) فيه لغتان^(٢):

(أَمِين) بالقصر، قال الشاعر:

تَبَاعَدَ مِنِّي^(٣) فَطُحِلَ إِذْ لَقِيْتُهُ أَمِينٌ فزاد الله ما بَيْنَنَا بُعْدًا^(٤)

و(أَمِين) بمد الألف، قال الشاعر:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي جَبْهًا أَبَدًا وَيَرْحُمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا^(٥)

و(أَمِين) بالإمالة لغةً، وهي قراءة أيضاً^(٦).

ولو قيل: (أَمِين) بالتشديد فهو خطأ في هذا الموضع، وذكر شمس الأئمة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الحلواني رحمه الله^(٧) وجهاً لهذا؛ تصحيحاً لكلام

(١) وليست من الفاتحة إجماعاً. انظر: «روح المعاني» (١/ ٣١٥)

(٢) في (ر) و(ف): «لغات».

(٣) في (أ): «عني».

(٤) البيت لجبير بن الأصبط كما في «المحرر الوجيز» (١/ ٨٠)، و«التاج» (مادة: فطحل)، وذكره دون نسبة ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٧٩)، وابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٦)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: أمن).

(٥) البيت لمجنون بني عامر، واسمه قيس بن مُعَاذ المعروف بالملوح كما في «التاج» (مادة: أمن)، وذكره دون نسبة ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٧٩)، وابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٧)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: أمن).

(٦) انظر: «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها» (ص: ٣١٦)، وفيه: روى ابن مهران: (أمين) بالإمالة وإن لم يكن من القراءات، وجوز فيها الفتح كالباقين.

(٧) من أهل بخارى، إمام أصحاب أبي حنيفة بها في وقته، توفي سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربع مئة =

العامة، وصيانةً لصلاتهم^(١) عن الفساد، أن معناه: ندعوك قاصدين إجابتك. فإن تفسير الآمين بالتشديد هم القاصدون، قال تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

وعن جعفر بن محمد الصادق أنه فسره بما يدل على أنه كان يشدده^(٢)، فإنه قال: أي: قاصدين نحوك وأنت أكرم من أن تخيب قاصدك^(٣). وكذلك قال الحسين بن الفضل البجلي: معناه: قصدناك بهذا الدعاء فأجبه لنا. وفي^(٤) إعرابه وجوه:

أفصحها^(٥): الفتحة، وهي القراءة الظاهرة، ووجهه: أنه من الأدوات وهي مبنية، والأصل في^(٦) البناء السكون، وعند التقاء الساكنين يضطر إلى التحريك فيفتح؛ لأن الفتحة أخف الحركات كما في سوف وكيف وأين، وقد يسكن للوقف، وقد يكسر أيضاً لأن الساكن إذا حرك كسر، وقد^(٧) قال الشاعر:

فإن تُصَبِّكَ من الأيام جائحةٌ لم نَبِكْ منك على دُنْيا ولا دينِ

= بكش، وحمل إلى بخارى فدفن بها، ومن تصانيفه: «المبسوط»، والحلواني بفتح الحاء المهملة وسكون اللام نسبة إلى بيع الحلوى. انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» (ص: ٣٨٠)، و«الجواهر المضية» (ص: ٣١٨).

(١) في (ر): «للتهم».

(٢) في (ر): «يشدد».

(٣) انظر: «تفسير السلمي» (٤٥/١).

(٤) في (ف): «ولنا في».

(٥) في (أ) و(ف): «أصحها».

(٦) في (أ) و(ف): «وأصل» بدل: «والأصل في».

(٧) «قد»: زيادة من (أ) و(ف).

ولا نقولُ إذا يوماً نُعِيَتْ لَنَا إِلَّا بِأَمِينٍ رَبِّ الْعَرْشِ أَمِينٍ^(١)

أي: لا نقول إلا: اللهم استجب لنا^(٢).

وقد ذكر فيه الرفعُ على النداء، على تأويلٍ مَنْ جَعَلَهُ اسماً لله تعالى، كأنه قال: يا آمينُ.

فأما تفسيره:

ففيما رواه ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «رَبِّ افْعَلْ»^(٣).

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: كذلك يكون^(٤).

وقيل: أصله فارسيَّةٌ، ومعناه^(٥): مُهِيمٌ.

وقال مجاهدٌ: هو اسمٌ من أسماء الله تعالى^(٦)، ومعناه: أنه آمنٌ من الزوال، ومأمونٌ من جورهِ، ومؤتمنٌ على كلِّ شيءٍ، ومهيمنٌ؛ أي: شهيدٌ.

(١) البیتان فی «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦).

(٢) «أي: لا نقول إلا: اللهم استجب لنا» سقط من (أ) و(ف).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وروي أيضاً من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، كما «تفسير ابن كثير»، وكلاهما لا يصح، فإن الكلبي وجوير متروكان.

(٤) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٥).

(٥) في (ر): «معناه».

(٦) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٥).

وقال [عبد الرحمن بن] زيد بن أسلم: (آمين) كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله إلا الله تعالى^(١).

وأما فتحه على تفسير من جعله اسماً لله تعالى^(٢) - ومن حقه الرفع لأنه نداء - فلا أنه نداء نُدْبَةٍ، وأصله: يا أميناه، وحذفت الهاء والألف تخفيفاً فبقيت النون على الفتح.

ثم هي عند مجاهد من السورة^(٣)، وعند غيره ليست منها.
وروي أن النبي ﷺ لما قرأ الفاتحة قال له جبريل: قل: آمين^(٤).
وقال عليه السلام: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين»^(٥).
وسمع عليه الصلاة والسلام رجلاً يدعو ليلاً، فقال له عليه الصلاة والسلام:
«اختم بآمين وأبشر»^(٦).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٢٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ) و(ف): «اسم الله».

(٣) ذكره الألويسي في «روح المعاني» (١/٣١٥) وبالحق في رده، فقال: وما قيل: إنها من السورة عند مجاهد، فمما لا ينبغي أن يلتفت إليه، إذ هو في غاية البطلان، إذ لم يكتب في الإمام ولا في غيره من المصاحف أصلاً، حتى ذكر غير واحد أن من قال: إن (آمين) من القرآن كفر.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٦١) عن أبي مسرة، وزاد: (فقال: آمين). وهو مرسل.

(٥) رواه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٤٤٠)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/٣٦٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده مؤمل بن عبد الرحمن وأبو أمية إسماعيل بن يعلى، وهما ضعيفان، وقال ابن عدي في مؤمل: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقد أورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/٧٩) من قول علي رضي الله عنه بلفظ: آمين خاتم رب العالمين يختم بها دعاء عبده المؤمن، ومثله ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/٤٥) من قول كعب الأحماس.

(٦) رواه أبو داود (٩٣٨) من حديث أبي زهير النميري رضي الله عنه - واسمه: يحيى بن نغير - وفيه أن =

وروى ابنُ عمرَ رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: «الدَّاعِي والمُؤْمِنُ شَرِيكَان»^(١)، يعني به قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإن الإمام يقولها والملائكة تقولها، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة عُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٢).

وفارسية التعوذ والتسمية والفاتحة على بسط يأتي على أكثر الأقاويل فيها: (هداي اند خسم وبناه من خواهم، ونكاه داشت متجواهم، دامان متجواهم، وناوي متجواهم، وفرياد مي خواهم بهداي كه معبود بحق الله واند خسر اده خلق أست واله كشدۀ أهل شوق أست وقديم وأزك أست وعظيم وعلى أست وعقلها حيران أست در عظمت او ود لها با آرام أست در مشاهدة او ديدها محجوب أست در دينا أردويت او أرديور يده ورايده ودرحوت وهلاكت مانده وبی ورماني درمان نا عدوان باطغيان مي كنم بنام خداي بخشنده بخشانیده هنده آمر زنده هانفد سانیده خواننده خواهنده فكويند سباس وستائش مرخد أي راسد دخن أخبار داري وسباس مرخد أي راجون ابتدا داري وجامع مربعاني حمد را ابن بود بنا مرخد أي رزكه تهمة تناها سن أست وشكر وراس همه يعميها لدى حدوتي عنتها أست

= النبي ﷺ قال في رجل كان يدعو ويلح في المسألة: «أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ»، فقال رجل من القوم: بأي شيء يَخْتِمُ؟ فقال: «بِأَمِينٍ، فإنه إِنْ خَتَمَ بِأَمِينٍ فَقَدْ أُوجِبَ» فانصرف الرجل الذي سأل النبي ﷺ فأتى الرجل فقال: اخْتِمْ يَا فُلَانُ بِأَمِينٍ وَأَبْشِرْ.

(١) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٣٠٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال المناوي في «فيض القدير» (٥٣٦/٣): وفيه إسماعيل الشامي قال الذهبي: ممن يضع الحديث، وجوير بن سعيد وقال الدارقطني وغيره: متروك.

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٢)، ومسلم (٤١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورضا بقضاوي بدحكم وبادشاتي وراست وستايشها همه وراکه صفات وي سري مدحت وتناسست أفريد کار و مر درکا رهمه جهانيان أست ودره حيري بر ألوهيت وربوبيت ووحدانيت بر قدرت أو شان أست وروي دهنده بند کان أست کسانیده نوعا صيان أست بادشاه وروي وسخيزات که دروي حساب وجزا وحکم وقضا وکدامت موحدان وتواحت مطيعان وخضوع جباران وقهر قهاران وجحود کافران أست درانيم براخوانيم وتراخواھيم وبرثيات وتراباشيم وترابرشيم وإياک نستعين وياري ارتواخيم برتبات برايمان وکرار دقومان ومخالفت شيطان وکشيدن بارکران ويسکان داس آشکار أونهان بدارها وأبدراه إيمان موافقت قومان ومتابعت أنبياء وناران وهمت نیکوکاران وتوفيق ده مارا بر طاعات وبيقر أي مار أبريقين وتعت وبنش فرشت ماراد دراه جنت ونکاه دار ماراين طريق سنت ودور دارمادا ارجهودان وترسايان ورائدينان کم راهان وناکر وندکان وهو أداران وخدمت نا أرند کان ومن نابيند کان ودررفت راه يراه بسنده کنبد کان ودر کر دکار بکار بسنده کفعد کان آمين أي موا خوف فتاني ودر فعل توجور وجفاني ودر قول نو خلف وخطابي ودر علم توهيج حيدرا جفاني هممن دمکھوا استيم که خزتوا جانب کشده دعائي^(١).

(١) في هامش (ف): «تعريبه الحاصل من قوله: (وفارسيته التعوذ والتسمية والفتحة): اطلب الهدى، واطلب الالتجاء والحفظ والأمان والصحة، واطلب الغوث بالله المعبود بالحق رب العالمين، ومحير أهل الشوق القديم العظيم العلي، حارت العقلاء في عظمتك، والقلوب دهشة في مشاهدتك، محجوبة في الدنيا عن رؤيتك، حتى بقوا في الحيرة وصارت بلا إذن متعدين طاغين، أرفع صوتي باسم الله الوهاب، المعطي الحي الواحد، كلهم ناطق بحمد الله، إن كنت بدعائك مبتدئا فعليك بالحمد، فإنه جامع المعاني لكل ثناء وشكر على كل نعمة حادثة، ونرضى بقضائه وحكمه وصفاته، خالق الخلائق، أهل الدنيا وكل موجود ينطق بوحدانيته وأنه قادر يعطي كل أحد رزقه المطيع والعاصي، القاهر الرازق بلا حساب، ويوم الجزاء لا حكم إلا الله، يكرم فيه الموحدون =

ثم من لطفِ الله جلَّ جلاله أن أكرمنا بهذه السورة، وأنمَّ لطفه علينا^(١) بمحمدٍ
رسوله ﷺ نبي الرحمة، فقال في أول هذه السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وقال في حقِّ
محمدٍ^(٢) نبيّه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ثم قال هاهنا: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)
[الأنبياء: ١٠٧].

ثم قال هاهنا: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ثم قال هاهنا: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
[التوبة: ٣٣].

ثم قال هاهنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿بَلِ اللَّهَ
فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

ثم قال هاهنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وقال في حقِّ رسوله عليه الصلاة
والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

= والمطيعون، ويخضع فيه الجبارون ويقهرون، نسألك الثبات على الحق والاستعانة على ثبات
الإيمان ومخالفة الشيطان، ووفقنا لمتابعة الأنبياء، وألحقنا بالصالحين، وثبتنا على اليقين والتقوى
والطريق، ونجنا من طريق اليهود والنصارى وأهل الضلالة، واحفظنا من الخوف وعلمنا، ولا
يسمع الدعاء سواك».

(١) في (ر): «وأنم نعمته».

(٢) كلمة: «محمد» ليست من (ف).

(٣) في (ر): «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ثم قال هاهنا: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقال في حق رسوله: ﴿وَيُتْرَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٦].

ثم قال هاهنا: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وقال في حق رسوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

ثم يقول قارئ السورة: آمين، وهو خاتم رب العالمين، والمصطفى محمد^(١) خاتم النبيين، اللهم صل عليه وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين^(٢)، والحمد لله رب العالمين.

(١) كلمة: «محمد» ليست في (ف).

(٢) «اللهم صل عليه وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين» من (ف).

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أنزل الكتاب بلا ريب، الرحمن الذي لطف بالمؤمنين المتقين بالغيب، الرحيم الذي منَّ على المقصِّرين بسَّتر العيب.

وانتظام هذه السورة بالفاتحة من سبعة أوجه: واحدٍ واثنين وثلاثةٍ وأربعةٍ وخمسةٍ وستةٍ وسبعةٍ.

أما الواحدُ: فالفاتحة أمُّ الكتاب، وافتتاح هذه السورة بـ ﴿ذَلِكَ أَنكَبْتُ﴾، ولأن الفاتحة أولُ سورةٍ أنزلت بمكة والبقرة أولُ سورةٍ أنزلت بالمدينة.

وأما الاثنان: فإن الفاتحة قسمان: ثناءٌ ودعاءٌ، وهذه السورة أولُها ثناءٌ وآخرُها دعاءٌ، فإن: ﴿آلَهُ﴾ فيها أقاويلٌ كثيرةٌ:

منها: أنه اسم الله الأعظم.

ومنها: أن معناه: أنا الله اللطيف المجيد.

ومنها: أنا الله أعلم.

وذاك^(١) ثناءٌ على الله، وآخرُ السورة سؤالاتُ الحاجات من الله جلَّ جلاله.

وأما الثلاثة: فإن أولَ الفاتحة بيانُ ألوهية الله تعالى وربوبيَّته، ورحمته وملكه،

(١) في (ر) و(ف): «ومنها أن ذلك».

وفيه تعليمٌ توحيدِ الله تعالى ومعرفته، ووسطها إخبارُ العبد عن عبادته وعبودته^(١) واستعانتِه، وهو تعريفُ العبد سلوكَ طريقِ شريعته وحقيقته، وآخرها سؤالُ الثباتِ على ذلك والعصمة من مخالفته، وفيه تلقينُ العبد الرجوعَ إلى الله تعالى في طلبِ مصالحِ دنياهُ وآخرته.

ومجموعُ هذه السُّورة أقسامُ هذه الصُّورة، فإنه ذكرُ الإيمانِ في أولها وأثنائها وآخرها: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبًا﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥]، والآياتُ التي فيها بيانُ وحدانيته جلَّ جلاله^(٢): ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥]. وذكر نفسَ العبادة في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وتفاصيلُ العبادة: من الصلاةِ واستقبالِ القبلة فيها والخشوعِ فيها، والصومِ والزكاةِ وسائرِ الصَّدقاتِ والتَّفقاتِ، والحجِّ والعمرة والجهادِ والاعتكافِ والوصية وإيتاءِ المالِ على حبه.

وتفاصيلُ العبادة^(٣): من التَّقوى والصبرِ والشكرِ واجتنابِ الخمرِ، والوفاءِ بالعهد وتركِ الحرامِ، والانقيادِ للأحكامِ من القصاصِ والطلاقِ والنكاحِ والمتعةِ والإنفاقِ والعِدَّةِ والرَّجعةِ والرَّضاعِ والإيلاءِ والحِضِّ والولادةِ، والمبايعاتِ والمدائناتِ والرَّهونِ والأماناتِ في تفاريقِ الآياتِ.

(١) في (ر) و(ف): «وعبوديته».

(٢) في (أ) و(ف): «وحدانية الله» بدل: «وحدانيته جلَّ جلاله».

(٣) في (ر) و(ف): «العبودية».

وذكر الدَّعَوَاتِ من آدم في أولها ومن إبراهيم صلوات الله عليهما في وسطها، ومن المؤمنين من سؤالِ الحُسنيين من بعدها، ومن المصطفى ﷺ ومن^(١) الأمة في آخرها.

وأما الأربعة: فإن الفاتحة لما أنزلت أول شيء وقرأها النبي ﷺ وسمعها الناس وفيها دعاءٌ إلى التوحيد وغير ذلك مما قلنا، صار السامعون أربعة أصنافٍ: صنفٌ: كانوا^(٢) عبدة الأصنام^(٣)، فآمنوا به ظاهراً وباطناً.

وصنفٌ: كانوا أهل الكتاب ومؤمنين بالماضين من الرسل، فآمنوا به ظاهراً وباطناً أيضاً.

وصنفٌ: كفروا به وكذبوه ظاهراً وباطناً.

وصنفٌ: خافوا سيفه فآمنوا به ظاهراً وكفروا به باطناً.

فذكرهم الله تعالى جميعاً في أول هذه السورة:

فإن قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿الآية في الصَّنْف الأول.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ في الصَّنْف الثاني.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥) الآيتين في الصَّنْف الثالث.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ لَنَا آخِرَ﴾ الآيات في الصَّنْف الرابع.

(١) «من»: ليست في (ف).

(٢) في (ف): «كان».

(٣) في (أ): «الأوثان».

(٤) في (ر): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾.

وأما الخمسة: فالأفعال المذكورة في الفاتحة خمسة: الحمد والعبادة والاستعانة والاهتداء والضلالة:

فالحمد على النعم وفي هذه السورة تعديدها، والعبادة على وجوه وفي هذه السورة تفصيلها، والاستعانة على أمور وفي هذه السورة تبيينها، وفي الاهتداء به مثوبات وفي هذه السورة تقريرها، والضلال عليه عقوبات وفي هذه السورة تكريرها^(١).

وأما الستة: فالمذكورة في أول آيات الفاتحة: العالمون، وأكثرهم على أنه اسم لأهل الحياة منهم دون الجماد؛ لجمعه بالياء والنون، وهم ستة: الملائكة والجن والإنس والشياطين والدواب والطيور. كما حكينا عن أبي حذيفة^(٢)، وهم كلهم مذكورون في هذه السورة.

فأما الملائكة: فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١]، ﴿كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأما الجن: فقد ذكر إبليس وذكر في آية أنه كان^(٣) من الجن.

وأما الإنس: فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وكرّر ذلك.

وأما الشياطين: فقد قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) في (ف): «تكررها».

(٢) في (ر): «هريرة»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الصواب وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ

الْفَلَكِ﴾.

(٣) «كان»: ليس في (ف).

وَأَمَّا الدَّوَابُّ: فهي كُلُّ مَا يَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ السَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ،
وقد ذُكِرَ فِيهِ مِنَ السَّبَاعِ الْخَنْزِيرُ، وَمِنَ الْبَهَائِمِ الْبَقَرَةُ وَالْعَجَلُ وَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ،
وَمِنَ الْهَوَامِّ الْحَيَّةُ وَهُوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] وَكَانَ
فِيهِمُ الْحَيَّةُ، وَأَمَّا الطُّيُورُ فَقَدْ ذُكِرَ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وَأَمَّا السَّبْعَةُ: فَالْفَاتِحَةُ سَبْعُ آيَاتٍ، وَكَلِمَاتُ آيَاتِهَا^(١) مذكورة في سورة البقرة:

﴿الْحَمْدُ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ سُيِّحٌ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

و(اللَّهُ) فِي آيَاتٍ.

و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فِيهِ ذِكْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا
تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وَهِيَ آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ، وَهِيَ أْبْلَغُ آيَةٍ نَزَلَتْ^(٢) فِي
ذِكْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] وَنَحْوَهُ.

و﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]،
وَقَدْ أُرِيدَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَذُكِرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: آدَمُ،

(١) فِي (ر): «وَكَلِمَاتُهَا».

(٢) «نَزَلَتْ»: زِيَادَةٌ مِنْ (أ).

وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى، وحزقيل^(١)، وأشموئيل^(٢)، وعزير، صلوات الله عليهم.

وعلى العموم في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفي قوله: ﴿كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: ذكر الغضب في قوله: ﴿قَبَاءُ وَ يَغْضَبُ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم هم اليهود والنصارى، وأكثر صدر السورة في ذكرهم، إلى أن قال: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠].

ثم السورة تُدعى سورة البقرة، ومن الناس من قال: يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة، ويُستقبح إضافة السورة إلى البقرة، وكذا سورة النحل ونحوها.

والصحيح: أنه لا حاجة إلى هذا التكلف، فإن المراد من هذه الإضافة هو ما قال: إنها ذكرت فيها، وقد قال النبي ﷺ: «سنأى القرآن سورة البقرة»^(٣)،

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] رواه الطبري عن وهب بن منبه وسيأتي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لُوطُ لِنَاسِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال ابن كمال باشا في «تفسيره»: اختلفوا فيه، والأشهر الأظهر أنه أشموئيل من نسل هارون عليه السلام.

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٦/٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٦٤). وفي إسناده خالد بن سعيد المدني، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، قال: وفي فضل سورة البقرة رواية أحسن من هذا الإسناد وأصلح بخلاف هذا اللفظ، وأما في تمثيل القرآن فليس فيه شيء يثبت.

وفي ذلك أحاديث كثيرة^(١)، فثبت^(٢) إطلاق هذا الإطلاق.

ثم هذه السورة مدنية إلا آية منها نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١]، وهي آخر آية نزلت بمكة^(٣)، وقد نزلت بمكة خمس وثمانون سورة أولها سورة الفاتحة وآخرها ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

ونزل سائرها بالمدينة، وهي تسع وعشرون سورة أولها سورة البقرة وآخرها سورة المائدة.

وحروف سورة البقرة^(٤): خمس وعشرون ألفاً وست مئة وثمانية وخمسون^(٥).
وكلماتها: ستة آلاف ومئة وست عشرة كلمة.

وآياتها: مئتان وأربع وثمانون آية عند أهل الشام، وخمس عند أهل مكة

(١) «كثيرة»: من (أ). وقد روى البخاري (١٧٥٠)، ومسلم (١٢٩٦)، عن الأعمش، قال: سمعتُ الحجاجَ يقولُ على المنبر: السُّورَةُ التي يُذَكَّرُ فيها البقرة، والسُّورَةُ التي يُذَكَّرُ فيها آلُ عمرانَ، والسُّورَةُ التي يُذَكَّرُ فيها النساءُ، قال: فذَكَرْتُ ذلكَ لإبراهيمَ فقال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُزَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبَطْنَ الْوَادِيَّ حَتَّى إِذَا حَادَى بِالشَّجَرَةِ اعْتَرَضَهَا، فَرَمَى بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ ثُمَّ قَالَ: «مِنْ هَا هُنَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ قَامَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ﷻ». قَالَ الْأَلُوسِيُّ فِي «رُوحِ الْمَعَانِي» (٣١٧/١): وَهُوَ مُعَارِضٌ لِمَا رَوَى مِنْ مَنْعِ ذَلِكَ، وَتَعَيَّنَ أَنْ يُقَالَ: السُّورَةُ التي يَذَكَّرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ، وَكَذَا فِي سُورِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَمِنْ ثَمَّةِ أَجَازَ الْجُمْهُورُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ كِرَاهَةٍ.

(٢) فِي (ف): «فِيثَبْتُ».

(٣) «بِمَكَّة»: لَيْسَتْ فِي (ف).

(٤) فِي (أ): «هَذِهِ السُّورَةُ».

(٥) بَعْدَهَا فِي (ر) وَ(ف): «حَرْفًا»، وَ«وِثْمَانِيَّةٌ» سَقَطَ مِنْ (ف). وَفِي «الْبَيَانِ فِي عَدِّ آيِ الْقُرْآنِ» لِلدَّانِي (ص: ١٤٠): وَحُرُوفُهَا خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَخَمْسُ مِائَةِ حَرْفٍ.

والمدينة، وستٌ عند أهل الكوفة، وسبعٌ عند أهل البصرة؛ لاختلافهم في مواضع منها أنه تمام الآية أو وسطها.

وفي بعض الأخبار: أنها لو كملت^(١) ثلاث مئة آية لتكلمت.

ومعناه: أن السورة آتية على أكثر الأحكام والأصول العظام، وبقيت عدة أحكام ذكرت في غيرها، ولو كانت في هذه السورة لصرحت بجميع ما بالناس إليه حاجة من علوم الدين.

وفي هذه السورة: خمسة عشر مثلاً، وخمس مئة حُكم، وفيها أطول آية وهي آية المدائنة، وهي مئة وثلاثون كلمة، وفيها قريبٌ من عشرين حُكماً.

قوله تعالى: ﴿الْم﴾^(٢): وافتتاح^(٣) هذه السورة بالحروف المقطعة، وتسع^(٤) وعشرون من سور القرآن مفتحة بها.

وفي هذه الحروف - يعني: ﴿الْم﴾ - التي افتتحت بها هذه السورة قريبٌ من ثلاثين قولاً:

قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: لله تعالى في كل كتاب سرٌّ، وسرُّ الله عز وعلا في القرآن^(٥) هذه الحروف التي في أوائل السور^(٦).

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: لكل كتاب زينة، وزينة القرآن حروف التهجي.

(١) في (ر): «لو تمت».

(٢) «قوله تعالى: ﴿الْم﴾»: ليس في (أ).

(٣) في (ف): «افتتحت».

(٤) في (ر) و(ف): «وسيع»، والصواب المثبت.

(٥) «القرآن»: زيادة من (أ).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٣٦)، و«البيضا» للواحدي (٢/١٣)، و«تفسير البغوي» (١/٥٩).

وقال علي رضي الله عنه: إِنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ صِفْوَةً، وَصِفْوَةُ الْقُرْآنِ حُرُوفُ التَّهْجِيِّ^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي من المكتوم الذي لا يفسر^(٢).

وقال الضحَّاك رحمه الله: عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: أَلِفُ اللَّهِ، لَامٌ لَطِيفٌ، مِيمٌ مُجِيدٌ^(٣).

وفي رواية: معناه: أنا الله أعلم، وفي^(٤) ﴿الْمَصَّ﴾: أنا الله أعلم وأفصل، و﴿الر﴾: أنا الله أرى^(٥).

وعنه في رواية: أَلِفُ اللَّهِ، لَامٌ: جبريل، مِيمٌ: محمد^(٦)؛ أي: الله أنزل جبريل على محمد بالكتاب^(٧).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها اسمُ الله الأعظم^(٨).

وقال الحسن وسعيد بن جبير: هذه الحروف إذا أُلِّفَتْ ضرباً من التأليف كانت

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/٥٩).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/٤٧) عن عمر وعثمان وابن مسعود.

(٣) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/٢٠٩) عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٣٣) من طريق الربيع عن أبي العالية.

(٤) «في»: ليست في (أ).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/٥٦-٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/٥٩).

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/٤٧)، و«تفسير الثعلبي» (١/١٤٠). ولم ينسبه أبو الليث السمرقندي لقائل.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٤٠).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٢٠٦) عن ابن مسعود وابن عباس.

أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ كُنَّا لَا نَقْفُ عَلَى تَأْلِيفِهَا. وَذَلِكَ لِأَنَّ^(١) قَوْلَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ وَ﴿حَمْدُكَ﴾ وَ﴿تَبَّ﴾ رُؤُوسُ ثَلَاثِ سُورٍ، وَإِذَا جُمِعَتْ صَارَتْ: الرَّحْمَنُ^(٢)، وَهُوَ اسْمٌ عَظِيمٌ^(٣) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ^(٤).

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِنَّهَا أَسْمَاءُ السُّورِ^(٥).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّهَا فَوَاتِحُ يَفْتَتِحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كِتَابَهُ^(٦).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: إِنَّهَا فِي ذِكْرِ الْكَوَائِنِ وَالْفَتَنِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: إِنَّهَا فِي مَدَّةِ قَوْمٍ وَأَجَالِ آخَرِينَ^(٧).

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَا فِيهَا مِنْ حَرْفٍ إِلَّا وَهُوَ فِي ذِكْرِ آيَاتِهِ وَنِعَمَائِهِ^(٨).

وَقَالَ جَمَاعَةٌ: الْأَلْفُ افْتِتَاحُ اسْمِهِ الْإِلَهِ وَالْأَحَدِ وَالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْأَمِينِ، وَاللَّامُ

افْتِتَاحُ اسْمِهِ اللَّطِيفِ، وَالْمِيمُ افْتِتَاحُ اسْمِهِ الْمَلِكِ وَالْمَجِيدِ وَالْمَثَانِ.

(١) فِي (أ): «أَنْ».

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ أَبِي اللَّيْثِ» (٤٧/١) عَنْ عَلِيٍّ، وَ«تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (١٣٦/١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ.

(٣) فِي (أ): «أَعْظَمُ».

(٤) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٥)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠٤/١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٣/١).

(٥) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠٥/١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٣/١).

(٦) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠٦/١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٣/١).

(٧) قِطْعَةٌ مِنْ خَبَرِ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠٩/١) عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٣/١) مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ. وَتَقَدَّمَ قَرِيباً قِطْعَةٌ مِنْهُ.

(٨) قِطْعَةٌ مِنْ الْخَبَرِ السَّابِقِ.

وقال محمد بن كعب القرظي: الألفُ آلاءُ الله، واللامُ لُطْفُهُ، والميمُ مَجْدُهُ^(١).
وقال أبو فاختة: هذه الحروفُ أمهاتُ الكتاب^(٢)، منها استُخرجَ هذا القرآن^(٣)؛
أي: نُظِمَ وركَّب^(٤)، وأنزلتْ مقطعةً لِيُعْلَمَ أنها من الحروف المعجمة التي نزلت^(٥)
على آدم عليه السلام مقطعة.

وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف: أن الله تعالى ذكرها فقال:
اسمعوها مقطعةً، حتى إذا^(٦) وردت عليكم مؤلفةً كنتم عرفتموها قبل ذلك، وكذلك
تُعَلِّمُ الصبيانَ أولاً مقطعةً، فكأنَّ الله تعالى أسمعهم مقطعةً مفردة^(٧) ليعرفوها إذا
وردت عليهم مفرقةً، ثم أسمعهم مؤلفةً^(٨).

وقال أبو روق: إن الكفار لما قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]
وتواصوا بالإعراض عنه، أراد الله تعالى لِمَا أَحَبَّ من صلاحهم ونفعهم أن يُورد

(١) في (ف): «والميم محمد». وهو في «تفسير الثعلبي» (١٣٩/١) بلفظ: (...) والميم ملكه.

(٢) في (أ): «القرآن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٢/٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٩٣/٢)، وهو في «تفسير

الثعلبي» (١١/٣)، جميعهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وأبو فاختة اسمه: سعيد بن علاقة، مولى أم هانئ، روى عن علي رضي الله عنه، روى عنه ابنه. انظر:

«التاريخ الكبير» للبخاري (٥٠٣/٣).

(٤) «أي: نظم وركب»: سقط من (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «أنزلت».

(٦) في (ف): «فإذا» بدل: «حتى إذا»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٧) في (أ): «معروفة»، وفي (ر) و(ف): «معرفة»، والمثبت من المصدر.

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣٧/١).

عليهم ما لا يعرفونه ليكون^(١) ذلك سبباً لإسكاتهم^(٢) واستماعهم لما يردُّ عليهم من القرآن، فأنزل هذه الحروف وكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين: استمعوا^(٣) إلى ما يجيء به محمدٌ، فإذا أصغوا فاستمعوا^(٤) هَجَمَ عليهم القرآن^(٥) فأولجه مسامعهم، فكان ذلك سبباً لاستماعهم^(٦) وطريقاً لانتفاعهم^(٧).

وقال الحسين بن الفضل: هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله^(٨) إلا الله.

وقال عكرمة: هي أقسام^(٩).

وقال القتيبي^(١٠): يجوز أن يكون الله عزَّ وعلا أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، كما يقول القائل: تعلَّمْتُ أ^(١١) ب ت ث، وهو يريد كلَّ الحروف، ويقول: قرأتُ الحمد، وهو يريد كلَّ السورة^(١٢).

وعن أبي العالية قال: هذه من الثمانية والعشرين التي دارت عليها الألسنُ كلها،

(١) في (أ): «فيكون».

(٢) في (ف): «لاستكانهم».

(٣) في (أ): «اسمعوا».

(٤) في (أ): «واستمعوا».

(٥) في (أ): «بالقرآن».

(٦) في (ر): «لإسماعهم».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/١٣٧) بنحوه.

(٨) في (أ) و(ف): «لا يعلمه».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٢٠٧).

(١٠) في (ر): «القتيبي»، وفي (ف) بياض.

(١١) في (ف): «ألف».

(١٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٣).

وليس فيها^(١) حرفٌ إلا وهو مفتاح اسمٍ من أسماء الله تعالى، وفي آلائه ونعمائه، وفي مدة قومٍ وآجالهم^(٢).

وقيل: كلُّ حرفٍ مختَصَرٌ عن كلمةٍ، وهو متعارفٌ في اللسان.

وأُشْدَ الزَّجَّاجُ:

إِنْ شِئْتَ أَشْرَفْنَا كَلَانَا فِدْعَا اللَّهُ جَهْدًا^(٣) رَبَّهُ فَأَسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا وَلَا أَرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا^(٤)
أَي: وَإِنْ شَرًّا فَشَرُّ، وَلَا أَرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَرِيدَ.

وأُشْدَ قَطْرَبٌ:

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تَا تَذْهَنُ رَأْسِي أَوْ تُفْلِي أَوْ تَا^(٥)

(١) في (أ) و(ف): «منها».

(٢) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٩/١) عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣/١) من طريق الربيع عن أبي العالية. وتقدم مراراً في هذا المحل.

(٣) في (أ): «جهراً».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٦٣/١) وعزاهما للقيم بن سعد بن مالك، والثاني في «المحرر الوجيز» (٨٣/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٤٠/١)، ونسباه لزهير وليس في ديوانه. وهو دون نسبة في «الكتاب» لسبويه (٣٢١/٣). وقال الطيب بن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢١١/١): هو من نوادر كلام العرب، ومما أخرج مخرج الألغاز والتمليح، وذلك لا يناسب مقام الكتاب المجيد.

(٥) عزاه المرزباني في «الموشح» (ص: ١٢)، وعنه الرضي في «شرح شافية ابن الحاجب» (٤/٢٦٦)، لحكيم بن معية التميمي نقلاً عن أبي عبيدة، وهو دون نسبة في «الخصائص» لابن جني (١/٢٩٢)، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للجرجاني (ص: ٤٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (١/١٣٨)، و«ضرائر الشعر» لابن عصفور (ص: ١٨٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/٨٢٥)، و«اللباب» لابن

عادل (١/٢٥٨)، وصدره عند الجميع عدا «الارتشاف» و«اللباب»:

أي: تمسح.

وأنشد سيويه:

نادَوْهم أَنْ الْجَمُوا أَلَا تَا قالوا جميعاً كلُّهم أَلَا فَا^(١)
أي: ألا تركبون، فقالوا: ألا فاركبوا.

وقال آخر:

قلتُ لها قَفِي فقالت لي^(٢) قاف لا تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الإِيْجاف^(٣)
أي: الإسراع في المشي^(٤).

وقال المبرد: إن هذه الحروف احتجاج من الله تعالى على الكفار؛ لأن النبي

قد وعدتني أم عمرو أن تـ

وجاء عند الثعلبي: (وأنشد قطرب في جارية: قد وعدتني أم عمرو...)، وأما عجزه ففي أكثر المصادر: (وتفليني وا)، وعند الثعلبي: (وتفليني تا)، وفي «اللباب» (وتفليني وتا). قال الثعلبي: أراد: أن تأتي وتمسح، وقال أبو حيان: أراد: أن تأتيني أو تمتنع.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/٦٢)، و«تفسير الثعلبي» (١/١٣٨) وعنه نقل المؤلف، و«شرح شافية ابن الحاجب» (٤/٢٦٦)، و«ضرائر الشعر» لابن عصفور (ص: ١٨٦)، و«تفسير القرطبي» (١/٢٤٠). قال الثعلبي: وأنشد سيويه لغيلان... فذكره، ولم أجده في «الكتاب».

(٢) في (ر): «قالت بدل: «فقالت لي»، وكلاهما في المصادر، وجاء في بعضها: (فقالت) فقط، وجاء أيضا: (قلنا لها قفي لنا قالت)، وجاء غير ذلك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/٧٥)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٩)، و«تفسير الطبري» (١/٢١٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/٦٢)، و«تفسير الثعلبي» (١/١٣٨). قال الثعلبي: أي: قف أنت. وقال الفراء: ذكرت القاف أرادت القاف من الوقوف؛ أي: إنني واقفة. وقريب منه قول الزجاج: فنطق بقاف فقط، يريد قالت: أف.

(٤) «أي: الإسراع في المشي»: سقط من (أ).

ﷻ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: ﴿فَاتُوا سُورَةَ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾ [هود: ١٣] وعجزوا عنه، أنزل الله جلَّ جلاله هذه الحروف؛ أي: إن القرآن من هذه الحروف التي هي لغاتكم، فليس عجزكم عن الإتيان بمثلها إلا لأنه كلامُ الله تعالى لا مثْلَ له.

وقيل: إذا جُعِلَت هذه الحروفُ كلمةً فهي ﴿الْمَ﴾؛ أي: ألم ترَ وألم تعلم^(١) أنه ذلك الكتاب.

وقيل: كلُّ حرفٍ من هذه الثلاثة على ما يؤدِّي نُطقاً يُطلب من ظاهره معناه وضعاً: أَلِفٌ هو على وزنِ عَلِمَ من الألفِ، ومعناه: أَلَفَ^(٢) الله محمداً، ولَامٌ على وزنِ نَامَ من اللُّومِ، ومعناه: لَامَ الكفارُ نبينا محمداً ﷺ^(٣) على مخالفةِ الآباء، وَمِيمٌ على وزنِ يَبِعَ من السُّومِ وهو البرسام^(٤)، وهو المحيرُّ المفسدُ من الأسقام، ومعناه: بُهِتَ الكفارُ وأرغموا بظهور الحقِّ والهدى.

وقيل: أَلِفٌ: أنا، ولَامٌ: لي، وَمِيمٌ: منِّي^(٥). فكأنه سبحانه قال: أنا الله وأنا المَلِكُ^(٦) وأنا الرزَّاق وأنا وأنا^(٧)، ولي المَلِكُ ولي المَلِكُ^(٨)، ولي الحكمُ ولي

(١) في (أ): «ألم تر ولم تعلم»، وفي (ف): «ألم تر ألم تعلم»، وفي هامش (ف): «ألم تر وألم تعلموا».

(٢) ضبطت كلمة «ألف» في (ف) بتشديد اللام المفتوحة.

(٣) في (ر): «محمداً ﷺ»، وليست في (أ) و(ف)، والصواب المثبت.

(٤) في (ف): «وهي البرسام»، وفي هامش (أ): «البرسام ورم في الصدر، والبرسام ورم في الرأس».

(٥) في (أ): «ألف من أنا ولأم من لي وميم من مني»، ومثله في (ر) لكن بدل «لي»: «إلي»، والمثبت من

(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٠)، وعزاه لأهل الإشارة.

(٦) في (ف): «وأنا لي المَلِكُ وأنا المَلِكُ» بدل من «وأنا المَلِكُ».

(٧) «وأنا»: زيادة من (أ) و(ف).

(٨) «ولي المَلِكُ»: زيادة من (ف).

الأمر، ولي الحمد ولي المجد^(١)، ومنِّي الإحسانُ ومنِّي الامتنانُ ومنِّي الغُفرانُ ومنِّي ومنِّي.

وقيل: أَلْفٌ معناه: أَفْرَدَ نَفْسَكَ لي بِإِسْقَاطِ العلائق والأعراض، ولام^(٢) معناه: لِيَنَّ جِوَارِحَكَ لعبادتي بلا ملالة ولا إعراض، وميمٌ: مَحَّ رَسُومَكَ وصفاتِكَ بالأنس بي والمشاهدة لي بلا تحكُّم ولا اعتراض.

وقال بعضُ العراقيين: حَيَّرَ عقولَ الخلق في ابتداء خطابهِ - وهو محلُّ الفهم - لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقُوقِ خطابهِ إِلَّا بِعِلْمِهِم بِالْعِجْزِ عَنْ مَعْرِفَةِ خطابهِ^(٣).

وقيل: هي رموزٌ سارَّ بها الأولياء، فالظواهرُ للعوامِّ، والرموزُ والإشاراتُ للخوَّاصِّ، قال^(٤) النبي ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(٥)؛ أي: من حقائقِ سِرِّ الحقِّ إلَيَّ.

وقال ﷺ: «أَوْتِيْتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ وَأُخْتَصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا»^(٦).

وقيل: هو تنبيهٌ للعبد أن يتتصبَّ قائماً في الصلاة كالألف، ثم ينحني للركوع كاللام، ثم يجتمع في السجود كالميم.

(١) في (أ) و(ف): «ولي الحكم ولي ولي».

(٢) في (ر): «والأعواض واللام».

(٣) في هامش (ر): «إنما العجز عن طلب الإدراك إدراك، والنقوض (كذا) في طلب الإدراك إشراك».

(٤) في (ف): «وقال».

(٥) رواه البخاري (٦٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «واختصر لي

الحديث..». وأوله متفق عليه، رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: بدأ السورة الكبرى بالالف، وجعله سابقاً؛ لِمَا فيه من معانٍ:

منها: الاستواء.

ومنها: الانتصاب.

ومنها: الانقطاع عن سائر الحروف.

ومنها: التجرد عن النقط.

ومنها: الاستغناء عن الأمكنة، وهي ^(١) مخارج الحروف.

وفيه تنبيه على أن العبد إذا أراد ^(٢) أن يصير سابقاً فليستو ظاهراً وباطناً، وليتصب لخدمة ^(٣) الله، ولينقطع عن الخلق، وليتجرد عن الأغيار، وليبتل عن الأمكنة.

ثم إنما سكنت هذه الحروف ولم تُعرب لأنها حروف هجاء وليست بأسماء، قال أبو النجم:

أقبلت من عند زيادٍ كالخرف تخطُّ رجلاي بخطٍّ مختلف

تكتبان في الطريق لام الف ^(٤)

فإن جعلتها أسماءً وعطفت بعضها على بعضٍ أعربتُها.

وأنشد أبو عبيدة:

(١) في (ف): «ومنها».

(٢) في (أ) و(ف): «فإذا أراد العبد» بدل من «وفيه تنبيه على أن العبد إذا أراد».

(٣) في (أ): «بخدمة».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢٨/١)، و«المقتضب» للمبرد (٢٣٧/١)، و«الزاهر» لابن

الأنباري (٣٣/١)، و«تفسير الثعلبي» (١٣٨/١) وعنه نقل المؤلف.

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواوٍ وياءٍ هاج^(١) بينهم القتال^(٢)
ثم للقرءاء في هذه الحروف عند الوصل إدغامٌ ميمٍ اللَّام في ميم الميم، والمدُّ،
وتثقيـل الميم، ويجوز تركُّ المدِّ وتركُّ الإدغام وتركُّ التثقيـل، وعند الوقف يصيرُ
كذلك ويجوزُ ذلك، والأحسن إخراجُ كلِّها في^(٣) نَفَسٍ واحدٍ.

ومحلُّ ذلك من الإعراب عند بعضهم: أن ﴿آلَمْ﴾ ابتداءً، و﴿ذَلِكَ﴾ خبره،
و﴿الْكَتَبُ﴾ صلةُ خبره، كقولك: زيدٌ ذلك الرجل لا شكَّ فيه.

وقيل: ﴿ذَلِكَ الْكَتَبُ﴾ ابتداءً، وقوله: ﴿آلَمْ﴾ خبره، وقد ذكر مقدِّماً على
الاسم كقولك: عالمٌ هذا الرجل.

وقيل: لا محلٌّ لهذه الأحرف الثلاثة من الإعراب على وجه التعلُّق بما بعده،
و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْكَتَبُ﴾ خبره، و﴿آلَمْ﴾ قَسَمٌ، أو افتتاحٌ، أو اسمٌ للسورة، أو
أمرٌ؛ أي: اسمعوا هذه الحروف مقطعةً^(٤)، وهو تامٌّ بنفسه.

وأما نزولُها: فقد رَوَى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن رهطاً من
اليهود لعنهم الله منهم: كعبُ بن الأشرف، وحُيَيُّ وجديُّ ابنا أَخْطَبَ، وأبو لُبَابَةَ،
وكعب بن أُسَيْدٍ، ومالك بن الصَّيْفِ^(٥)، دخلوا على رسول الله ﷺ فسألوه عن

(١) في (ف): «كان».

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (٢٣٦/١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٦١/١)، وعزاه ليزيد بن الحكم
يهجو النحويين، و«تفسير الثعلبي» (١٣٨/١) وعنه نقل المؤلف.

(٣) في (ف): «من».

(٤) «أي: اسمعوا هذه الحروف مقطعةً»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ف): «الضيف». وفي هامش (أ): «مالك بن الصيف بالصاد المهملة في «عين المعالي» وفي
«الكشاف».

﴿المر﴾ وقالوا: نَشُدُّكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو، أحقُّ أنها أتتكَ من السماء؟ فقال النبي ﷺ: «نعم كذلك نزلت»، فقال حيي: لئن كنت صادقاً إني أعلمُ أن أكل^(١) هذه الأمة من السنين ما نزل عليك، ثم نظر حيي إلى أصحابه فقال: كيف ندخلُ في دين رجلٍ إنما منتهى أكلِ أمته إحدى وسبعون سنةً، فقال له عمر رضي الله عنه: وما يدريك أنها كذلك؟ قال: أخذتها من حسابِ الجمَل، فالألفُ واحدٌ، واللامُ ثلاثون، والميمُ أربعون، فضحك النبي ﷺ، فقال حيي: هل غيرُ هذا؟ قال^(٢): «نعم»، قال: وما هو؟ قال: ﴿المر﴾ قال حيي بن أخطب: هذه أكثرُ من الأولى، هذه مئةٌ وإحدى وستون سنةً - وقد تبين لنا في هذه تفسيرُ الأولى؛ لأنه قال: ﴿لَارِبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فنحن المتَّقون الذين آمنَّا بالغيب قبل أن يكون^(٣) - فهل غيرُ هذا؟ قال: «نعم ﴿الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ إِبْنُهُ﴾ [هود: ١]» قال حيي: هذه أكثرُ من الأولى والثانية، وقد أحكمَ فيهنَّ وفصل، فنحن نشهدُ لئن كنت صادقاً ما مُلِّكُ أمتك إلا^(٤) إحدى وثلاثون ومئة سنة، فاتق الله ولا تقل إلا حقاً، فهل غيرُ هذا؟ قال: «نعم ﴿المر﴾ - إلى قوله: - ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»، قال: فنحن نشهدُ أنَّ من الذين لا يؤمنون، ولا ندري بأيِّ قولك نأخذُ، فقال أبو ياسر: أمَّا أنا فأشهدُ بما أنزل على أنبيائنا أنهم قد أخبروا عن مُلكِ هذه الأمة ولم يوقِّتوا كم يكون، فإن^(٥) كان محمدٌ صادقاً فيما يقولُ إني لأراه سيُجمع له هذا كله.

(١) فوقها في (ف): «مدة»، ومثله في هامش (ر)، ويريد بأكل أمته: طول مدتهم. وفي بعض المصادر:

(إني لأعلم أجل هذه الأمة...)، والمعنى واحد. وكلمة: «أن» ليست في (أ).

(٢) في (ف): «فقال النبي ﷺ».

(٣) في (ر): «نكون»، وفي هامشها: «أي: قبل أن نبعث».

(٤) في (ف): «صادقاً فملك أمتك إلى».

(٥) في (أ): «وإن».

فقام اليهود وقالوا: أَشْكَلَ عَلَيْنَا ^(١) أَمْرُكَ، فلا ندري أبالقليل نأخذُ أم بالكثير؟
 فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
 مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ^(٢)، فالمحكمات هي ^(٣) الآيات التي في سورة الأنعام:
 ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات، وأما المتشابهات فـ ﴿الْعَمَّ﴾ ^(٤)
 و ﴿الْمَصَّ﴾ و ﴿الَّرَّ﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ حين يحسبون كم ^(٥)
 أكل هذه الأمة، وما يعلم ذلك إلا الله ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعني: عبد الله بن
 سلام، وثعلبة بن عمرو، وأسد بن كعب، وأسيد بن زيد، وسلاماً، وهم مؤمنو
 أهل الكتاب ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: قليله ^(٦) وكثيره.

فقال لهم حيي: ويحكم، أما ^(٧) تعرفون الباطل فيما يخلط عليكم؟
 فقالوا: بل نعرف الحق، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ الآية ^(٨)، فجعل رسول الله

(١) في (أ) و(ر): «وقالوا غلبنا».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢١)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٣٣٠)،
 من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن
 عبد الله بن رثاب. وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٤٥). والكلبي متروك، وأبو صالح لم
 يسمع من ابن عباس.

(٣) في (أ) و(ف): «وهي»، وليس فيهما: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فالمحكمات.

(٤) في (ف): «فألف لام ميم».

(٥) في (ف): «يحسبون ﴿الْعَمَّ﴾».

(٦) في (أ): «بقليله».

(٧) في (ر): «إنما». وفي (ف): «إنكم».

(٨) في (أ): ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. وفي (ف): ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية.

يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلْيَهُودِ لِيَعْقِلُوا^(١)، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَمْ يَفْقَهُوا^(٢)، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: ف﴿ذَلِكَ﴾^(٣) ثلاثة أحرف: ذا اسم^(٤) إشارة، واللام عماد، والكاف خطاب.

وهذه الكلمة في القرآن على ثلاثة أوجه:

إشارة إلى الغائب، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وإشارة إلى الحاضر، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: ٥].

واسم لمن لا يوصف بالغيبة والحضرة، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُّ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾

[يونس: ٣٢].

وقد جاء في الشعر (ذلك) بمعنى: هذا^(٥)، قال خُفَّاءُ بْنُ نُذْبَةَ:

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ تَأْمَلُ خُفَّاءًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا^(٦)

(١) في (ر): «ليفعلوا».

(٢) في (أ): «يفقهوا ذلك». وفي (ف): «يفقهوه».

(٣) في (أ): «ذلك».

(٤) «اسم»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (أ) و(ف): «لهذا» بدل من «بمعنى هذا».

(٦) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٣)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٩)، و«الشعر والشعراء»

أي: هذا.

وفي هذه الآية يمكن^(١) تقريرُ الكلمة^(٢) على الوجوه الثلاثة:

يجوز أن يكون اسماً للقرآن، وهو كلامُ الله جلَّ جلاله، وهو قائمٌ بذاته تعالى^(٣) لا يوصفُ بحضرةٍ ولا غيبةٍ^(٤).

ويجوز أن يكون بمعنى: هذا، وهو قولُ مجاهدٍ ومقاتلِ بن حَيَّان وابنِ جريجٍ والكسائيِّ والأخفشِ وأبي عبيدة^(٥).

ويجوز أن يكون بمعنى الإشارة إلى غائبٍ، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: ذلك الكتابُ الذي أخبرتكُ أنَّي أوحيه إليك.

وقال عطاء بن السائب: ذلك الكتاب الذي وعدتُك يوم الميثاق.

وقال يمانُ بن رثاب: ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

وقال الفراء: هذا الكتاب الذي وعدتُك.

وقال ابن كيسان: أنزل الله تعالى قبل البقرة بضْعَ عشرة سنةً سوراً كَذَبَ بها المشركون، ثم أنزل البقرة فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ يعني: ما تقدّمها^(٦).

(١) في (أ): «يُحْكِي».

(٢) بعدها في (ر): «عطفٌ».

(٣) في (ف): «بذات الله عز وجل».

(٤) في (ر) و(ف): «لا يوصف بالغيبة والحضرة».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢٨/١)، ورواه عن مجاهد وابن جريج الطبري في «تفسيره» (٢٢٨/١).

(٦) (٢٢٩-).

(٦) انظر هذه الأقوال جميعاً في «تفسير الثعلبي» (١٤١/١).

وقوله: ﴿الْكِتَابُ﴾ أصله في اللغة: الجمعُ، وسميتِ الكُتَيْبَةُ بها لاجتماعِها، يقال: كتبتُ البغلةَ: إذا جمعتَ بين شُفْرَيْهَا بحَلْقَةٍ، قال الشاعر:

لَا تَأْمَنْنَ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ^(١)
ومنه: الكُتْبَةُ، وهي الخُرْزَةُ، وجمعُها: الكُتُبُ.

والكتابُ بمعنى المكتوب، وهو في القرآن على عشرين وجهاً:
بمعنى: الفرض، قال الله تعالى: ﴿كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]؛ أي: فرضاً موقتاً.

وبمعنى: البرهان، قال تعالى: ﴿فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ﴾ [الصافات: ١٥٧]؛ أي: برهانكم. قاله الكلبي^(٢).

وبمعنى: الأجل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]؛ أي: أجل^(٣).

وبمعنى: المقدار، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]؛ أي: مقدار^(٤).

وبمعنى: القضاء، قال الله جل وعلا: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

وبمعنى: مكاتبة العبد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

(١) البيت لسالم بن دارة واسم أبيه مسافع، وأمه دارة من بني أسد، وسميت دارة لجمالها، شبهت بدارة القمر. انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٣٨٩). وجاء في هامش (أ): «البعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والقلوص بمنزلة الجارية».

(٢) بعدها في (أ): «رحمه الله».

(٣) «أي: أجل»: ليس في (أ) و(ف).

(٤) «أي: مقدار»: ليس في (أ) و(ف).

وبمعنى: الرخصة والإباحة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وبمعنى: اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ [الزخرف: ٤].

وبمعنى: التوراة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وبمعنى: الإنجيل، قال تعالى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ﴾ [مريم: ٣٠].

وبمعنى: التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبمعنى: القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ﴾ [ص: ٢٩].

وبمعنى: صحيفة أعمال البشر، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

وبمعنى: ما كتب اليهود من عند أنفسهم وادَّعوا أنه كتاب الله، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].

وبمعنى: رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس، قال تعالى إخباراً عنها^(١): ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَيْنَا الْكِتَابُ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

وبمعنى: ما كتب في الزبور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبمعنى: ما اقترحه الكفار على نبيِّنا عليه الصلاة والسلام إنزاله من السماء، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وبمعنى: وعد الرحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

(١) «إخباراً عنها»: ليس في (أ) و(ف).

وبمعنى: إثبات الإيمان في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبمعنى: الأرواح، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ [المطففين: ١٨] ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٧].

وأما المراد بالكتاب هاهنا:

فقد قال سعيد بن جبیر: هو اللوحُ المحفوظ.

وقال عكرمة: هو التوراة والإنجيل.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة: هو القرآن^(١).

وعليه الجمهور، وهو الأشهر والأظهر.

ثم إنما^(٢) سُمِّي القرآن كتاباً لمعنى الجمع الذي دلَّ عليه مأخذ الاسم من وجوه:

أحدها: أنه جَمَعَ الحروف حتى صارت كلمات، وجمع الكلمات حتى صارت آيات، وجمع الآيات حتى صارت سُوراً تامَّات، وجمع السور حتى صارت كتاباً مشتملاً على كرامات.

(١) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤١). ولعل من قال: إن ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: هذا، مراده

أن ﴿أَلْكَتَبَ﴾ هنا بمعنى القرآن، وقد تقدم من قال بهذا، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢٨ -

٢٢٩) عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وعكرمة والسدي. أما القول بأن ﴿أَلْكَتَبَ﴾ هنا هو

التوراة والإنجيل فقد ذكره الطبري (١/ ٢٣١) عرضاً دون عزو لقائل ولا رواية، بل قال: (وقد قال

بعضهم: ﴿ذَٰلِكَ أَلْكَتَبَ﴾ يعني به التوراة والإنجيل).

(٢) في (ر): «وإنما» بدل: «ثم إنما».

والثاني: أنه نظامٌ لصنوف الحِكم، وقوامٌ لأنواع الحُجج، قال النبي ﷺ: «أُوتِيَتْ جوامعُ الكَلِمِ»^(١).

والثالث: أنه جمعٌ معاني جميع كتب الله المنزلة، قال النبي ﷺ: «أُوتِيَتْ السبعُ الطُّولُ»^(٢) مكان التوراة، والمئينَ مكان الزبور، والمثانيَ مكان الإنجيل، وفُضِّلَتْ بالمفصَّلِ»^(٣).

والرابع: أنه يُجمعُ لأهله خيرُ الدارين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والخامس: أنه يُجمع بين أهله وبين النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين

(١) رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «الطوال»، وفي هامش (ف): «قوله: «أُوتِيَتْ السبع الطوال» فالسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال فالأنفال مع التوبة نزلاً جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ، فالطوال هي مضمومة الطاء مفتوحة الواو واحداً الطول كالأول والأولى. والمثاني فهو اسم لسبع سور تلتو السبع الطول أولها يونس وآخرها النحل وإنما سميت مثاني لأنها ثنيت الطول.

وأما المثنون فهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وسميت بذلك لأن كل سورة منها مئة وزيادة يسيرة أو نقصان يسير.

وأما المفصل بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، سميت مفصلاً لكثرة الفصولات فيها بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٠١٢)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٢٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦٩٨٢)، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. وهو حديث حسن كما ذكره محققو «المسند»، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٦/٧) وقال: رواه أحمد، وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقيّة رجاله ثقات.

في الجنة، على ما رُوي عن^(١) علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أُنزل القرآنُ على عشرة^(٢): بشيراً ونذيراً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وموعظةً ومثلاً، وحلالاً وحراماً، فمن أبشَرَ ببشيره وانتذر^(٣) بنذيره، وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه، واقتصر على محكمه وردَّ علمَ متشابهه إلى عالمه، واتَّعَظَ بعِظَتِهِ واعتَبَرَ بِمَثَلِهِ، وأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، فأولئك من المؤمنين حقاً لهم الدرجاتُ العُلى مع النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً، وهو وارثي ووارثُ الأنبياء من^(٤) قبلي، ولا يزالُ في ضَمَانِ الله تعالى وكَنَفِهِ، وحيثُما تُلي القرآنُ غَشِيَتْهُ الرَّحْمَةُ ونزلت عليه السَّكِينَةُ، ويُحْشَرُ في زُمرتي وتحت لوائي»^(٥).

والسادس: أنه يَجْمَعُ بين الحبيبِ والحبيبِ، فإنه كتابُ الحبيبِ إلى الحبيبِ، وخطابُ الحبيبِ مع الحبيبِ، وتذكُّرُ^(٦) الحبيبِ للحبيبِ، وقال النبي ﷺ: «مَنْ قرَأَ القرآنَ فَقَدْ كَلَّمَ اللهَ تعالى»^(٧).

وقالوا: لَمَّا أُنزلَ اللهُ تعالى على موسى التوراةَ وهي ألفُ سورةٍ كُلُّ سورةٍ ألفُ آيةٍ، قال موسى عليه السلام: يا ربِّ، وَمَنْ يطِيقُ قِراءَةَ هذا الكتابِ وَحِفْظَهُ؟ فقال تعالى: إِنِّي أُنزلُ كتاباً أَعْظَمَ مِنْ هذا، قال: على مَنْ يا رب؟ قال: على خاتم النبيِّين.

(١) «عن» من (ف).

(٢) بعدها في (ر): «أو صافٍ»، وليست في المصدر.

(٣) في (ف): «وانذر»، والمثبت من (أ) و(ر)، وهو الموافق لما في المصدر، وفيه: «ابتشر» بدل «أبشر».

(٤) «من»: ليست في (أ) و(ف).

(٥) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٢٠٣/٣) الأصل الرابع والأربعون والمئتان.

(٦) في (ف): «وتذكر».

(٧) لم أجده.

قال: وكيف تقرأه^(١) أمته ولهم أعمارٌ قصيرة؟ قال: إني أسره عليهم حتى تقرأ صبيانهم، قال: يا ربّ وكيف تفعل؟ قال: إني أنزلت من السماء إلى الأرض مئة كتاب^(٢) وثلاثة كتب، خمسين على شيت عليه السلام، وثلاثين على إدريس عليه السلام، وعشرين على إبراهيم، والتوراة عليك، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، وذكرت الكائنات في هذه الكتب فأذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد ﷺ، وأجمع ذلك كله في مئة وأربع عشرة سورة، وأجعل هذه السور في ثلاثين جزءاً، والأجزاء في سبعة أسباع، ومعنى هذه الأسباع في سبع آيات الفاتحة، ثم معانيها في سبعة أحرف وهي: بسم الله، ثم ذلك كله في الألف من ﴿آل﴾، ثم أفتح بها سورة البقرة فأقول: ﴿آل﴾^(٣).

ولمّا وعد الله تعالى ذلك في التوراة، وأنزله على محمد عليه السلام، جحدت اليهود - عليهم لعائن الله - أن يكون هذا ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾؛ أي: هذا ذلك.

ثم سمّاها هاهنا كتاباً، وله في القرآن مئة اسم، وقد عدّناها في صدر هذا الكتاب.

ومن فضل الله علينا أن أعزنا بدينه، وأكرمنا بكتابه، وشرفنا بنبئه، وخصنا بتفضيله بأن ذكر في القرآن أسماء سمى بها نفسه وكتابه ورسوله وسمّانا أيضاً بها، وهي أكثر من عشرين اسماً:

(١) في (أ) و(ر): «تقرأ».

(٢) «كتاب»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) لم أجده. وما جاء في آخره من جعل المعاني القرآنية في الألف من ﴿آل﴾ هو من عنديات أهل الشطح، ولعل الخبر كله من اختراعهم.

الْحَقُّ: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى لكتابه: ﴿حَقَّ جَاءَ هُمُ الْحَقُّ وَرَسُولُ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفُّمُ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] وقال تعالى لنا: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤].

وَالنُّورُ: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وقال تعالى لنا: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وَالْعَزِيزُ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١) [الحج: ٧٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وقال تعالى لرسوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى لنا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَالكَرِيمُ: قال الله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الأنفطار: ٦]، وقال تعالى لكتابه: ﴿إِنَّهُ لَقَرَّءٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٢) [الحاقة: ٤٠]، وقال لنا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وَالْعَظِيمُ: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى لنا: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

(١) في (ف): «وإنه» بدل من «وإن الله».

(٢) بعدها في (ر): «وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ»، وهي نسخة كما في هامش (ف).

والشَّهِيدُ: قال الله تعالى: ﴿وَكُنْ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال لكتابه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقال تعالى لنا: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

والمُؤْمِنُ: قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ [البقرة: ١٦٠].

وذو العُلَى: قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى لكتابه: ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: ٧]، وقال لنا: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والهادي: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هُدَى اللهُ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى لكتابه: ﴿لَارْيَبَ فِيهِ هُدَى لِّلشَّاقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال لرسوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وقال تعالى لنا: ﴿زَادَهُمُ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

والحاكمُ: قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال لكتابه: ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَن آحْكَمُ بَيْنَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى لنا: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥].

والحكمةُ: قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ [القمر: ٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والرحمةُ: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى

لكتاباه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾، وقال تعالى لنا: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

والأمر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقال تعالى لكتاباه: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]، وقال تعالى لرسوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى لنا: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) [آل عمران: ١١٠].

والمندُر: قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]، وقال تعالى لكتاباه: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [افصلت: ٤]، وقال لرسوله: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢)، وقال تعالى لنا: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والطاهر: قال تعالى: ﴿طه﴾ ﴿طس﴾، وقال تعالى لكتاباه: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾^(٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ [عبس: ١٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى لنا: ﴿وَيُحْيِي الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والطيب: قال تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال تعالى لكتاباه: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِمَّا أَلْفَوْا﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦]، وقال لنا: ﴿نُؤْفِقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢].

والداعي: قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، وقال لكتاباه: ﴿أَجِيبُوا دَعَى اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، وقال تعالى لنا: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) بعدها في (أ) و(ف): ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

(٢) قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وقع في (ر) بدلا منه: ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾، وقال لرسوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

والقائم: قال تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى لكتابه: ﴿قِيمًا لِّنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال لنا: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والصادق: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١) [النساء: ٨٧]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَالصِّدِّيقِ﴾ [آل عمران: ١٧].

والخير: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾^(٢) [المؤمنون: ٧٢]، وقال لكتابه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال تعالى لنا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والأحسن: قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال تعالى لنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ [النساء: ١٢٥].

والمبارك: قال تبارك وتعالى: ﴿تُبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وقال لنا: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لا شك فيه، والريب: شك فيه خوف، وهو أخص من الشك، فكل ريب شك وليس كل شك ريباً. والريبة: التهمة من ذلك، والمريب: المتهم.

(١) في (أ): ﴿قُبْلًا﴾.

(٢) في (أ) و(ف): ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

وقال الزَّجَّاجُ: رابني فلان: إذا علمتَ منه الرِّبِّيَّةَ، وأمرُ رابني^(١)؛ أي: أُوهمني الرِّبِّيَّةَ، وأنشد:

أخوكَ الذي إن ربَّته قال إنَّما أرْبَتَ وإن عاتَبْتَه لأنَّ جانبَهُ^(٢)
جَعَلَ الأوَّلَ للحقيقة والثاني للوهم.

و(لا) كلمةٌ تبرئةٌ، وهي إذا دخلت اسماً واحداً بُني على الفتح ولم ينون؛ لأنهما يصيران كاسمٍ واحدٍ بمنزلةِ خمسةَ عَشَرَ، فإنَّ قولك: لا رجلٌ في الدار، هو جوابُ قولِ السائل^(٣): هل من رجلٍ في الدار؟ و(من) مع (رجلٍ) صاراً^(٤) شيئاً واحداً في السؤال، فصار هذان أيضاً شيئاً واحداً في الجواب.

و(من) لتعميمِ سؤالِ^(٥) النفي؛ فإنه سؤالٌ عن الواحد وما زاد عليه، و(لا رجلٌ) نفْيُ الواحد وما فوقه^(٦)، ولو قال: هل رجلٌ في الدار؟ فهذا سؤالٌ عن الواحد لا غير^(٧)، وقولك: ما في الدار رجلٌ، نفْيٌ للواحد لا غير، ويجوز أن يكون فيه اثنانٍ وأكثر، وهذا كشفٌ ما ذكره الزجَّاجُ وأجمله^(٨).

(١) في (أ): «وأرابني» وفي (ف): «ورابني» بدل من «وأمر رابني».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٩)، والبيت للمتلِّم أو لبشار بن برد كما في «اللسان» (مادة: راب).

(٣) في (أ) وهامش (ف): «القائل».

(٤) في (ف): «صار».

(٥) في (ف): «السؤال في».

(٦) في (ف): «وما زاد عليه».

(٧) في (أ): «واحد لا غير»، والعبارة وقع مكانها بياض في (ف).

(٨) في (أ) و(ف): «وأجمل». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٩).

فإن ذكرت بعده اسمين ففيه أربعة أوجه: رفعهما وتنوينهما، وفتحهما بغير تنوين، ورفع أولهما وتنوينه مع فتح الآخر بغير تنوين، وفتح أولهما بغير تنوين مع رفع الآخر وتنوينه. ويُستوضح^(١) ذلك في قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم معنى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شك في كونه ذلك الكتاب الموعود.

وقيل: أي: لا شك في كونه هدى.

وقيل: أي: لا شك في المذكورات فيه، فهي مبيّنة وغير مبهمة^(٢).

فإن قالوا: إن الكفار شكوا فيه فلم يُقرُّوا بكتاب الله تعالى، والمبتدعون من أهل القبلة شكوا في معاني متشابهاته^(٣) فأجروها على ظواهرها وضلُّوا بها، والعلماء شكوا في وجوهه، فلم يقطعوا القول على وجه منها، والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه، فما معنى نفى الريب عنه؟

فله ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن هذا نفى الريب عن الكتاب لا عن الناس، والكتاب موصوف بأنه لا يتمكّن فيه ريبٌ فهو حقٌّ صدقٌ مفهومٌ معلومٌ شكّ الناس فيه أو لم يشكوا؛ كالصدق صدق في نفسه وإن وصفه الناس بالكذب، والكذب كذب وإن وصفه الناس بالصدق، فكذا الكتاب ليس مما يلحقه ريبٌ أو يتمكّن فيه عيبٌ.

والثاني: أن هذا نفى الريب عن المقتبسين منه^(٤) بعد إمعان النظر وإزالة الفكر،

(١) في (ف): «وسنوضح».

(٢) في (ف): «مثبتة غير متهمة» بدل من «مبيّنة وغير مبهمة».

(٣) في (ر) و(ف): «متشابهه».

(٤) في (ر): «المقيس منه»، وفي (ف): «المقتبس».

فَمَنْ تَعَلَّمَهُ وَتَبَحَّرَ فِيهِ وَنَظَرَ فِيهِ مِنْصِفاً غَيْرَ مُعَانِدٍ لَمْ يَجِدْ فِيهِ تَنَاقُضاً وَلَا تَعَارُضاً، بَلْ وَجَدَهُ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضاً.

والثالث: أن هذا نهْيٌ في المعنى وإن كان نفيّاً في الصفة^(١)، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] فإن هذه الكلمات لو حُمِلَتْ على ظاهر النفي توجّه عليه هذا الإشكال؛ فإننا نجد مَنْ يَرَفُثُ فِيهِ وَيَفْسُقُ وَيَجَادِلُ، لكنها^(٢) نهْيٌ عن فعلٍ ذلك في الحجّ، فهذا مثله.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥] وقد أنكره الملحّدون وشكّ فيه المشركون، لكن وجوهه ثلاثة:

أحدها: أنه لا شكّ في وجوده وتحقّقه في نفسه.

والثاني: أنه لا تجري أموره على الشكّ والتلبّيس.

والثالث: أنه نهْيٌ عن الارتياب فيه؛ فإنه واقعٌ لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾ قرئ بكسر الهاء وضمّها وسكونها^(٣)، وكلّ وجهٍ على وجهين: أمّا الكسر فللباء التي قبلها، وأمّا^(٤) الضم فهي على الأصل؛ لأن أصل الكناية: هو، وأمّا التسكين فهو على^(٥) الوقف.

(١) في (أ): «الصيغة».

(٢) في (أ) و(ف): «لكنه».

(٣) بالكسر قراءة الجمهور، وبالضم نسبت لمسلم بن جندب كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠)، وللزهري كما في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٤)، أما السكون فأجازته النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٤)، ولعل المراد به رواية السوسي عن أبي عمرو: (فيه هدى) بالإدغام. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠).

(٤) «أما»: سقط من (ف).

(٥) في (ر) و(ف): «فعلى» بدل: «فهو على».

ثم الكسرة على وجهين: كسرةٌ غيرُ مشبعةٍ بالياء^(١)؛ أي: لا ياء بعدها لفظاً؛ لأنه لا ياء بعدها^(٢) كتابةً، وكسرةٌ مشبعةٌ بالياء^(٣)؛ لأن هاء الكناية أصلها: هو، بالواو، وجُعِلت هذه الواوُ ياءً هاهنا للكسرة المتقدمة.

والضمة على وجهين أيضاً: مشبعةٌ بالواو، وهي قراءةُ الزهري^(٤) على أصلِ كلمة (هو)، وضمةٌ لا واو بعدها تخفيفاً^(٥) وبناءً على الكناية.

والتسكينُ على وجهين: على الوقف لتمام الكلام، ثم الابتداء على معنى: هو هدىً، وإدغام في رواية أبي حاتم عن أبي عمرو^(٦).

وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾: قد مر الكلامُ في تفسيره ونظائره^(٧) في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ثم هو يصلحُ مصدراً هاهنا كالتَّقَى والسُّرَى والدُّجَى، ويصلحُ فاعلاً؛ فإن اسم المصدر يُطلق على الفاعل والمفعول لغةً، يقال: رجلٌ عدلٌ؛ أي: عادل، ورضيٌّ؛ أي: مَرْضِيٌّ، وقد ورد في القرآن الهدى بمعنى: الهادي، قال تعالى خبراً عن موسى: ﴿أَوْأَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]؛ أي: هادياً.

(١) «بالياء»: من (أ). وقد تقدم تخريج هذه القراءة.

(٢) «لفظاً؛ لأنه لا ياء بعدها»: سقط من (ف).

(٣) هي قراءة ابن كثير حالة الوصل، أما في الوقف فيقف بهاء ساكنة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٩).

(٤) نسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٨٤/١) لابن أبي إسحاق، أما الزهري فنسبت إليه قراءة الضم بغير واو كما تقدم قريباً.

(٥) في (ر): «تخفيفاً». وقد تقدم تخريج هذه القراءة.

(٦) وهي رواية السوسي عن أبي عمرو أنه قرأ: (فيه هدى) بالإدغام. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠).

(٧) في (ر): «تفسيرها ونظائرها»، وفي (ف): «تفسيرها ونظائرها».

فَإِنْ جُعِلَ مُصَدَّرًا فَعَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ هُدًى﴾، وَإِنْ جُعِلَ فَاعِلًا فَعَلَى أَنْ يُجْعَلَ تَقْدِيرُهُ: هُوَ ^(١) هُدًى لِلْمُتَّقِينَ؛ أَي: هَادٍ.

وَأَمَّا إِعْرَابُهُ: ففِي ^(٢) الظَّاهِرِ لَا حَرَكَةَ لِلْيَاءِ الَّتِي هِيَ حَرْفُ الْإِعْرَابِ؛ فَإِنَّهُ اسْمٌ مَقْصُورٌ وَقَدْ سَقَطَتِ الْيَاءُ بِالتَّنْوِينِ.

وهذه الصيغة وردت في القرآن في محلِّ النصب والرفع والخفض، قال الله تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] هذا منصوبٌ، وقال: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦] وهذا مرفوعٌ، وقال: ﴿أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى﴾ [البقرة: ٥] وهذا مخفوضٌ.

وهاهنا قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا وَمَرْفُوعًا، وَلَا يَحْتَمِلُ الْخَفْضَ لِعَدَمِ الْخَافِضِ، فَأَمَّا النصب فعلى القطع، وللقطع وجوهٌ:

أحدها: من قوله: ﴿ذَلِكَ أَلَكَّتْ﴾، فـ ﴿أَلَكَّتْ﴾ معرفةٌ و﴿هُدًى﴾ نكرةٌ.

والثاني: من قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ ^(٣)، وهو معرفةٌ أيضاً.

والثالث: من قوله: ﴿فِيهِ﴾ فهو معرفةٌ أيضاً، ووصفُ المعرفة بالنكرة لا يستقيم، فنُصب قطعاً كما في قوله: ﴿هَذِهِ نَافَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢].

وقيل: هو نصبٌ على الحال؛ أَي: لَا رَيْبَ فِي كَوْنِهِ هُدًى.

وأما الرفع فلو جوه:

(١) «هو»: من (أ).

(٢) في (أ): «فعلى».

(٣) في (ر) و(ف): ﴿ذَلِكَ أَلَكَّتْ﴾.

أحدها: أنه خبرُ قوله: ﴿ذَلِكَ﴾.

والثاني: أنه خبرُ قوله: ﴿الْكَتَبُ﴾.

والثالث: أنه خبرُ قوله: ﴿فِيهِ﴾.

والرابع: أنه خبر مبتدأ مضمَر؛ أي: هو هُدًى.

ثم هاهنا أسئلةٌ ثلاثة^(١):

أحدها: أنه لم أضاف الهدى إلى القرآن وهو من الله تعالى؟

والثاني: أنه لم خصَّ هاهنا فقال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وعمَّ^(٢) في موضع آخر

فقال: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيَّنَّتِ﴾ [البقرة: ١٨٥]؟

والثالث: أنه لم خصَّ المتقين بالهدى وفيه هدى الكل؟ وهل عُدَّ غير المتقين

بهذا؟

أما جوابُ الأول: فإضافة الهدى إلى القرآن على وجه التسيب^(٣) كما في

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [الشورى: ٥٢] مع قوله: ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [القصص: ٥٦]، وكما

في إضافة الإضلال إلى فرعون بقوله: ﴿وَاضْلَلْ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]، وإلى

الأصنام بقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، والله تعالى هو الذي يضلُّ

مَن يشاء ويهدي مَن يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وأما جواب الثاني: فهو هُدًى للناس كلَّهم بياناً، وهُدًى للمتقين على

الخصوص إرشاداً، وهو كقوله تعالى في حقِّ رسوله ﷺ على الخصوص:

(١) في (أ) و(ف): «ثلاثة أسئلة».

(٢) في (أ): «وعم»، وفي (ر): «ويعم».

(٣) في (ر): «التسيب».

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١١]، مع ما قال فيه على العموم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، لكن أنذر الكل تبليغاً، ونفع ذلك أهل الخشية تنبيهاً، فهذا مثله.

وأما جواب ^(١) الثالث: فهو هدى للمتقين؛ لأنهم هم المتفعون به، فكأنهم خُصُّوا بذلك، وكذلك ^(٢) يقال في كلِّ مَنْ انتفع بشيءٍ على الخصوص دون غيره: إنه لك على الخصوص؛ أي: أنت المتفع به وحدك، وليس في أن الناس لم يهتدوا به ما يُخرجه عن أن يكون هدى، فالشمسُ شمسٌ وإن لم يرها الضير، والعسلُ عسلٌ وإنه لم يجد طعمه الممرور، والمسكُ مسكٌ وإن لم يدرك طيبَ ريحه ^(٣) المأنوف. فالخبيبة كلُّ الخبيبة لمن عطشَ والبحرُ زاهر، وبقي في الظلِّمة والبدرُ زاهر، وخبثَ والطيبُ حاضر، وذوى والروضُ ناضر.

والحسرةُ كلُّ الحسرة لمن عصَى وفسقَ والقرآنُ ناهٍ له وأمر، وفارقَ الرهبةَ والرغبةَ والوعدُ متواترٌ والوعيدُ متظاهر، ولذلك قال جلَّ جلاله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿لَتَنْتَفِيَنَ﴾: أصلُ هذه ^(٤) الكلمة من الوقاية، وهي الحفظ، والتَّوقِّي: التحفُّظ، والانتقاء: الاحتفاظ؛ أي: الاحتراز عن الآفة، وعلى ذلك وقاية الرأس والثوب والكتاب، والاسم منه: التقوى.

(١) في (ف): «الجواب عن»، وفي هامشها: «وأما جواب الثالث».

(٢) في (أ): «به وكذلك»، وفي (ر): «بذلك ولذلك».

(٣) في (ف): «طيبه» بدل: «طيب ريحه».

(٤) «هذه»: سقط من (أ) و(ف).

وأصله: الوَفْوَى، الواو الأولى أصليّةٌ، والثانية زائدةٌ، والياء لَامُ الفعل، ووزنه: فَعُولٌ.

ويقال: هي ^(١) على وزن فَعْلَى، فالواو الثانية ^(٢) على هذا لَامُ الفعل، والياء الأخيرة زائدة.

والأوَجَه هو الأول؛ لأن الكلمة يائيةٌ فلا تُجْعَل لامُها واواً، بخلاف الشَّكوى والدعوى؛ فإنهما واويتان. وإنما صارت الواو الأولى ياءً بناءً على صيرورتها ياءً في قولك: اتَّقَى يَتَّقِي؛ لأن أصله: اوتَّقَى، فصارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها كما في الميعاد والميزان ^(٣) والميراث، ثم جُعِلت الياء تاءً وأدغمت الأولى في الثانية طلباً للتلازم ^(٤) وتوقياً عن التنافر، ثم بُني الاسم على هذا الفعل ف قيل: التَّقوى، كما في التُّخْمة من اتَّخَمَ، وأصلها: وُخْمة، وكذلك التُّهْمة والتُّكْأة ^(٥) والتُّكْلان والتُّراث والتُّجَاه توهُماً أنها أصليّةٌ.

ثم التَّقوى قسمان: أصل وفرع، فالأصل: الإيمان، وهو اتِّقاءٌ عن الكفر، والفرع: هو اتِّقاءٌ ^(٦) عن الذنوب، فبالأول: النجاة من العذاب المؤبد، وبالثاني: النجاة من العذاب المؤقت.

أما التقوى التي هي إيمانٌ: ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا

(١) في (أ): «هو».

(٢) في (أ): «والواو الثانية» وفي (ر): «قالوا والثانية».

(٣) في (ر): «والميزاب».

(٤) في (ف): «للتلازم».

(٥) في (ر): «والتكلة».

(٦) في (أ): «الاتقاء».

لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴿البقرة: ٤١﴾.

وأما التقوى التي هي ترك الذنوب بعد تمام الإيمان^(١): ففي مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وللناس في التقوى والمتقى أقاويلٌ تبلغ مئة قول^(٢) عدّناها في كتابنا الموسوم بـ«بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير»، وفي كتاب الله تعالى في تفسيره ما يغني عن كثيرٍ من ذلك؛ فإنه قال: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِمْ أَكْفَرُ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وعدّ^(٣) أشياء ثم قال في آخره: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذا هو المتقى المطلق الثابت بحجة لا ريب فيها، والذي يليه في الوضوح قول النبي ﷺ: «جماعُ التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]»^(٤).

والذي^(٥) يقربُ منه في الثقة بصحته: أن المتقى المطلق من ائتمَرَ بأمرِ التقوى الوارد في القرآن، وهو^(٦) على ثلاثة أوجهٍ: للعام وللخاص وللخاص الخاص:

أما أمرُ العام: فباتقاء النار: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأما أمرُ الخاص: فباتقاء يوم القيامة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(١) في (أ): «بعد تمام الآيات»، وفي (ر): «بعد الإيمان».

(٢) «قول»: ليست في (ف).

(٣) في (ف): «وعدد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٠)، ولم أجده مسنداً.

(٥) بعدها في (أ): «يليه».

(٦) في (ر) و(ف): «وهي».

وأما أمرُ خاصِّ الخاصِّ: فبتقوى الله عزَّ وجل: ﴿وَأَتَّقُوا لِلَّهِ الْآلَافَ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالعامَّةُ عصاةٌ فخوفهم^(١) بالنار كي يتركوا المعصية.

والخاصُّ مطيعون فدعاهم إلى الإخلاص كي لا يتحيروا في جوابِ سؤالِ الصدق يومَ القيامة.

وخاصُّ الخاصِّ لله وبالله ومع الله، فأمرهم باتِّقائه، وهو أن يكونوا له ويتَّقوا ملاحظةً غيره كيلا^(٢) يقعوا في الحُجبة، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا لِلَّهِ الْآلَافَ﴾ [البقرة: ١٩٧] واللبُّ: الخالصُ؛ أي: يا خُلصائي كونوا لي لا لغيري.

وسُئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فقال: «هو أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكرَ فلا يُكفر»^(٤).

(١) في (ر): «خوفهم».

(٢) في (ر): «ثلاثا».

(٣) في (ف): «ولا» في المواضع الثلاثة.

(٤) روي مرفوعاً من حديث ابن عباس، وموقوفاً ومرفوعاً من حديث ابن مسعود، والصحيح وقفه:

فقد رواه البيهقي في «الزهد» (٨٧٨) وفي «القضاء والقدر» (٢٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: «وأن يشكر فلا يكفر»، وفي إسناده بكر بن سهل، وهو ضعيف. وذكره هبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٢) بتمامه مرفوعاً لكن دون سند ولا راو.

والذي في غالب كتب الحديث والتفسير والنواسخ روايته عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، كما رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٤٤١)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٥)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٤٥٥٣)، وأبو داود في «الزهد» (١٤٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٦٣٧/٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٠١)، والحاكم في «المستدرک» =

قال رضي الله عنه^(١): فارسيته: (مطيع باش عاصي بي ذاكر باش ناسي بي شاكر)^(٢).

وقيل: التقوى: زُمُ الجوارح وضمُّ الجوانح.

فزُمُ الجوارح: منعُ الأذن عن سماع اللغو، ومنعُ العين عن نظر اللّهُو، ومنعُ اللسان عن فضول الكلام، ومنعُ الحَلَق عن فضول الطعام، ومنعُ القدم عن التخطّي إلى الأغيار، ومنعُ النَّفس عن مُلابسة^(٣) الأقدار.

وأما ضمُّ الجوانح: فهو جمعُ الهمة عن التّفاريق، والتفرُّد عن وجوه التّعاويق^(٤)، والتنزّه عن ألواثِ التّعاليق، فَمَنْ اتَّقَى ظاهِرُهُ ظَهَرَ خِلاصُهُ، وَمَنْ اتَّقَى باطنُهُ بَطَنَ استِخْلاصُهُ، وَحَظِي أذُنُهُ بِسَمَاعِ كَلَامِ الْحَقِّ، وَعَيْنُهُ بِرُؤْيَا الْحَقِّ، وَلِسَانُهُ

= (٣١٥٩) وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٣٨/٧)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٩٢) و(٢٩٣). وقال ابن كثير عند تفسير الآية (١٠٢) من آل عمران: هذا إسناد صحيح موقوف.

أما المرفوع عن ابن مسعود فقد قال أبو نعيم: رواه الناس عن زبيد موقوفاً، ورفع أبو النضر عن محمد بن طلحة عن زبيد. ثم رواه من الطريق المذكور مرفوعاً، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٦٠): وخرجه الحاكم مرفوعاً والموقوف أصح. وكذا ذكر ابن كثير عن الحاكم أنه رفعه وصححه ثم قال: والأظهر أنه موقوف.

وما استظهره هو الصواب، لكن قوله وقول ابن رجب في رواية الحاكم: مرفوعاً، مخالف لما في مطبوعة «المستدرک»، فلعله كذلك وقع في نسختها منه.

(١) «قال رضي الله عنه»: ليست في (أ) و(ف).

(٢) من قوله: «فارسيته...» إلى هنا ليس في (أ). وفي هامش (ف): «هذه الألفاظ الفارسية تضمنت معنى سؤال النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فقال ﷺ الحديث».

(٣) في (ر) و(ف): «ملايس».

(٤) في (ر): «التعاليق».

بمكالمة الحق، ويذه بقبض عطايا الحق، ورجله بالوصول إلى مقعد الصدق بتقريب الحق، وقلبه بمشاهدة الحق، وروحه بقرب^(١) الحق، وسره بلطف الحق، فصار كل للحق بالحق^(٢).

وقيل: تفسير المتقين فيما ذكر بعده: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾، وهو كما قالوا: إن تفسير ﴿الصَّكْمُ﴾: ما ذكر بعده: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) ولم يكن له، كفواً أحداً^(٤)، وتفسير الهلوع ما ذكر بعده: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾^(٥) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ [المعارج: ٢٠ - ٢١].

(٣) - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: فإن ﴿الَّذِينَ﴾ اسمٌ بدلالة دخول الألف واللام فيه، وهو موصول؛ لأنه يتم بصلته وهو^(٣): ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

وأصله: (الَّذِينَ) بلامين؛ إحداهما: لام التعريف، والثانية: لام (لذ)، وإنما اكتفي في الكتابة بواحدة تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا تكتب في التثنية: (اللذان) بلامين؛ لأنه لم يكثر استعماله.

وهو غير مُعَرَّبٍ لفظاً، ولهذا يستوي^(٤) نصبه ورفعُه وخفضُه، فيقال: جاءني الذين علمت، ورأيتُ الذين علمت، ومررتُ بالذين علمت.

(١) في (ف): «بقوت».

(٢) في (أ): «وبالحق».

(٣) في (ف): «وهي».

(٤) في (ف): «استوى».

وإنما لم يُعرب لأنه موصول لا يَتِمُّ إلا بصلته^(١)، فصار لفظه كأنه بعض الكلمة، ولا إعراب إلا لتمام الكلمة في آخرها، فأما (اللَّذَانِ) في التثنية فإنما أُعرب - فكان رفعه بالألف، ونصبه وخفضه بالياء - لأن منع الإعراب كان لإلحاقه بالحروف، ولا تثنية للحروف فلم تُلحق بها، بل تحقق فيه معنى^(٢) الاسم فأعرب لذلك.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: تقديره: المؤمنين، ومحلُّ: ﴿الَّذِينَ﴾ من الإعراب على هذا التقدير: الخفض؛ لأنه نعتٌ للمتقين^(٣) فيتبعه في إعرابه، ويجوز أن يكون نصباً على المدح، ويجوز أن يكون رفعاً بإضمار كلمة: هم.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فالإيمان في اللغة هو التصديق، وقد آمَنَ به وله؛ أي: صدَّقه، وآمنه؛ أي: أثبت له الإيمان^(٤).

وقيل: إن الإيمان الذي هو التصديق مأخوذٌ من هذا؛ فإن المصدق غيره فيما أخبره^(٥) به يثبت لنفسه الأمن من إخبار المخبر إياه بالكذب أو الخطأ.

ثم اختلف أهل الأصول في ماهية الإيمان المفترض على العبد:

قال جَهْم^(٦): هو المعرفة.

وقالت الكرامية: هو مجرد الإقرار.

(١) في (أ): «بصلة».

(٢) في (ر) و(ف): «بمعنى».

(٣) في (ر): «نعت المتقين».

(٤) في (أ): «الأمان».

(٥) في (ر) و(ف): «أخبر».

(٦) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً.

وقال الرَّقَاشِيُّ^(١): هو الإقرار بشرط وجود المعرفة في القلب^(٢)، والمعرفة ضرورة توجب لا محالة، لكن إذا وجدت هي مع الإقرار بالإيمان هو الإقرار باللسان وحده؛ لأنه اسمٌ لفعلٍ اكتسابيٍّ لا اضطراريٍّ.

وقال أهل الحق: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

وقال الإمام أبو منصور - وهو مرويٌّ عن أبي حنيفة رحمه الله، وهو قول جماعة -: هو التصديق^(٣).

وقال مالكٌ والشافعيُّ والأوزاعيُّ وأهل الحديث وأصحابُ الظواهر: الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعملُ بالأركان.

وقال الأشعريُّ: كلُّ ذلك والبقاء عليه إلى الموت.

وبيانُ شبهِ الخصومِ وحججِ أهلِ الحقِّ يُذكر في كتب الكلام، ونشير نحن في بقية هذه الآية وفي تفسير الآيات التي في المنافقين من هذه السورة إلى ما يقع به الاستغناء والاكتفاء إن شاء الله تعالى.

ثم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوُتِنُوا﴾: في قراءة أبي عمرو بن العلاء بغير همز، وللقراء في الهمز وتركه مذاهبٌ وتفصيل، فأبو عمرو يترك كلَّ همزة ساكنة إلا أن يعترض أحدُ أربعة أشياء:

(١) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى، واعظ من أهل البصرة، كان من أخطب الناس، متكلماً قاصّاً، وهو رئيس طائفة من المعتزلة تنسب إليه، وكان قدرياً ضعيف الحديث، توفي سنة (١٤٠هـ). انظر: «الأعلام» (٥/١٥١).

(٢) في (ر): «بالقلب».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٣٧٣).

أحدها: أن يكون سكونها علامةً على ^(١) الجزم، نحو قوله تعالى: ﴿أَوُنْصِيهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] و﴿إِنْ يَشَأْ﴾ ^(٢) [النساء: ١٣٣].

أو يتغير المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَشَاوِرُيَا﴾ [مريم: ٧٤].
أو يخرج إلى لغةٍ أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠].
أو يكون التخفيف أثقل، نحو قوله: ﴿وَتَقْوَىٰ إِلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].
وفي الحاصل: هو يهمز في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن أولها: ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾،
وآخرها: ﴿عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾.

والكسائي يترك الهمز في قوله: ﴿الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] ويهمز ما عداها ^(٣).
وعاصم في رواية أبي بكر يترك الهمز ^(٤) في: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾، ويهمز في ^(٥) ما سواه.
وحمزة يترك همز ما يقف عليه ويهمز ما خلاه.
وابن كثير يهمز الكل إلا كلمة: ﴿الْقُرْآنُ﴾.
وابن عامر يهمز الكل ^(٦).

(١) «على»: ليست في (ف).

(٢) في (أ): «نشأ».

(٣) في (أ): «عداها».

(٤) في (ر) و(ف): «وعاصم يترك الهمزة»، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

(٥) «في»: ليست في (أ) و(ف).

(٦) انظر تفصيل هذه المسألة في «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٣٠ - ١٣٢)، و«التيسير في القراءات السبعة» للداني (ص: ٣٤) وما بعدها، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٩٠/١) وما بعدها.

وما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمنُ مَنْ أَمِنَ جَارُهُ بِوَأَثَقَهُ»^(١)، فمعناه - والله تعالى أعلم -: المؤمنُ المستكملُ أوصافِ أهلِ الإيمانِ هذا^(٢).

وكذا قوله ﷺ: «المؤمنُ هَيْنٌ لَيْنٌ جَوَادٌ سَمَحٌ كالجمالِ الأنْفِ»^(٣)، إذا قيدَ انقاداً، وإذا أُنيخَ على حَجَرٍ استناخَ»^(٤).

وقوله ﷺ: «المؤمنُ أَلِفٌ مألوفٌ حَيٌّ، ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ»^(٥).

وقوله عليه السلام: «المؤمنُ فُطِنٌ حَذِرٌ وَقَافٌ مُتَبِّتٌ عالِمٌ وَرَعٌ»^(٦).

(١) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه بلفظ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن؟» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمنُ جَارُهُ بِوَأَثَقَهُ». وروى مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يأمنُ جَارُهُ بِوَأَثَقَهُ».

(٢) «هذا»: ليست في (ر).

(٣) في (ر): «الأنوف». والصواب المثبت، والأنف على وزن فَعِلٍ، وهو الذي يُجعل الزمام في أنفه فيجره مَنْ يشاء من صغير وكبير إلى حيث يشاء.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٧٧٧٧)، عن مكحول عن النبي ﷺ مرسلاً. ثم رواه البيهقي (٧٧٧٨) من حديث ابن عمر مرفوعاً متصلاً، وقال: الأول مع إرساله أصح.

وعبارة: «المؤمنُ كالجمالِ الأنْفِ، حيثما قيدَ انقاداً»، وردت في حديث العرياض بن سارية عند ابن ماجه (٤٣)، وهو حديث صحيح.

(٥) رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٩١٩٨)، والحاكم في «المستدرک» (٥٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه بنحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٨٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٩/٣)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جداً.

(٦) رواه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه. قال المناوي في «فيض القدير» (٢٥٧/٦): فيه أبو داود النخعي كذاب، قال في «الميزان» عن يحيى: كان أكذب الناس، ثم سرد له عدة أخبار هذا منها، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه كان وضاعاً.

وقوله عليه السلام: «المؤمنُ وإِ راقِعٌ، فَسَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رَفْعِهِ»^(١).
وعلى هذا ما قاله^(٢) أهل الحقيقة في تفسير الإيمان، فهو تفسيرُ كمالِ حال
المؤمن في مقامات خصال الإيمان.
قال رُؤَيْمٌ: الإيمان: استصغارُ الكونين عند رؤية المكوّن، فلا يَسْتَطِرْقُكَ وارِدٌ،
ولا يَسْتَرِقُّكَ شَاهِدٌ.

وقال فارسٌ^(٣): الإيمان: تعظيمُ الحقيقة في صَوْنِ الشريعة.
وقال الواسطيُّ: أَوَّلُ قَدَمٍ فِي الْإِيمَانِ: أَنْ لَا يَجْرِي عَلَيْكَ التَّلْوِينُ^(٤) فِيمَا يَرِدُ
عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ.
وقال داوُدُ الطائِيُّ^(٥): الإيمان: مَا يُورِثُكَ النُّورَ بَعْدَ الظُّلْمَةِ، ثُمَّ اللَّيْنُ بَعْدَ
الْقَسْوَةِ، ثُمَّ السُّنَّةُ بَعْدَ الْبِدْعَةِ، ثُمَّ التَّلَذُّذُ بِالْعِبَادَةِ بَعْدَ الْمَجَاهِدَةِ.
وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَرِيّ رحمه الله: الْإِيمَانُ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ: التَّوَكُّلُ

(١) رواه الحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١٠٣٠)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٤)، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ١٥٣): حديث منكر.

(٢) في (ر): «ما قال» وفي (ف): «قال». بدل «ما قاله».

(٣) فارس بن عيسى - وقيل: ابن محمد - أبو الطيب الصوفي، صاحب الجنيّد بن محمد وأبا العباس بن عطاء وغيرهما، وكان له لسان حسن، ومن المتحققين بعلوم أهل الحقائق ومن الفقراء المجريدين للفقر وترك الشهوات. انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٩٠).

(٤) في (ر) و(ف): «التكوين».

(٥) هو داود بن نصير، أبو سليمان، من طيعة من أنفسهم، وكان قد سمع الحديث وتفقّه وعرف النحو وأيام الناس ثم تعبد فلم يتكلم في شيء من ذلك، وجلس في بيته عشرين سنة أو نحوها ومات فحضر جنازته خلق كثير، توفي سنة (١٦٥هـ). انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٥١٥).

على الله، والاستسلام لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والشكر لنعماء الله عزّ وعلا، والتقوى بابُ الإيمان، واليقين قلبُ الإيمان، والصبرُ عمادُ الإيمان^(١)، والإخلاصُ كمالُ الإيمان.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضْعٌ وستون - أو بضْعٌ وسبعون - باباً، أفضلُها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»^(٢).

فأهلُ الحديث جعلوا هذا كله من الإيمان.

ونحن قلنا: هي من خصالِ أهل الإيمان، ولم يردّ تعدّيها بأعيانها في حديثٍ واحدٍ، وأهل العلم عدّوا ذلك على وجوه، وأقصى ما يتناوله لفظُ هذا الحديث: تسعةٌ وسبعون، وأنا أعدّها على ترتيبٍ اختارته، وعلى الاجتهادِ مدارّه، فأقول:

بدأ فيه بالتهليل، والذي يليه: التكبيرُ والتسبيح، والتحميد والتمجيد، والتجريد والتفريد، والتوبة والإنابة، والنظافة والطهارة، والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة، والقيام والاعتكاف، والقربان والصدقة، والغزو والعِتق، وقراءة القرآن، ومُلازمة الإحسان، ومجانبة العصيان، وترك الطغيان، وهجرُ العدوان، وتقوى الجنان، وحفظُ اللسان، والثناء والدعاء، والخوف والرجاء، والحبُّ والحياء، والصدق والصفاء، والنصح^(٣) والوفاء، والندم والبكاء، والإخلاصُ والذكاء، والحلمُ والسخاء، والشكرُ في العطية، والصبرُ في البلية، والرضا بالقضية، والاستعدادُ للمنية، وأتباعُ السنة، وموافقةُ الصحابة، وتعظيمُ أهل الشَّيبة، والعطفُ على صغار البرية، والافتداء

(١) في (أ): «الدين».

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «والنصيحة».

بعلماء الأمة، والشفقة على العامة، واحترام الخاصة، وتعظيم أهل السنة، وأداء الأمانة، وإظهار الصيانة، والإطعام والإنعام، وبرُّ الأيتام، وصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وصدق الاستسلام، وتحقيق^(١) الاستعصام، والزهد في الدنيا، والرغبة في العقبى، والموافقة للمولى، ومخالفة الهوى، والحذر من لظى، وطلبُ جنة المأوى، وبثُّ الكرم، وحفظ الحرم، والإحسانُ إلى الخدم، وطلب التوفيق، وحفظ التحقيق، ومراعاة الجارِ والرفيق، وحسن المَلَكَةِ في الرقيق. وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، فمن استكمل الوفاء بشعب الإيمان نال بوعده الله كمال الأمان، وهو الذي^(٢) قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: هو في اللغة: نقيض الشهادة، وقد غاب فلانُ عنا غيبةً، وغابت الشمس - أي: غربت - غيبوبةً، وغابتُ الجبُّ: كالطاق في البئر، والغيبةُ: ذكرُ عيوب الإنسان^(٣) في الغيبة.

واختلف في تفسيره هاهنا:

فقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: أي: يؤمنون بالله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يصدقون الرسل.

وقال ابن جريج: أي: يؤمنون بالوحي من قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] معناه: وما هو^(٤) على الوحي.

(١) في (ر): «وتحقيق».

(٢) في (ر): «وقد»، بدل: «وهو الذي».

(٣) في (أ): «الناس».

(٤) «وما هو»: ليس في (ف).

وقال الحسن: أي يصدّقون بالآخرة^(١).

وقال بعضهم: أي: يؤمنون بالله ويطيعونه وإن غابوا عن المؤمنين - لا كالمنافقين - كما قال: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

وقال بعضهم: أي: يؤمنون بقلوبهم الغائبة مع ألسنتهم الظاهرة، لا كالمنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم الظاهرة دون قلوبهم الغائبة.

وبالجملة^(٢): أن الغيب كل ما لا يصل إليه العبد إلا بدليل، وهو ما غاب عن الحس مما يجب الإيمان به، وهو ما أخبر به النبي ﷺ من الكائنات بعده في الدنيا وما بعد الموت من أحوال القيامة والجنة والنار.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل فيه بوجهين:

يؤمنون بغيب الله ولا يطلبون منه^(٣) طلب الأمم السالفة من أنبيائهم عليهم السلام، كقول بني إسرائيل لموسى صلوات الله عليه: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

والثاني: يؤمنون بغيب القرآن، وبما يُخبرهم القرآن من الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والبعث والجنة والنار، والإيمان إنما يكون بالغيب؛ لأنه تصديق، والتصديق والتكذيب إنما يكونان عن الخبر، والخبر إنما^(٤) يكون عن غيب لا عن مشاهدة^(٥).

(١) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٧)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤ - ٢٥).

(٢) في (أ) و(ف): «والجملة».

(٣) في (أ): «منه مما»، وفي (ف): «ما».

(٤) «إنما»: ليست في (أ)، ولم ترد في مطبوع «التأويلات».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٧٣).

وقال أهل الحقيقة: معناه: أنهم بغيب القرآن عاينوا غيب الآخرة، ثم بغيب الغيب شاهدوا الحقّ مطّلعاً عليهم في جميع الأوقات، فغابوا باطلاً عنه عليهم عن مشاهدة كل شيء سواه، فهم قائمون معه مع المشاهدة.

ثم الغيب في القرآن جاء لمعان:

للسّر: قال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ أي: سرّ أهلها.

وللزوج: قال تعالى: ﴿حَفِظْتُ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤].

وللرزق: قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وللّوح: قال تعالى: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾.

وللّوحي: قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

ولما غاب عن العباد: قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾^(١) [الأنعام: ٧٣].

وللّكيل^(٢): قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِّلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

وللعذاب: قال تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]؛ أي: متى ينزل العذاب.

وللموت: قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ أي: متى أموت.

وللشك: قال تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: قولاً بالشك.

ولنزول العلامة: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا

الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠]؛ أي: علم نزولها.

(١) في (أ): ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

(٢) في (أ) و(ف): «ولليل».

وبمعنى الغيبة: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَفَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢].

والتلفيق^(١): أن الله تعالى أخبر أنه عالم الغيب، ولا يعلم غيره الغيب؛ فإنه قال: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وذكر أن عنده مفاتيح الغيب، وقال لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وذكر أن الجن علموا أنهم لا يعلمون الغيب بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَنَّتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وأخبر أنه هو الذي أخبر رسوله بالغيب بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ووبَّخ الكفار بقوله تعالى: ﴿أُطْلِعَ الْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ [الطور: ٤١].

وأمر بالثناء عليه به بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْغَيْبِ﴾ [الزمر: ٤٦].

ومدح المؤمنين بالإيمان بالغيب، وبالخوف بالغيب، وبالخشية بالغيب، وبالتصرة بالغيب، بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥].

(١) في (ر): «والتحقيق».

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ الَّذِي تُفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ﴾ [الجمعة: ٨].

ووعدهم الجنة بالغيب فقال: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١].
وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾: دلَّت بقية الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان؛ فإنه ذكر الإيمان وعطف عليه الأعمال، والمعطوف غير المعطوف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا يحتمل وجهين:

يَحْتَمِلُ الصَّلَاةَ المعروفة؛ أي: يقيمونها^(١) بإتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع له فيها، وإخلاص القلب والنية له^(٢)، على ما جاء في الخبر: «انظر مَنْ تُتَاجَى»^(٣).

وَيَحْتَمِلُ الْحَمْدَ لله والثناء عليه، فإن كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة^(٤).

(١) في (ر): «يحتمل الصلاة ويحتمل المعرفة أي يقيمون بها».

(٢) «له»: من (ف)، ولم ترد في «التأويلات»، وفيه: (في النية) بدل: «والنية».

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٨٠ / ١)، ومن طريقه النسائي في «الكبرى» (٣٣٥٠) و (٨٠٣٧)، من حديث البياضي: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد عَكَت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إن المصلي يناجي ربه عز وجل، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن». وإسناده صحيح. وله شاهد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥٣٤٩).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣٧٤ / ١).

ولأهل التفسير في هذا ^(١) ستة أقاويل:

قال بعضهم: إقامة الصلاة: أدائها؛ فإن قول المؤذن: قد قامت الصلاة، معناه: أخذوا في أدائها، وقيام الشيء: وجوده، وإقامته من العبد: تحصيله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إقامتها: إتمام ركوعها وسجودها وما يجب فيها، وهو في معنى التقويم؛ أي: التسوية، فلا يدخل نقصاً في شيء من أفعالها وأركانها، ولا خللاً في فرائضها وواجباتها وسننها وآدابها.

وقيل: إقامتها: إدامتها وإظهارها، قال الشاعر:

أقامت غزاة سوق الضراب لأهل العراقيين حولاً قميطاً ^(٢)

أي: أدامت امرأة شبيب الخارجي أمر الحرب وضرب السيوف حولاً تاماً، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا مَادُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]؛ أي: مؤظماً على التقاضي.

والرابع: قول ابن كيسان: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: يقيمون بالصلاة برهانهم على صدق دعواهم في الإيمان بالغيب.

والخامس: قول بعضهم: إقامتها: مراعاة حقوقها ^(٣) وشرائطها؛ أي: شرائط الجواز والقبول ^(٤)، وشرائط الجواز: ستة قبل الشروع وستة بعده، وهي معروفة، وشرائط القبول: ستة بالظاهر وستة ^(٥) بالباطن:

(١) في (ف): «فيه».

(٢) البيت لأيمن بن خريم كما في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٥٢١)، ودون نسبة في «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣١)، و«الكشاف» (١/ ٤٠).

(٣) في (أ): «حدودها».

(٤) في (ر): «وشرائط القبول».

(٥) في (أ): «ست» هنا وفي المواضع الثلاثة المتقدمة.

فالظاهر: الخشوع؛ لقوله تعالى: ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خِشْعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، والتقوى؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وترك أكل^(١) الحرام، وقول اللغو، والكسل والإبطاء.

وأما الباطن: فالإخلاص، والتفكير، والخوف، والرجاء، ورؤية التقصير، والمشاهدة.

والسادس: قول القشيري: إقامتها: القيام بأركانها وسُنَنِها، ثم الغيبة عن شهودها بروية من يصلي له^(٢)، يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له وأنا منه بريء»^(٣).

وعن أبي بكر السبلي رحمه الله أنه قال: لو نظر قلبي في الصلاة إلى العقبى توَضَّأت، ولو نظر^(٤) إلى الدنيا اغتسلت.

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خِشْعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] والخشوع: سكون الظاهر والباطن، فلا يصرف شيئاً من أعضائه إلى غير السنة، ولا شيئاً من باطنه إلى غير القربة.

وقال النبي ﷺ حين رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة: «أما لو خَشَعَ قلبُ هذا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»^(٥).

(١) «أكل»: ليست في (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٥٧/١).

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «نظرت».

(٥) رواه الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» (٢١٠/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٥/١)، قلت: فيه سليمان بن =

وقيل: إقامة الصلاة: بالتطهر أولاً ظاهراً وباطناً، وبالتجمل بلباس أهل^(١) الدنيا ولباس أهل التقوى، ومراعاة الوقت مع اتقاء المقت، وإخلاص النية مع إصلاح الطَّوَيَّة، واستقبال القبلة بالوجه والقلب، والافتتاح بالتكبير^(٢) عن توقير، والإتيان بالقيام على تمام، والقراءة عن تفكير وتدبر، والاستماع عن إنصات وإخبات^(٣)، والانحناء بركوع عن خشوع، والخروج لسجود عن شهود، والتكلم بتسبيح عن تصحيح، والختم بقعدة عن عُدَّة، وتشهد عن تعهد^(٤)، وصلوات ودعوات عن تحقيق وإثبات، وتسليم عن تميم، ثم الدعاء على إخلاص، والرجوع عن إفلاس. وقوله تعالى: ﴿الصَّلَاةُ﴾: فالصلاة في اللغة: اسمٌ للدعاء والثناء والقراءة والرحمة:

قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: ادعُ لهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قيل: هي الثناء.

= عمرو، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠٠): وسليمان بن عمرو هذا يشبه أن يكون هو أبو داود النخعي فإنني لم أجد أحداً في هذه الطبقة غيره وقد اتفقوا على ضعفه، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

قال العراقي: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب. قلت: روى هذه القصة وهذا القول عن سعيد بن المسيب ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٧٨٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١). ورواه المروزي أيضاً (١٥٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

(١) «أهل»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «بتكبير».

(٣) في (ف): «الإنصات والإخبات».

(٤) في (أ): «وتشهد وتعهد».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ أي: بقراءتك.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧]؛ أي: رحمة.

والصلاةُ المشروعة: المخصوصةُ بأفعالٍ وأذكارٍ، سُميت بها لِمَا في قيامها من القراءة، وفي عودها من الثناء والدعاء، ولفاعلها من الرحمة.

وقيل: سُميت الصلاةُ بها من قولهم: صَلَّيتُ العود بالنار؛ أي: لِيَتَّته، والمصلِّي بالصلاة يَلِينُ ويخشعُ لربِّ العالمين.

وقيل: هي من الصَّلَا^(١)، وهي مَعْرُزُ الذَّنْبِ من الفرس، والمصلِّي ينحني للركوع والسجود فيرفعُ الصَّلَوَيْنِ في هذين^(٢) الحالين.

وقيل: هي من قولهم: فرسٌ مُصَلِّي؛ أي: تالٍ للسابق في حَلْبَةِ الرَّهَانِ، سُمِّيَتْ بها لأنها في الذِّكْرِ ثَانِيَةُ الْإِيمَانِ؛ فَإِنِهَا ذُكِرَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الصَّلَاةُ ثَانِيَةُ الْإِيمَانِ»^(٣).

ثم الصلاةُ في هذه الآية: اسمٌ جنسٍ، وأريد بها الجمعُ^(٤)، واسمُ الجنس يَصْلَحُ لذلك، قال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]، وهذا^(٥) كقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ أي: الكتب.

(١) في (ر) و(ف): «الصلوة»، وسقطت الجملة من (أ)، والصواب المثبت. انظر: «زاد المسير»

(٢٥/١)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤٦/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٥٩/١).

(٢) في (ف): «من هاتين».

(٣) لم أجده.

(٤) في (أ): «اسم الجنس فأريد بها الجمع»، وسقطت من (ف).

(٥) في (ف): «وكذا هذا».

وهي خمسُ صلواتٍ مكتوبةٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وكانت خمسين على مَنْ كان^(١) قبلنا، وكذا فُرضت علينا ليلةَ المعراج، ثم حُطَّت إلى خمسٍ تخفيفاً وثبتَ جزاءُ الخمسين تضييفاً.

وُكُتِبَ (الصلوة) بالواو اتِّباعاً لمصحف الإمام، فقد كتبت فيه: ﴿الصَّلَاةُ﴾ و﴿الزَّكَاةُ﴾ و﴿الْحَيَاةُ﴾ بالواو، وإنما كتبوا ﴿الصَّلَاةُ﴾ بالواو إشعاراً لأنَّ^(٢) أصلها الواو؛ فقد قلنا: إنها من الصلا^(٣)، وهو واويٌّ، ولذلك يقال في تثنيتها: الصَّلَاوان. ثم إن الله تعالى سمَّاها صلاةً في آياتٍ، وسمَّاها تسبيحاً في قوله: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

وسمَّاها إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

وقرآناً في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وحسانٍ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقنوتاً في قوله تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وركوعاً في قوله تعالى: ﴿وَأَزْكُومَاَعَ الزَّكَاةِ﴾ [البقرة: ٤٣].

وسجوداً في قوله تعالى: ﴿مَائِنَةُ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

وأمانةً في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وذكراً في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ مَّحَدَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

(١) «كان»: من (أ).

(٢) في (أ): «أن».

(٣) في (أ) و(ف): «الصلوة».

واستغفاراً في قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ لَا أَشْحَارٍ﴾ [آل عمران: ١٧].

ثم المذكور في الآية: إقامة الصلاة، والله تعالى أمر في الصلاة بأشياء: بإقامتها بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وبالمحافظة عليها بقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وإدامتها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، وبأدائها في أوقاتها بقوله عزّ وعلا: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وبأدائها في جماعة بقوله تعالى: ﴿وَأَزْكَوًا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وبالخشوع فيها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

وبعد هذه الأوامر صار الناس على طبقات خمس:

طبقة: لم يقبلوها، ورأسهم أبو جهل لعائن الله عليه تترى، فقال الله^(١) تعالى في حقّه: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا وُفِيَ﴾ [القيامة: ٣١]، وذكر مصيرهم فقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصْلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الْإِينِ﴾ [المدثر: ٤٦].

وطبقة: قبلوها ولم يؤدوها، وهم أهل الكتاب، فذكرهم الله تعالى فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال الكلبي: هم أهل الكتاب، وقال تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩]، وذكر مصيرهم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وهو دركة في جهنم هي أهيب موضع فيها تستغيث النار منها كل يوم كذا وكذا مرة، ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾: أي: من اليهودية والنصرانية ﴿وَأَمَّنَ﴾: أي: آمن^(٢) بمحمد^(٣) وعمل صالحاً؛ أي: حافظ على الصلوات^(٣).

(١) في (أ): «لعنه الله قال تعالى» بدل: «لعائن الله عليه تترى فقال الله».

(٢) «آمن»: ليست في (أ).

(٣) بعدها في (ر): «الخمسة».

وطبقة: أدوا بعضَها ولم يؤدُّوا بعضَها متكاسلينَ وهم المنافقون، فذكرهم الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]، وذكر مصيرهم فقال: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وطبقة: يؤدُّونها لكن بعد خروج وقتها، فذكرهم الله تعالى في كتابه فقال^(١): ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وذكر أن مصيرهم: ويلٌ، وهو وادٍ في جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعتٌ؛ أي: لسالت، وقال^(٢) النبي ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةً حَتَّى غَابَ وَقْتُهَا ثُمَّ قَضَاهَا، عَذَّبَ فِي النَّارِ حُقْبًا، وَالْحُقْبُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، كُلُّ سَنَةٍ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»^(٣).

وطبقة: قبلوها، وهم يراعونها في موافقتها بشرائطها، ورئسُهم^(٤) المصطفى ﷺ، فذكره الله بقوله تعالى^(٥): ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ [الزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وأصحابه كذلك، فذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وذكر مصيرهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١]، وهو أرفعُ موضعٍ في الجنة وأبهاء، ينال المؤمنُ فيه مُنَاه، وينظرُ إلى مولاه.

(١) «فقال» ليست في (أ)، و«في كتابه» ليست في (ر).

(٢) في (ر) و(ف): «سالت قال».

(٣) لم أجده.

(٤) في (أ) و(ف): «ورأسهم».

(٥) في (أ): «فذكر الله تعالى».

وقوله تعالى: ﴿وَمَارَزَقَهُمْ﴾: فالرزق: هو الإعطاء وإن اختلفت وجوهه^(١):

فإن الرزق يكون تمليكاً: قال الله تعالى: ﴿وَمَارَزَقَهُمْ﴾؛ أي: ملكناهم.

ويكون غذاءً: قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]؛ أي: غذواها.

ويكون طعاماً: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

ويكون مالاً: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٦]؛ أي: المال.

ويكون مطراً: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الجاثية: ٥].

ويكون هبةً: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]: هو هبة الشيء^(٢) لغير الورثة تبرعاً وتصدقاً.

ويكون أجزاءً وظيفية كرزق القضاة والجنود.

وكل ذلك راجعٌ إلى الإعطاء.

ثم الرزق يكون هو التغذية عندنا، وهو عند المعتزلة: التملك، فالحرام عندهم ليس برزق؛ لأنه ليس بملك، وهذا في غاية الفحش منهم، وهو نهاية الضلال؛ فإنه ردُّ كتاب الله تعالى، قال عزَّ وعلا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والحيوانات عندهم ليست تأكل من^(٣) رزق الله تعالى؛ لأنها لا تملك^(٤)، وآكل

(١) في (ر): «أنواعه».

(٢) في (ف) و(أ): «شيء».

(٣) «من»: ليست في (أ) و(ف).

(٤) في (أ): «تأكل».

الحرام عندهم وكاسبه في جميع عمره لم يأكل من رزق الله شيئاً^(١)، ولم يرزقه الله عزَّ وجلَّ شيئاً.

ثم إنما ذكر الله تعالى هذا الفعل بصيغة الجمع من نفسه، وهو واحد لا شريك له؛ لأنه خطابُ الملوك، والله تعالى مالكُ المُلْكِ ومَلِكُ الملوك، فله استحقاقه ومنه إطلاقه.

والمعهود من كلام الملوك أربعة أوجه:

الإخبارُ على لفظة الواحد^(٢): إِنِّي فعلتُ كذا، وعلى لفظة الجمع: فعلنا كذا، وعلى ما لم يُسمَّ فاعله: رُسِمَ لكم كذا، وإضافةُ الفعل إلى اسمه على وجه المغاية: أَمَرَكُم سلطائنكم بكذا.

والقرآن نزل بلغة العرب، فجمع الله تعالى فيه هذه^(٣) الوجوه كلها فيما أخبر به عن نفسه:

فقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآية [المدثر: ١١]، وهذا على صيغة الواحد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا] [الفتح: ١]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا﴾ [الإنسان: ٢]، وهذا على صيغة الجمع.

وقال تعالى فيما لم يُسمَّ فاعله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ

(١) «شيئاً» ليست في (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الوحد».

(٣) «هذه»: ليست في (أ).

عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ ﴿[البقرة: ١٧٨]﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وقال تعالى في المغايبه: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢١] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿يُفْقُونَ﴾: فالإنفاق: هو صرفُ المال إلى الحاجة، والإنفاقُ في قوله: ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]: هو الافتقارُ، والنُّفُوقُ: هلاك الدابة، والنَّفَاقُ: رَوَاجُ الشُّوقِ، والانْتِفَاقُ: خروجُ اليربوع من النافقاء^(١)، والنَّفَاقُ: مخالفةُ السرِّ العلانية^(٢)، ومرجعُ ذلك كله إلى الإمضاء والإفناء. وتفسيرُهُ فيه ستة أقاويل:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: من الأموال التي أعطيناهم يؤتون الزكاة^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، والوعيدُ لا يكون إلا بترك الفرض، وقد قرن الله تعالى الصلاة بالزكاة^(٤) في آيات من كتابه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الحج: ٤١]، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥].

(١) النافقاء: موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء صَرَبَ النافقاء برأسه فانتفق منها، وبعضهم يسميه النُّفَقَة. انظر: «تهذيب اللغة» (١٥٦/٩).

(٢) في (ف): «والعلانية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤٩/١).

(٤) في (ر): «والزكاة».

والنَّظْمُ^(١) بينهما: أن الصلاة حقُّ الله تعالى، وصرفُ الزكاة إلى الفقير حقُّ عبادِ الله، والواجبُ مراعاتُهما بأمر الله، ومرجعُ جميع العبادات إلى هذين، فالصلاة عبادةٌ بدنيَّة، والزكاة عبادةٌ ماليَّة، وجميعُ العبادات تنقسم إليهما.

والثاني: قولُ ابن مسعود رضي الله عنه: هو الإنفاقُ على الأهل^(٢)، قال الله تعالى: ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ الآية [الطلاق: ٧].

والثالث: قول الضحَّاك: هو التصدُّق من أنواع^(٣) الأموال في الوجوه المختلفة، ويتناول ذلك الصرفَ إلى كلِّ خير^(٤)، قال الله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والرابع: قولُ بعضهم: إنه قراءةُ القرآن، ونظْمُه - أي: ضمُّه^(٥) - إلى الصلاة: أنهم يقرؤون القرآن في الصلاة، قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]؛ أي: مما أعطيناهم من القرآن يتلون، فليس هذه حالة إنفاق المال؛ فإنها^(٦) حال صلاة الليل.

والخامس: إنه إنفاقُ الرُّوح، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ أي: بأرواحكم ﴿وَلَا تُنْفِقُوا بَأْيَدِيكُمُ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ أي: إلى حرمان الحياة الباقية الحاصلة بالشهادة بقوله: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

(١) في (ر): «والنظام»، وفي (ف): «والجامع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٠).

(٣) «أنواع»: ليست (أ).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٩).

(٥) «أي: ضممه»: سقط من (أ).

(٦) في (ر) و(ف): «فإنه».

والسادس: أي: لا يدَّخرون عن الله شيئاً مما هو لهم، فينفقون نفوسهم في آداب العبودية، وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية، فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال، وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال.

والأجمعُ أن يقال: إنَّ إنفاق الأغنياء من أموالهم لا يدَّخرونها عن أهل الحاجة، وإنفاق العابدين من نفوسهم لا يدَّخرونها عن وظائف الخدمة، وإنفاق العارفين من قلوبهم لا يدَّخرونها عن حقائق المراقبة، وإنفاق المحبِّين من أرواحهم لا يدَّخرونها عن مجاري الأقضية.

والأقصرُ أن يقال: إنَّ إنفاق الأغنياء من النِّعم، وإنفاق الفقراء من الهِمَم، فإنفاق الأغنياء: إخراجُ المال من الجيب، وإنفاق الفقراء: إخراجُ الأغيار عن القلب.

والأظهر أن يقال: المراد من النفقة: هي ^(١) الزكاة، وزكاة كلِّ شيء من جنسه.

(زكاة مال مواساة بادر ويشان است، وزكاة عز تواضع وإحسان است، وزكاة شرف نصرة ضعيفا نست، وزكاة فر زندان يواختن يتيما نست، وزكاة خانه اردن مهما نست، وزكاة علم تعليم ديکرا نست، وزکوة صحت برهیر ارهاها نست، وزکاة قوة جهاد باکافرا نست، وزکاة أوان خوشن، وزکاة أوان خوس خواندن قران است، وزکوتن باکردن عصيان است، وزکوة رقان ناکفتن بهتان است، وزکوة چشم ناکر بتین بینکار مکان است، وزکوة عبودیت مکاه داستن قرمان است، وزکوة ایمان خدمة أركان است، وزکاة أسلم مخالفة شیطان است، وزکوة زهد دون نودن أرسطان است، وزکوة ذل تعظیم ایمان است، وزکوة سر مراقبت أمر یردان است،

(١) «هي»: ليست في (أ).

وزكوة زندكاي فداکردن جان است، وزكوة محبت یادکردن رحمن است، وزكوة مروت نواختن عربیات است^(١).

ثم ذكر في هذه الآية الإيمان وهو بالقلب، ثم الصلاة وهي بالبدن، ثم الإنفاق وهو بالمال، وهو مجموع كل العبادات، ففي الإيمان النجاة، وفي الصلاة المناجاة، وفي الإنفاق الدرجات، وفي الإيمان العزة، وفي الصلاة القربة، وفي الإنفاق الزيادة.

وقيل: ذكر في هذه الآية أربعة أشياء: التقوى، والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وهي صفة الخلفاء الراشدين الأربعة، ففي الآية بيان فضلهم:

التقوى لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥ - ٦].

والإيمان بالغيب لعمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وإقامة الصلاة لعثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿أَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْزَمُوا الْقَوْلَ أَجْزَاءً﴾ [الزمر: ٩].

(١) في (ف): «تعريبه: وزكاة المال لمواساة الفقراء، وزكاة العز: التواضع والإحسان، وزكاة الشرف: نصرة الضعفاء، وزكاة الأولاد: الشفقة على الأيتام، وزكاة الدور: الضيافة، وزكاة العلم: التعليم، وزكاة صحة البدن: الاحتراز عن الذنوب والشهوات المحرمات، وزكاة القوة: الجهاد مع الكفار، وزكاة الصوت الحسن: قراءة القرآن، وزكاة البدن: ترك العصيان، وزكاة اللسان: ترك الغيبة والبهتان وزكاة [...] : عدم الالتفات إلى زهرة الدنيا وأهلها، وزكاة العبودية: امتثاله [...] [...] : وزكاة المحبة: دوام ذكر الرحمن، وزكاة المروءة: الإحسان إلى الغرباء، وزكاة الجوارح: إتباع الجوارح في الطاعة، وزكاة الإسلام: مخالفة الشيطان، وزكاة الزهد: البعد من باب السلطان، وزكاة القلب: تعظيم الإيمان، وزكاة السر: مراقبة أمر الإله الصمد، وزكاة الحياة: أن يفدي روحه في سبيل الله بالجهاد».

والإنفاق لعلِّي المرتضى^(١) رضي الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْتِهَارِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤].

(٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي: أوحى إليك.

والإنزال في اللغة لمعان:

للإرسال من علو إلى سفلى: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

وللإمطار: قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ [الحج: ٥].

وللإعطاء: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ نَمِينَةً أَزْوَاجَ﴾ [الزمر: ٦].

وللخلق: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وللوضع والشرع: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهو في حق الميزان وضع وشرع للتقدير به، كما قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

ويكون بمعنى الإعلاء^(٢): قال تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

ومنازل الجنة ليست للنزول فيها من علو إلى سفلى، بل من سفلى إلى علو، قال

(١) «المرتضى»: من (ف).

(٢) في (أ): «الإعلاء كما» وفي (ر): «الأعلى».

تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥]، وفي الحديث: «يقال لصاحب القرآن؛ أي: لقارئه^(١): «اقرأ وارْقَ»^(٢).

ويكون في معنى التَّبَوُّة: قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩].

ويكون بمعنى التضييف: قال تعالى: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٣) [يوسف: ٥٩]؛ أي: المضيِّفين.

ويكون في معنى مراعاة الشيء على^(٤) محلّه ومنزله: قال النبي ﷺ: «أنزلوا النَّاسَ على منازلهم»^(٥)؛ أي: احترم موهم على أقدارهم.

ويكون بمعنى الوحي: كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، فإن^(٦) حُمِلَ على الإنزال الذي هو من العلوِّ إلى السفلى فمعناه: إنزال جبريل لتبليغه؛ كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. والتنزيلُ للتكرير والتكثير من الإنزال.

ثم معنى: (ما أنزل إليك) هو^(٧): القرآن الذي يُتلى، والوحي الذي لا يُتلى،

(١) في (أ): «أي لقارئ القرآن» و(ف): «أي قارئه».

(٢) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾» وهي الآية (٢٩) من سورة المؤمنون.

(٤) في (أ): «عن».

(٥) لم أجده، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٥٨) عن معمر عن قتادة: أن عمر بن الخطاب حين طعن قال: (أوصي الخليفة من بعدي خيراً، وأوصيه بالمهاجرين خيراً، أن يعرف حقوقهم، وأن ينزلهم على منازلهم...).

(٦) في (ف): «وإن».

(٧) في (ر): «أي».

فالممتلؤ: هو هذه السُّورُ والآيات، وغير الممتلؤ: ما بين النبي ﷺ من أعداد الركعات ونُصِبَ الزَّكَّوات وحدود الجنایات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ»^(١).

ثم هذا الإنزال هو من الله تعالى، وإنما ذكر هاهنا على ما لم يسمَّ فاعله لِمَا مرَّ أن خطاب الملوك يقع على أربعة أوجه، وقد ذُكرت هذه الوجوه كلها في هذه الكلمة:

قال في صيغة الواحد: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا آنَزَلْتُ﴾ [البقرة: ٤١].

وقال في صيغة الجمع: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال في ذكر الاسم: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا آنَزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال في ما لم يسمَّ فاعله: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

ثم: هاهنا قال: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، فأضاف إلى جميع^(٢) الأمة؛ لأن المنزل على الرسول تلزم أحكامه جميعهم، فكان خطابه خطابهم، وهو أيضاً تشريف لهم وجمع في الكرامة بينه وبينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: ويؤمنون بما أنزل من الكتب قبلك على سائر الأنبياء.

ثم الإيمان بكل الكتب مع تنافي أحكامها من وجهين:

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدم بن معدي كرب. وقوله: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ»:

ليس في (أ)، وقوله: «ومثله» ليس في (ف).

(٢) في (ر): «جمع».

أحدهما: التصديق أن كلَّها من عند الله.

والثاني: الإيمانُ بما لم يُنسخ من أحكامها.

ثم انتظامُ هذه الآية بما قبلها: ما ذُكر: أنه لما نزل مدحُ المؤمنين بالتقوى والإيمان بالغيب والصلاة والإنفاق في الآية الأولى، قال أهل الكتب: هذا لنا وهي^(١) أو صافنا، فنزل قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فجعل المدح للمؤمنين الذين^(٢) يؤمنون بما أنزل على محمدٍ كما يؤمنون بما أنزل على الأنبياء الذين قبله، فثبت خروجهم عن ذلك بكفرهم بما أنزل على محمد.

وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ نعتاً للمذكورين قبله، والواو لا تكون للعطف الذي هو للمغايرة، بل يكون ذُكر^(٣) نعوتٍ مترادفةٍ لمنعوتٍ واحدٍ بالواو، كما قال تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

ويجوز أن يقال: فلان عالم^(٤) زاهدٌ صادقٌ، ويجوز: عالمٌ وزاهدٌ صادقٌ؛ لأنَّ الاسم المشتق من الفعل المطلق على المسمّى هو دلالةٌ على الذات وعلى الصِّفة القائمة به، فباعتبارٍ أنه دلالةٌ على الذات هو هو، وباعتبارٍ أنه دلالةٌ على صفة قائمة به هو غيره، فجاز ذكر الصفات بغير واوٍ لاّ اتحاد الذات، ومع الواوٍ لتغاير الصفات، وهذا في حق المخلوقات^(٥).

(١) في (ر): «هذا لنا وهذا في».

(٢) في (أ) و(ف): «المدح للذين».

(٣) «ذكر»: زيادة من (أ) و(ف).

(٤) في (ر): «عابد».

(٥) «وهذا في حق المخلوقات»: سقط من (أ).

ويجوز أن يكونَ هذا ابتداءً، ويكونَ جوابُهُ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الآية.
فإن قالوا: لماذا كرّر ذكر الإيمان في هذه الآية بعد ما ذكره في الآية الأولى،
والقرآن على الإيجاز؟

فجوابُهُ من وجوه:

أحدها: أن التكرير للتأكيد والتقرير متعارفٌ عند العرب، قال قائلُهُم:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ^(١)

وفي القرآن: ﴿وَيَلْبِسْ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات مراتٍ، وفي سورة
الرحمن: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ الْآلَاءُ رِيكْمًا يُكَذِّبَانِ﴾ مراتٍ، والقرآن نزل بلغة العرب.

والثاني: أن الثاني ردٌّ لقول أهل الكتاب، فكانت إعادةٌ جُدِّدتْ إفادةً^(٢).

والثالث: أن هذا غيرُ الأول؛ فإنَّ الأول إيمانٌ بالغيب وهو القيامةُ وما فيها،
وهذا إيمانٌ بالقرآن وسائر الكتب، ولئن حُمِّل الغيب المذكورُ في الآية الأولى على
القرآن فهذا على الإيمان بالوحي الذي لا يُتلى وسائر الكتب، فلم يكن تكراراً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: فالآخرة: تأنيثُ الآخر، وهو الذي يقابله^(٤)

(١) الرجز دون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٥٠)، و«الصناعتين» للعسكري
(ص: ١٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٨٠)، و«أمالى المرتضى» (١/ ١٢١)، و«البسيط» للواحدى
(٢١/ ١٥١). وزاد العسكري فيه تفعيلة وهي: (كانت وكم).

(٢) كلمة «جددت» هكذا ضبطت في (أ): بضم الجيم، وعليه فيكون «إفادة» مفعولاً له، ويجوز فتح
الجيم، فيكون «إفادة» مفعولاً به، والنتيجة واحدة لمن تأمل.

(٣) في (ف): «مكرراً».

(٤) في (ف): «يقابل».

الأول، وهو في المعدودات: اسمٌ للفردِ اللاحقِ، والآخر بفتح الخاء هو^(١) الذي يلي الأول.

والآخرة: هي نعتٌ لأنثى مضمرة، واختلف في ذلك أهل التفسير: قال بعضهم: هي الدارُ الآخرة، وقد نصَّ عليها في آيات: ﴿وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وهي تقابل هذه الدار وهي الدنيا، وقد جُمع بينهما في آيات، فقال تعالى: ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وفي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [البقرة: ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿وَجِهَاهُمَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وقيل: هي الحياة الآخرة، فقد جُمع بينها وبين الحياة^(٢) الدنيا في آيات، فقال: ﴿اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦]، وقال: ﴿يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٣]. وقيل: هي النشأة الآخرة، وقد^(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ [الواقعة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ [النجم: ٤٧]. ثم هذه الكلمة ذكرت في القرآن لأشياء:

(١) «هو» ليست في (ف).

(٢) في (أ): «حياة».

(٣) في (ر): «فقد».

(٤) «وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾» ليس في (ف)، و«وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾»، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾» ليس في (أ).

لملة عيسى عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ [ص: ٧].
وللكلمة الآخرة: قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥]؛ أي:
بكلمته الأولى، وهي: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وبكلمته
الآخرة: ﴿أَنَارَبُكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وكان بينهما أربعون سنة.

ولحالة تأخير الوحي عن^(١) النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾
[الضحى: ٤].

وللقبر: قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وللبعث بعد الموت: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].
وللقيامه: قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَهَابًا مَسْتُورًا﴾
[الإسراء: ٤٥]^(٢).

وللنار: قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩].
وللجنة: قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى:
﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فاليقين: نقيض الشك.
وقيل: هو زوال الشك.
وقيل: هو من قول العرب: يَقِنَ الماءُ في الحوض؛ أي: استقرَّ، فكان اليقينُ
طمأنينة القلب وسكونه على حقيقة الشيء.

(١) في (ف) و(أ): «إلى».

(٢) في (أ) و(ف): «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بدل من «وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَهَابًا مَسْتُورًا».

وقيل: هو وقوع العلم من جهة الاستدلال والأسباب التي يُستفاد بها العلم، ولذلك لا يوصف الله تعالى بالإيقان بالشيء؛ لأنه عالمٌ بعلمه الأزلي لا بعلمٍ مكتسب.

وقيل: هو التصديق بالشيء بعد العلم به.

والفعل منه: أَيْقَنَ بالشيء وتَيَقَّنَ به واستَيَقَّنَ^(١) به، كما يقال: أقدم^(٢) وتقدَّم واستقدَّم.

فأما تفسيره فقد قيل: ﴿يُوقِنُونَ﴾؛ أي: يعلمون بغير شكٍّ، وليسوا كالذين قالوا: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَيَقِّينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقيل: أي: يصدِّقون.

وقيل: أي: يعملون بما يعلمون منه، فلا^(٣) يَرْكَنُونَ إلى الدنيا، ولا يَغْفُلُونَ عن الآخرة، ولا يعملون بما يعاتبون أو يعاقبون عليه في الآخرة.

واليقينُ المذكور في القرآن جاء لمعانٍ:

للتَّصديق: كما في هذه الآية.

وللتَّحقيق: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

ولكونه متيقناً به في نفسه وإنَّ شكَّ فيه البعض: كما قال في حقِّ القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وللموت: كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

(١) في (ر): «فاستيقن».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وقدم».

(٣) في (ف): «ولا».

وللقيامه: كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

وللعلم والعمل به: كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٠].

ثم في اليقين ثلاثة أشياء: علمُ اليقين، وعينُ اليقين، وحقُّ اليقين، وفي تفسيرها أقاويل:

قيل: علمُ كلِّ عاقلٍ بالموت علمُ اليقين، فإذا عاينَ الملائكة فهو عينُ اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حقُّ اليقين.

وقيل: علمُ اليقين: الإخبار عن الشيء على ما^(١) هو به، وعينُ اليقين: معرفته على ما هو به، وحقُّ اليقين: هو ذلك الشيء بعينه^(٢).

وقيل: علمُ اليقين: ما حصل بالخبر والاستدلال، وعينُ اليقين: ما وقع بالتعريف والإفهام^(٣)، وحقُّ اليقين: مجموعهما.

وقيل: علمُ اليقين: ظاهرُ الشريعة، وعينُ اليقين: الإخلاص فيها، وحقُّ اليقين: المشاهدة فيها.

ثم ثمرةُ اليقين بالآخرة: الاستعدادُ لها، فقد قيل: عشرةٌ من المغرورين: مَنْ أيقنَ أنَّ اللهَ خالقُه فلا يعبدُه، وَمَنْ أيقنَ أنَّ اللهَ رازقُه فلا يطمئنُّ به، وَمَنْ أيقنَ أنَّ الدنيا زائلةٌ فيعتمدُ^(٤) عليها، وَمَنْ أيقنَ أنَّ الورثةَ أعداؤه فيجمعَ لهم، وَمَنْ أيقنَ أنَّ الموت

(١) في (ر): «عن الشيء كما».

(٢) «بعينه»: سقط من (أ) و(ف).

(٣) في (ف) و(أ): «والإفهام».

(٤) في (ف): «ويعتمد».

آتٍ فلا يستعدُّ له، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ القبرَ منزله فلا يعمره، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ الدِّيَانَ يُحاسبه^(١) فلا يصحِّح حجَّته، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ الصُّرَاطَ ممرُّه فلا يخفِّف ثقله، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ النارَ دارُ الفجَّارِ فلا يهرب منها، وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ الجنةَ دارُ الأبرارِ فلا يعمل لها.

وقيل: غايةُ اليقين أربعةٌ: تركُك^(٢) الدنيا قبل ارتحالك عنها، وطلبُك الآخرة^(٣) قبل قدومك عليها^(٤)، واستعدادُك للموت قبل نزوله بك، وإرضاءُك للربِّ^(٥) قبل لقاءك إياه.

ثم ذكر في هذه الآية من المؤمنين الإيقانَ بالآخرة فقال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، وذكر منهم الظنَّ في آيةٍ فقال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، وهو لطفٌ من الله تعالى بإثبات صفاتٍ لهم تختلف ظواهرها وتتفق معانيها.

ووصفهم بالجهل في قوله تعالى: ﴿عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النحل: ١١٩]، وبالعلم في قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وبالفقر في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، وبالغنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨]، وبالضعف في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وبالقوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾. وبالدَّلة في قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وبالعزَّة في قوله تعالى: ﴿أَعَزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وبالنسيان في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الانفطار: ٦]، وبالذكر في

(١) في (أ): «محاسبه».

(٢) في (ر) و(ف): «ترك».

(٣) في (ف): «للاخرة».

(٤) في (أ): «إليها».

(٥) في (أ): «الرب».

قوله تعالى: ﴿وَالذِّكْرَيْنَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وبالعبودية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وبالملك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

وبأنه أوجدتهم أولاً على ملكه فقال الله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم أخبر بأنه اشترى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، ثم جعلهم في العمل له كالأجراء فقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٦٢] ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٣٠] ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

ثم سماهم أوليائه فقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٢]، وسمى نفسه وليهم فقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وذكر محبته إياهم ومحبته إياه فقال تعالى: ﴿مُحِبُّهُمْ وَمُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

ووجه ذلك كله: أن الظن في ابتداء الحال، واليقين بعد صحة الخبر والاستدلال، والجهل بعاقبة المعصية، والعلم بحقيقة الشهادة، والفقر بأصل الخلقة، والغنى بنيل الخلقة، والضعف بالبنية، والقوة بالهمة، والذلة بملاينة الأولياء، والعزة بمخاشنة الأعداء، والنسيان بالجبلّة، والذكر بالمعونة، والعبودية بالأصل، والتمليك^(١) بالفضل، والاشتراء بالحث على بذل النفس والمال لوجود ذكر^(٢) الجلال، والأجر لتهنئة^(٣) الثواب، والولاية والمحبة لمعاملته معناه^(٤) معاملة الأولياء والأحباب، والله أعلم بالصواب.

(١) في (ف): «والتملك».

(٢) في (أ): «دار».

(٣) في (ر): «لتهنئة».

(٤) في (ر): «لمعاينته معنى».

(٥) - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾: أي: المذكورون قبله، وهم المتقون الموصوفون بالإيمان بالغيب وسائر الأوصاف المذكورة بعده، على قول من جعل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ صفةً للأولين أو عطفاً عليهم، ويتم الكلام بقوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقُونَ﴾، ويكون ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿عَلَى هُدًى﴾ خبر المبتدأ.

فأما من جعل الواو للابتداء، فقولُه: ﴿أُولَئِكَ﴾ يكون^(١) خبر ذلك المبتدأ، ويرجع على الخصوص إلى المذكورين في قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية^(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى هُدًى﴾: أي: على رُشدٍ، وقيل: أي: بيانٍ وحجةٍ، وقيل: أي: صوابٍ وحقٍّ وصحةٍ، وهذا إثباتٌ فعل العبد.

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: هذا إثباتٌ توفيق الله تعالى، والأول ردُّ على الجبرية، والثاني ردُّ على المعتزلة، وهما جميعاً دليل أهل السنة والجماعة، وهو كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والهدى: اسم الإسلام، والله تعالى سَمَّى الإسلامَ بأسماءٍ وأضاف كلَّ واحدٍ من ذلك إلى نفسه: هُدَى الله، صراط الله، فِطْرَةَ الله، صِبْغَةَ الله، دِينُ الله، نُورُ الله، حَبْلُ الله، كلمة الله، وآياتها: ﴿قُلْ إِنَّا أَلْهَدَيْنَا هُدًى لِّلَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي﴾ [الشورى: ٥٣] ﴿فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي﴾ [الروم: ٣٠] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

(١) «يكون»: من (أ).

(٢) «الآية»: ليست في (أ).

﴿تُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢] ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وسمَّاهُ بِأَسْمَاءٍ مَفْرَدَةٍ:

كلمة التقوى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦].

والكَلِمَ الطَّيِّبَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وكلمة طيبة^(١): ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤].

والقول الطَّيِّبَ: ﴿وَهُودُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

وقول الصواب: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

والقول المرضي: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقول الحق: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ودعوة الحق: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

وشهادة الحق: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦].

والعهد: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

والحسنة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِي﴾ [القصص: ٨٤].

والإحسان: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

والإيمان: ﴿أَنْ هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

والإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والسَّلَامَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾^(٢) [النساء: ٩٤].

(١) «وكلمة طيبة»: من (أ).

(٢) في (أ): «والسلام» ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ وهي قراءة سبعية وستأتي.

وَالسَّلَامُ: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

والسبيل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣].

وسبيل الرشد: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

وسبيل الرشد: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

والرشد: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢].

والنعمة: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٨].

والفضل: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ﴾ [يونس: ٥٨].

والعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

أي: بالتوحيد^(١). ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾^(٢).

والحق: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩].

والصدق: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

هو المؤمن الذي يقول الصدق^(٣)، وهذا فرد بمعنى الجمع فقد قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبر: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنَءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبيّنة: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤ / ٣٣٥) بلفظ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) «وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾ زيادة من (ف) في هامشها وعليها علامة التصحيح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ / ٢٠٤) بلفظ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ يقول: من جاء بـ: لا إله إلا الله ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾ يعني: رسوله.

وَالَّذِينَ^(١): ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وَدِينَ الْحَقِّ: ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

وَدِينًا قِيَمًا: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

وَدِينِ الْقِيَمَةِ^(٢): ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَالطَّرِيقَةَ: ﴿وَأَلَّوْا سَبْعَ مِائَةِ طَرِيقَةٍ﴾ [الجن: ١٦].

وَالشَّرِيعَةَ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣].

فهذه أربعون اسماً، وللمؤمن منها أسماء، ومن الله علينا بذلك فقال: ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ

أَن هَدَيْنَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]،

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] ثم قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال للكافر^(٣): ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْتَ لِمَوْلَىٰ وَلَيْتَ الْعَشِيرُ﴾

[الحج: ١٣].

ثم قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ مدح لهم، وقوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ بيان

أنه من عنده حصل لهم، وهذا فضل منه عليهم حيث مدحهم وهو الذي منحهم،

وهو كما قال في حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾

[يوسف: ٢٤]، وهو بيان المنّة بصرفه وعصمته، ثم قال: ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

[يوسف: ٢٤] وهو ثناء عليه بإخلاصه وصفوته.

(١) سقطت من هنا ورقة كاملة من النسخة (ر)، وسننبه على نهاية السقط في موضعه.

(٢) في (أ): «ودين القيمة ودين قيم وديناً قيمياً» بدل: «وديناً قيمياً» ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ودين القيامة.

(٣) في (ف): «للكافرين».

وقال تعالى في حقنا: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنْ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات]:

[٧]، ثم أثنى علينا فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرُّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال حبيب العجمي^(١): إلهي أنت تمنح وأنت تمدح.

ثم مجموع الآية أنه قال: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهو مدحٌ بترك كل المخالفات، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وهو ثناء برأس الطاعات، ثم قال: ﴿وَيُؤِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وهو مدحٌ بجامعة العبادات، ثم قال: ﴿وَمَارَزَقَهُمْ يُفْقُونَ﴾ وهو مدحٌ بما هو أساس السخاوات، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهو التصديق بكلِّ الرسالات، ثم قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهو الإقرار والاعتقاد بالبعث والجزاء على كلِّ المعاملات، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو شهادة لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كلِّ الحالات، وحقٌّ لمن جمع هذه الصفات أن يؤهل لهذه الصلوات.

ثم في هذه الآية ذكر الهدى للموصوفين بكلِّ هذه الصفات، وفي قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية إلى^(٢): ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧] ذكر لهم الهداية بالإقرار والاعتقاد بدون سائر الطاعات، بياناً لشرف الإيمان وجلال قدره وعلو أمره، وأنه^(٣) إذا قوي لم يُبطله نفسُ المخالفات، بل هو الذي يغلب فيردُّ إلى التوبة بعد التماس في البطالات، وكما هدى اليوم إلى الإيمان يهدي غداً إلى الجنان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَعَمَلٌ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾

(١) هو حبيب بن محمد، أبو محمد العجمي البصري، أحد الزهاد المشهورين الموصوفين بالزهد والورع والكرامات واستجابة الدعاء، رَوَى عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَشَهْرَ بْنِ حَوْشَبٍ، وَالْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ. من رجال «التهذيب».

(٢) في (ف): «إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾» بدل: «الآية إلى».

(٣) في (ف): «فإنه».

[يونس: ٩]، وذلك أن المطيعين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وهم على مراكز طاعاتهم والملائكة تتلقاهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَنْزِلُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ويبقى العصاة منفردين^(١) منقطعين في متاهات القيامة ليس لهم نور الطاعة ولا في حقهم استقبال الملائكة، فلا يهتدون السبيل، ولا يهديهم دليل، فيقول الله لهم: عبادي ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] إن أهل الجنة من حسن الثواب لا يتفرغون لكم، وأهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم، معاشر المساكين سلامٌ عليكم كيف أنتم، إن كان أشكالكم سبقوكم ولم يهدوكم فأنا أهديكم^(٢)، إن عاملتكم بما تَسْتَوْجِبُونَ فأين الكرم؟ وأنشدوا^(٣):

نحن إذا في الجفاء مثلهم إذا هجرناهم كما هجروا

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ فهو ابتداءٌ آخر، وكلمة ﴿هُمُ﴾ تأكيدٌ، ويسمى فصلاً وعماداً^(٤)، و﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر ﴿وَأُولَئِكَ﴾.

وقيل: ﴿هُمُ﴾ مبتدأ آخر، و﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، وهما جميعاً خبر ﴿وَأُولَئِكَ﴾.

والفلاح في اللغة لمعان:

للبقاء: قال لبيد:

(١) في (ف): «مفردين».

(٢) في (ف): «هاديكم».

(٣) في (ف): «وأنشد في معناه».

(٤) في (ف): «ويسمى عماداً».

- نَحُلُّ بِلَادًا كُلُّهَا حُلَّ قَبْلَنَا ونرجو الفلاح^(١) بعد عادٍ وحمير^(٢)
وللبقاء في الخير: قال عديُّ:
ثم بعدَ الفلاحِ والملكِ والنَّعْ مةٍ وارثهم هناك القبورُ^(٣)
وللعيش: قال عبيدُ بن الأبرص:
أفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضُّ ضَعْفٍ وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَرِيبُ^(٤)
وللظفر وإصابة^(٥) الخير، قال لبيد:
فَاعْقِلِي إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَعْقِلِي ولقد أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلُ^(٦)
وللفوز والنجاة، قال الشاعر:
قَدْ أَفْلَحَ السَّاكْتُ الصَّمُوتُ كلامُ راعي الكلامِ قُوتُ^(٧)

(١) في (ف): «فلاحاً»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٤٧)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٦٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٢٠)، و«عيون الأخبار» (٣/ ١٣٢)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦). وجاء في هذه المصادر عدا «عيون الأخبار»: (والإمة) مكان: «والنعمة»، والمعنى واحد. وعدي هو عدي بن زيد العبادي.

(٤) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٢)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٥) في (ف): «ولإصابة».

(٦) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٩١)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٧).

(٧) البيت لمحمد بن أبي العتاهية الملقب بعتاهية، كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٤٣٢)، =

فأما تفسيره هاهنا فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: الناجون من النار^(١).

وقال قتادة: أي: الباقون في الجنة.

وقال ابنُ كيسان: أي: الذين ظفروا بما طلبوا، ونجوا مما منه هربوا^(٢).

وقال أبو عبيدة: أي: المصيبون الخير^(٣).

وقال القُتَيْبِيُّ: أي: الباقون في النعيم المقيم^(٤).

وقيل: الفائزون بقهر الأعداء، وهي هواجس^(٥) النفوس، وخواطر القلوب،

ووساوس الشيطان.

وحاصله كله^(٦) يرجع إلى ثلاثة أشياء:

أحدها: الظفر، وبسطه: أنهم ظفروا على النفوس فقهروها فلم تجرهم
إلى متابعة هواها، وعلى الدنيا فهجروها فلم تغرهم بزخارف مرآها، وعلى

= و«تاريخ بغداد» (٢/ ٣٥)، أو لأبيه كما في «الموشى» للوشاء (ص: ٧)، وذكره أسامة بن منقذ في

«لباب الآداب» (ص: ٢٧٦) فقال: وقال أبو العنابية، وتروى لابنه محمد. وعجز البيت وهو قوله:

«كلام راعي الكلام قوت» من (ف) وليس في (أ).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٩)، بلفظ: (الذين أذكروا

ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا).

(٢) تقدم تخريجه من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٩).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩).

(٥) في (ف): «وهو حبس» بدل: «وهي هواجس».

(٦) في (أ): «وحاصل كلمه».

الشیطان فخالَفوه فلم^(١) يفتنهم بالوساوس، وعلى قُرْناء الشَّوء فتحامَوْهم ولم يُتِّكَلُوا باستِغواء النَّسائِس^(٢).

والثاني: النجاة، وبسطه: أنهم نَجَوْا من الكفر والضلالة، والبدعة والجهالة، وغرور النفوس، ووسوسة الشيطان، وزوال الإيمان، وفقد الأمان، ووحشة القبور، وأحوال النُّشور، وزلَّة الصراط، وتسَلُّط الزبانية الشَّدَاد الغِلَاط، وحرمان الجنان، ونداء القطيعة والهجران.

والثالث: البقاء، وبسطه: أنهم بَقُوا في الملك الأبدي، والنعيم السَّرمدي، ووجدوا مُلكاً لا زوالَ له، ونعيماً لا انتقالَ له، وسروراً لا حُزنَ معه، وشباباً لا هَرَمَ معه، وراحةً لا شِدَّةَ معها، وصحةً لا عِلَّةَ معها، ونالوا نعيماً لا حسابَ له، ولقاءً لا حجابَ له.

فإن قالوا: لو قال: (أولئك على هدى من ربهم وفلاح) لاستقام وكان أَوْجَزَ في الكلام، فلمَ لم يقلْ كذلك؟

قلنا: لأنَّ الفواصل: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ و﴿يُوقُونَ﴾، فالذي يساويهما: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

فإن قالوا: لمَ لم يقلْ: (أولئك هم المهتدون المفلحون)؟

قلنا: لأنه يكون فيه بيانُ اهتدائهم دونَ بيانِ أنه من ربهم.

فإن قالوا: لمَ لم يقلْ: (وأولئك المفلحون) وهو أَوْجَزُ؟

(١) في (أ): «ولم».

(٢) في (ف): «النسائِس». وفي هامش (ف): «النسائِس: جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة، ذكره في الصحاح». ومثله في هامش (أ) لكن فيه بدل (النسائِس): «النسائِس»، وهو الموافق لما في «الصحاح»، والنسائِس ليست منه، فهي جمع النسيصة وهي السعاية، فالصواب المثبت، والنسائِس - كما في «القاموس» -: الإناث من النسائِس، أو هم جنس أرفعُ قَدراً من النسائِس.

قلنا: في زيادة كلمة ﴿هُمُ﴾ نوع تأكيد، وهو أبلغ.
وفارسيته^(١) الجامعة: (بدنيار است كاران وقيامت رستكاران بدنيا بدار
راست وقيامت باركار است)^(٢).

(٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فأصل الكلمة في اللغة: السَّتر^(٣)
والتغطية، قال لبيد:
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنِهَا مَتَوَاتِرٌ^(٤) في لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا^(٥)
والكافر: الليل المظلم؛ لستره الأشياء بظلمته، قال الشاعر:
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا^(٦)

(١) في (ف): «وفارسيتهما».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: في الدنيا أفعالهم مستقيمة، وفي الآخرة جروحهم سليمة، في الدنيا على طريق مستقيم، وفي الآخرة سلام لهم من رب رحيم».

(٣) في (أ): «للستر».

(٤) في (أ): «متواترا».

(٥) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٥٤)، و«تفسير الطبري» (٢٥٩/١)، و«شرح القصائد السبع الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٥٦٠) وفيه: معناه: يعلو طريقة متن هذه البقرة متواتر، أي: مطر متتابع، وقال أبو عمرو: طريقة المتن: ما بين الحارك إلى الكفل. والحارك: أعلى الكاهل من الفرس، وقيل: هو عظم مشرف من جانبيه اكتنفه فزعا الكتفين، وقيل: هو منبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من يركبه.

(٦) البيت للبيد. انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦٢)، و«شرح =

والكافر: الزارع؛ لستره البذر في الأرض بزراعته.

والكافر: الذي لبس فوق درعه ثوباً لستره بدنه بدرعه ودرعه بثوبه.

والكافر: البحر والنهر الكثير الماء؛ لستره الأرض بمائه.

والكافر: نقيض الشاكر؛ لستره النعمة بكفرانه.

والكافر: المنكر؛ لستره الحق بباطله.

والكافر: المشرك؛ لستره الإيمان بشركه.

والكفارة: مغطية الذنب، ورماد مكفور: سفت الريح التراب عليه حتى غطته^(١)،

قال الراجز:

قد دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ مَكْتَبُ اللَّوْنِ مَرِيحٍ^(٢) مَمْطُورٍ^(٣)

= القصائد السبع الجاهليات لابن الأنباري (ص: ٥٨١)، وفيه: (ألفت) يعني: الشمس، أضمرها ولم يذكرها، ومعنى قوله: (ألفت يداً في كافر): بدأت في المغيب، ومن ذلك يقال: وضع فلان يده في كذا وكذا، إذا بدأ فيه.

(١) في (ف): «عفته».

(٢) في (أ): «مبرع»، وفي (ف): «مريح»، والصواب المثبت، وهو رواية في البيت، وفيه رواية أخرى: (مروح)، وانظر التعليق الآتي.

(٣) الرجز دون نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ٩٩ و ٢٤٠)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١١٣)، و«الصاح» (مادة: روح وكفر)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣١٦)، و«الاقطصاب في شرح أدب الكتاب» للبطلينوسي (٣/ ٤٢٨) وفيه: المروح: الذي أصابته الرياح، ويروى: مريح، وهو مما جاء نادراً على غير قياس، كأنه بني على فعلٍ ما لم يسم فاعله، وجعله مكتتب اللون لتغيره بالقدم، وكذلك الكأبة إنما هي تغير الوجه من الحزن. ويجوز أن يجعله كالحزين لذهاب أهل الدار.

والكُفْرُ: سوادُ الليل، قال الشاعر:

قد وردت قبل أنبلاجِ الفجرِ وابنُ ذكاءٍ كامنٌ في كُفْرٍ^(١)
والكُفْرُ: القرية؛ لسترها الناسَ، قال ﷺ: «أهل الكُفُور هم أهل القبور»^(٢)؛ أي:
أهل القرى لبعدهم عن أهل العلم كالموتى.

والكُفْرَى: كِمُّ الطَّلَعِ^(٣)؛ لأنه يستره، وكذا الكافورُ، وكافورُ الطَّيْبِ يسترُ
الحرارة، والكافور: مزاجُ شرابِ أهل الجنة، وهو من عينٍ في الجنة يستر كلَّ همٍّ.
والكافر في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: نقيضُ المؤمن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
[النساء: ١٦٧].

والثاني: الجاحدُ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢]؛
أي: جحد وجوب الحج.

والثالث: نقيضُ الشاكر، قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والرابع: المتبرئ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾
[العنكبوت: ٢٥]؛ أي: يتبرأ بعضكم من بعضٍ.

(١) البيت لحميد بن الأرقط. كما في «إصلاح المنطق» (ص: ٩٩) و«مادة: كفر» في كل من «الصحاح»
و«التكملة والذيل والصلة» للصغاني و«اللسان»، و«التاج». وعزاه الجاحظ في «الحيوان» (٥ / ٧١)
للعجاج. وورد دون نسبة في «الأزمنة» لقطرب (ص: ١٤)، و«البسيط» للواحدي (٨٩ / ٢). قال
ابن السكيت: ابنُ ذكاء، يعني: الصُّبْح، وذكاء: الشَّمْس.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٧٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لا تسكن
الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور».

(٣) أي: وعاءه.

ثم معنى المذكور في هذه الآية: إن الذين سَتَرُوا الإيمانَ بالكفر، والتوحيدَ بالشرك، والحقَّ بالباطل، والنعمةَ بالكفران، وخبرَ الله بالتكذيب، ورسالةَ الرسل بالجحود، وأمورَ القيامة بالإنكار.

واختلفوا في المرادين بالآية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم اليهودُ الذين حول المدينة^(١).

وقال الربيعُ بن أنسٍ: هم قادةُ الأحزاب^(٢).

وقال الطبريُّ: هم مشركو أهل الكتاب كُلِّهم^(٣).

ويجيءُ بيانُ هذه الأقاويلِ وأقاويلَ أُخَرَ بعد تمام^(٤) الآيةِ إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: مستَوٍ عندهم الإنذارُ وتركه، فهو مصدرٌ أُريدَ به النعتُ؛ كقولك: رجلٌ عدلٌ؛ أي: عادلٌ؛ لأنَّ الفَعَالَ من أبنية المصادر كالذَّهَابِ والصَّلاحِ والفسادِ، ويجوز أن يكون بناءُ النعتِ أيضاً كقولك: سيفٌ كَهَامٌ^(٥)، وأديمٌ صَحَاحٌ، ورجلٌ شَحَاحٌ^(٦).

وهذه الكلمة ذكرت في القرآن لمعانٍ:

للعَدَلِ: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعٰلَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]؛

أي: عدلٍ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٢٥٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/٢٥٩).

(٤) في (ف): «ختام».

(٥) أي: قليل لا يقطع.

(٦) في (أ): «شجاع»، وهو خطأ، ورجل شَحَاحٌ؛ أي: شحيح.

وللوسط: في قوله تعالى: ﴿فَاطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٥]؛ أي: في وسطها.

ولقصد الطريق: في قوله: ﴿عَسَى رَبِّتْ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]؛ أي: قصد الطريق.

وللمستوي: كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

وللشركاء: في ثلاث آيات: ﴿سَوَاءٌ الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨].

ثم قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولم^(١) يقل: سواءٌ عليك؛ أي: إنذارك وترك إنذارك ليسا^(٢) سواءً في حقك، فإنك^(٣) تثابُ على الإنذار وإن لم يؤمنوا، فأما في حقهم فهما سواءٌ؛ لأنهم لا يؤمنون في الحالين، وهو نظير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه^(٤) يثاب به الأمر وإن لم يعمل به المأمور.

وكان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود صلوات الله عليه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، وقال تعالى في حق هؤلاء: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال أيضاً: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰحِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، ويقال لهم في القيامة: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ

(١) في (أ): «لم».

(٢) قبلها في (أ): «أي».

(٣) في (ف): «لأنك».

(٤) في (أ): «أنه».

عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ نَعْمَلُونَ ﴿[الطور: ١٦]، وأخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] فلَمَّا كَانَ الوَعْدُ وتركه لهم سواء، وكذا الإنذار وتركه سواء، كان صبرهم في النار وتركه سواء، وجزعهم فيها وتركه سواء.

وأنت إذا كان عصيانك في الشباب والشيب سواء، وتماديك في الصحة والمرض سواء، وإعراضك في النعمة والمحنة سواء، وقسوتك على القريب والبعيد سواء، وزيعك في السر والعلانية سواء، أفما تخشى أن تكون توبتك عند الموت وإصرارك سواء، وعذرُك عند النَّزْعِ وسكوْتُك سواء، وزيارة الصالحين قبرك وامتناعهم سواء، وقيام الشُّفَعَاءِ بأمرِك في القيامة وتركهم سواء؟

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ الألف التي تراءى في أول الكلمة على صورة ألف الاستفهام تجيء على ثمانية أوجه:

للاستخبار: كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِثْمِي﴾ [الأنبياء: ٦٢].

وللاستنكار: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وللإثبات: كما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وللنفي: كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧].

وللأمر: كما في قوله: ﴿أَلَا نُنْفِوْنَ﴾ ^(١) [الشعراء: ١٠٦].

وللنهي: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤].

وللتحقيق: كما في قوله تعالى: ﴿أَلْجَعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، هو تحقيق عند بعضهم.

(١) في (ف): ﴿أَفَلَا نُنْفِوْنَ﴾.

وللتسوية: إذا كانت الألف في أحد الشيئين^(١) و(أم) في الشيء الآخر، كما في قوله^(٢): ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وفي الاستفهام مدخلٌ للتسوية أيضاً في قولك: أزيد في الدار أم عمرو؟ وإنما تقول ذلك حين استوى علمك فيهما^(٣) أن أحدهما فيها، ولذلك تقول في التحقيق: علمت أزيد في الدار أم عمرو.

وقال صاحب «النظم»^(٤): وإنما ورد هذا بألف الاستفهام - والاستفهام^(٥) غير محقق وهذا محقق - لأنه يستقيم هاهنا أن يقال: سواءٌ عليهم أيهما فعلت: الإنذار وترك الإنذار، وكلمة (أي) في الأصل للاستفهام، وهذا في معناه، فصلح فيه الاستفهام.

ثم الإنذار هو التخويف، وقيل: الإبلاغ، وقيل: الإعلام بالعذاب. وأما قراءته فقد قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع غير قالون^(٦) والأعمش ممدودةً مهموزةً

(١) في (ف): «شيئين».

(٢) في (ف): «كقوله» بدل: «كما في قوله».

(٣) «فيهما» زيادة من (ف).

(٤) «نظم القرآن» لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني الجماعي، كان يسكن بجرجان بباب الخندق في سكة تعرف بجماجمو. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٨٧)، و«الأنساب» للسمعاني (٨٠/٢). قلت: وهذا الكتاب قد نقل منه جمع من أئمة التفسير منهم الثعلبي والواحدي والبغوي والقرطبي وأبو حيان وغيرهم.

(٥) «والاستفهام» سقط من (ف).

(٦) «غير قالون» من (ف). وقالون هو عيسى بن مينا أحد راويي نافع، والثاني هو ورش.

بهمزة واحدة، وكذلك أبو عمرو، ولأبي عمرو طريق آخر^(١) في اجتماع الهمزتين، فإن كانتا متفتحتين منصوبتين أو مرفوعتين أو مخفوضتين: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢) [الزمر: ٣٣] ﴿عَلَى الْيَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] لِيَنَّ الْأُولَى وَحَقَّقَ^(٣) الثانية، فَإِنْ كَانَتَا مُخْتَلِفَتَيْنِ: ﴿كَمَا أَمِنَ الشُّفَهَاءُ إِلَّا﴾ [البقرة: ١٣] ﴿وَبَدَّايَنَّ لَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا﴾ [المتحنة: ٤] ﴿ءَأَمِنُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ﴾ [الملك: ١٦] حَقَّقَ^(٤) وَلِيَنَّ الثانية، وأما عاصمٌ وحزمة والكسائي وخلف وابن ذكوان عن ابن عامر^(٥)، فإنهم يُثَبِّتُونَ الهمزتين جميعاً على الأصل^(٦).

ثم قوله تعالى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، فكان الإنذارُ منه، والإنذار المذكور في القرآن من ستة:

من الله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ نَارًا تَلَطَّيْنِ﴾ [الليل: ١٤].

ومن كتابه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

ومن أنبيائه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢].

ومن المصطفى محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

ومن العلماء: ﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

(١) «آخر» من (ف).

(٢) «هُمُ الْمُتَّقُونَ» ليست في (ف).

(٣) تحرفت في (ف) إلى: «وخفف».

(٤) تحرفت في (ف) إلى: «خفف».

(٥) «وخلف وابن ذكوان عن ابن عامر» من (ف).

(٦) انظر مذاهب القراء في اجتماع الهمزتين في «السبعة» (ص: ١٣٦)، و«التيسير» (ص: ٣١)،

و«النشر» (١/ ٣٦٣).

ومن الشَّيْب: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]
فالشَّيْبُ نذيرُ الموت، ويريدُ الموت، ورسولُ الموت، ورائدُ الموت، والمخبرُ
بمجيء الموت.

واختلفوا في الذين أريدوا بهذه الآية:

قال الكلبي رحمه الله: هم رهطٌ من اليهود: كعب بنُ الأشرف وحييُّ بن أخطبَ
وجديُّ بن أخطبَ وأبو ياسر بنُ أخطب - وليس بأخي حييٍّ - وشعبة بن عمرو،
ومالك بن الصَّيف^(١)، وأبو لبابة، وقد مرَّت قصَّتُهم عند تفسيرنا ﴿الْعَمَّ﴾ بتطويلها،
وتفسيرُهم المقطَّعات بتفصيلها.

وبنحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية نزلت في شأن اليهود؛
منهم: كعب بن الأشرف وحييُّ بن أخطبَ ومالك بن الصَّيف وأبو لبابة، وكان
مالكُ رأسَ اليهود، وقد جادل النبي ﷺ يوماً، فقال النبي ﷺ: «هل وجدتَ في
التوراة أن الله تعالى يُغض الحَبَرَ السَّمين؟» قال: نعم، فقال النبي ﷺ: «أنت
منهم»، فغضب مالك وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله هذه الآية:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ
[الأنعام: ٩١] فقال اليهود لمالك: ما حملك على هذا الإنكار؟ قال: إنه أغضبني،
قالوا: كلما غَضِبْتَ كَفَرْتَ؟! فعزلوه عن الرِّئاسة وأقاموا كعب بن الأشرف
مقامه^(٢). إلى أن بعث رسولُ الله ﷺ رهطاً من الأنصار فقتلوه.

(١) في (ف): «الضيف».

(٢) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «البيسط» (٢٧٥/٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨٢/٢)،
وهو من طريق أبي صالح عن ابن عباس كما صرح ابن الجوزي، وهذه في الغالب هي طريق الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٣/٩)، وابن
أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٤٢/٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦٨/٤)، والبغوي في «تفسيره» =

وكان اليهود^(١) آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه، وكان يستنصرون به، فلما جاءهم ما عَرَفُوا كفروا به، وكان سبب كفرهم: حبَّ الرئاسة وأخذ الرِّشوة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال مقاتل: نزلت الآية في شأن شيبَةَ وعُتْبَةَ والوليد بن المغيرة.

وقال الربيع: نزلت في الذين قُتلوا يوم بدر.

وقال أبو روق: نزلت في شأن أبي جهل وجماعة معه، سألوا رسول الله ﷺ معجزةً، حتى قال أبو جهل لعنه الله - وكان يسري بالليل فاستقبله رسول الله ﷺ فقال -: أرني آيةً على نبوتك وإلا لأقتلنك^(٢)، فقال: «ما تريد؟»، قال: شقُّ القمر نصفين^(٣)، فأشار النبي ﷺ إلى القمر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فانشقَّ نصفين^(٤)، فرأيتُ حراءَ بين شقي القمر، فقال اللعين: ما أسحَرَكَ يا محمد! فأنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢]، وكان النبي ﷺ يطمعُ في إيمانهم بعد رؤيتهم المعجزة وإيقانهم، فأنزل^(٥) الله تعالى: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]^(٦).

= (١٦٦/٣) واللفظ له، جميعهم عن سعيد بن جبير مراسلاً. لكن كلهم ذكروه في سبب نزول آية

سورة الأنعام، ولم أجد من ذكره في سبب نزول هذه الآية هنا.

(١) نهاية السقط من نسخة (ر).

(٢) «وإلا لأقتلنك»: ليست في (أ).

(٣) في (ف): «بنصفين».

(٤) في (ف) و(أ): «فانشق القمر بنصفين».

(٥) في (ف) و(أ): «فقال».

(٦) لم أقف عليه بهذا السياق، وقصة انشقاق القمر ورؤية حراء بين شقيه رواه البخاري (٣٨٦٨) من =

وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾: هذه الكلمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: عطف على ما دخله ألف استفهام^(١) كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) [الملك: ١٧].
والثاني: ابتداء استفهام كالألف^(٣): ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣]؛ أي: ألهم؟

والثالث: بمعنى (بل): ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥٢]؛ أي: بل أنا خير.

والرابع: بمعنى (أو) من غير استفهام كما في هذه الآية: ﴿أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ أي: أو لم تنذرهم، فلا استفهام في هذه الآية.
وقوله تعالى: ﴿لَمْ﴾: كلمة نفي، وكلمات النفي:

(لم) و(لَمَّا) للماضي: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

و(ليس) للحال^(٤): ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾.

و(لن) للمستقبل: ﴿وَلَنُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

و(ما) و(لا) و(إن) الخفيفة لكل:

= حديث أنس رضي الله عنه. وحديث ابن مسعود في قصة انشقاق القمر رواه البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠).

(١) في (ف): «الاستفهام».

(٢) «مَن فِي السَّمَاءِ»: ليس في (أ).

(٣) في (ر): «كألف».

(٤) في هامش (ف): «أي: (ليس) لنفي الحال».

أَمَّا (ما) فتصلحُ للماضي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وللحال: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وللمستقبل: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وَأَمَّا (لا) فتصلحُ للماضي: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١]، وللحال: ﴿لَا فَارِصٌ وَلَا يَكُرُ﴾ [البقرة: ٦٨]، وللمستقبل: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤].

وَأَمَّا (إن) فتصلحُ للماضي: ﴿وَلِإِن كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وللحال: ﴿إِن الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، وللمستقبل: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿نُنذِرُهُمْ﴾ مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: قيل: هو جوابٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي الآية تقديمٌ وتأخير، ونظمه: إن الذين كفروا لا يؤمنون سواءٌ عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم، فهما ابتداءان وجوابان وخبران^(١).

وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ابتداءٌ، وقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢): ابتداءٌ آخر، وجوابُ الابتداء الثاني قوله: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾: أي: سواءٌ عليهم إنذارُك وترْكُكُ الإنذار، ثم هذا الابتداء وخبرُه جوابٌ للابتداء الأول، وقد اتَّصل بالأول الهاء^(٣) العائدة؛ أي^(٤): التي في قوله: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾، وهو كقولك:

(١) «وخبران»: ليست (أ) و(ف)، واستدركت على هامش (ر) وعليها علامة التصحيح، وعليه يكون

عطف (خبران) على (جوابان) على التفسير؛ أي: وجوابان هما خبران.

(٢) «أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «الأول بالهاء»، وفي (أ): «بالأول بالهاء»،

(٤) «أي»: ليست في (أ) و(ف).

زيدٌ وجهه حسنٌ، ثم قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كلامٌ تامٌّ فيه ^(١) تأكيدٌ لقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وبيانٌ له.

ثم هذا تخفيفٌ على النبي ^(٢) ﷺ وتفرغٌ لقلبه، حيث أخبره عن حال هؤلاء في الابتداء بما أخبر نوحاً - صلواتُ الله عليه وعلى سائر الأنبياء - في الانتهاء؛ فإنه تعالى قال لنوحٍ بعد طولِ الزمان ومقاساةِ الشدائدِ والأحزان: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فدعا بهلاكهم بعد ذلك، وكذلك سائر الأنبياء.

وفي الآية: معجزةٌ للنبي ﷺ، حيث أخبر أنهم لا يؤمنون، فكان كما أخبر، وهذا غيبٌ لا يُطَّلَعُ عليه بشرٌ إلا بإطلاعِ الله تعالى، والله ^(٣) عزَّ وعلا لا يُطَّلَعُ على الغيبِ إلا مَنْ اختصَّه بالرسالةُ قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ^(٤) [الجن: ٢٦-٢٧].

وفي الآية: إثباتٌ فعلِ العباد؛ فإنه قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وفيه إثباتُ الاختيارِ ونفْيُ الإكراهِ والإجبار؛ فإنه لم يقل: لا يستطيعون، بل قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فإن قالوا: لم قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وترى ^(٥) بعضَ الكفارِ يؤمنون؟ قلنا: ليس هذا في حقِّ كلِّ كافرٍ، بل في حقِّ قومٍ بأعيانهم، وقد بينّاهم.

(١) في (ف): «وفيه».

(٢) في (ف): «تخفيفٌ للنبي».

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) في (أ): «ونرى».

فإن قالوا: لَمَّا^(١) عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلَمْ أَمُرِ النَّبِيَّ ﷺ بِدَعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ^(٢)؟

قلنا: كَانَ الْإِنذَارُ لِلْإِعْذَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [الآية [طه: ١٣٤]].

فإن قالوا: لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَهَلَّا أَهْلَكَهُمْ كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؟

قلنا: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُمْ مِّنْ عَذَابٍ لَّهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُشَيْرِيُّ: مَنْ كَانَ فِي غَطَاءٍ وَصَفَهُ^(٣) مُحْجُوبًا عَنْ شَهَادَةِ حَقِّهِ فَمِثْلَانِ عِنْدَهُ قَوْلٌ مِّن دَلِّهِ عَلَى الْحَقِّ وَقَوْلٌ مِّنْ أَعَانِهِ عَلَى اسْتِجْلَابِ الْحِظِّ، بَلْ هُوَ إِلَى دَاعِيِ الْغَفْلَةِ أَمِيلٌ، وَفِي الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ أَرْغَبٌ.

وَكَمَا أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَرَعَوِي عَنْ ضَلَالَتِهِ لِمَا سَبَقَ مِنْ شَقَاوَتِهِ، فَكَذَلِكَ الْمَرْبُوطُ بِأَغْلَالِ نَفْسِهِ مُحْجُوبٌ عَنْ شَهَادَةِ غَيْبِهِ وَحَقِّهِ، فَهُوَ لَا يُبْصِرُ رُشْدَهُ وَلَا يَسْلُكُ قَصْدَهُ. وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِي بَقِيَ فِي ظُلُمَاتِ رِعُونَتِهِ^(٤) سِوَاءٍ عِنْدَهُ نَصْحُ الرَّاشِدِينَ وَتَسْوِيلَاتِ الْمُبْطِلِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى نَزَعَ عَنْ أَحْوَالِهِ بَرَكَاتِ الْإِنْصَافِ، فَلَا يُصْغِي إِلَى دَاعِيِ الرَّشَادِ، كَمَا قِيلَ:

(١) فِي (ر): «قَدْ».

(٢) «إِلَى الْإِيمَانِ»: لَيْسَ فِي (أ) وَ(ف).

(٣) فِي (ف): «صَفَتُهُ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ (أ) وَ(ر)، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِمَا فِي «اللطائف».

(٤) فِي (ف) وَ(أ): «دَعَاوِيهِ» وَفِي (ر): «دَعَاوِيهِ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ «اللطائف».

وعلى النَّصُوحِ نَصِيحَتِي وَعَلَى عَصِيَانِ النَّصُوحِ^(١)
وكتب الغزاليُّ إلى رئيسِ ولايةِ الأمور حين استنصحه: أمَّا بعدُ، فإن الذي
يَنْصَحُكَ لَا يَصْحَبُكَ، والذي يَصْحَبُكَ لَا يَنْصَحُكَ، والسلام^(٢).

(٧) - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غَشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: انتظامه بما قبله: أنه ذكر هؤلاء بصفاتهم
وحالاتهم، ثم ألحق به^(٣) ذكر عقوباتهم.
والختم في اللغة ثلاث معانٍ:
للطبع: ومنه سُمِّيَ الخاتم؛ لأنه يُطَبَّعُ به.
وللإتمام وبلوغ الآخر: ومنه ختم القرآن، ومنه قوله تعالى في صفة النبيِّ
ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]: هو آخر النبيين ومُتَمِّمٌ عِدَّةِ المرسلين، وقوله:
﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]؛ أي: آخر ما تجد فيه رائحة المسك.
وللإعلام: يقال: ختم على الكتاب وعلى الباب وعلى الشهادة؛ أي: أعلم
عليها.

فأمَّا تفسيره هاهنا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: طبع الله على قلوبهم فلا
يعقلون الخير^(٤).

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩ - ٦٠).

(٢) من قوله: «وكتب الغزالي...» إلى هنا سقط من (أ) و(ف)، واستدرك على هامش (ر) مصححاً.

(٣) في (ر): «بهم».

(٤) في (ر): «الخبر». وانظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (١/ ٥١)، ولفظه: قال ابن عباس =

وقال مجاهدٌ: هو أن تَحَفَّ الذنوبُ بالقلب من كلِّ نواحيه حتى تلتقي عليه^(١).
وقال القُتَيْبِيُّ: أي: أقفل عليها وأغلقها فلا تَعِي خيراً ولا تَسْمَعُهُ^(٢).
والتحقيقُ على طريقِ اللغة على الأول: أن الله عز وعلا طَبَعَ عليها فجعلها
بحيث لا يَخْرُجُ منها^(٣) ما فيها من الكفر، ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان.
وعلى الثاني: أن الله عز وعلا أتمَّ جحودها وكُفْرَها وعنودها، وجعل ذلك آخِرَ
أمرها، فلا تزول ولا تحول.

وعلى الثالث: أن الله تعالى أعلم عليها ووسَمها بما فيها، فبه تُعرَفُ وبه تُوصَفُ.
وأما معنى هذا الختمِ فعلى ثلاثة أوجهٍ لثلاثِ طوائفٍ من المتكلمين:
فأما^(٤) الجبريَّةُ: فقد جعلوا ذلك من الله منعاً عن الإسلام والمعرفة، وإجباراً
على الكفر والنكرة^(٥)، كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]: أنه
منعٌ حقيقيٌّ، وهذا منهم جَزِيٌّ على مذهبهم الفاسدِ في أن العباد مجبورون ولا فَعَلْ
لهم اختياراً، وفسادُ كلامهم ظاهرٌ.

وأما المعتزلةُ: فقد جعلوا ذلك إعلاماً محضاً على القلوب بما يُظهر للملائكة
أنهم كفارٌ، فيلعنونهمْ ولا يَدْعُونَ لهم بخير؛ كختم الكتاب أو الباب إعلامٌ عليه

= رضي الله عنهما: يعني: طبع الله، ومعنى الختم على القلوب ليس أنه يذهب بعقولهم ولكنهم لا
يتفكرون فيعتبرون بعلامات نبوة محمد ﷺ فيؤمنون.

(١) رواه الطبري (٢٦٦/١)، وابن أبي حاتم (٤١/١).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٠).

(٣) «منها» زيادة من (ف).

(٤) في (أ): «أما».

(٥) النكرة - محرقة -: الاسم من الإنكار، كالنفقة من الإنفاق. انظر: «القاموس» (مادة: نكر).

بعلامةٍ مجرّدة، وجعلوا ذلك أيضاً مجرّداً شهادة؛ من قولك: كتب فلان شهادته^(١) وختم عليها؛ أي: أثبت شهادته، فيقولون ما^(٢) معناه: شهد الله عليها بكفرها، وأظهر ذلك للملائكة. وهذا أيضاً جرّي منهم^(٣) على مذهبهم الفاسد في أن أفعال العباد ليست بمخلوقة لله تعالى، ولا هي بقضائه وتقديره ومشئته وإرادته.

وأما أهل السنة والجماعة فقد قالوا: إنه إثبات فعل الكفر وإيجاده^(٤).

وحاصل الختم عند أهل الحق: عقوبة من الله تعالى لا تمنع العبد من^(٥) الإيمان جبراً، ولا تحمله على الكفر كرهاً، بل هي زيادة عقوبة له على سوء اختياره وتماديهِ في الكفر وإصراره، يُحرم بها عن اللطف الذي يسهّل به فعل الإيمان وترك العصيان.

يدلُّ^(٦) عليه: أنهم بقوا مخاطبين بالإيمان بقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]، ومُلمّين عن الامتناع عنه بقوله^(٧): ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٣٩]، وموبّخين على الكفر بقوله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧]؛ أي: ما حمّله على الكفر؟ ولو صاروا مجبورين، وعن الإيمان عاجزين، لزال الخطاب، وسقط اللوم والعتاب،

(١) في (ر) و(ف): «شهادة».

(٢) «ما» زيادة من (ف).

(٣) في (أ): «وهذا أيضاً مجرد شهادة منهم جرّي».

(٤) في (أ): «الكفرة وإيجاده»، وفي (ف): «الكفر واتخاذ».

(٥) «من» زيادة من (ف).

(٦) في (أ): «ويدل».

(٧) في (ر) و(ف): «لقوله».

كما في الختم على الأفواه يوم الحساب، لما عجزوا به حقيقةً عن الكلام لم يبقَ الخطابُ بالكلام.

وتحقيقُ المذهب: إثباتُ فعلِ العبد، وتخليقُ الله تعالى.

والمذكور في هذا المعنى في كتاب الله تعالى ثلاثة أشياء: الختمُ والطبعُ والكنانة^(١)، وفي كل واحد منها ذكرُ فعل نفسه وفعل العبد.

أما في الختم فقد قال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وهذا إثباتُ فعلِ نفسه، وقال تعالى قبله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهذا إثباتُ فعلِهِم.

وقال في الطبع: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، فقوله: ﴿طَبَعَ﴾: فعلُهُ، وقوله: ﴿بِكَفْرِهِمْ﴾: فعلُهُم.

وقال في الكِنَانَةِ^(٢): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الكهف: ٥٧]، وقال قبله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيَّاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ﴾ [الكهف: ٥٧].

ثم الختمُ في القرآن على ثلاثة أوجه:

للعقوبة: كما في هذه الآية.

وللكرامة: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ اللَّهَ يُخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، قال مقاتل: أي: يختمُ بالصبر فلا تجدُ غصّةَ التكذيب، وهذا تسهيلٌ عليه بطريق الكرامة.

وللموعظة: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى

(١) في (أ): «والكنان»، وفي (ف): «والكتاب».

(٢) في (أ): «الكنان»، وفي (ف): «الكتاب».

قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ»، قالوا: يَحْتَمِلُ أَخَذَ^(١) أَعْيَانَهَا، ويَحْتَمِلُ أَخَذَ مَنَافِعَهَا مع بقاء صور أعيانها، وتقديره: أيها الشاغلون الأسماع والأبصار والقلوب بغير الحق^(٢)، لو أَخَذَ اللَّهُ تعالى هذه الأعيان وأذهبها فَمَنْ يَأْتِي بها؟ وأيها الشاغلون هذه الأشياء^(٣) بالحق، لو أن الله أزالها عن الحق فَمَنْ الذي يُعيدُها إليه؟ فهو تنبيهٌ وعِظَةٌ للمبطل والمُحِقِّ جميعاً.

ثم سببُ هذه العقوبة: الإصرارُ على الذنوب، فقد^(٤) رَوَى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ عَلَيْهِ^(٥) نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ»^(٦).

وقالوا: سببُ الحفظِ عن هذا الختم: رفعُ الختمِ عن الكيسِ فلا يمنعُه عن حقٍّ، ووضعُ الختمِ على اللسانِ فلا يُطْلِقُه في باطلٍ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: هي جمعُ القلب وهو الفؤاد، وقلبُ كُلِّ شيءٍ خالصُه وأشرفُه، وعَرَبِيٌّ قَلْبٌ؛ أي: خالصٌ، وقلبُ النخلة: ما في وَسَطِهَا، وقلبُ الشيء: صِرْفُه، وانقلابُه: انصرافُه، والقلب: نجمٌ من منازل القمر، والقُلْبُ والحَوْلُ بالتشديد: الذي يَقْلِبُ الأمورَ ويَحْتَالُ لها، فسَمِّيَ قلبُ الإنسان به؛ لأنه أشرفُ أعضائه؛

(١) في (ر): «أخذ الله».

(٢) في (أ): «حق».

(٣) في (ف): «هذه الأسماع والأبصار والقلوب».

(٤) «فقد»: ليست في (أ).

(٥) «عليه»: سقط من (أ).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والنسائي في

«عمل اليوم والليلة» (٤١٨).

لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا نَقْلَابَهُ وَلَا إِضَاءَتَهُ كَالنَّجْمِ، وَلِتَقْلِبِهِ فِي الْأُمُورِ، وَلِتَصْرِيفِهِ الْأَعْضَاءَ.

وَالْقَلْبُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] قِيلَ: أَي: عَقْلٌ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: فَالسَّمْعُ فِي الْأَصْلِ: هُوَ السَّمَاعُ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ، وَالسَّمْعُ أَيْضاً الْأُذُنُ بِمَعْنَى: السَّامِعَةِ، وَالسَّمْعُ بِالْكَسْرِ: الصَّيْتُ، وَالِاسْتِمَاعُ: الْإِصْغَاءُ لِلسَّمَاعِ، وَالسَّامِعُ وَالسَّمِيعُ^(٢): النَّعْتُ، وَالسَّمِيعُ أَيْضاً: الْمُسْمِعُ؛ كَالْبَدِيعِ بِمَعْنَى: الْمُبْدِعِ.

وقوله: ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥]؛ أَي: فَاطِيعُونَ، وَ«دَعَاءٌ لَا يُسْمَعُ»^(٣): أَي: لَا يَجَابُ، وَ(سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)؛ أَي: قَبِلَ وَأَجَابَ.

و﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أَي: قَائِلُونَ لِلْبَاطِلِ.

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]؛ أَي: جَوَاسِيسُ.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾ [النمل: ٨٠]؛ أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى^(٤) أَنْ تَوْفَّقَ الْكَفَّارَ لِقَبُولِ الْحَقِّ.

﴿وَكُنَّا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]؛ أَي: سَمَاعَ الْقُرْآنِ لِبَغْضِ الرَّسُولِ.

(١) بعدها في (أ) جملة فارسية لم ترد في (ر) و(ف).

(٢) في (أ): «والسميع والسامع» وفي (ر): «والسامع والسمع».

(٣) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٥)،

عن أنس رضي الله عنه، وإسناده على شرط مسلم.

(٤) «على» ليست في (ف).

وفي الخبر: أَيُّ الساعاتِ أسمعُ^(١)؟ أي: أحقُّ بالدعاءِ وأزجى للإجابة.
وفي الحديث: لم أسمعُ قولاً أسمعَ منه^(٢)؛ أي: أبلغَ وأنجعَ في القلب.
كلُّ هذا من السَّماعِ.

ثم معنى الآية: ختمَ الله على آذانهم فجعلها لا تُصغي إلى خيرٍ ولا تَعيه ولا تقبله، عقوبةٌ لهم على سوءِ اختيارهم وميلهم إلى الباطل وإيثارهم.
وقول المعتزلة^(٣) والجبرية فيه - وقد ردّدنا^(٤) قولهم - على نحو ما سبق في ختم القلب^(٥).

ثم قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ على الوجدان دون الجمع لوجوه:
أحدها: أنه في الأصل مصدرٌ، والمصدر يصلح للواحد والاثنين والجمع،
يقال: هو يضرب ضرباً، وهما يضربان ضرباً، وهم يضربون ضرباً، وقال تعالى:
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾^(١٥) وَكَيْدًا ﴿الطارق: ١٥﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٠٥٩) عن مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ - أو كَعْبِ بْنِ مُرَّةَ - السُّلَمِيِّ أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ اللَّيْلِ أسمعُ؟ قال: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرُ».

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/١٣٤)، و«الغريبين» (مادة: سمع)، في قصة إسلام ضماد بن ثعلبة رضي الله عنه. وقصة إسلام ضماد رواها مسلم (٨٦٨) دون محل الشاهد، وفيه: (لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَةِ، وقولَ السَّحَرَةِ، وقولَ الشُّعْرَاءِ، فما سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، ولقد بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ).

(٣) في (ف): «القرامطة»، وكذا وقعت في متن (ر) لكن ضرب عليها وصححت في الهامش إلى المثبت.

(٤) «وقد ردّدنا»: من (أ) و(ف).

(٥) في (ر): «الختم للقلب»

وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿ [الفرقان: ١٤]، وقال تعالى خبراً عن إبراهيم: ﴿هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ [الحجر: ٦٨]: فوَحَّد الضيف ^(١) لأنه في الأصل مصدرٌ.

والثاني: أن فيه إضماراً، ومعناه: وعلى مواضع سمعهم - أي: سماعهم ^(٢) - وهي الآذان، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلها، وثبت هذا الإضمارُ دلالةً أنَّ السمع فعلٌ، ولا يُختم على الفعل وإنما يُختم على محله.

والثالث: أنه أراد سمعَ كلِّ واحد منهم، وهذا كما يقال: اتنني برأس كبشين، وقال الشاعر:

كُلُوا فِي نَصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِشُوا فَإِنْ زَمَانَكُمْ زَمَنْ حَمِيصٌ ^(٣)
والرابع: قولُ سيبويه: إنه توسَّط بين ^(٤) جمعين، فدلَّ على الجمع وإنَّ وَحْدٌ؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] دل على الأنوار ذكرُ الظلمات، وقال الرَّاعي:

بِهَا جِيفَ الْحَسَرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ ^(٥)

(١) «الضيف»: ليست (أ).

(٢) في (ف): «أسماعهم».

(٣) البيت في «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج

(١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» (مادة: خمص)، ورواية «الكتاب»

و«الأصول» و«الأساس»:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا

(٤) «بين»: من (أ).

(٥) كذا نسب البيت للراعي في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، ونسب لعقمة بن عبدة في «المفضليات»

(ص: ٣٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٣)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٢٤٣)،

وورد دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٣). =

أي: جلودها صليبة.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ﴾: أي: على عيونهم، فالْبَصْرُ: العين، وجمعه: الأبصار، كالسفر جمعه: الأسفار، والإبصارُ بالكسر: الرؤية، والبَصَارَةُ: صفة البصير^(١)، وقد بَصُرَ من حدٍّ شَرَفَ؛ أي: صار بصيراً، وبَصَرَ^(٢) به؛ أي: رآه، قال تعالى خبراً عن السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦].

والبصيرة: رؤية القلب، والبصيرة: البيئة أيضاً، وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، قيل^(٣): أي: جوارحه بصيرة؛ أي: شاهدة عليها بما رأت من عملها يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]؛ أي: علمك نافذ.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]؛ أي: يُبَصِّرُ فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَحَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]؛ أي: مضيئة.

= والبيت لعلقمة من قصيدته في الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني، حين أسر أخاه شأساً، فرحل إليه علقمة يطلب فكه. وقوله: (بها جيف الحسرى) المراد بالضمير آثار الطريق في متان الأرض كما يفهم من البيت الذي تقدمه، و(الحسرى): المعية يتركها أصحابها فتموت، و(الصليب): الودك الذي يسيل من جلودها إذا مضى على موتها زمن وهي تحت الشمس ووقدتها. يقول: ماتت وتقادم بها العهد، فابيضت عظامها، وتفانى جلدها فلم يبق منه على أرض الطريق سوى آثار الودك الذي سال من جلودها. ووقع في النسخ: «جيفٌ حسرى»، والمثبت من المصادر.

(١) في (ر): «البصر»، وسقطت من (ف)، والمثبت من (أ)، وفي «العين» (٧/ ١١٧)، و«تهذيب اللغة» (١٢٣/ ١٢): (البصارة مصدر البصير)، والمراد أنها مصدر كالبصر. انظر: «اللسان» (مادة: بصر).

(٢) في (أ): «وقد بصر».

(٣) «قيل»: من (أ).

والاستبصار^(١): التيقن.

فإن قالوا: لم جمع الأبصار والواحد: بصّر، وهو مصدر كالسمع؟
قلنا: لأنه اسم للعين أيضاً، فكان اسماً لا مصدراً، فجمع لذلك.

ومعنى الكلمة والله أعلم: وعلى أبصار قلوبهم حجاب غفلة، وغطاء شبهة،
وسحاب ظلمة، فلا يرون الحق ولا يقبلونه ولا ينقادون له.
وقيل: معناه: يتعمون عن الحق مع وجود العيون، كما^(٢) يتصامون عنه مع
وجود الأذان.

وقوله تعالى: ﴿عَشَوُۥ﴾: فالعشاوة والغشاء: الغطاء، والتغشية: التغطية،
وقوله تعالى: ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥]؛ أي: يتغطون بها، وقوله: ﴿وَأَلِيلَ إِذَابَتْنِي﴾
[الليل: ١]؛ أي: يغطي ظلامه الأفق.

وقوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]؛ أي: علاهم فغطاهم.
وقوله: ﴿فَلَمَّا تَعَسَّيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ أي: وطيها، وفيه التغطية.
والغاشية: ما يستر السرج.

وقوله تعالى: ﴿عَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]؛ أي: عقوبة تجلّلهم.
وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]؛ هي القيامة تجلّل الخلق.
وقوله: ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: لحف من نار.
والغشي: الإغماء، وقوله: ﴿كَأَلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي:
يُغمى عليه، وفيه ستر العقل.

(١) في (ر): «فالاستبصار».

(٢) في (ف): «حتى».

ثم اختلف في قراءة هذه الكلمة:

فقراءة العامة: بكسر الغين وزيادة^(١) الألف ورفع الآخر.

وقراءة الحسن: بضم الغين مع الألف.

وقراءة أصحاب^(٢) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (غَشَوَةٌ) بفتح الغين بغير ألف.

وقراءة الجحدري: (غَشَاوَةٌ) بفتح الغين مع الألف.

وقراءة المفضل عن عاصم: (غَشَاوَةٌ) بكسر الغين مع الألف ونصب الآخر^(٣).

ويستقيم في اللغة ستة أوجه:

غَشَاوَةٌ: بفتح الغين وضمها وكسرها مع الألف^(٤)، غَشَوَةٌ: بغير ألف بفتح الغين وضمها وكسرها.

وأظهرها وأصحها: الكسر مع الألف، قال الشاعر:

تَبِعْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غَشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي الْوُثْمَا^(٥)

(١) في (ف): «مع» بدل: «وزيادة».

(٢) «أصحاب» من (ف).

(٣) انظر هذه القراءات في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠)، وانظر شرحها وتوجيهها في «البحر المحيط» (١/ ١٤١ - ١٤٣).

(٤) في (أ): «غَشَاوَةٌ بالألف بفتح الغين وضمها وكسرها» وفي (ر): «غَشَاوَةٌ بفتح الغين، وغَشَاوَةٌ بكسرها وضمها مع الألف».

(٥) البيت للحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٧١).

وقراءة الأكثر برفع الآخر، فإن قوله: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ هذا كلامٌ مبتدأ، وهو غير معطوفٍ على الأول بالختم، ومن نصبه فعلى إضمار: جَعَلَ^(١)؛ أي: وجعل على أبصارهم غشاوةً.

ثم معناه: وعلى أبصار قلوبهم غطاءً غفلةً وغلافٌ شبهة، وكما تعاملوا عن الحق في الدنيا فكذلك يُبعثون في العقبى، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢].

ولمَّا جُعِلوا على أبصارهم غشاوةً، تتصل بهم هذه الحالة في الدنيا، وعند^(٢) الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وفي النار:

قال تعالى في الدنيا: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وقال في الموت: ﴿كَأَلَيْذَىٰ يُغْنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال: ﴿غَشِيَتْهُ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]، وقال: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقال: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قيل: هي القيامة تغشاهم بظلمتها وفضاعتها، وقيل: هي النار.

وقيل: هي ثلاثة أشياء: غاشية الأبصار وهي الحجة عن لقاء الله تعالى، وغاشية الأبدان وهي حر^(٣) النار، وغاشية القلوب^(٤) وهي هيبة القطيعة، فهذه

(١) في (أ): «وجعل».

(٢) في (ر): «عند».

(٣) في (أ) و(ف): «حرقة».

(٤) في (ر) و(ف): «القلب».

غشاوة في الدنيا أَوْرَثَتْهُمْ هذه هذه الغشاوات في العقبى، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَا
بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ثم إنما ذكر في هذه^(١) الآية القلوب والسمع والأبصار؛ لأن الخطاب كان
باستعمال هذه الثلاثة في الحق، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾، وكان هذا الخطاب بعد أن هَيَّاَ اللهُ لهم الأسباب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [المؤمنون: ٧٨] فلم يستعملوها فيما أمروا
باستعمالها فيه، فوَقَبُوا في الدنيا بالختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على
الأبصار، ويوم القيامة من جنس ذلك عقوباتها، وهي ما قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨]؛ أي: شديدة الاضطراب، ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾^(٢) [الهمزة: ٧]،
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاحَةُ﴾ [عبس: ٣٣]؛ أي: الْمُصِصَّة، وقال^(٣): ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾
[النازعات: ٩]؛ أي: ذليلة، لِمَا عَرَاهَا^(٤) من التغير والتحير، وقال^(٥): ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ
يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]؛ أي: عُمِيًّا.

ثم بَيَّنَّ عقوبتهم في الآخرة، فقال تعالى:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فالعذاب: العقوبة، والعَذْبُ: ذو^(٦) العذوبة، وهو^(٧)
نقيضُ الملوحة.

(١) «هذه»: من (أ).

(٢) في (أ): «أبصارها خاشعة وقال بدل: «أي: شديدة الاضطراب التي».

(٣) «وقال»: من (أ).

(٤) في (ف): «بما عراها»، وسقطت من (أ).

(٥) «وقال»: من (أ) و(ر).

(٦) «ذو» سقط من (ف).

(٧) في (ر): «وهي».

وإعذابُ النفس عن كذا: هو مَنَعُهَا عنه، وسمي العذاب عذاباً لأنه يَمْنَعُ من^(١) الجنائية إذا تَأَمَّلَ فيها العاقل.

وقيل: إنما سمي به لأنه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه؛ أي: استطابه، ولذلك قال: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي﴾^(٢) [القمر: ٣٩] وإنما يُذَاق الطَّيِّب، على معنى: أنه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه في دنياه.

وقوله تعالى: ﴿عَظِيمٌ﴾: أي: كبيرٌ، وقيل: أي: كثيرٌ، وقيل: أي: دائمٌ، وهو التعذيب بالنار أبداً.

ثم عَظَّمَهُ بأهواله، وشَدَّهَ أحواله، وكثَرَهَ سلاسله وأغلاله.

وقيل: هو القتل والأسر في الدنيا، والتحرُّيقُ بالنار في العُقبى.

ثم ذَكَرَ بعد ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ظاهراً وباطناً، والكافرين ظاهراً وباطناً، المنافقين الذين آمنوا ظاهراً وكفروا باطناً:

(٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي: ومن جنسِ الْإِنْسِ، والناس: جمع إنسانٍ على غير لفظه، فالإنسانُ فِعْلَانٌ مِنْ أَنْسَ، ومأخذه من أَنْسَ، أي: أبصر، والجنُّ مَنْ اجْتَنَى؛ أي: استترَ، فالبشرُ يَرَوْنَ والجنُّ لَا يَرَوْنَ.

وقيل: هو من الْأَنْسِ الذي هو ضدُّ الوحشة، وسمِّي به لاستثناس روحه ببدنه، وبدنه بروحه.

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (أ): «﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾».

وقيل: هو: إِفْعَالَان، وأصله: إِنْسِيَان، ودليلُ ذلك أنه يقال في التصغير: (أَنْسِيَان) فتعَادُ الياء المحذوفة، وسمي به لنسيانه، قال الله تعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؛ أي: نَسَاءٌ لِلنَّعَمِ ذَكَارٌ لِلْمِحَنِ.

و(الناس) جمعه لا من لفظه، فإنه^(١) لا يستقيم جعله من الإنس، ولا من النسيان^(٢)، ومعنى هذا الجمع من (النَّوْسِ) وهو التحرك، سَمُّوا به لحركاتهم في مباحاتهم وواجباتهم ومحظوراتهم، وحركات سائر الحيوانات لا توجد وجودها منهم.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾: (مَنْ) كلمةٌ تصلح للواحد والجمع، وهاهنا للجمع؛ أي: قوم^(٣) يقولون، وهم عبدُ الله بنُ أبي ابنِ سلُول، ومعتبُ بنُ قُشَيْرٍ، وجَدُّ بنُ قَيْسٍ، وغيرهم، وهؤلاء رؤوسُ المنافقين.

قال مجاهدٌ: أربعُ آياتٍ من أوَّلِ السورة في نعتِ المؤمنين، وآيتان في نعتِ^(٤) الكافرين، وثلاث عشرة آيةً في المنافقين^(٥).

وقال مقاتلٌ: آيتان من أوَّلها في نعتِ المؤمنين المهاجرين، وآيتان في مؤمني أهل الكتاب، وآيتان في الكفار، وثلاث عشرة آيةً في المنافقين^(٦).

(١) في (ر): «فعلى هذا» بدل: «فإنه».

(٢) في هامش (ف): «ولا يستقيم أيضاً جعله من الأنس».

(٣) في (ر): «هم قوم».

(٤) في (أ): «ذكر» وسقطت من (ف)، والمثبت من (ر)، وهو الموافق للمصادر.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ١٩٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٥).

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٢). ومن قوله: «وقال مقاتل...» إلى هنا سقط من (ف).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِلَّهِ بِأَلْوَمِ الْآخِرِ﴾: أخبر عنهم أنهم يدعون ذلك.

ثم قال^(١): ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ليسوا بمؤمنين، فنفى الإيمان عنهم لأنه لم يكن^(٢) في قلوبهم، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا بَافُوهُمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال^(٣) تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِنَّمَا قُلُوبُهُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤]، وبطل بهذا^(٤) قول الكرامية: إنه مجرد الإقرار، فإن المنافقين أقرؤا بذلك والله تعالى نفى عنهم ذلك.

ثم إنه قال: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ وهذا فعل الواحد، لأن كلمة (مَنْ) تصلح له، ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ﴾ على الجمع لأنه هو المراد، فحمل على المعنى، وهو كقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] وهذا على الواحد^(٥) للصيغة، ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] على الجمع للمعنى.

وكذا قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء للتأكيد، وهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١]، ﴿وَلَا يَقُولُ كَافٍ﴾ [الحاقة: ٤٢]، ويجوز حذفها، قال تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، وهذا لأن (ما) بمعنى: ليس، ويجوز في (ليس) الباء

(١) في (أ): «فقال» بدل: «ثم قال».

(٢) في (ر): «لأنه ليس».

(٣) في (ر) و(ف): «وقد قال».

(٤) في (ر): «وأبطل هذا».

(٥) في (ر): «الواحد».

وحذفها، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [التين: ٨] وقال أيضاً: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣].

وفي الآية معجزة النبي ﷺ؛ فإنهم أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر، والنبي ﷺ أخبر عما في قلوبهم، وذلك غيب، والله جلّ جلاله يقول: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١٦) ﴿لَا مِنْ رِزْقِي مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦].

ودلت الآية أن الدعوى مردودة إذا لم يقم عليها دلالة الصحة، قال قائلهم: مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَ الْامْتِحَانُ مَا يَدَّعِيهِ وإن^(١) من مدَّح نفسه ذمًّا، ومن ذم نفسه مدحًا، قال فرعونُ عليه لعائن الله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ف قيل له: ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وقال يونسُ صلوات الله عليه: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ف قيل له: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

(٩) - ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: فالخدع: الختل، والإخداع: الإخفاء، ومنه: المخدع^(٢)، وهو البيت الصغير يُخْفَى فيه الشيء، وخدع فوه؛ أي: تغيّرت رائحته، ودينارٌ خادعٌ؛ أي: ناقصٌ، وسنونٌ خداعةٌ؛ أي: قليلة المرافق.

فقوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ قيل: معناه: يخادعون رسول الله ﷺ والمؤمنين بإظهار

(١) في (ف): «فإن».

(٢) مثل: منبرٌ ومُحكَم. انظر: «القاموس» (مادة: خدع).

الإيمان مع إضمار الكفر، ورفع^(١) درجة النبي ﷺ والمؤمنين حيث جعل خداعهم خداعه، كما جعل إيذاءهم إيذاه.

وقيل: معناه: يُفسدون ما أظهرُوا من الإيمان بما أضَمَرُوا من الكفر.

وقيل: معناه: يخادعون الله على زعمهم؛ أي: هو عندهم خداعُ الله، يظنون أنهم يُخفون على الله عزَّ وعلا شيئاً، وهو كما قال: ﴿وَحَسْبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨]، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [فصلت: ٤٧]؛ أي: على زعمكم^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ [هود: ١٠١]؛ أي: على زعمهم.

وقال مقاتل: معناه: اجترؤوا^(٣) على الله تعالى، وقالوا فيما بينهم: نحن نخادعُ الله، وكان هذا بهتاناً منهم، كسائر ما افترُوا على الله.

وقيل: معناه: أيخادعون الله، على الاستفهام، وهو كقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿هَذَا رَبِّي﴾؛ أي: أهذا ربي^(٤).

وقيل^(٥): إنهم أظهرُوا شيئاً وأضَمَرُوا خلافه، فتَصَوَّرَ بصورة الخداع، فسُمي به وإن لم يكن هو، فإن حقيقته أن يَمَكُرَ بأحدٍ فلا يَعْلَمَ به الممكور، وهو^(٦) كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ولا صَبَرَ لأحدٍ عليها، لكنْ لَمَّا دَامُوا على الفعل الذي به يصيرون إلى النار تَصَوَّرَ ذلك بصورة الصبر على النار.

(١) في (أ) و(ر): «رفع».

(٢) في (أ): «زعمهم».

(٣) في (ر): «افتروا».

(٤) «ربي»: من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «ويقال».

(٦) في (أ): «وهذا».

وقيل: معناه: يحتالون لإزالة الحق بالباطل.

ثم المخادعة وهي على^(١) المفاعلة، وإن كان أصلها لِمَا يَكُونُ بين اثنين، فقد تكون لفعل الواحد، كالمسافرة والمصادفة^(٢)، وإن حملت على الوضع: فالخداع كان منهم وجزاء الخداع من الله تعالى على ما تبين^(٣).

فإن قالوا: إن لم يعرفوا الله تعالى فكيف خادعوه^(٤)؟ وإن عرفوه فكيف قصدوا خداعه؟

قلنا: قد بينّا أنهم عملوا عمل المخادعين من الوجوه التي ذكرناها.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على الأول؛ أي: ويخادعون المؤمنين أيضاً، ويجوز حملُه على الحقيقة في حقهم فإنه في وسعهم، فأما قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ فقد مرّ قول أن معناه: يخادعون الرسول والمؤمنين، والصحيح أن يحمل ذلك على مخادعتهم الرسول وحده دون المؤمنين؛ فإن خداعهم المؤمنين مذكور على التصريح بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ثم إنما جعل مخادعتهم الرسول^(٥) مخادعته تعالى تشريفاً له، كما جعل نصرته نصرته، بقوله^(٦): ﴿إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَبْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]؛ أي: إن تنصروا رسوله، وكما

(١) «على» من (ف).

(٢) في (أ): «كالمنافرة والمصادفة»، وفي (ف): «كالمنافرة والمصادقة»، وفي (ر): «كالمنافرة والمصارفة».

(٣) في (أ): «بين»، وفي (ف): «نبيين».

(٤) في (ر): «يخادعون».

(٥) في (أ): «رسوله».

(٦) في (ر) و(ف): «كقوله».

جعل مخادعته مخادعة الله، فقد جعل مبايعته مبايعة الله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وكذا في أشياء ذكرها في آيات: ﴿ءَامِنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) [الأنفال: ١]، ﴿وَمَنْ يُعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَإَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنِّهَآ إِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلُهُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، بـألفٍ، على موافقة الكلمة الأولى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، وقرأ الباقر: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، بغير ألف^(٢)، لأن خدعهم أنفسهم لا يعدوهم.

وقال بعض^(٣) أهل اللغة: يقال: خادع: إذا لم يبلغ مراده، وخدع: إذا بلغ مراده، فلمَّا لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعةً، ولمَّا وقع ضرر فعلهم على أنفسهم كان في حق أنفسهم خدعاً.

وتفسيره: ولا ينفذ خداعهم فيمن قصدوه، فكأنهم خدعوا أنفسهم، كما يقال: فلان يسخر بفلان وما يسخر^(٤) إلا بنفسه.

(١) في (أ) و(ف): ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢). وقوله: «بغير ألف»:

سقط من (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «فقال» بدل: «وقال بعض».

(٤) في (ف): «سخر».

وقيل: معناه: وما يرجع وبأل خداعهم إلا إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ومثله: ﴿فَمَنْ تَكْتَفِ إِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال (١) في الإحسان: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم قال هاهنا: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، وقال في سورة أخرى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وأريد به الجزاء.

وقيل: يعاملهم على وفق ما عاملوه، وذلك فيما جاء: أنهم إذا ألقوا في النيران، وعذبوا فيها طويلاً من الزمان، واستغاثوا بالرحمن، قيل لهم: هذه الأبواب قد فتحت فاخرجوا، فيبادروا إلى الأبواب، فإذا انتهوا إليها غلقت دونهم، وأعيدوا إلى الآبار والتوابيت، مع الشياطين والطواغيت.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكْرَ أَوْ مَكْرَنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا [الطارق: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: الشَّعْرُ: العلمُ والفطنة، والإشعار: الإعلام، وإشعارُ الهدي منه، والشَّعار: العلامة، والمشاعر: المعالم، والشعائر: العلامات، وهي معالم الحج وأعماله، وأحدثها شَعِيرَةٌ وشَعَارَةٌ، ثم هو اسمٌ لِعِلْمٍ خاصٍّ،

(١) في (ر): «ثم قال».

وهو العلمُ بدقّة النظر في الشيء، مأخوذٌ من الشّعْر، ولذلك يطلق الشّعْر^(١) على معرفة الكلام المقفَى الموزون بوزنٍ خاصٍّ.

وأما التفسير^(٢):

فقد قيل: أي: وما يعلمون أنه خداعٌ لأنفسهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن وباله راجعٌ عليهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله تعالى يطّلع على خداعهم رسوله والمؤمنين.

وقيل: أي: وما يعلمون أنهم لا يقدرّون أن يخادعوا الله.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله خادعهم؛ أي^(٣): جازيهم جزاء خداعهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله يعلم بصنيعهم، وهذا كما قال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، والعِظَةُ فيه: أن المنافق عَمِلَ ما عَمِلَ

وهو لا يعلمُ بوبال ما عَمِلَ، والمؤمنُ يعلمُ به ثم يعملُ به^(٤)، فما عذرُه^(٥) عند ربّه؟

ثم في هذه الآية نفي العلم عنهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ٧١] إثبات العلم لهم، والتوفيقُ بينهما: أنهم علّموا به حقيقةً، ولكن لما^(٦)

لم يعملوا بما علّموا فكأنهم لم يعلموا، وهو كقوله عز وعلا: ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمًى﴾

(١) في (أ): «ولهذا يطلق هذا الاسم»، وفي (ف): «ولذلك يطلق هذا الاسم»، بدل: «ولذلك يطلق الشّعْر».

(٢) في (أ): «تفسيره».

(٣) «خادعهم، أي: سقط من (ف)».

(٤) «به» سقط من (ف)».

(٥) في (أ): «فأعذرته» بدل: «فما عذرته».

(٦) «لما» سقط من (ف)».

[البقرة: ١٨]، وكانوا سامعين ناطقين ناظرين حقيقة، لكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كأنهم صم بكم عمي، فذو الآلة إذا لم ينتفع بها فهو وعادم الآلة سواء، والعالم الذي لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء، والغني الذي لا ينتفع بماله فهو والفقير سواء، والحي الذي لا يستمتع بحياته فهو والميت سواء.

ثم إن الله تعالى أثبت للمؤمنين العلم بقوله: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأثبت لهم الجهل بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، كما أثبت للكفار العلم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]، والجهل بقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. وليسوا سواء، بل إثبات العلم للمؤمنين إثبات الكرامة، وذكر الجهل تلقين عذر المعصية، وإثبات العلم للكفار إلزام الحجة، وذكر الجهل إثبات المنقصة.

(١٠) - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: المرض في اللغة: العلة، والإمراض: إثبات صفة المرض، والتمريض: القيام على المريض.

وقيل: هو كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة في جسد أو اعتقاد^(١)؛ من علة أو نفاق أو تقصير في أمر.

والمرض في القرآن لأربعة أشياء:

للعلة: في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وللجراح: في آية التيمم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [النساء: ٤٣].

(١) «في جسد أو اعتقاد»: سقط من (أ) و(ف).

وللفجور: في قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وللشك: في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

وأما التفسير فقد قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن عباس والربيع وقتادة رضي الله عنهم: أي: شك^(١).

وقال مقاتل: أي: نفاق.

وقال ابن الأنباري: أي: ظلمة، قال: يقال: ليلة مريضة؛ أي: مظلمة^(٢).

وقال بعضهم: أي: غم^(٣) بسبب نصرة النبي ﷺ وزوال رئاستهم إليه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: اضطراب وتردد، ومرض الجسم كذلك، وطريق تسمية النفاق مرضاً: أن المؤمن يسمّى^(٤) حياً والكافر ميتاً، فسمي المنافق مريضاً لتردده بين موافقة الظاهر ومخالفة الباطن، كتردد المريض بين بقائه حياً وبين موته^(٥).

ولأن^(٦) الله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَنَ أَنَّى اللَّهُ يُقَلِّبُ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]؛ أي: خال عن الشك والشرك، فكان قلب المنافق بخلافه، فلم يكن سليماً بل كان مريضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: الزيادة خلاف النقصان، ويجيء متعدداً كما

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/٢٨٨-٢٨٩).

(٢) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/٤٧٥).

(٣) بعدها في (ر): «في قلوبهم».

(٤) في (ف) و(أ): «سمي».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/٣٨٣-٣٨٤).

(٦) في (ر) و(ف): «لأن».

في هذه الآية، ولازماً كما في قوله تعالى: ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، ونظيرها^(١) نقيضها وهو النقصان، وهو متعد في قوله تعالى: ﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، ولازم في قول النبي ﷺ: «هن ناقصات العقل والدين»^(٢).

وأما التفسير:

فقد قيل: معناه: جازاهم الله بزيادة شك على شكهم عقوبة لهم على إصرارهم وعنودهم.

وقال السدي رحمه الله: فزادتهم عداوة الله مرضاً.

وقيل: أي: زادهم الله تعالى غمّاً على غمهم.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله: أي: زاد^(٣) الله تعالى خلق الكفر في اعتقادهم^(٤).

وقالت المعتزلة: هو على التخلية بين المنافق ونفاقه.

وهذا بناءً على أصلهم الفاسد، أنهم^(٥) لا يرون الكفر والمعاصي بتخليق الله تعالى ومشيته، فلا^(٦) يحملون مثل هذا إلا على التخلية.

(١) في (ف): «ونظير».

(٢) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لب الرجل الحازم من إحداهن»، وبنحو هذا رواه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «زادهم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/٣٨٤).

(٥) في (ف): «لأنهم».

(٦) في (ر): «ولا».

وقيل: معناه: زادهم ضعفاً عن الابتصار^(١)، وعجزاً عن الاقتدار، كما قال الشاعر:

يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ جَنُوباً وَصَبَا
إِنْ غَضِبْتَ زَيْدٌ فَرِذْهَا غَضَباً^(٢)
وزيدٌ قبيلةٌ، ومعنى الدعاء في هذا البيت: أي: لا تُقَدِّرْهَا عَلَى الْإِبْتِصَارِ^(٣) فيما غَضِبْتَ مِنْهُ.

ثم هذه الصيغة للتحقيق عند بعضهم، وللدُّعاء عند آخرين.

فإن قالوا: الدعاء للعاجز عُرفاً، فما معنى هذا الدعاء من الله تعالى؟

قلنا: هذا تعليمٌ من الله تعالى أنه يجوزُ الدعاءُ عليهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧] لَعَنَهُ اللَّهُ [النساء: ١١٧-١١٨]، وقريبٌ منه: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، وقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ثم: في هذه الآية إثباتُ خلقِ الأفعالِ من الله تعالى طاعاتِها ومعاصيها، قال تعالى هاهنا: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿زَادَهُمُ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

ثم قيل: زيادةُ مرضهم كان بإنزالِ الآياتِ المتتابعةِ والبراهينِ والحججِ المتناصرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١٣٤] وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(١) في (ف) و(أ): «الانتصار».

(٢) الرجز للأخطل، وهو في «ديوانه» (ص: ٣١٩)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٧١)، و«تفسير الراغب» (١/ ٩٩)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٠٠).

(٣) في (ف) و(أ): «الانتصار».

فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴿[التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]، وذلك على وجه التسبب^(١)؛ أي: صارت الآية سبباً لزيادة يقين هؤلاء ولزيادة شك هؤلاء، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] وقال: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

ومن العَجَبِ ازديادُ شكِّهم بالآياتِ النيرة، واضطرابُ قلوبهم مع الدلائلِ البينة^(٢)!

لكنَّ الشمسَ تزيدُ عليلَ العينِ علةً، والماءُ يزيدُ الحجرَ الصُّلبَ صلابَةً، هم قومٌ زادهم القرآنُ الذي أنزلَ شفاءً ورحمةً في القلوبِ علةً ومرضاً.

وقيل: كانت زيادةُ مرضهم بإنزالِ الفرائضِ والحدود، فقد كان يَشُقُّ عليهم التكلُّمُ^(٣) بالشهادة، فكيف وقد لحقتهم الزيادة^(٤)؟ وهي وظائفُ العباداتِ ثم العقوباتُ على الجنایات، فازدادوا بذلك اضطراباً على اضطراب، وارتياباً على ارتياب، ويزدادون بذلك في الآخرة عذاباً على عذاب، قال تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وفي العُقبي ما قال: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا^(٥) في العُقبي، والأولُ في الدنيا، والألُمُ في اللغة: الوجع، والأليم: الوجيع، وهو بمعنى: المؤلم؛ أي: المُوجع، كما يقال: السميعُ بمعنى المسموع، قال الشاعر:

(١) في (أ): «التسبب».

(٢) في (ف): «السنية».

(٣) بعدها في هامش (ر): «بكلمة».

(٤) في (أ): «لحقتهم الزيادات»، وفي (ف): «لحقتهم الزيادات».

(٥) في (أ): «وهذا».

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(١)
وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ:

فَقَدْ قِيلَ^(٢): أَي: يَصِلُ أَلَمُهُ إِلَى الْقُلُوبِ.

وَقِيلَ: هُوَ الشَّدِيدُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَنْقُطِعُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: أَي: بِكُونِهِمْ كَاذِبِينَ، فَإِنَّ (مَا) مَعَ (كَانَ) مَصْدَرٌ، وَكَذَا كُلُّ فِعْلٍ؛ تَقُولُ: سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، أَي: قَوْلَكَ.

وَكَلِمَةُ (كَانَ) قَدْ تَجِيءُ لِلْمَاضِي، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وَقَدْ تَجِيءُ لِلْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وَقَدْ تَجِيءُ لِلْحَالِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ نُنْكَلُ مِنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وَقَدْ تَجِيءُ جَامِعًا لِذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أَي: لَمْ يَزَلْ رَحِيمًا بِهِمْ فِي الْأَزَلِ وَفِي الْحَالِ وَفِي الْأَبَدِ.

وَقَدْ تَجِيءُ بِمَعْنَى: صَارَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

(١) البيت لعمر بن معدى كرب، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٢٨٢)، و«الأصمعيات» (ص: ١٧٢)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٦٠)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٦٢)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٩١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٨٤)، و«الصحاح» (مادة: سمع).

(٢) في (ر) و(ف): «فَقِيلَ» بدل: «فَقَدْ قِيلَ».

وقد تجيء بمعنى: وَقَعَ، كما في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].
ثم الكذبُ خلافُ الصدق، وفيه لغتان: كَذَبٌ وكِذْبٌ، كقولك: لَعِبْتُ وَلَعِبْتُ،
والتكذيب: النسبةُ إلى الكذب.
وقرأ أهل الكوفة: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف^(١)، وهو كذبهم فيما قالوا، وقرأ
غيرهم بالتشديد، وهو تكذيبهم الله تعالى ورسوله.
وأما تفسيره:

فقد قيل: أي^(٢): يَكْذِبُونَ على الله تعالى بإثبات الشريك.
وقيل: أي: بتحليل ما حرّمه الله وتحريم ما حلّله.
وقيل: أي: بقولهم: إنك لرسولُ الله، بألستهم من غير تصديق قلوبهم بذلك،
وهو منصوَصٌ عليه بقوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] إلى أن
قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].
وقيل: أي: بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِينَا الْآخِرُ﴾ من غير اعتقادٍ، وهو الذي سبق
ذكره في هذه الآيات، وتحقق به ما قلنا: أن^(٣) الإيمان ليس هو مجرد الإقرار،
فقد كذبهم الله تعالى في دعوى الإيمان مع إقرارهم باللسان؛ لمخالفة^(٤) الجنان،
والله المستعان.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢). والكوفيون من السبعة:

عاصم وحزمة والكسائي.

(٢) «أي»: ليست في (ر) و(ف)، و«فقد قيل» ليست في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «لأن».

(٤) في (ر) و(ف): «بمخالفة».

(١١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: (إذا) كلمة توقيف، وهي ظرفٌ للزمان المستقبل، و(إذ) ظرفٌ للزمان الماضي، والفسادُ ضدُّ الصلاح، والإفسادُ ضدُّ الإصلاح.

وأما تفسيره:

فقد قيل: أي: وإذا قال المسلمون لهؤلاء المنافقين^(١): لا تعملوا المعاصي^(٢) في أرض المدينة وما حولها.

وقيل: أي: لا تُدَاهِنُوا.

وقيل: أي: لا تفرّقوا الناس عن محمد ﷺ.

وقيل: أي: لا تصدّوا الناس عن دين الله وأتباع رسوله.

وقيل: أي: لا تُمايلوا^(٣) الكفار.

وقيل: أي: لا تتبعوا الهوى بتركِ المأمور وارتكابِ المنهي.

واختلفوا في المرادين بهذه^(٤) الآية:

قال ابن عباس وابن مسعود وجماعة رضي الله عنهم: هم المنافقون^(٥).

(١) بعدها في (أ) و(ف): «وهو النظم».

(٢) في (ف): «بالمعاصي».

(٣) قوله: «تمايلوا» كذا في النسخ الثلاث، ولعل الصواب: (تُمَالِثُوا)؛ أي: تُساعدوا وتُشايعوا، أما تمايلوا فمعناه على العكس تقريباً، يقال: مايلنا فمائلناه؛ أي: أغار علينا فأغَرْنَا عليه. انظر: «القاموس» مادة: ملأ ومال.

(٤) في (أ): «المراد بهذه» وفي (ف): «المراد من هذه».

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٩٧/١).

وقال مقاتلٌ، وهو روايةٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هم اليهودُ من هاهنا إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، قال: ويدلُّ عليه قوله تعالى^(١): ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ واليهودُ هم الذين كانوا يعتقدون هذا الإفسادَ إصلاحاً^(٢)، ويُظهرون ذلك، فأما^(٣) المنافقون فما كانوا يقولون ظاهراً: إن هذا إصلاحٌ، ولو قالوا ذلك لظهر كفرهم فقتلوا، فأما^(٤) اليهود - لعنهم الله - فقد كانوا أظهرُوا أنهم على الحقِّ وغيرهم على الباطل، والمنافقون^(٥) كانوا يقولون: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿وَيَحْفَظُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦].

ودليلٌ آخرُ: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ والمنافقون ما كان يمكنهم التكلم بهذا ظاهراً. فثبت أنه في اليهود، وإفسادهم هو كتمانُ حالِ النبي ﷺ، وصدُّ الناس عنه، وأخذهم الرشوة، وتغييرهم الأحكامَ بها^(٦).

وأما القائلون بأن الآية في المنافقين فقد قالوا: إن ما قبلها وما بعدها في المنافقين على ما بيَّنَّا ونبَّيْنُ، فأما قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فمعناه أنهم قالوا: لا نفعلُ هذه الأشياءَ التي هي إفسادٌ^(٧) بل نتبعكم على دينكم، وهذا إنكارٌ منهم للنفاق والإفساد.

(١) في (أ): «أنه قال قالوا» وفي (ف): «أنه قال جل وعلا». بدل: «قوله تعالى».

(٢) في (ر): «إصلاحاً».

(٣) في (ف): «وأما».

(٤) في (ف): «وأما».

(٥) في (ر) و(ف): «وأما المنافقون».

(٦) في (ف): «وتغييرهم أحكام التوراة».

(٧) بعدها في (ر): «منهم».

وكان إفسادهم على قول هؤلاء: ما ذكر في هذه الآيات: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]،
 وهي قصة تنفيرهم ناقة النبي ﷺ ليلة العقبة، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾
 [التوبة: ٦١]، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٧]، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ﴾
 جُنَّةً ﴿[المجادلة: ١٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلَعُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] وهو كعب بن
 الأشرف، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية [الحشر: ١١]،
 ﴿يَا مُرُوتَ يَا مُنْكَرَ وَيَتَهَوَّنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْضُوتَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) [التوبة: ٦٧]،
 ﴿لَوْ أَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ﴾ الآية [المنافقون: ٥]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿رَأَوْنَ النَّاسَ﴾
 [النساء: ١٤٢]، ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدُّونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، ونحوها.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ هي وجه بساط الدنيا، والسماء سقفاها.

وقيل: أريد بها هاهنا أرض المدينة، فإن إفساد المنافقين كان فيها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾ كلمتان في الأصل، (إن) كلمة تأكيد قرنت بـ (ما)، فصارت للحضر والقصر، فقوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾
 [النساء: ١٧١] تقديره: لا إله إلا الله الواحد، وقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠]
 كذلك، وكذا هاهنا معناه: ما نحن إلا مصلحون.

وقوله: ﴿نَحْنُ﴾: جمع (أنا) على غير لفظه، كـ: (هؤلاء) جمع (هذا) و(هذه)، وكقولهم: (أولئك) هو جمع (ذاك) و(ذلك) و(تلك)، وكالنسوة جمع المرأة، وكالإبل جمع الجمل والناقة، وكالغنم جمع الشاة.

(١) في (أ): «الآية» بدل: «﴿وَيَقْضُوتَ أَيْدِيهِمْ﴾».

ثم هذه الكلمة يتكلم بها الواحد إذا أخرج^(١) الكلام مُخرج خطابِ الملوك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [الحجر: ٢٣]، ويتكلم بها الاثنان، قال تعالى خبراً عن هاروتَ وماروتَ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ويتكلم بها الجماعة كما في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

والإصلاح: ضدُّ الإفساد، والصَّلاح والصَّلاح والصُّلوح: ضدُّ الفساد. وفي تصريفه ثلاث لغات: صَلَحَ يَصْلَحُ؛ كقولك: شَرُفَ يَشْرُفُ، وَصَلَحَ يَصْلَحُ؛ كقولك: دَخَلَ يَدْخُلُ، وَصَلَحَ يَصْلَحُ؛ كقولك: صَنَعَ يَصْنَعُ. والصُّلح والمُصالحة والإصلاح^(٢) من ذلك.

ثم لقولهم هذا وجوه:

أحدها: أنهم أنكروا الإفساد - وهو النِّفاق وما نُهوا عنه - لأنهم كانوا يُخفون ذلك، فأظهر الله تعالى ما أضَمَرُوا، وكَشَفَ ما سَتَرُوا.

والثاني: أنهم اعتذروا إلى المسلمين، وقالوا: إنما نوافق الكفار ونمايلهم^(٣) نريد بها الإصلاح بينهم وبين المؤمنين، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما^(٤).

والثالث: أنهم قالوا: نُصلح^(٥) أمرنا بموافقة الكفار في الباطن، وموافقة

(١) في (ف): «خرج».

(٢) في (ف): «والاصطلاح».

(٣) «ونمايلهم» كذا في النسخ، ولعل الصواب: «ونمالئهم» كما ذكرنا قريباً، وفي «البحر المحيط»: «إنَّ مما لا أتينا الكفار».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩٩/١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٥/١). وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٨٥/١).

(٥) في (ر): «يصلح».

المؤمنين في الظاهر؛ نظراً في العاقبة، حتى لو كان الظَّفَرُ لهؤلاء قالوا: نحن منكم^(١)، ولو كان لهؤلاء قالوا لهم كذلك.

والرابع: أنَّ هذا جوابُ اليهود، وأظهروا به أنَّ ما هم فيه إصلاحٌ وليس بإفسادٍ.

(١٢) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾: (ألا) كلمة تنبيه، و(إن) كلمة تأكيد، و(هم) كناية عن المذكورين قبله، و(هم) ثانياً تأكيد؛ لأن التكرير تأكيد^(٢) وتقرير، وهذا كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

أثبتوا لأنفسهم اسمَ المُصْلِحِينَ، فنفاه الله عنهم وأثبت لهم اسم المفسدين، فكان^(٣) لكلامهم أربعة أوجه، وفي هذا ردُّهم على تلك الوجوه:

أما الأول: فكان إنكاراً منهم وإسراءاً، وكان هذا هتكاً لأستارهم وإظهاراً.

والثاني: كان اعتذاراً بأننا نطلب الإصلاح باستمالة الكفار، فأخبر بهذا أنَّ هذا إفسادٌ منهم، حيث علم الكفار أنَّ المنافقين لهم أنصارٌ، وهذا باعثٌ لهم على الإصرار.

والثالث: كان ظناً منهم أنَّ موافقة الفريقين من وجهين تنفعهم في الحالين،

(١) في (أ): «معكم».

(٢) في (ف): «التأكيد تكرير»، وفي هامشها: «صوابه: لأن التكرير تأكيد وتقرير».

(٣) في (أ): «وكان».

فيكون إصلاحاً لبالهم، فأخبر أنه إفسادٌ لحالهم ومآلهم، فإنهم طلبوا رضى الفريقين، وقد فاتهم ذلك كله؛ فإن المؤمنين يبغضونهم؛ لِمَا أنهم لا يوافقونهم في الباطن، والكافرون^(١) يرذونهم؛ لِمَا أنهم لا يتابعونهم^(٢) في الظاهر، وكذلك حال أهل الرياء، ولا خلاصَ لهم إلا بالإخلاص.

والرابع: كان هذا جواب اليهود - لعنهم الله - جهاراً، وكانوا ممن قال الله تعالى: ﴿أَمَنَ زَيْنٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وكانوا كفرعون لعنه الله، سَمَّى صلاح موسى فساداً، وغواية نفسه رشاداً، فقال: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فردَّ الله تعالى عليه فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، وقال: ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وقال هاهنا: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

وقيل: في هذا ما يدلُّ على أنهم وصفوا أنفسهم بالإصلاح والمؤمنين بالإفساد^(٣)، واقتضى أنهم قالوا: إنما نحن مصلحون وأنتم مفسدون، فردَّ الله عليهم القولين^(٤)، وقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، وتقديره: هم المفسدون لا أنتم، ولو كان كلامهم هذا الواحد المنصوص عليه فحسب؛ كفى جواباً لهم: إنهم مُفسدون، فتكرارُ (هم) وتعريفُ النَّعت بالألف واللام دليلٌ على ما قلنا، وهو كقوله: ﴿إِنَّكَ

(١) في (أ): «والكفار».

(٢) في (أ): «يوافقونهم».

(٣) في (ف): «بالفساد».

(٤) في (أ): «القول».

شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»، هو ردُّ قول ذلك اللعين: إِنَّ مُحَمَّدًا لَأَبْتَرُ، إذا مات انقطع ذكره، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ لا أنت^(١).

ثم فيه بيان شرف المؤمنين، حيث تولى جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين، كما كان في حقِّ المصطفى عليه السَّلام، فإن الوليد بن المغيرة قال له: إنك مجنون^(٢)، فنفاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]^(٣)، ثم قال في حقِّ^(٤) ذمِّ ذلك اللعين: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [١٠] هَمَزَ مَشَاءَ بِمِيمٍ [١١] مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَنْيَمٍ [١٢] عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبِيرٍ [القلم: ١٠]^(٥)، وهي عشرة أسماء مذمومة^(٦).

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللعين المذكور هو العاص بن وائل.

(٢) في (أ): «إنك لمجنون»، وفي (ف): «إنه مجنون».

(٣) وروي عكس هذا، وهو أن الوليد بن المغيرة نفى عنه ﷺ ذلك الوصف بالجنون عندما أراد كفار قريش وصفه به، فروى البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفراً من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً... فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان، فما هو بزممة الكهان، فقالوا: نقول مجنون، فقال ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه... إلى أن قال: وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر، فتقولوا: هو ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه... فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿سَاطِئِيهِ سَفَرًا﴾.

(٤) «حق»: من (أ).

(٥) رواه ابن إسحاق في «سيرته» (٢/١٤٠) عن الربيع بن أنس.

(٦) في هامش (ف): «أسماء المنافقين عشرة في القرآن: مخادعون، جاهلون، كاذبون، مرضى، مفسدون، سفهاء، طاغون، صمٌّ، بُكمٌ، عُميٌّ».

فكَذَلِكَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ سَمَّوْا الْمُؤْمِنِينَ مَفْسِدِينَ، فَنَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَمَّى الْمُنَافِقِينَ بَعْشَرَةً أَسْمَاءٍ مَذْمُومَةٍ:

مخادعين: بقوله ^(١) تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾.

جاهلين: بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

مرضى: بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

كاذبين: بقوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

مفسدين: بقوله: ﴿هُمْ الْمُفْسِدُونَ﴾.

سفهاء: بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ﴾.

طاغين: بقوله تعالى: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وتماؤها بقوله ^(٢): ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: (لكن) كلمة استدراك، وقيل: هي تحقيقُ شيءٍ تُثَبِّتُهُ بِدَلٍّ شَيْءٍ تَنْفِيهِ.

وَيُشَدِّدُ وَيُخَفِّفُ، وَالْمُشَدِّدُ نَاصِبٌ، وَالْمُخَفِّفُ رَافِعٌ، وَيَدْخُلَانِ جَمِيعاً الْأَسْمَ، وَالْمُخَفِّفُ مِنْهُ يَدْخُلُ الْفِعْلَ أَيْضاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ^(٣).

[هود: ١٠١].

وقد تسقط نونُهُ لِلضَّرُورَةِ فِي الشَّعْرِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) فِي (ر) وَ(ف): «لِقَوْلِهِ»، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (أ)، وَكَذَا وَقَعَ فِي الْمَوَاضِعِ السَّيِّئَةِ الْآتِيَةِ.

(٢) فِي (ر): «لِقَوْلِهِ».

(٣) فِي (ر): «كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ» بدل: «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ».

فلمست بآتيه ولا أستطيعه^(١) ولاك^(٢) اسقني إن كان ماؤك ذا فضل^(٣)
وفي موضع العطف تكون (لكن) المُخَفَّفَةُ كسائر حروف العطف في العمل،
تقول: ما جاءني زيدٌ لكنْ عمرو، و: ما رأيتُ زيداً لكنْ عمراً، و: ما مررتُ بزيدٍ
لكنْ^(٤) عمرو.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون.

واختلف في معناه:

قيل: لا يعلمون أنهم مفسدون، وأنَّ فعلهم إفسادٌ.

قال^(٥) الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: إنَّ كان التأويلُ هذا؛ فهو ينقضُ
قولَ مَنْ يقول: إنَّ الحُجَّةَ لا تلزم إلا بالمعرفة، وهو قولُ الناشئ^(٦) وغيره
من المعتزلة؛ لأنه أخبرَ بفسادِ صنيعهم وإن لم يشعروا به، وهو كقوله أيضاً:
﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] أخبر بحَبْطِ أعمالهم وإن كانوا لا

(١) «فلمست بآتيه ولا أستطيعه» ليس في (أ) و(ف)، ولكن في هامش (ف): «وتمامه:

فلمست بآتيه ولا أستطيعه ولك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل»

(٢) رسمت في (أ) و(ف): «ولك».

(٣) البيت للنجاشي الحارثي. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٦).

(٤) في (ر): «ولكن»، وكذا في الموضوعين السابقين بالمشاركة مع (ف).

(٥) في (ر) و(ف): «وقال».

(٦) هو عبد الله بن محمد، أبو العباس، المعروف بابن شرشير الناشئ، شاعر متكلم يعد في طبقة ابن الرومي والبحري، أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها، وتوفي بها سنة (٢٩٣هـ)، وكان من كبار المعتزلة. انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٨١). وتحرف «الناشئ» في مطبوع «التأويلات» إلى: «الناس».

يعلمون^(١)، بعد أن كانوا بسبيل العلم به؛ أي: مُتَمَكِّنِينَ من الوصول إلى العلم بالنظر في دلائله.

وقيل: ليس هذا نفي حقيقة العلم، بل هو نفي عملهم بالعلم، وقد قرَّره فيما مر.

وقيل: أي: لا يشعرون^(٢) أنهم يعذبون على ذلك.

وقيل: أي: لا يشعرون متى ينزل بهم الموتُ فتقطع عنهم التوبة.

ولمَّا كانوا موصوفين بالعلم في الأصل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وصاروا موصوفين بالجهل بقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الوجوه الثلاثة: أنهم لم يعلموه إفساداً، ولم يعلموا أن عليه عذاباً، ولم يعلموا متى يموتون قبل أن يتوبوا؛ ألزمهم الحجَّة، فأزال هذه الجهالات بالدَّلالات، فقال: إنه إفسادٌ، بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، وقال في عذابه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال في الموت: ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٢].

وكذا وصف المؤمنين بالعلم بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ثم وصفهم بالجهل لمخالفتهم^(٣) العلم، فقال: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، وكان جهلهم من هذه الوجوه الثلاثة، فأزالها، فقال في حقِّ الأول: إِنَّهُ فَسُوقٌ، بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال في عقوبته: ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٨٥).

(٢) في (أ): «يعلمون».

(٣) في (أ): «بمخالفتهم».

لَفِي حَجِيمٍ ﴿﴾ [الأنفطار: ١٤]، وقال في الموت: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿﴾ الآيات (١) [المنافقون: ١٠].

(١٣) - ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿﴾: ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ الآية نزلت في شأن اليهود ومسلمي أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي وأصحابه، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث ابن مسعود وجعفر الطَّيَّارَ رسولاً إلى النجاشي، فاستقبلهم غير الشام وفيهم أهل الكتاب، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ جهراً، فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴿﴾ [النساء: ٤٧]، وفي العير عبد الله بن سلام، فلما سمع ذلك هاب، وجعل يمسح رأسه ووجهه خوفاً من المَسْخِ، وَهَمَّ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (٢) على يديه، فأتى المدينة، ودخل على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله! إني سيد قومي، وهم (٣) يُعَظِّمُونَنِي، فأرجو أنهم يُسَلِّمُونِ بِإِسْلَامِي، فادعهم وسلهم عني ومن (٤) أنا فيهم، وأخبرهم بإسلامي، فعسى

(١) في (أ): «الآية» بدل: «﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿﴾ الآيات».

(٢) في (ف): «ويسلم».

(٣) في (أ): «وإنهم».

(٤) في (أ) و(ر): «من».

يجيبونك، ففعل، فلمَّا دخلوا عليه قال لهم^(١): «ما تَعُدُّون فيكم ابنَ سَلام؟» قالوا: هو^(٢) سَيدنا وابنُ سَيدنا، وأَعلَمُ يهوديٍّ بقي على وجه الأرض بالكتاب الذي أَنزل اللهُ تعالى على موسى عليه السَّلام، فقال النبي ﷺ: «أَتَسْلَمُونَ إِن أَسْلَمَ هو؟» فقالوا: هو لا يُسَلِّم، فَكَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذلك، فَأَجابوا كذلك، فخرج عليهم عبدُ اللهِ بنُ سَلام وقال^(٣) لهم: يا أعداء الله! فَعَلَ اللهُ تعالى بكم كذا وكذا، أَمَّا وَجَدْتُمْ نَعْتَ مُحَمَّدٍ وَصِفَتَهُ مَكْتُوباً فِي التَّوْرَةِ فِي مَوْضِعٍ كَذَا؟ فقالوا: يا ابنَ سَلام! ما كنت أَهلاً لِلَّذِي أَثْنِينَا عَلَيْكَ، وَلَكِنْ كُنْتَ غَائِباً فَكْرَهْنَا أَنْ نَغْتَابَكَ، وَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّكَ رَجُلٌ جَاهِلٌ سَفِيهٌ، فَأَنزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٤).

فعلى هذا تأويل الآية: ﴿وَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لليهود: ﴿ءَامِنُوا﴾ بمحمد وكتابه ﴿كَمَاءَ أَمْنٍ﴾ عبدُ اللهِ بنُ سَلام وأَصْحَابُهُ وَالنَّجَاشِيُّ وَأَصْحَابُهُ؛ ﴿قَالُوا أَلَا نَزَّلَ اللَّهُ كَمَاءً أَمِنَ الشُّفْهَاءَ﴾؛ أي^(٥): هؤلاء الجَهَّال؛ أي: ابنُ سَلام وأَصْحَابُهُ وَالنَّجَاشِيُّ وَأَصْحَابُهُ. وقال الحسن: ﴿كَمَاءَ أَمْنٍ الشُّفْهَاءَ﴾؛ أي: النساء والصبيان^(٦).

(١) «لهم»: من (أ).

(٢) في (أ): «فقالوا» بدل من «قالوا: هو».

(٣) في (أ): «فخرج عبد الله إليهم فقال».

(٤) لم أجده بهذا السياق، وإنما أورده السمرقندي في «تفسيره» (٥٥/١) من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً: أنها نزلت في شأن عبد الله بن سلام وأصحابه، وعلى كل حال فالكلبي متروك والخبر بهذا السياق واه، وروى البخاري (٣٩١١) و(٤٤٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يذكر فيه سبب نزول الآية ولا قصة العير.

(٥) «الشُّفْهَاءَ﴾ أي: ليس في (ر) و(ف).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٨/٦).

وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في رواية، ومجاهد وقتادة والربيع والسدي: إنها في المنافقين^(١).

وتفسيرها على هذا القول: وإذا قيل للمنافقين: آمنوا بالقلوب مع إيمانكم بالألسنة كما آمن أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾؛ أي^(٢): هؤلاء الصحابة الذين لا يعلمون شيئاً؟

فعلى التفسير الأول: كان قولهم هذا جهرة^(٣)؛ لأنهم كانوا مصرين على اليهودية ظاهرين، وبالكفر^(٤) مجاهرين.

وعلى التفسير الثاني: كان المنافقون لعنهم الله يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم، لكن هتك الله عز وجل أستارهم وأظهر أسرارهم؛ عقوبة لهم على عداوتهم، وهذا كما أظهر ما أضمره أهل الإخلاص من الكلام الحسن وإن لم يتكلموا به بالألسنة^(٥)؛ تحقيقاً لولايتهم، قال الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الإنسان: ٧] إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وكان هذا في قلوبهم، فأظهره الله تعالى تشريفاً لهم وتشهيراً لحالهم.

وفي الآية بيان رسالة النبي ﷺ، وهو أنه أخبر بما في قلوب المنافقين بإخبار رب العالمين على ما مر.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٣/١) عن ابن مسعود وابن عباس والربيع والسدي. وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (٧٥/١).

(٢) «السُّفَهَاءُ» أي ليست في (ر) و(ف).

(٣) في (ر) و(ف): «جهراً».

(٤) في (أ): «بالكفر».

(٥) في (أ) و(ف): «بالألسن».

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ﴾: هو جمع السَّفيه، ومصدره: السَّفه والسَّفاهة، وذلك ضدَّ الحِلْم، ويقال: هو خِفَّةُ العقل، يقال: ثوبٌ سَفِيهٌ؛ أي: رَدِيءُ النَّسج، وتَسَفَّهَتِ^(١) الرِّيحُ الشَّجَرَةَ؛ أي: مالت بها وحرَّكتها واستخفَّتْها، قال أبو تمام:

سَفِيهٌ الرُّمَحُ جاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَأَ فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الْحَلِيمِ^(٢)
أي: سريعُ الطَّعنِ بِالرَّمَحِ خَفِيفُهُ.

وسَفَّهْتُ الشَّيْءَ: إِذَا^(٣) اسْتَحَقَّرْتَهُ، وتَسَفَّهْتُ^(٤) فلاناً عن ماله؛ أي: خدعته. والسَّفه: أَنْ يُكْثِرَ الرَّجُلُ شُرْبَ الْمَاءِ فَلَا يَرَوِي، وسافَهَتِ الدَّنَّ: إِذَا قَعَدَتْ عِنْدَهُ تَشْرَبُ مِنْهُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، وسافَهَتِ النَّاقَةُ الطَّرِيقَ؛ أي: لَا زَمَتَهُ لَا تَبَالِي بِهِ. وأما التفسير^(٥):

فقد قيل: السَّفَهَاءُ: الْجُهَّال.

(١) في (ر) و(ف): «وسفَهت»، والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في كتب اللغة والتفسير. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/٣٦٢)، و«جمهرة اللغة» (٢/٨٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/٣١٥)، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج» (مادة: سفه)، و«مجمل اللغة» (١/٤٦٣)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (١/٩١٩)، و«المحكم» (٤/٢٢٢)، و«زاد المسير» (١/٣٣). لكن وقع في «الفائق» (٢/١٨٢)، و«تفسير الرازي» (٢/٣٠٨): «سَفَّهت»، ولعله خطأ من الناسخ.

(٢) انظر: «شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي (٢/٧٨).

(٣) في (ر): «أي».

(٤) في (ر) و(ف): «وسفَهت»، والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في كتب اللغة. انظر: «الصحاح» و«اللسان» و«التاج» (مادة: سفه)، و«مجمل اللغة» (١/٤٦٣)، و«مقاييس اللغة» (٣/٨٠)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٤/٢٠٦).

(٥) في (أ): «تفسيره».

وقيل: البَهَاتُونَ الْمُتَعَمِّدُونَ لخلاف ما يعلمون^(١).

وقيل: الْجُهَّالُ الظَّالِمُونَ القائلون خلاف الحق.

وقيل: الْمُجَاهِرُونَ التَّارِكُونَ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ.

وقيل: الْجُهَّالُ بِمَصَالِحِ الْأُمُورِ، الْخِفَافُ الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ.

وحاصلُ تفسير السَّفَهَةِ^(٢) في صفة المنافق على مجموع اللُّغات وأقاويل الطبقات: أنه ظاهرُ الجهل، عديمُ العقل، خفيفُ اللَّبِّ، ضعيفُ الرَّأْيِ، رديءُ الفَهم، مُمَالُ الغيِّ، مُسْتَخَفُّ الْقَدَرِ، سريعُ الذنب، حقيِرُ النَّفْسِ، مَخْدُوعُ الشَّيْطَانِ، أَسِيرُ الطُّغْيَانِ، دَائِمُ الْعِصْيَانِ، مُلَازِمُ الْكُفْرَانِ، لَا يَبَالِي بِمَا كَانَ.

وفي قولهم هذا شيان اثنان: تَأْيِسُهُمْ^(٣) عن إيمانهم، وتسفيه مَنْ آمَنَ مِنْ إخوانهم.

وهذا الاستفهام في أول الكلام للاستعجاب والاستعظام، تراءى لهم أنهم هم الْأَلْبَاءُ^(٤)، وَأَنَّ غَيْرَهُمُ السُّفَهَاءُ^(٥)، وهذا من تسويلِ النفس وتزيينِ الشَّيْطَانِ، ومنه ضلالاتُ أهل الهوى والطُّغْيَانِ، فقال^(٦) الله تعالى: ﴿لَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾.

وهذا أكرمُ رُتَبَةٍ وأعزُّ رِفْعَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ إِذْ حَمَاهُمْ وَرَعَاهُمْ، وَرَدَّ^(٧)

(١) في (ف): «يعملون».

(٢) في (أ): «السفيه».

(٣) في (ر): «تأيسهم».

(٤) في (أ): «أنهم الأولياء»، وفي (ف): «أنهم ألباء».

(٥) في (ر): «هم السفهاء».

(٦) في (ر) و(ف): «قال».

(٧) في (أ): «أي ورد».

على مَنْ عاداهم، وبالسُّوءِ رماهم، فقال بأبلغ ما يُبدأ به الكلام: ﴿أَلَا﴾، وبأؤكد ما يُؤسَّس به النظام: (إِنَّ)، وبأحسن ما يُتبع به البدء بالختم^(١): (هَمْ) ^(٢) هم السفهاء؛ أي^(٣): لا هؤلاء؛ لأنهم بإيمانهم وإخلاصهم من السَّفَهِ هربوا، وفي العلم والحقَّ رَغِبوا، وهم العلماء على الحقيقة، والمستقيمون على الطريقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنهم هم السفهاء.

وقيل: أي: لا يعلمون علماً يُمَيِّزون به بين الحقِّ والباطل.

وقيل: أي: لا يعلمون عاقبة صنيعهم.

وقيل: أي: لا يتفنون بعلمهم، لا أنهم يُعَذِّرون بجهلهم.

ثم^(٤) من لطائف الآيات: أن الذين قالوا لهوِ النبي عليه الصَّلَاة والسَّلَام: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] أجابهم هو بنفسه، فقال: ﴿يَقَوْمُ لَيْسَ بِسَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٧]، والله تعالى تولَّى جوابَ المؤمنين، وأثبت السَّفَهَ للقائلين، فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾.

(١٤) - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا﴾: ﴿لَقُوا﴾؛ أي: عاينوا، واللقاء:

(١) في (ر): «والختم».

(٢) «هم» ليس في (ر) و(ف).

(٣) «أي»: ليست في (أ).

(٤) في (ف): «و».

الرؤية والمُعَايَنَة، واللُّقْيُ واللُّقْيَا^(١) كذلك، والمُلاقاة والالتقاء: الاجتماع، وهو للاجتماع في الحرب أيضاً على الخصوص، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣].

والتَّلَقَّى: الاستقبال، وهو الأخذ أيضاً في قوله^(٢): ﴿فَلَقَّيْنَاهُ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهو رواية بعضهم من بعض في قوله: ﴿وَإِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥].
وأما تفسيره:

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما - في رواية عنه - ومقاتل^(٣) وأبو سهل الطَّلَقَانِي: معناه: وإذا عاين اليهود المؤمنين^(٤)، ويدلُّ عليه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، وذاك في حقِّ اليهود بالإجماع^(٥).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ومجاهد والجمهور: وإذا عاين المنافقون المؤمنين^(٦).

(١) في (أ): «واللقياء»، ولم نقف على هذا اللفظ في معاجم اللغة، واللُّقْيَا: بكسر اللام وضمها، كما في «القاموس» (مادة: لقي) وزاد في المعنى ألفاظاً كثيرة.

(٢) في (ر): «قال الله تعالى» بدل: «في قوله».

(٣) «ومقاتل» ليست في (ف)، والعبارة في (أ): «فقد قال بعضهم وهو رواية عن ابن عباس وبه قال مقاتل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٦/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٩٠/١ - ٩١).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠٦/١ - ٣٠٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٧/١) عن ابن عباس ومجاهد. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٩٤/١).

وأما النزول:

فقد رُوي أن عبد الله بن أبي المنافق كان جالساً مع أصحابه المنافقين على قارعة الطريق، إذ استقبله أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله لأصحابه: انظروا إليّ وتعلّموا مني كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فانظروا كيف أكلّمهم، فافعلوا كما أفعل، فقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أول من لقيه: مرحباً بسيد بني تيم بن مرة، القوي في دين الله، صاحب رسول الله ﷺ في الأسفار، ثاني اثنين إذ هما^(١) في الغار، الباذل نفسه وبنته وماله لرسول الله.

ثم استقبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب بن مرة، القوي في دين الله، الشديد الغضب على أعداء الله، الباذل نفسه وبنته وماله لرسول الله ﷺ.

ثم استقبله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: مرحباً بسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ؛ لأن الله جلّ جلاله اصطفاه وخصّه من بين خلقه بالنبوة.

فقال له علي رضي الله عنه: اتق الله ولا تُنافق، فإن المنافقين شرّ خلقه الله عزّ وعلا في الأرض، فقال: يا أبا الحسن! لا تقل هكذا، فوالله إن إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم، ونحن مؤمنون في السرّ والعلانية.

ثم افترقوا، فقال عبد الله بن أبي لعنه الله: كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم؟ فقالوا: لا نزال بخير ما عشت فينا^(٢).

(١) «إذ هما» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «بيننا».

ثم رجع أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه إلى النبي ﷺ فأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية في شأنهم^(١).

فَأَمَّا مَنْ حَمَلَهَا عَلَى الْيَهُودِ - وَهُمْ مُجَاهِرُونَ بِالْكَفْرِ - فَإِنَّهُ حَمَلَ^(٢) قَوْلَهُمْ: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾^(٣) عَلَى الْإِيمَانِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].
وَأَمَّا مَنْ^(٤) حَمَلَهَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَظَاهِرٌ.

وانتظام هذه الآية بالآية التي قبلها: أنه ذكر في تلك الآية ما قالوا لهم، وذكر في هذه الآية ما قال المنافقون لأولئك، في تلك الآية مقابلة التَّسْفِيهِ بالتَّسْفِيهِ^(٥)، وفي هذه الآية مقابلة الاستهزاء بالاستهزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: فقولُه: ﴿خَلَوْا﴾ للجمع، وللواحد: خلا، وصَرْفُه: خَلَا يَخْلُو خُلُوًّا، وَخَلَا الْمَكَانُ خَلَاءً^(٦)؛ أي: صار خالياً، وخَلَا فلان^(٧) بفلان: إذا اجتمعَا على الخُلُوَّةِ، وَخَلَا بامرأته؛ أي: دخل بها، وَخَلَا

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٥): محمد بن مروان متروك متهم بالوضع، وسياقه في غاية النكارة.

(٢) في (أ): «يحمل»، وهي ليست في (ف).

(٣) «قولهم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾» كذا في النسخ الخطية، ولو كانت: (قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾) لكان أنسب.

(٤) «من» ليس في (ف).

(٥) في (أ): «السفيه بالسفيه».

(٦) «خلاء» ليس في (أ).

(٧) «فلان» ليس في (أ) و(ف).

إليه؛ أي: انصرف إليه للخُلوة، وَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ؛ أي: صارت خَلِيَّةً؛ أي: طالقاً، وَخَلَا؛ أي: مضى.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾؛ أي: أَفْضُوا إِلَيْهِمْ.

وقيل: أي: رجعوا إليهم.

وقيل: أي: خَلَّوْا مَعَ شَيَاطِينِهِمْ؛ أي: اجتمعوا معهم على الخُلوة، وَ﴿إِلَىٰ﴾ بِمَعْنَى (مَعَ)، قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ أي: مَعَ اللَّهِ^(١).

وعلى هذا قوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: مَعَ المرافق.

وقيل: معناه: انصرفوا من لقاء المؤمنين إلى شياطينهم، فَمَنْ دَخَلَ عَلَى أَحَدٍ ابْتِدَاءً؛ قيل: خلا به، وَإِذَا انصرف عن أَحَدٍ ودخل على غيره؛ قيل: خلا إليه.

وقال الأخفش: خَلَوْتُ إِلَيْهِ؛ أي: جعلته غايتي في حاجتي^(٢).

وقال بعض الكوفيين: ﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾؛ أي: صرفوا خُلُوتَهُمْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ.

فأما الشياطين؛ فهو جمع شيطان.

وقال الخليل: كُلُّ مُتَمَرِّدٍ عِنْدَ الْعَرَبِ شَيْطَانٌ^(٣).

واختلفوا في المُرَادِينَ بهذا الاسم هاهنا:

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/١٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/٥١).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٦/٢٣٦ - ٢٣٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: شطن).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم اليهود الذين أمروهم بالكذب^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هم رؤساؤهم في الكفر^(٢).

وقال الضحاك: هم كهنتهم^(٣).

وهم في قريظة: كعب بن الأشرف، وفي بني أسلم^(٤): أبو بردة، وفي جُهينة: عبد الدار، وفي بني أسد: عوف بن عامر، وفي الشام: عبد الله بن السوداء^(٥).

وكانت العرب تعتقد فيهم أنهم مُطَّلَعُونَ^(٦) على الغيب، ويعرفون الأسرار، ويُداوون المرضى^(٧)، وليس من كاهنٍ إلا وعند العرب أنَّ معه شيطاناً يُلقِي إليه كهنته.

وسُمُّوا شياطينَ لبعدهم عن الحق، فإنَّ الشُّطُونَ: هو البعد، ولَعُتَوْهم وتمردهم،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٦/١) من طريق الضحاك عن ابن عباس، و(٣٠٧/١) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس. والضحاك لم يسمع من ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٧/١) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن مسعود وابن عباس. وهذا إسناد متكلم فيه كما سيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٥/١).

(٤) في (أ): «حليم»، وفي (ر) و(ف): «سليم»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٥) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٥٥/١) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥٦/١)، والبغوي في «تفسيره» (٦٧/١)، والخازن في «تفسيره» (٢٨/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومثل هذا كثيرٌ ما يرد عند بعضهم عن الكلبي وعند آخرين عن ابن عباس.

(٦) في (أ): «يطلعون».

(٧) في (أ): «الأمراض».

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ: هو العاتي المُتَمَرِّد، ولأنَّ الشياطينَ قُرْنَاؤُهُمْ فَسُمُّوا بِقُرْنَائِهِمْ، ولأنَّ مَنْ شَابَهَ أَحَدًا سُمِّيَ بِهِ، وَلَمَّا كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى صِفَةِ الشَّيَاطِينِ سُمُّوا بِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَنْ رَأَاهُ يَتَّبِعُ حَمَامًا: «شَيْطَانٌ يَتَّبِعُ شَيْطَانًا»^(١).

وقال للمارِّ بين يدي المُصَلِّي: «فَلْيَقَاتِلْهُ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»^(٢).

وقال نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُوسُفَ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] لَمَّا رَأَيْنَهُ بِصِفَةِ الْمَلِكِ.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: علماءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٣)، لَمَّا كَانُوا بِصِفَتِهِمْ. فعلى العاقلِ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَتَّصِفَ بِصِفَةِ الشَّيَاطِينِ وَالْأَغْوِيَاءِ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: (مع) كَلِمَةُ قِرَانٍ، يُقَالُ: جَاءَ زَيْدٌ مَعَ عَمْرٍو؛ أَي: مُقْتَرِنًا بِهِ، وفيه لَغْتَان: تحريكُ العينِ وتسكينُها، قال الشاعر:

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه (٣٧٦٤) و(٣٧٦٥) و(٣٧٦٦) و(٣٧٦٧) من حديث عائشة وأبي هريرة وعثمان وأنس رضي الله عنهم، وهو حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١٩٩) ونقل عن الدميري قوله: هذا الحديث لا يُعرف له مَخْرَجٌ، لكن في «صحيح البخاري»: «العلماء هم ورثة الأنبياء». وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٤٥٩).

واللفظ الذي نسب له البخاري ذكره في «صحيحه» في (كتاب العلم)، (باب: العلم قبل القول والعمل) تعليقا، ورواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «الأغوياء».

وَمَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ وَرَزَقُ اللَّهِ مُؤْتَابٌ وَغَادٍ^(١)
ويقال: جاء معاً، بالتونين؛ أي: مقترنين، ويقال: جئت من معه؛ أي^(٢):
من عنده.

وهو في القرآن لمعان:

لِلْقُرْآنِ: وهو الأصل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [النور: ٦٢].

وَلِلْقُرْآنِ وَاللَّحُوقِ: قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾^(٣) [الأنبياء: ٢٤].

وبمعنى: بعد، قال: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يوسف: ٣٦].

وبمعنى: عند، قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١].

وبمعنى: سوى، قال: ﴿أَءِلَهِهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: سوى الله.

وبمعنى: المعونة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].

وبمعنى: العلم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ١٠٨].

وبمعنى: المتابعة، قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) البيت دون نسبة في «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ٢٣٤)، و«شرح كتاب سيويه» لأبي سعيد السيرافي (١/ ٢٢٣)، «الحجة في القراءات السبعة» لابن خالويه (ص: ٢٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» للفارسي (١/ ٤٠٩)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٣٠٦). وجاء في هامش (أ) عند كلمة «مؤتاب»: «راجع».

(٢) بعدها في (ف): «راجع»، وليست في المصادر. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٠٤)، و«المنتخب من كلام العرب» للهنائي الملقب بكراع النمل (١/ ٦٠٤)، و«حروف المعاني» للزجاجي (ص: ٧٧).

(٣) ﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ ليس في (ف).

وبمعنى: شهود الصورة، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [النساء: ١٤١].

وبمعنى: شهود القلب، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾^(١).

وبمعنى: شهود الصورة والقلب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: معناه: إِنَّا عَوْنٌ لَكُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَإِنْ كُنَّا مَعَهُ ظَاهِرًا.

وقيل: معناه: إِنَّا لَكُمْ أَنْصَارٌ.

وقيل: أي: إِنَّا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْعِدَاوَةِ.

وقيل: أي: إِنَّا عَلَى دِينِكُمْ.

أَرَادُوا الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَحُرِّمُوا مِنْهُمَا^(٢)، قال الله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ

لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

كَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ^(٣) أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ طَرِيقِ الْإِرَادَةِ وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَادَةِ لَا يَلْتَمِمْ لَهُ

ذَلِكَ، وَالضُّدَّانَ لَا يَجْتَمِعَانِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ خَلِيطٌ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ

قَلْبِهِ رَبِيطٌ، كَانَ نَهْبًا لِلطَّوَارِقِ، وَمُنْقَسِمًا بَيْنَ الْعِلَاقِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾، الْهُزْءُ: السُّخْرِيَّةُ مِنْ شَيْءٍ يَحِقُّ عِنْدَ

صَاحِبِهِ وَلَا يَحِقُّ عِنْدَ الْهَازِئِ، وَقَدْ هَزَأَ بِهِ؛ أَي: سَخِرَ، وَالْهُزْأَةُ^(٤) بَتْسُكِينِ الزَّايِ:

(١) فِي (ف): ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ بدل: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

(٢) فِي (أ): «عَنْهُمَا»، وَفِي (ف): «عَنْهَا».

(٣) فِي (ف): «أَرَامَ».

(٤) فِي (ر): «وَالْهُزَاءُ»، وَفِي (ف): «وَالْهُزَاءُ».

هو الذي يُسخر منه، والهَزْأَةُ^(١) بفتحها: هو الذي يَسخر من الناس، والاستهزاء كالهَزء، بمنزلة الاستسغار، وهو كالسخرية.

وانتظامه بما قبله: أنهم لما قالوا لشیاطينهم: ﴿إِنَّمَعَكُمْ﴾، قالوا: فما لكم تشهدون مشاهدهم، وتدخلون مساجدهم، وتحجّون وتغزون معهم؟ قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾.

قيل: معناه: ساخرون بمحمد وأصحابه ﷺ.

وقيل: أي: مُكذَّبون بما يدعو إليه.

وقيل: أي: تُريهم أننا نوافقهم على دينهم ظاهراً وباطناً، وإنما نكون معهم ظاهراً لنشاركهم في غنائمهم، وننكح بناتهم، ونطلع على أسرارهم^(٢)، ونحفظ أموالنا وأولادنا ونساءنا من أيديهم.

(١٥) - ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: له ثمانية أوجه:

أحدها: أنه عاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم، فإنهم أظهروا الإيمان وفي باطنهم النفاق، والله تعالى أظهر لهم في الحال الأمان، وعاقبتهم الإحراق بالنيران.

والثاني: أن معناه: يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم، والعربُ تُسمي الجزاء

باسم الابتداء، قال عمرو بن كلثوم:

(١) في (ر): «والهزء».

(٢) في (ف): «سرايرهم».

أَلَا لَا يَظْلِمَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَظْلِمَ فَوْقَ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ^(١)
 أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٢)
 وفي القرآن: ﴿وَجَزَّوْا سَنِينَ سَنِيَّةٍ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا
 بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدَّوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّيْ
 عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ
 اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا^(١٥) وَآكِيدًا^(١٦)﴾ [الطارق: ١٥]، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾
 [التوبة: ٦٧]، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ^(١٤)﴾ [الله
 يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ] .

والثالث: قول سيبويه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ أي: يُوقِعُ بِهِمْ ضَرَرَ اسْتَهْزَائِهِمْ، كما
 قال في الخداع: ﴿وَمَا يَتَخَذُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩]، وهو كقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
 السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] .

والرابع: قول ابن عباس رضي الله عنهما: كلُّما أحدثوا خطيئةً جدَّ لهم نعمة^(٣) .
 والخامس: قول الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله: هو إعطاء المراد في
 الحال، وأخذُ البَغْتَةِ في المال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
 أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] .

(١) هذا البيت من (ر) و(ف) ولم أجده .

(٢) انظر: «شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٤٢٦)، و«شرح المعلقات
 السبع» للزوزني (ص: ٢٢٦) .

(٣) أورده الواحدي في «التفسير البسيط» (٢/ ١٧٠ - ١٧١) . وكلمة «نعمة» وقع بدلاً منها في (ر):
 «عقوبة»، وفي (ف): «نقمة» .

والسادس: أنهم قالوا للنبي ﷺ: نشهد أنك لرسول الله، ولم يكن ذلك في عقيدتهم، ويقال للمنافق: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وليس ذلك من صفتهم^(١).

والسابع: قول قتادة: وهو ما أخبر الله تعالى عن حالهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ﴾ إلى أن قالوا: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] بما قلتم لشياطينكم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، واليوم تقولون لنا: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، وكنتم تستهزئون^(٢)، فاليوم نحن بكم مستهزئون^(٣).

فيكون الاستهزاء من المؤمنين مجازاة لهم، وإنما أضاف الله تعالى ذلك إلى نفسه بقوله: ﴿أَلَمْ يَسْتَهْزِئْ بِهِمْ﴾؛ تشرifaً للمؤمنين، وجعلاً لفعلهم^(٤) فعله، كما قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والثامن: قول الكلبي: أنهم ضحكوا من المؤمنين في الدنيا، فيجعلهم يوم القيامة يضحكون منهم، وهو أنه يجعل المؤمنين يطلعون على المنافقين من^(٥) الجنة، فيقولون لهم: أتحبون أن تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة، فيقولون: نعم، فيُفتح لهم باب من النار، فيقصدون إليه، فيُغلق عليهم، ثم يُفتح لهم^(٦) باب آخر،

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/٧٨).

(٢) في (ف): «مستهزئون».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/٩١)، و«تفسير الطبري» (١/٣١٢).

(٤) في (ر): «كفعلهم».

(٥) في (ر): «في».

(٦) «لهم» ليس في (أ) و(ف).

فيقصدونه فيُغلق عليهم^(١)، فلا يزال يُفعل بهم كذلك والمؤمنون يضحكون منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] إلى أن قال: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ الآيات^(٢) [المطففين: ٣٤].

ودلت الآية على قُبْح الاستهزاء بالناس، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُقُومُ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، فأخبر أنه فَعَلَ الجاهلين، وإذا كان وعيد الاستهزاء بالناس هذا، فما جزاء الاستهزاء بالله تعالى؟! وهو فيما قال النبي ﷺ: «المستغفر من الذنب وهو مُصِرٌّ عليه كالمستهزئ بربه»^(٣).

ثم مُقَابَلَةُ الاستهزاء بالاستهزاء دليل على أَنَّ الجزاء من جنس العمل، وقد عَدَدْنَا آيَاتٍ فِي أَجْزِيَةِ أَعْمَالِ الشُّوْءِ، وَأَجْزِيَةِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ كَذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وَقَالَ: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وَقَالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾^(٤) [يونس: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ حَاجِبًا إِلَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) فِي (ر): «فَيَقْصِدُونَ إِلَيْهِ»، وَالْعِبَارَةُ لَيْسَتْ فِي (ف).

(٢) فِي (أ) وَ(ف): «الآية». وَالْخَبَرُ الْمَذْكُورُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ الصِّفَاتِ» (٥٧/٣) مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (٨٥) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي «تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ» (١٠٠٤/٢): سَنَدُهُ ضَعِيفٌ.

(٤) «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾» لَيْسَ فِي (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: فَمَدُّ الحبل: جَرُّه، وَمَدُّ النَّهَار: ارتفاعه، وَمَدُّ الظِّل: بَسْطُهُ، وَمَدُّ العيش: تَطْوِيلُهُ^(١)، وَمَدُّ النَّهَر: ازديادُ مائه، وزيادةُ نهرٍ آخر في مائه، لازمٌ ومُتَعَدٌّ، وَمَدُّ الألف والواو والياء: تطويلُها، ومديدُ القامة: طويلُها، وَمَدُّ الدَّوَاةِ وإمدادُها: إلاقَتُها بِالْمِدَادِ، وإمدادُ الجيش: إلحاقُ المَدَدِ به.

وذكروا في الفرق بين مَدٍّ وأَمَدٍّ ثلاثةَ أوجهٍ:

قال يونس: مَدَدْتُ فِي الشَّرِّ، وَأَمَدَدْتُ فِي الْخَيْرِ^(٢).

وقال الفراء: مَدَدْتُ فيما كانت الزيادةُ منه؛ كَمَدُّ النَّهَرِ، والإمدادُ فيما كانت الزيادةُ من غيره؛ كإمدادِ الجيش^(٣).

وقال الأخفش: المَدُّ: التَّركُ، والإمداد: الإِطاء، قال تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وقال: ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ﴾ [الحج: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]؛ أي: نعطِيهم.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: ﴿وَيَسُدُّهُمْ﴾؛ أي: يتركهم.

وقيل: أي: يُخْلِئهم^(٤).

وقيل: يُطَوِّلُهم^(٥).

(١) في (ر): «تبوئته».

(٢) أورده الطبري في «تفسيره» (٣١٩/١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣٢٩/٢).

(٤) في (ف): «نخليهم». وكلمة «أي» ليست في (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «يطيلهم»، وفي (ف): «نطيلهم».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يُمْلِي لَهُمْ^(١).

وقال مجاهد رحمه الله: يَزِيدُهُمْ مُدَّةً^(٢).

وقال ابن كيسان: يُمَهِّلُهُمْ^(٣).

وهي أقاويل متقاربة.

وأما الطُّغْيَانُ: فهو مجاوزة الحد في اللغة، يُقال: طَغَى السَّيْلُ؛ أي: جاء بالماء الكثير، وطَغَى البحر: إذا هاجت أمواجه.

وقال الخليل: هو من الواو والياء أيضاً جميعاً^(٤)، يُقال: طَغَوْتُ، وطَغَيْتُ، طُغْيَانًا وطُغُونًا.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قال ابن عباس والسُّدِّي: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾؛ أي: في كفرهم وضلالهم^(٥).

وقيل: هو إظهار القوة على مَنْ لا قوة له.

وقيل: أي: في غُلُوِّهم^(٦) في الكفر.

وقيل: أي: في عُتُوِّهم.

وقيل: أي: في تكبرهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣١٨/١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣١٩/١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٩١/١).

(٤) انظر: «العين» للخليل (٤٣٥/٤). وكلمة «أيضاً» ليست في (أ).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٣٢١/١).

(٦) في (أ): «علوهم».

وقيل: أي: في جهلهم.

وقيل: أي: في عماهم.

وقيل: أي: في تماديهم.

وقيل: أي: في مجاوزتهم قَدْرَهم، ومعناه: يُطِيلُ مُكْثَهم في طُغْيَانِهم في الدنيا،
وقيل: أي: يُطِيلُ^(١) مُكْثَهم في جزاء طُغْيَانِهم في العُقْبَى.

وأما العمّة: فهو التَّرَدُّدُ في الحيرة، وقد عمّه يَعْمَهُ، فهو عمّةٌ وعمّةٌ، وجمعه: عُمّةٌ، قال الشاعر:

وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمّةِ^(٢)
ويقال: ذهبت إبله العُمَيْهَى: إذا لم يَدْرِ أين ذهبت.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قال ابن عباسٍ ومجاهدٌ والربيع: معناه: يتردّدون^(٣).

وقيل: أي: يتحيرّون.

وقيل: أي: يَعْمَوْنَ^(٤) عن رُشْدِهم فلا يُبْصِرُونَهُ.

وهذه الصفات الثلاث ثابتةٌ فيهم:

أما التَّرَدُّدُ: ففي قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣].

وأما التَّحِيرُ: ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨].

(١) في (ف): «نطيل» في الموضعين، وشاركتها (ر) في الثاني.

(٢) القائل: رؤبة بن العجاج. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٦).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٣ - ٣٢٤).

(٤) في (ف): «يعمّهون».

وأما العمى: ففي قوله تعالى: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

ثم قوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ مذكور في القرآن في صفة الكافرين والمبتدعين والمرتدين والمنافقين:

قال تعالى في الكفار: ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

وقال في المبتدعين: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُدَىٰ لَهُ، وَنَذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال في المرتدين: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقال تعالى في المنافقين في هذه الآية: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

ثم في ^(١) الآية دليل أهل السنة والجماعة، فإنه قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وهو إثبات فعلٍ نفسه، وقال: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهو إثبات فعل العبد، فدلَّ على أن العبد فاعلٌ، والله تعالى لفعله ^(٢) خالقٌ، وبطل قول الجبرية أن لا فعل للعبد، وقول القدرية أن لا صنع لله في فعل العبد.

ثم ما ينبغي أن يفرح العبد بطول العمر وامتداده، ولا بكثرة أمواله وأولاده، والله تعالى يقول في أعدائه في حقِّ العمر ^(٣): ﴿وَنَمُدَّهُمْ﴾، وفي حقِّ المال والبنين:

(١) «في» من (ف).

(٢) في (أ): «لفعل العبد».

(٣) في (ف): «المعمر».

﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، وكان طولُ العمر لهم خُدْلَانًا، وكثرةُ المال^(١) والأولاد لهم حِرْمَانًا.

ثم لهم بمُقَابِلَةِ هَذَا الْمَدِّ مَدٌّ لَا يُحْمَدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَنُمِدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِعَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا مَالًا مَمْدُودًا، وَلَوَلِيِّهِ^(٢) فِي الْآخِرَةِ ظَلًّا مَمْدُودًا.

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ: إِنَّ مِنْ نِعَمِي^(٣) عَلَى أُمَّتِكَ أَنِّي قَصَّرْتُ أَعْمَارَهُمْ كَيْ لَا تَكْثُرَ ذُنُوبُهُمْ، وَأَقَلَلْتُ أَمْوَالَهُمْ كَيْ لَا يَشْتَدَّ فِي الْقِيَامَةِ حَسَابُهُمْ، وَأَخَّرْتُ زَمَانَهُمْ كَيْ لَا يَطُولَ فِي الْقُبُورِ حَبْسُهُمْ^(٤).

(١٦) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: فَالشُّرَاءُ: الْبَيْعُ، وَالِاشْتِرَاءُ: الْاِئْتِيَاعُ، وَالشُّرَى: الْمِثْلُ.

وَتَفْسِيرُهُ هَاهُنَا:

فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَخَذُوا الْكُفْرَ، وَتَرَكُوا الْإِيمَانَ^(٥).

(١) فِي (أ): «الْأَمْوَالُ».

(٢) فِي (أ): «وَلِلْوَلِيِّ».

(٣) فِي (أ): «نِعَمَتِي».

(٤) لَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ.

(٥) رَوَاهُ عَنْهُمَا الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٣٢٥).

وقال قتادة رحمه الله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: آثروها.

وقيل: أي: اختاروها.

وقيل: أي: استبدلوها، وهو كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

ثم هذا على قول الذين قالوا: إن الآية في اليهود، يرجع إلى قوله: ﴿وَكَاثِبِينَ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، فكان هذا استبدالاً منهم الضلالة بالهدى.

وعلى قول مَنْ جعلها في حق المنافقين - وهم لم يكونوا في الهدى قط - فمعناه: أخذوا النفاق وتركوا الإخلاص أصلاً، لا أن استبدلوا الضلالة بالهدى، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وفي حق الكفار: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، ليس هذا بطريق النقل، بل بالإبقاء على الأصل.

ثم هذا مجاز، وهو مُتعارَفُ أهل اللسان، وهو أبلغ في البيان، وأوقع في القلوب والأذان، وهو كثير في القرآن، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَاطِعًا أَلَمًا﴾ [الحاقة: ١١]، وقال عز وعلا: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَلِيلٌ نَّسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَسَأْؤُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال هاهنا: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦].

وأصله في استبدال مالٍ بمالٍ، واستعير في الهدى والضلال، والجامع بينهما

معنى الاختيار والاستبدال، فكلُّ مُشْتَرٍ مختارٌ، وكلُّ مُشْتَرٍ مُسْتَبَدِّلٌ، وكذلك^(١) هؤلاء اختاروا الكفرَ على الهدى واستبدلوه به.

وقد أشار إلى هذين المعنيين في آيتين، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ قيل: الكفر بالإيمان، وقيل: الشك بالإيقان، وقيل: الجهل بالعلم، وقيل: الفرقة بالجماعة، وقيل: النفاق بالإخلاص، وقيل: الدنيا بالآخرة، وقيل: النار بالجنة، ومعناه: أنَّ اختيار الدنيا ضلالٌ، والعمل بما يُوجب النار ضلالٌ، واختيار الآخرة هدى، والعمل بما ينال به الجنة هدى.

ثم^(٢) هذا دليلٌ على أنَّ حكم البيع يثبت بالتعاطي من غير تكلمٍ بالإيجاب والقبول، فإنَّ هؤلاء سُمُّوا مُشْتَرِينَ بترك الهدى وأخذ الضلال من غير تكلمٍ بهذه المبادلة، أشار إليه الإمام أبو منصور رحمه الله^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَمَارِحَتْ يَحْدَرُهُمْ﴾: فالرَّيحُ والرَّيحُ: الفضل، ونظيرُهُما المثل والمثل، والرَّباحُ كذلك، قال النبي ﷺ: «السَّمَاخُ رَبَاحٌ»^(٤).

(١) في (أ): «فكذا»، وفي (ف): «وكذا».

(٢) في (ف): «و».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/٣٨٨).

(٤) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٢٩٥): متروك، ونسبه ابن حبان إلى الوضع. ورواه الدليمي في «مسنده» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعاً كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٣٩١)، وفيه الحجاج بن فرافصة، قال عنه أبو زرعة الرازي في «الضعفاء» (٣/٨٠١): ليس بالقوي. وقال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: صدوق عابد يهيم.

والتجارةُ: مصدر (تَجَرَّ) من بابِ (دَخَلَ)، وَاتَّجَرَ افْتَعَلَ منه، وجمع التاجر: التَّجَرُّ، كَالرَّكْبِ، وَالتَّجَارُ كَالْفُجَّارِ^(١)، وَالتَّجَارُ كَالصِّيَامِ.

ومعناه: فما ربحوا في تجارتهم، وهي اشتراء الضلالة بالهدى، وهو مَجَازٌ واستعارةٌ، كالشُّراءِ، ثم هو مع الاستعارة من مقلوب الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزموا عليه، وقوله تعالى: ﴿وَالَيْلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر: ٤]؛ أي: يُسِرُّ فيه، وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]؛ أي: مكرهم فيهما، وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مُبَايَعْتُهُ؛ فَقَدْ^(٢) خَسِرَتْ صَفَقَتُهُ، وَمَا رِبَحَتْ تِجَارَتُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: قد مرَّ في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] أَنَّ (كَانَ) يَصْلُحُ لِلْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ^(٣)، وَهَاهُنَا قَدْ قِيلَ بِالْوَجْهِ الثَّلَاثَةِ:

قِيلَ: أي: وما كانوا على الهدى، فلذلك خُذَلُوا، فَاخْتَارُوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى.

وقيل: أي: ﴿وَمَا هُمْ بِمُهْتَدِينَ﴾ لِلْحَالِ؛ لَتَمَسُّكِهِم بِالضَّلَالِ^(٤).

وقيل: أي: وما يكونون مهتدين؛ أي: لَا يُؤْمِنُونَ مِنْ بَعْدُ.

وقيل في انتظام هذا بالأول: وما نالوا الهدى حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

وقيل: إِنَّمَا يَتَجَرَّ الْمَرْءُ لِلرِّبْحِ وَالْإِهْتِدَاءِ^(٥)، وَلَمْ يَكُنْ لَهُؤُلَاءِ رِبْحٌ وَلَا إِهْتِدَاءٌ.

(١) في (ف): «الفجار».

(٢) «فقد» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «وللحال وللإستقبال».

(٤) في (أ): «في الضلال».

(٥) في (ف): «وللاهداء».

وقيل: أي: ما اهتدوا إلى الاتجار بالتجارة الرباحة التي اهتدى إليها المؤمنون؛ فقد قيل لهم - أي: المؤمنون^(١) -: ﴿يَرْجُوكَ بِحِجْرَةٍ لَّنْ تَكُونُ﴾ [فاطر: ٢٩]، و: ﴿هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ تَحَرُّقٍ تُجِئُكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقيل لهؤلاء: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، و: ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ٩].

(١٧) - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾: المثل في القرآن لعشرة معانٍ:
للصِّفَةِ: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وللتَّشْبِهِ^(٢): قال تعالى: ﴿فَلَا تَصْرِيحُ لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾ [النحل: ٧٤]؛ أي: لا تصفوا الله الأشباه.

وللنَّوعِ: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]؛ أي: من كل نوع.

وللعِبْرَةِ: قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]؛ أي: عبرة لهم.

وللإِمَامِ: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].
وللحَالِ: قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]؛ أي: حالهم كحال المستوقد.

(١) «أي المؤمنون» من (ف)، والصواب: «المؤمنين».

(٢) في (ف): «وللتشبيه».

وللعاقبة: قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١١٧].

وللمثال: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ولللصلة والزيادة: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ١٥]؛ معناه:

كالذين.

وللعذاب: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: عذاب هؤلاء كعذاب

الذين من قبلهم.

والمَثَلُ في اللغة: الشَّبه، والمِثَالُ: ما يُماثلُ الشيء^(١)، والتَّمْثَالُ: الصورة.

وفي القرآن أمثالٌ، وهي للإيضاح والإبلاغ، فإنه أَوْجَزُ في الذِّكْرِ، وَأَوْقَعُ

في الفَهْم.

وقالوا: إِنَّ المَثَلَ للكلام كالمرآة للوجه، يَرى الناظرُ فيها مَثَلَ وجهه، فيقفُ على

حقيقة حاله، ويعرف كمالَ وصفه، وكذا وقوفُ السامع على معنى كلام المُتَمَثِّل،

ووصوله إلى مُراد قوله للمُتَأَمِّل^(٢)، مع ما تذهبُ النَّفْسُ فيه كُلِّ مذهب، وتستفيد

منه^(٣) كُلَّ معنى مُعْجِب.

ونوضِّحُ ذلك في واحد: أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾

[يونس: ٢٤]، فتكلَّموا في معنى تمثيله بالماء، فقليل: إِنَّ الماءَ إِذَا قَلَّ نَفَعَ، وَإِذَا كَثُرَ

ضَرَّ، ففي القليل التَّطَهُّرُ من الحَدَثِ والجَنَابَةِ والحِيضِ والنَّفَّاسِ، واتخاذُ الأَطْعِمَةِ

والأَشْرَبَةِ، وَغَسْلُ الأَعْيَانِ النَجَسَةِ، وَسَقْيُ الدَّوَابِّ والأَرْضِي والأَشْجَارِ، وإحياءُ

(١) في (ر): «ما تماثل للشيء».

(٢) في (أ): «للتأمل».

(٣) في (أ) و(ف): «يستفيد فيه» بدل «وتستفيد منه».

الفَلَاة، فإذا كَثُرَ هَدَمَ البُنْيَان، وأفسدَ الزَّرْع، وقَلَعَ الأشجار، وشقَّ الأنهار، وسدَّ الطُّرُق، وأغرقَ الناس.

وكذا المَالُ القليل: تُكْفَى به المُوْن، وتُقَام به المصالح، ويُتَزَوَّد به للمعاد، فإذا كَثُرَ أوردَ الطُّغْيَان، ووَلَدَ العِصْيَان، وأورثَ البغضاء والشَّانَ، وأكثرَ الأعداءَ والحُسَّاد.

وقيل: إذا قَلَّ الماءُ أُجريتْ حيث شئتَ، وفيه الحياة والعمارة، وإذا كَثُرَ جرى^(١) حيث شاء، وفيه الخرابُ والإماتة، فكذا حالُ المال، وعلى هذا^(٢) جميعُ الأمثال.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: أي: أشعل^(٣) ناراً، يقال: وَقَدَتِ النَّارُ وُقُوداً؛ أي: اشتعلت، وأوقدها غيرها واستوقدها؛ أي: أشعلها، والوقود بالفتح^(٤): الحطب؛ لأنه به تُشعل النار، والوقد بفتح الواو والقاف: النار، ووقدة الحر: شدته^(٥).

والاستيقاد هاهنا كالإيقاد^(٦)، بمنزلة الاستيقان والإيقان، والاستخراج والإخراج، والاسترهاب والإرهاب، وكذا قال الأخفش: إن معناه: كمثل الذي أشعل^(٧) ناراً بنفسه^(٨).

(١) في (أ): «أجراك».

(٢) في (ر): «على» بدل «وعلى هذا».

(٣) في (أ) و(ف): «اشتعل»، وكلمة: «أي» ليست في (ر).

(٤) في (أ): «بفتح الواو».

(٥) في (ف): «شديده».

(٦) في (ر): «الإيقاد».

(٧) في (أ): «اشتعل».

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٣).

ويقال: استوقد؛ أي: سأل غيره أن يُوقد، فإن سين الاستفعال للطلب والسؤال.
واختلفوا في المرادين بهذه الآية:

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، وعطاء، ويمان بن رثاب: هم اليهود لعنهم الله، كانوا يُقرُّون بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فكانوا في نورٍ، فلمَّا بُعث جحدوه، فصاروا في الظلمة؛ كمن أوقد ناراً في المفازة^(١) للأمن فطفئت^(٢).

وعلى هذا^(٣) جاء عنهم في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أي: أرسل عليها ريحاً عاصفاً فأطفأها^(٤)، وهو ما جاء في صفة اليهود لعنهم الله في آية أخرى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾؛ أي: مع محمد، ﴿أُطْفِئَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال مقاتل^(٥) وقتادة والضحاك والسدي والقتيبي - وهو قول ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم -: الآية في المنافقين، آمنوا بالشهادة كما آمن صاحب النار في المفازة^(٦)، ثم زال ذلك بالموت^(٧).

(١) في (ر): «المغارة».

(٢) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٥٧/١) ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الثعلبي في «تفسيره»

(١٦١/١) عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء ويمان بن رثاب.

(٣) في (أ): «ولهذا» بدل من «وعلى هذا».

(٤) في (ر): «فأطفأها».

(٥) في (ر) و(ف): «مقاتل بن حيان».

(٦) في (ر): «المغارة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٧/١ - ٣٣٩) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقتادة

والضحاك. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٩١/١)، و«تفسير السمرقندي» (٥٧/١).

ثم إنما قال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ على الواحدان وإن كان معنى ^(١) قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ على الجمع لوجوه:

أحدها: أن معناه: مثل كل واحدٍ منهم كمثال المستوقد، وهذا ^(٢) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] ولم يقل: أطفالاً، وإن خاطب الجمع؛ لأن معناه: يُخرج كل واحدٍ منكم طفلاً.

وقيل: هو اسم جنس فيصالح للواحد والجمع.

وقيل: الموقد للجمع يكون واحداً والمستضيئون كثيراً.

وقيل: هو تمثيل فعلهم لا أعيانهم، ومعناه: مثل فعل المنافقين كمثال فعل المستوقد، وكلا الفعلين واحدٌ، وإضمارُ الفعل في الاسم جائزٌ كما في قوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]؛ أي: كخلق نفسٍ واحدةٍ وبعثها. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: أي: أنارت، والضوء: النور، وضاء؛ أي: نار، وأضاء يكون بمعنى ضاء أيضاً لازماً، ويكون متعدياً بمعنى نور، وهو في قوله: ﴿كَلَمًا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] لازمٌ، ويكون ضاء وأضاء بمعنى واحدٍ، كقولهم ^(٣): نارٌ وأنار، وبان وأبان.

وفي هذه الآية: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ متعدٌ، لأنه ذكره بالتاء، ومعناه: فلما نورَّت النارُ المواضعَ التي حول هذا المستوقد، ولو كان لازماً لكان يقول: فلما أضاء ما حوله؛ لأن (ما) مذكَّرٌ.

(١) «معنى» من (ف).

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) في (أ): «واحداً كقولك»، وفي (ف): «واحدٍ كقولهم»، بدل: «بمعنى واحدٍ كقولهم».

فَإِنْ قَالُوا: هَلْ بَيْنَ الضَّوِّ والنَّورِ مَغَايِرَةٌ، أَوْ هُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ؟ فَإِنْ كَانَا غَيْرَيْنِ^(١) فَلَمْ أَثْبَتْهُمَا جَمِيعاً فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ هَاهُنَا، فَقَالَ^(٢): ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ وَإِنْ كَانَا وَاحِداً فَلَمْ غَايِرَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ؟

قُلْنَا: هُمَا وَاحِدٌ هَاهُنَا، وَإِنَّمَا ذَكَرْهُمَا جَمِيعاً لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَفْظاً، وَأَحْسَنُ نِظْماً، وَأَبْلَغُ فِي الْفَصَاحَةِ، وَالطَّفُّ فِي الْعِبَارَةِ، مِنْ الْإِعَادَةِ بِلَفْظِ الْأَوَّلِ، وَدَلِيلُ اتِّحَادِهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ نَوْرِ الْمَعْرِفَةِ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْخُذُ﴾^(٣) [النور: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، وَقَالَ فِي التَّوْرَةِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيئَةً﴾ [الأنبياء: ٤٨] وَقَالَ فِيهَا أَيْضاً^(٤): ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾؛ أَي: جِهَاتِ الْمُسْتَوْقَدِ، يُقَالُ: حَوْلَهُ وَحَوَالِيهِ وَحَوْلِيهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أَي: أَذْهَبَهُ اللَّهُ، وَالذَّهَابُ وَالذُّهُوبُ: الْإِنْتِقَالُ، وَالْمَذْهَبُ: الطَّرِيقُ، وَالذَّهَابُ: الزَّوَالُ أَيْضاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ أَي: لِيُزِيلَهُ.

و(ذهب) لازمٌ، وَيَصِيرُ مُتَعَدِياً بِالْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: أَتَى فُلَانٌ وَأَتَى بِهِ غَيْرُهُ، وَذَهَبَ هُوَ وَذَهَبَ بِهِ غَيْرُهُ، وَقَامَ هُوَ وَقَامَ بِهِ غَيْرُهُ.

وَالنَّورُ هَاهُنَا: ضَوْءُ النَّارِ الَّتِي أَوْقَدُوهَا، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: بِنَارِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ

(١) فِي (ر): «مَغَايِرِينَ».

(٢) فِي (ف): «ثُمَّ قَالَ».

(٣) فِي (ر): «يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْخُذُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ».

(٤) فِي (أ): «فِيهَا آيَاتٌ».

المذكورة قبلها؛ لأن للنار شيئين: حرارةً ونوراً؛ والله تعالى أذهب النور، وبقي عليهم الحرُّ المحذور^(١).

والإمام أبو منصور^(٢) رحمه الله يشير إلى أن معناه: أذهب الله تعالى نورَ بصرهم^(٣)، على ما نبين إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ﴾: أي: خلاهم في ظلماتٍ، هي جمع الظُّلْمَة، وتُجمع على الظُّلَم، والظُّلُمَات بضم اللام^(٤)، والظُّلُمَات بفتح اللام، وكذا الحُجرات والغُرُفات.

وهي الظلمات المحيطة به من كل جهةٍ، ففي كل جهةٍ ظلمةٌ، ومن الجهات ظلماتٌ.

وأما تفسيره^(٥):

فقد قال الحسن: هو النور الذي أظهره للرسول بالإسلام، قطعه الله عنهم بالموت في قبورهم.

وقال أبو بكر الأصم: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ﴾ أي: سَوَدَ وجوههم في الآخرة عقوبةً لهم^(٦).

وقيل: معنى ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ﴾؛ أي: لم يأتهم بضياءٍ يبصرون به.

(١) في (ف): «وبقي عليهم الحر المحرور»، وفي (ر): «وبقي عليهم الحرارة».

(٢) في (أ): «المنصور» بدل: «أبو منصور».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩١).

(٤) في (ر) و(ف): «وتجمع على الظلم على الظلم بالضم».

(٥) في (ف): «التفسير».

(٦) انظر القولين في «النكت والعيون» (١/ ٨٠)، لكن الأول فيه دون نسبة للحسن ولا لغيره.

وقيل: أي: لم يُخرجهم منه، كما يقال: تركه في الدار؛ أي: لم يُخرجه منها، وهذا تأويل المعتزلة؛ فإنهم لا يقولون بخلق أفعال البشر من الله تعالى.

والصحيح من التأويل عند أهل السنة والجماعة: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾؛ أي: جعلهم في الظلمات، وهو كقوله: ﴿فَتَرَكَهُ صُلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ أي: جعله صلداً.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا يبصرون ما حولهم^(١) لذهاب النور.

ثم إنما قال: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بالجمع، مع أن المذكور في أول الآية: ﴿الَّذِي أَسْتَوْدَعَهُ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ وهو واحد؛ لما مرَّ أن الموقد واحد والمصطلون^(٢) جمعٌ.

أو أريد بالواحد الجمعُ من الوجه الذي مرَّ، وهو كقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ثم في آخره: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ومعنى الآية في قول ابن عباسٍ وقتادة والضحاك ومقاتلٍ والسدي: مثلاً المنافقين في كفرهم ونفاقهم كمثلي رجلٍ أوقد ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ في مفازة^(٣) واستضاء بها واستدفاً بها، ورأى ما حوله وأتقى ما حذر وخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمةٍ خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون إذا أظهروا

(١) في (ر) و(ف): «حوله».

(٢) في (أ): «والمبطلون».

(٣) في (ر): «مغارة».

كلمة الإيمان واستناروا بنورها^(١) واعتزوا^(٢) بعزّها وأمنوا^(٣) بسببها، فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظُّلْمة وبَقُوا في العذاب والثَّقْمَة^(٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في هذه الآية كشف قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإنه فضحهم في الدنيا والآخرة، لأنهم^(٥) طلبوا بنفاقهم الأمن فأعقبهم الله خوفاً دائماً، كما قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَنَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ﴾ الآية [محمد: ٢٠]، وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ الآية [التوبة: ٦٤].

ولأنهم طلبوا بالنِّفاق رضى الفريقين والشرف والعزّ فيهم، فعلم الفريقان جميعاً بذلك فطردوهم، قال الله تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣] فزال الشرف والعزّ وجاء الهوان والذلُّ.

فمثلهم كمثل مستوقد النار ليستضيء بها ويتنفع بحرّها، فأذهب الله تعالى بصره فذهب ما كان يأمل من الاستضاءة بضوئها والانتفاع بحرّها، وأعقبه خوف

(١) في (ر): «فاستناروا بها».

(٢) في (ف): «واستعزوا».

(٣) في (أ): «فأمنوا».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٣٧ - ٣٣٩) عن ابن عباس وقتادة والضحاك، واختاره.

(٥) في (ر): «فإنهم».

الإحراق لو دنا منها، وذهب الانتفاع بحرّها في البرد وإصلاح الأغذية بها بذهاب البصر، وأمّا في الآخرة فما ذكرنا من جواب المؤمنين لهم عند اقتباس النور، وضحك المؤمنين منهم وهم في النار^(١).

(١٨) - ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرَجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿صُمُّ﴾: الصَّمَمُ: انسداد خروج المسامع، والأصمُّ: الصخر الأملس، والجذُرُ الأصمُّ: أصل الحساب الذي لا يصل إلى معرفته العباد، والقناة الصَّمَاءُ: التي ليست بمجوّفة، والصَّمَاءُ: الداهية، والصَّمَّةُ: الشجاع، والصَّمَّةُ: الأسد، وقارورة مصمومة؛ أي: مسدودة، وصمائمها: سدّادها.

وأصلُ كلِّه: السدُّ والشدُّ، والأصمُّ: النعتُ من الصَّمَمِ، وجمعه: الصُّمُّ، وكذا كلُّ أَفْعَلٍ كان نعتاً ممّا هو خِلْقَةٌ فجمعه: الفُعْلُ، ومثله: البُكْمُ والعُمَى، فإن كان اسماً فعلى الأفعال يُجمع؛ كالأرنب والأرنب، والأعجم والأعاجم، فإن كان نعتاً ممّا هو آفةٌ فعلى الفعلِ؛ كالأعجف والعجفى، والأحمق والحمقى.

وقوله تعالى: ﴿بَكْمٌ﴾: فالبكْمُ^(٢): هو الخرس، وهو آفةٌ في اللسان لا يتمكّن معها أن يعتمد مواضع الحروف.

وقيل: الأبكْمُ هو الذي يُولد أخرس.

وقيل: هو الخرس مع ذهاب الفؤاد.

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٠ - ٣٩١).

(٢) في (أ): «البكم».

وقوله تعالى: ﴿عُمَى﴾: فالعَمَى^(١): ذهابُ بصر العين والقلب، والعَمَاية: الجَهَالَة، والعَمَى^(٢): الخفاء أيضاً، والتَّعمية: الإخفاء.

والنعتُ من البُكْم: الأُكْم، وجمعُه: البُكْم، ومن العمى: الأعمى في العين، وجمعُه: العُمى، ومن القلب العَمى، وجمعُه: العُمون، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

ثم رفعُ هذه الكلمات بإضمارِ كلمة: هم، أي: هم صُمُّ بكم عمى. وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: (صُمَّا بكمَا عُمِيًّا)^(٣)، ولنصب ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: وتركهم صُمَّا بكمَا عُمِيًّا.

والثاني: على الذم.

والثالث: على الحال.

وأما تفسيره:

فقد قال قتادة: أي: صُمُّ عن استماع الحق، بكم عن التكلُّم به، عُمِي عن إِبصاره^(٤).

وقيل: أي: يتصامُّون ويتباكُمون ويتعامُّون مع قيام الآلات، في الإعراض عن الحق الذي قامت على حقيقته الدلالات، وقد قال قائلهم:

(١) في (أ): «العمى».

(٢) في (ر) و(ف): «والعماء».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠ - ١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٨). ووقع في (ف): «عمي عن الإِبصار».

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حَلَمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمٍّ^(١)
 وقيل: معناه: كأنهم صَمُّ بكم عَمِي، فإنهم لا ينتفعون بهذه الآلات مع وجودها،
 فكأنهم عَدَموها، وهذا كما سَمِّي^(٢) الكافر ميتاً؛ لأنه لا يَنْتَفِعُ بحياته.

ثم^(٣) لَمَّا وُصفوا بهذه الصفات في الدنيا عوقبوا في الآخرة بحسبها^(٤)، قال
 تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصَمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] فلا يسمعون
 سلامَ الله، ولا يخاطبون الله ولا يرونه، والمسلمون كانوا سامعينَ الحقَّ قائلين
 بالحقِّ ناظرينَ إلى الحق، فيكرمون يوم القيامة بخطابه وسلامه ولقائه.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الرجوع: الانصراف، والرجع: الصَّرف، فيكون
 رجع سالماً ومتعدياً، والرجاع: رجوع الطير بعد قِطَاعِهَا؛ أي: خروجها من بلاد البرد
 إلى بلاد الحرِّ، والإرجاع: سَمْنُ الإبلِ وحُسْنُ حالها بعد هُزْلِهَا، ورجعةُ الزَّوجِ في
 المطلقة بفتح الراء وكسرها، والرجعى: الرجوع، والمرجوع: جواب الرسالة.

وتفسيره هاهنا:

لا يرجعون إلى الحق.

وقيل: عن التَّعَامِي والتَّصَامِّ والتَّبَاكُم.

وقيل: إلى رؤية الحق وسماعه والتكلم به.

(١) البيت لبشار بن برد، كما في «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٤٠)، ودون نسبة في «الأمثال» لأبي

عبيد (ص: ١٥٢)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٣٩٨).

(٢) في (أ) و(ف): «يسمى».

(٣) «ثم»: ليست في (ر).

(٤) في (أ) و(ف): «بجنسها».

وقيل: إلى ثواب الله تعالى.

وأفادت الآية أنهم كانوا يستطيعون الرجوعَ باستِطاعةِ سلامة الآلات، حيث استحقُّوا الذَّمَّ بتركه، وأن قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُتَّى﴾ ليس بنفي الآلات، بل هو نفي تركهم استعمالها.

ثم إن الله تعالى ندب الخلقَ إلى الرجوع إليه والائتمار^(١) بأمره والانتهازِ بنهيهِ بقوله عز وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤] فمن لم يرجع إليه اختياراً يرجع بالموت والبعث إجباراً^(٢)، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ومن رجع إليه في الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] كان رجوعه إليه بالكرامة، ويخاطب بقوله: ﴿يَتَابَتَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٧) رَجِيعٍ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿ الآية [الفجر: ٢٧].

(١٩) - ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذَانَهُمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ (أو) جاءت^(٣) في القرآن لثلاثة عشر معنى:

أحدها: للشك، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَيْسَ آيَؤُمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

(١) في (أ) و(ف): «بالائتمار».

(٢) في (ر): «اختياراً رجوعه إليه إجباراً بالموت والبعث»، وكذا في (ف) لكن سقطت كلمة: (إجباراً) منها.

(٣) «جاءت» ليست في (أ) و(ف).

وللتشكيك: قال تعالى: ﴿أَفَاَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا غير الأول، هذا إخفاء الحال على السامع من غير شك من القائل.

وللتخيير: قال تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

وللإباحة: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وهذا غير التخيير، ذاك بيان أن الواجب أحدها لا كل وله الخيار، وفي الإباحة: له أن يفعلهما وله أن يفعل أحدهما.

وللتفصيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]، كل عقوبة منها لجناية غير الأخرى.

وبمعنى الواو: قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وبمعنى: بل، قال تعالى: ﴿كَلِمَاحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وبمعنى: ولا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ إِنَّمَا أَوْكُفُّورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبمعنى: حتى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ولذكر شيئين يتعلق الحكم بأيهما وجد أو^(١) بهما إن وُجدا: قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] وقال تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: ٧٤] قتل المسلم الكافر أو قتل الكافر المسلم، أو اجتماع الأمرين كل واحد منها بسبب استحقاق الآخر^(٢).

(١) في (أ) و(ر): «و».

(٢) من قوله: «قتل المسلم الكافر...» إلى هنا من (ر)، وقد استدرك بهامشها وعليه علامة التصحيح.

وللدخول بين المذكورين وملحق^(١) بهما مذكوران بينهما كلمة (أو) أيضاً: والمراد تعيين أحدهما لأحدهما وتعيين الآخر للآخر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]؛ أي: إِنَّا لَعَلَى هُدًى وَإِنكُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. وللذكر بين أمرين، وتوهم أنه مخير بينهما ويباح له كلاهما: والمراد به أنه لو فعلهما لم ينفعاه، ولو فعل أحدهما لم ينفعه، قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾.

ولا احتمال وجهين أو وجوه مما يستعمل فيه: كما في هذه الآية: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ يحتمل أن يكون للتخير؛ أي: إن شئتم فاجعلوا مثل المنافقين كمثل المستوقد ناراً، وإن شئتم فاجعلوا مثلكم كمثال أصحاب صَيِّبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى الواو؛ أي: وكصَيِّبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى: بل، ويجوز أن يكون للتفصيل، فالتشبيه الأول لشيء^(٢) والثاني لشيء آخر على ما نبين إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿كَصَيِّبٍ﴾ الكاف للتشبيه، وهو أحد أقسام البلاغة، وهو أبلغ في المعنى، وأوقع في القلب، وأعذب في الأسماع^(٣)، وأوصل إلى المراد.

وهو في القرآن كثير: ﴿كَشَجَرٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿كَشَجَرٍ خَيْثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْفَمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ [الشورى: ٣٢]، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ﴿كَيْشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾

(١) في (أ) و(ف): «ويلحق».

(٢) في (ر) و(ف): «بشيء».

(٣) في (أ): «السماع».

[البقرة: ٢٦١]، ﴿كَمْثَلِ جَنَّتِهِمْ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿كَمْثَلِ غَيْثٍ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿كَأَلْعِهْنِ الْمُنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، ﴿وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٧]، ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]، ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ كُنُوتٌ﴾ [الطور: ٢٤]، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩]، ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُوتُوَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

والصيب: المطر، من قولهم: صاب يصوب صوباً: نزل، قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملاكٍ تنزل من جو السماء يصوب^(١)

والصيب: السحاب أيضاً، قال أبو ذؤيب:

بقرار قيعان سقاها صيبٌ وإه فأنجم برهة ما يقلع^(٢)

(١) نسب لعلمة بن عبدة في «المفضليات» (ص: ٢٩٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٢٥٥)، وهو في زيادات ديوانه (ص: ١١٨)، ونسب في «مجاز القرآن» (١/ ٣٣)، و«الصحيح» (مادة: ملك)، لجاهلي من عبد القيس يمدح بعض الملوك، ودون نسبة في «الكتاب» (٤/ ٣٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٢). وقال السيرافي في «شرح أبيات إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٧): يروى لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، ويروى لرجل من عبد القيس يمدح النعمان.

(٢) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٠٦)، و«المحكم» لابن سيده (٦/ ١٢٢)، و«الفائق» (٣/ ١٨٧)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: قرر)، وفيها جميعاً: سقاها وابل، وفي «المفضليات» (ص: ٤٢٣): (سقاها صائف). وجاء في هامش (أ): «أنجم المطر: كثر ودام». وفي هامش (ف): «قرار: جمع قرارة، وهو مستقر الماء، وقيعان: جمع قاع، وهو الأرض المستوية، وأنجم أي: دام، برهة: وهلة، ما يقلع أي: ما يسيل، يقال: أنجم المطر: إذا دام، وأنجم: إذا أقلع سريعاً». ووقع في جميع المواضع من حاشية ومتن في (ف) بدل «أنجم»: «أنجم» ولا معنى لها هنا.

والصَّيْبُ أصله: صَيُوبٌ، صارت الواو ياءً - لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ - وأدغمت، كالسَّيْدِ والجَيْدِ والطَّيِّبِ واللَّيْنِ، إلا أنَّ السَّيْدَ والجَيْدَ واوَيَّانَ والطَّيِّبَ واللَّيْنَ يائيَّانَ، وأصلهما: طَيِّبٌ وَلَيِّنٌ، فصارتا واحدةً بالإدغام.

وتفسيره هاهنا: المطر^(١)، في قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم^(٢). وقد قال بعضهم: أي: كسحابٍ، لأنه تعالى قال: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، وذلك في السحاب لا في المطر، وسمي السحاب صَيِّباً لأن الصَّيْبَ منه، وهو المطر الذي يَصُوبُ، أي: ينزل.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ فالسَّمَاءُ^(٣) في اللغة: سقفُ الدنيا، والسماء: السحاب أيضاً، والسماء: المطر أيضاً، والسماء: سقف البيت أيضاً، والسماء: ظهر الفرس أيضاً، وهي في القرآن على وجوه ذكرت:

للسموات السبع: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩].

وللسماء التي تلينا: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ [ق: ٦].

وللسحاب: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِلْسَمَاءَ مَاءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وللمطر: قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢].

وللهواء: قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا نَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٤) [إبراهيم: ٢٤].

ولسقف البيت: قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].

(١) في (أ): «أو كمطر».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥١ - ٣٥٢).

(٣) في (أ): «السماء».

(٤) في هامش (ف): «أي متعال مرتفع في الهواء».

ولسمااء الجنة: قال الله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨].

ولسمااء جهنم: قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧].

وتفسيره^(١) هاهنا:

أي: من السماء الدنيا.

وقيل: من السحاب.

فَمَنْ جَعَلَ الصَّيْبَ سَحَابًا لَمْ يُمَكِّنْهُ صَرْفَ السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ، فَيَصْرِفُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا^(٢)، وَمَنْ جَعَلَهُ مَطَرًا أَمَكَّنَهُ صَرْفُهُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

والتوفيقُ بين التفسيرين: أن المطر من السحاب عياناً وهو من السماوات أصلاً؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣].

وروى وهب بن منبه في «المبتدأ» - اسم كتاب^(٣) - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال^(٤): تحت العرش بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات بوحى الله إليه^(٥)، فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، ويوحى إلى الريح فتحمله فتبته^(٦) في السحاب، والسحاب بمنزلة الغراب، ثم يوحى إلى السحاب أن

(١) في (ر) و(ف): «وتفسيرهما».

(٢) بعدها في (ف) عبارة: «وقيل أي من السحاب» وهي زيادة لا يظهر لها تعلق بالسياق.

(٣) قوله: «في المبتدأ اسم كتاب»: ليس في (ف)، وقوله: «اسم كتاب»: ليس في (أ). و«المبتدأ» كتاب لابن وهب ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص: ١٣٨).

(٤) في (ف): «أن» بدل: «أنه قال».

(٥) في (أ): «ليوحى الله إليه». وفي (ر): «يوحى إلى السحاب إليه».

(٦) في (أ): «فتبته» وسقطت الجملة من (ر)، والمثبت من (ف).

غَرِبْلُهُ فَيُغَرِّبْلُهُ، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها، ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم ووزن معلوم، إلا ما كان من يوم الطوفان، فإنه نزل ماءً منهمراً بغير كيل ولا وزن.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾: هي ظلمة الليل والسحاب والمطر.

وقيل: ما يستره المطر والسحاب من نور المطالع^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَرَقٌّ﴾: أما الرعد فقد سئل وهب بن منبه عن الرعد: ما هو؟ فقال: الله أعلم^(٢).

وعن معمر قال: سألت الزهري عن الرعد ما هو؟ فقال: الله أعلم^(٣).

وسأل كعب بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الرعد، فقال: ملك وكله الله بسياقة السحاب، فإذا أراد الله تعالى أن يسوقه إلى بلد أمره فساقه، فإذا تفرق عليه زجره بصوته حتى يجتمع كما يرد أحدكم ركابه، ثم قرأ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]^(٤).

وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته^(٥).

(١) في (أ) و(ف): «الطوالع».

(٢) رواه عبد الرزاق قال: حدثني أبي أن وهب بن منبه سئل عن الرعد فقال: الله أعلم. انظر: «الاستذكار» (٥٨٩/٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٦٥). وانظر: «الاستذكار» (٥٨٩/٨).

(٤) رواه أبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. انظر: «الدر المنثور» (٦٢٢/٤).

(٥) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣٠٣/٤)، وأبو داود في «الزهد» (٣٧١) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٤٧٧/١٣) عن علي وابن عباس، ورواه الطبري أيضاً من طريق رجل عن أبي هريرة مرفوعاً.

وعن شَهْرٍ بنِ حَوْشَبٍ: أن الرعد ملكٌ يَحُثُّ^(١) السحابَ كما يَحُثُّ الراعي الإبلَ، وكما يَنْعِقُ الراعي بغنمه، فإذا تَفَرَّقَت سحابةٌ ضَمَّهَا، فإذا اشْتَدَّ غضبه طار من فيه النار، فهي الصواعق^(٢).

وقال قتادة: الرعدُ خَلْقٌ من خَلْقِ الله سامعٌ مطيعٌ^(٣).

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ليس شيءٌ أَحْسَنَ مَنْطِقاً ولا أَحْسَنَ ضَحْكاً من السحاب، قالوا: ما مَنْطِقُهُ وما ضَحْكُهُ؟ قال: مَنْطِقُهُ الرعدُ وضَحْكُهُ البرقُ^(٤).

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في رواية: الرعدُ رِيحٌ تَخْتَنِقُ تحت السحاب فيتصاعد، فيكون منه ذلك الصوت^(٥).

وقيل: الرعد صوتُ اصطِكَاكِ الأجرام، وهو من الرَّعْد؛ لأنه صوتٌ يَرْتَعِدُ أي: يضطرب.

وأُزْعِدَتِ^(٦) فرائضُهُ عند الخوف، من هذا، والرَّعْدِيد: الجبان؛ لارتعاده من خوفه، والرَّعْدِيدَةُ: المَرَأَةُ اللَّيِّنَةُ الأَعْضاء من ذلك.

(١) في (أ): «يحدو».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٧/١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٥٩/١).

(٤) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٢٤٨/٤) عن عمرو بن أبي عمرو عن الثقة عن النبي ﷺ. ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٣٥/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٨٦)، والعقيلي أيضاً (٣٥/١)، وابن الأنباري في «الزاهر» (٣١٧/٢)، من حديث شيخ من الصحابة مرفوعاً أيضاً. وإسناد أحمد صحيح، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ السَّحَابَ، فَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ، وَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣٦٠ - ٣٦١)، و«النكت والعيون» (٨٢/١).

(٦) في (ف): «وارتعدت».

والبرق: هو ما يَنْقَدِح من اصطكالكِ الأجرام عند هؤلاء.
وقال عليُّ رضي الله عنه: هو ضرب الملك الذي هو الرَّعْدُ السحاب بمخراقٍ
من حديد^(١).

وقال ابن عباسٍ والضَّحَّاك: هو سوطٌ من نارٍ يزجر به الملك السحاب^(٢).
وقيل: هو تَلَأْلؤُ الماء.

وقال مجاهد ومحمد بن مسلم الطائفي: البرقُ ملكٌ له أربعة أوجه: وجهُ
إنسانٍ، ووجه ثورٍ، ووجه نسرٍ، ووجه أسدٍ، فإذا مَصَعَ بأجنحته فذلك البرق^(٣).
والمَصَع: التحريك والضرب.

وقال شعيب بن الحبحاب^(٤): وجدتُ في كتاب الله تعالى أن حملة العرش

(١) رواه الإمام أحمد في «العلل» (٥٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٣٦٣/١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٦٣/١) بلفظ: هو سوطٌ من نُورٍ يُزجُّ به الملك السحاب.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٣٦٥/١)، وهذا لفظ الطائفي، ولفظ مجاهد: (البرق مصع ملك).

(٤) في (ر): «بن الجنح» وفي (ف): «بن الجيحاب». والذي في «تفسير الطبري»: شعيب الجبائي.
قال محمود شاكر في حاشية «الطبري» (٣٤٥/١): شعيب الجبائي: بفتح الجيم والباء الموحدة
مخففة، نسبة إلى: جبأ، بوزن جبل، وهو جبل في اليمن قرب الجند، كما قال ياقوت وغيره،
وشعيب هذا ترجمه البخاري في «الكبير» (٢١٨/٤)، وترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»
(٣٥٣/٤) قال: (شعيب الجبائي: يمانى، يروي عن الكتب [يريد الكتب المنسوبة لأهل الكتاب
من الأساطير]، روى عنه سلمة بن وهرام)، ثم جزم ابن أبي حاتم بأنه شعيب بن الأسود، ثم روى
بإسناده عن زمعة، عن شعيب بن الأسود، قال: (أجد في كتاب الله)، وله ترجمة في «لسان الميزان»
وقال: (أخباري متروك)، ثم ذكر شيئاً مما لا يقبله العقل من كلامه، وقال: (ذكره ابن حبان في
«الثقات»، وقال: كان قد قرأ الكتب).

لِكُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ وَجْهٌ إِنْسَانٍ وَوَجْهٌ ثَوْرٍ وَوَجْهٌ أُسَدٍ وَوَجْهٌ نَسْرٍ، فَإِذَا حَرَّكَوْا أَجْنَحَتَهُمْ فَهُوَ الْبَرْقُ.

وعلى كل هذه الأقاويل: الرعد والبرق المذكوران في هذه الآية هو الصوت والنار التي تلمع في السحاب، فإن كان الرعد والبرق اسمين لملك أو ملكين، فقد أريد بما ذكر في هذه الآية صوتهما وأثرهما، لا عينهما.

وفي قصة المعراج من رواية ابن عباس رضي الله عنهما: قال عليه الصلاة والسلام: «ثم مررت على ملك يشبه آدمي خلقاً، نصفه من الثلج ونصفه من النار، وسمعتُ تسبيحه وهو يقول: سبحان الذي^(١) أَلَفَ بين الثلج والنار، سبحان الذي يُؤَلِّفُ بين عباده المؤمنين، فقلت: يا جبريل! من هذا الملك؟ فقال: هذا ملك خلقه الله تعالى بقدرته كما ترى، وكَلَهُ^(٢) على السحاب يسوقه من موضع إلى موضع، واسمُه: رعد، ومنه الرعد والبرق»^(٣).

(١) في (ر): «سبحان من».

(٢) في (أ): «كما تراه ووكله».

(٣) لم أجده بهذا السياق، وورد بعضه - لكن دون محل الشاهد - في حديث طويل جداً عن ابن عباس في المعراج رواه ابن حبان في «المجروحين» (١١/٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢١٠)، مقتصرين على أوله، وذكره بتمامه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/٦٢)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/١٥٥)، وفيه: «... ثم مررت بخلق عجيب من العجب، رأيت ملكاً من الملائكة نصف جسده مما يلي رأسه ثلج والآخر مكون ناراً، ما بينهما رتق، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع جداً: سبحان ربي الذي كفَّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار، سبحان ربي الذي كفَّ حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، اللهم مؤلفاً بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبريل؟ فقال: هذا ملك من الملائكة وكله الله بأكتاف السموات وأطراف الأرضين، وهو من أنصح =

يعني: بسياقه السحاب يظهر الرعد، وبعنفه على السحاب يظهر البرق، ألم تسمع الله يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ الآية [النور: ٤٣].

وقال في كتاب «حقائق القرآن»: قال ابن الريحاني^(١): الرعد صَعَقَاتُ الملائكة، والبرق حُرْقَاتُهُمْ^(٢)، والمطرُ بكاءُهم.

فإن حُمِلَ هذا الكلامُ على الظاهر^(٣) فالملائكة موصوفون بالخشية والخيفة، قال تعالى: ﴿وَأَمَلَّيْكُم مِّنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وبكاءُهم شديدٌ أيضاً، حكاه النبي ﷺ أنه رآهم ليلة المعراج

= الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين، يدعو لهم بما تسمع فهذا قوله منذ خلق، ثم مررت بملك آخر...». وعزاه ابن عراق لابن حبان وابن مردويه في تفسيره، قال: كلاهما من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه واتهم به، إلا أن ابن مردويه أخرجه من طريق آخر دل على أن الآفة فيه من غير ميسرة، وأنها من شيخه عمر بن سليمان الدمشقي.

(١) لعله: علي بن عبيدة الريحاني أحد البلغاء والفصحاء، له اختصاص بالمأمون وله معه أخبار، كان كاتباً بارعاً، وله تصانيف كثيرة يسلك فيها طريقة الحكمة، وكان يرمى بالزندقة، قال الذهبي: وتصانيفه تدل على فلسفته وفراغه من الدين، وهي كثيرة سردها ياقوت في «تاريخ الأدباء». انظر: «الفهرست» (ص: ١٧٢)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (٣١١/ ١٥).

وهذا القول رواه عن الريحاني: السلمي في «حقائق التأويل» (٣٢٩/ ١)، وذكره ابن الجوزي في «تليس إبليس» (ص: ٤٠٤)، والآلوسي في «روح المعاني» (١٣/ ١١٧)، وفيهما: (الزنجاني)، ولعله نفسه فإن الريحاني المذكور يقال له أيضاً: الزنجاني، كما في «هدية العارفين» (١/ ٦٦٨). وهذا القول جعله الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥١٩) من بدع المتصوفة.

(٢) جاء في جميع المصادر السابقة: (والبرق زفرات أفئدتهم).

(٣) في (أ): «ظاهرة».

بَاكِينَ، أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى الْعُلُوِّ^(١) أَشَدُّ أَثَرًا مِنَ الَّذِينَ دُونَهُمْ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا نَرَى مِنْ الْهَوَاءِ هُوَ^(٢) مِنْهُمْ مِنَ السَّمَاءِ.

وإنَّ حُمْلَ عَلَى التَّمثِيلِ فَلَهُ وَجْهٌ؛ أَيُّ: كَمَا تَسْمَعُونَ صَوْتَ الرِّعْدِ فَاعْلَمُوا أَنَّ صِيَاحَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْخَوْفِ^(٣) كَذَلِكَ، وَكَمَا تَرَوْنَ لَمَعَانَ الْبَرْقِ فَلَمَعَانُ نِيرَانِ أَشْوَاقِهِمْ كَذَلِكَ، وَكَمَا تَرَوْنَ تَقَاطُرَ الْأَمْطَارِ فِدَمُوعُهُمْ كَذَلِكَ، وَهَذَا حَالُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، فَكَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَغْفَلَ مَعَ هَفَوَاتِنَا وَجَفَوَاتِنَا وَخُطُوتِنَا وَخَطِيئَاتِنَا؟!!

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ﴾: قِيلَ: يَضَعُونَ، وَقِيلَ: يُدْخِلُونَ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ - وَهِيَ^(٤) فَعْلُ الْجَمْعِ - أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾: أَوْ كَأَصْحَابِ صَيْبٍ، حَتَّى صَارَ هَذَا فِعْلًا لَهُمْ^(٥).

وَالْأَصَابِعُ جَمْعُ إِصْبَعٍ، وَفِيهَا خَمْسُ لُغَاتٍ: أَصْبَعُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْبَاءِ، وَأُصْبِعُ بِضَمِّهَا - أَيُّ: الْهَمْزَةُ^(٦) - وَفَتْحِ الْبَاءِ، وَأُصْبِعُ بِضَمِّهَا، وَإِصْبَعُ بِكَسْرِهَا، وَإِصْبَعُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْبَاءِ وَهِيَ أَشْهَرُهَا.

وَهِيَ إِحْدَى أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَالْإِصْبَعُ مُؤَنَّثَةٌ سَمَاعًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَزٍ لَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ:

(١) فِي (ر) وَ(ف): «الْعُلَى».

(٢) فِي (ف): «مَا تَرَى مِنَ الْهَوَاءِ هُوَ»، وَفِي (ر): «مَا تَرَى الْهَوَى هَوَى».

(٣) فِي (ر): «فِي الْخَوْفِ»، وَفِي (ف): «فِي الْجَوْ».

(٤) فِي (أ): «عَلَى»، بَدَلُ: «وَهِيَ».

(٥) فِي (ر) وَ(ف): «فَعَالِهِمْ».

(٦) فِي (أ): «بِضْمِ الْأَلْفِ» بَدَلُ: «بِضْمِهَا أَيُّ: الْهَمْزَةُ».

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت وفي سبيلِ الله ما لقيت^(١)
 ودلت الآية أن إطلاق اسم الشيء على بعضه جائزٌ مجازاً، فإنه ذكر جعلَ
 الأصابع في الآذان، والمقصودُ جعلُ^(٢) بعضها لا كلها، ومعنى هذا: يسدُّون آذانهم
 بأصابعهم خوفاً من الرعد.

وقوله تعالى: ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾: هي جمعُ أذن، وهي الجارحة السامعة، وقد
 أَذِنَ يَأْذُنُ؛ أي: سمع، قال الله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]؛ أي: سمعتُ
 مُطِيعَةً، وقال النبي ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّي يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»^(٣)؛ أي: ما
 قَبِلَ اللَّهُ وَرَضِي^(٤)، والآذان: الإعلام بالإسماع^(٥)، وَأَذِنَ؛ أي: عَلِمَ إِذْ^(٦) سمع،
 ورجلٌ أُذِنَ؛ أي: يسمع كلَّ قولٍ ويقبله.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: هي جمع الصاعقة، وهي الصوت مع النار.
 وقيل: هي صوتُ الرعد الشديد الذي يُضَعَقُ منه الإنسان؛ أي: يُغشى
 عليه أو يموت.

وقيل: هي نارٌ لا دخان لها.

وقيل: هي عذابٌ ينزل من السماء يموت منه أكثرُ مَنْ يسمعه.

(١) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٢) «جعل»: من (ر).

(٣) رواه مسلم (٧٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «أي: ما قبل الله ورضي»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في هامش (ف): «والآذان الإعلان بالإسماع».

(٦) في (أ) و(ف): «إذا».

وقيل: الصاعقة والصاقعة واحدة، وهي من الصَّعَق^(١) أي: الضرب، وهو الصوت أيضاً، والصقيع^(٢): البرد المحرق للنبات، والصَّعَق بفتح القاف: الغشي أيضاً.

وقيل في الصاعقة - وهو أجمع ما قيل فيه -: هو الشديد من صوت الرعد يقع معه قطعة نار تُحرق ما أتت عليه، وهو المراد هاهنا.

وقد ذكرت الصاعقة في القرآن^(٣) لأشياء:

للنار: في قصة بني إسرائيل قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

وللريح: في قصة عاد، قال: ﴿مَثَلُ صَنِيعَةِ عَادٍ﴾ [فصلت: ١٣].

وللصيحة: في قصة ثمود، قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ [فصلت: ١٧].

ولمطلق العذاب: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣].

وللعذاب النازل من السماء: قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣].

ولصوت الرعد: كما في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾؛ أي: من قبل الصواعق وبسببها^(٤)، أو فيه مضمراً

(١) في (ر) و(ف): «الصعق».

(٢) في (ف): «والصقيع».

(٣) في (ف): «جاءت» بدل: «ذكرت الصاعقة في القرآن».

(٤) في (ر): «تشبيها»، وفي (ف): «وتشبيها».

وتقديره: يجعلون أصابعهم في آذانهم تحرّزاً من الصواعق، أو: خوفاً من الصواعق.
والألّف واللام في ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ بدلُ الإضافة؛ أي: من صواعق الرعد وصواعق الصَّيْب، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.
وقوله تعالى: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: الحذر: الخوفُ الباعثُ على التحفُّظ والتيقُّظ،
ورجلٌ حَذِرٌ وحَذْرٌ - بكسر الذال وضمّها - من ذلك، وطيرٌ حَذِرٌ؛ أي: يتحفّظ^(١) في
شربه والتقاطِ حَبّه.

والموت: زوالُ الحياة.

وُنُصِبَ ﴿حَذَرَ﴾ على أنه مفعولٌ له؛ أي: لأجل حذرهم من الموت يفعلون
كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: الإحاطة: إدراك الشيء بكَماله من كلِّ
جِهاته، ويُستعمل في العلم بالشيء من كلِّ وجوهه، قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾
[الطلاق: ١٢]، وإِهْلَاكِ الشيء بكَلِّيته، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]،
وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦] أي: تهلَكوا جميعاً.

وتفسيره هاهنا عند بعضهم: أي: يُمَيِّتُهُمْ إن شاء فلا فائدة لحذرهم.

وقيل: أي: هو عالمٌ بالكفار فيُطْلَعُ رسوله على أفعالهم.

وقيل: أي: عالمٌ بهم فيجازيهم يوم القيامة بأعمالهم.

وقيل: أي: يجمعهم في جهنم بما فعلوا، وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
[البروج: ٢٠]؛ أي: لا يخرجون عن ملكه وعلمه وقدرته.

(١) في (ف): «منخفض».

(٢٠) - ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ كاد يكاد مكادة؛ أي: قارب، يقال: كاد يفعل كذا؛ أي: قارب أن يفعل ولم يفعل^(١)، وإذا قلت: ما كاد يفعل، فمعناه: قرب أن لا يفعل وفعل، وهو مثل (عسى)، إلا أن (عسى) يُوصَل بكلمة (أن)، و(كاد) يستعمل بغير (أن)، وقد يستعمل أيضاً مع (أن)، واللغة الفاشية هي الأولى، وفي القرآن كذلك.

وقالوا: إذا وُصل (كاد) بـ(أن) فهو تشبيه بـ(عسى)، وإذا أُسقط عن (عسى) فهو تشبيه بـ(كاد)، قال الله تعالى في (عسى): ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ﴾^(٢) [المائدة: ٥٢]، وقال تعالى في (كاد): ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكْذِبْنَهَا﴾ [النور: ٤٠].

وقوله: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ الخطف^(٣): الاستلاب بسرعة، من حدّ علم، ورجلٌ خِطْفٌ: سريع المرّ، والشيطانُ يَخْطَفُ السَّمْعَ؛ أي: يَسْتَرِقه، والبرقُ يَخْطَفُ البَصَرَ؛ أي: يَسْتَلِبُه.

وقرأ الحسن البصري رحمه الله: (يَخْطَفُ) بفتح الياء وكسر الخاء والطاء^(٤).

(١) «ولم يفعل» سقطت من (ر) و(ف)، ووقع مكانها في (ر): «كذا».

(٢) في (أ): ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾.

(٣) في (ر) و(ف): «فالخطف».

(٤) مع تشديد الطاء. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٦٤)،

و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

وقرئ: (يَخْطَفُ) بفتح الياء والخاء وكسر الطاء^(١).

وقرئ: (يَخْطَفُ) بكسر الياء والخاء والطاء^(٢).

وقرأ بعض أهل المدينة: (يَخْطَفُ)^(٣) بسكون الخاء وتشديد الطاء^(٤).

وقراءة الأكثر: ﴿يَخْطَفُ﴾^(٥) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الطاء وتخفيفها.

فأما وجه تشديد الطاء: فعلى أن أصله: يَخْطِفُ، فأدغمت التاء في الطاء.

وأما كسر الخاء: فلا اجتماع الساكنين، فحرّك الأول إلى الكسر كما في قوله:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١].

وأما كسر الياء: فإتباعاً للخاء.

وأما فتح الخاء: فلينقل حركة التاء المدغمة إليها.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ﴾: يجوز (أضاء) لِلْأَزْمِ^(٦) والمتعدي، ومعنى

الأول: كلما ضاء^(٧) لهم البرق، ومعنى الثاني: كلما أضاء البرق الطريق لهم.

(١) مع تشديد الطاء أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس

(١/ ٣٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٢) مع تشديد الطاء أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٥)، و«المختصر في شواذ القراءات»

(ص: ١١)، و«المحتسب» (١/ ٥٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٣) «يخطف»: من (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٥)، و«المختصر في شواذ

القراءات» (ص: ١١)، و«المحتسب» (١/ ٦١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٥) وهي قراءة العشرة. وكلمة: «يخطف» من (أ).

(٦) في (ر): «اللازم».

(٧) في (ف): «أضاء».

وقوله تعالى: ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾: المشي: السَّيْرُ السَّهْلُ، والمَشْيُ بالتشديد والمشْوُ: الدواء^(١) المسهل.

والمشي في القرآن لمعان:

للسير: كما في قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩٥].

وللمُضِيِّ: كما في قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥].

وللاعتداء: كما في قوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

وللانجرار: كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥].

وللنميمة: كما في قوله تعالى: ﴿مَشَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [القلم: ١١].

وتفسيره هاهنا: كلما نَارَ البرقُ فَأَنَارَ الطريقَ مَضَوْا في طريقه وضوئه، فإذا انقطع وقفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: القيام: الانتصاب، قال تعالى: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

والقيام: الاستواء، قال تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

والقيام: النهوض، قال تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ [الكهف: ١٤].

والقيام: البقاء، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥].

والقيام: الوقوف، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي: وإذا زال الضوء وجاء الظلام وقفوا.

(١) في (ر): «شرب الدواء»: والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الصواب. انظر: «النهاية» (مادة: مشي)، و«القاموس» (مادة: مشو).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: (لو) كلمة شرط، والمعلق به يمتنع بامتناع شرطه، وقد يكون للتمني كما في قوله: ﴿لَوَأْتِيَ كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]. والمشية: الإرادة.

وقوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: أي: لأذهبها، فالتعديّة قد تقع بالباء أيضاً.

ثم ذكر السمع على الوجدان - مع إضافته إلى الجمع - وذكر الأبصار^(١) بالجمع؛ لِمَا مر في قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غُشُوةً﴾ [البقرة: ٧].

وتفسير هذه الكلمات: ولو شاء الله لذهب بسمع رؤوسهم وأبصار رؤوسهم كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها.

وقيل: ولو شاء الله لجعلهم صمًا وعميًا في الآخرة كما جعلهم في الدنيا كذلك.

وقيل: ولو شاء الله لذهب بأعيان الأسماع والأبصار منهم كما ذهب بمنافع الأسماع والأبصار منهم.

وبمعرفة هذه الأقاويل اندفع^(٢) سؤال مَنْ سأل فقال: لِمَا قال: ﴿صُمُّ بِكُمْ عُتَى﴾ فقد نفى السمع والنطق والبصر عنهم، فما معنى تعليق إذهابها عنهم بالمشية؟ لأننا نقول: ما نفاه عنهم غير ما علّق إذهابه عنهم بالمشية، وهو ما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: (كل) كلمة استيعاب يتناول جميع ما دخل فيه، والشيء اسم لكل موجود، وها هنا هو اسم لكل موجود مخلوق، لأنه هو الذي يجوز دخوله تحت القدرة.

(١) في (ر) و(ف): «على الوجدان والأبصار».

(٢) في (ف): «يدفع».

والقدير: هو القادر؛ كالعليم هو العالم، والصفة: القدرة والمقدرة، والإقذار: إثبات القدرة، واقتدر فهو مُقْتَدِرٌ، بمعنى: قَدَر فهو قادرٌ.

وتفسيره هاهنا: إنه على كل شيء قادر^(١)، وإنما ذكر قبله إذهابُ السمع والبصر لا غير لأنهما هما المذكوران في القصة، فالرعدُ يؤثر في السمع، والبرقُ يؤثر في البصر، والله تعالى قادرٌ على إزالتها في هذه الحالة، وقادرٌ على كل شيء في كلِّ حالة^(٢).

فأما تأويل جملة هذه الآيات ففيها أقاويل كثيرة^(٣):

منها: ما روي: أنه كان رجلان من المنافقين من المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله عز وجل، فيه رعدٌ وبرقٌ وصواعق، فجعلا كلما أضاء لهما الصواعقُ جَعَلَا^(٤) أصابعهما في آذانهما من الفرق، [وإذا لمع البرقُ مَشَا في ضوئه]، فإذا^(٥) لم يلمع لم يُبصرَا فكانا لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا أصبحنا فنأتِي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه فأسلما، فضرب الله تعالى مثلهما للمنافقين بالمدينة^(٦).

(١) في (ر) و(ف): «قدير».

(٢) في (ف): «شيء وحالة».

(٣) في (أ): «فقد وردت فيه أقاويل كثيرة»، و«كثيرة»: ليست في (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «فجعلا كلما أضاء لهم البرق مشيا وجعلا»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٥) في (أ): «وإذا».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٦٨/١) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود

وناس من الصحابة، وما بين معكوفتين منه. وقد قال الطبري في «تفسيره» (٣٧٥/١) عن هذا

الإسناد: ولست أعلمه صحيحاً، إذ كنت بإسناده مرتاباً.

وقال ابن عباسٍ وعطاءٌ والضحاكُ وعليُّ بن طلحةَ ومقاتلُ والكلبيُّ وجعفرُ بن محمد الصادقُ: هذا مَثَلُ القرآن؛ أي: مَثَلُ المنافقين مع القرآن كَمَثَلِ مسافرٍ أصابه مطرٌ، فشَبَّه القرآن بالمطر؛ لأن في القرآن حياةً مَنْ آمَنَ به.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾: ذَكَرُ الكُفْرِ والوعيدُ عليه وعلى المعاصي، وهو كالرعد^(١)، وفيه الوعدُ على الإيمان والطاعات كالبرق.

وقيل: الظلمات: بيانُ الفتن، والرعدُ: الزَّجر والتخويف، والبرق: بيان النَّصرة والظَّفَر.

= قال الشيخ أحمد محمد شاكر في حاشية الطبري: وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده، فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد تجمعهم هذه الأسانيد، فإذا كان الأمر في تفسير معنى آية كان سهلاً ميسوراً قبوله، إذ يكون رأياً أو آراء لبعض الصحابة في معنى الآية، وما في ذلك بأس. أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث، بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع كانت على عهد رسول الله ﷺ، من أسباب لنزول بعض الآيات، أو نحو ذلك مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً أو حكماً، كان قبول هذا الإسناد - إسناد تفسير السدي - محل نظر وارتباب، إذ هو رواية غير معروف مصدرها معرفة محددة: أي هؤلاء الذي قال هذا، وأيهم الذي عبر عنه باللفظ الذي جاء به؟ نعم، إن ظاهره أنه عن الصحابة: إما ابن عباس، وإما ابن مسعود، وإما ناس من أصحاب النبي ﷺ، فقد يقول قائل: إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة، وسواء أعرف الصحابي الراوي أم أبهم اسمه، فإن ذلك لا يخرج عن رواية الصحابة، وجهالة الصحابي لا تضر؟ ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة في التفسير وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول، مثل الرواية التي هنا في هذا الموضوع، مع إعراض أئمة الحديث الذين خرجوا الروايات الصحيحة والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح عن إخراج هذه الرواية ونحوها، وإعراض مؤرخي السيرة عن روايتها أيضاً، كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية، وفي العجز بنسبتها إلى الصحابة، إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها، والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب.

(١) في (ف): «الرعد».

وقيل: الرعد: المتشابهات، والبرق: المحكمات.

وقيل: الرعد: بيان المحرمات والوعيدُ عليها، والبرق: بيان المحللات والوعدُ عليها.

وقيل: الرعد: ما في القرآن من ذكر الامتحان والابتلاء، والبرق: ما فيه من الهدى والشفاء.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذَانِهِمْ﴾^(١): ينفرون عن^(٢) الجهاد وسائر الأوامر كأن لم يسمعوا.

وقيل: يتصامون ويتعامون كيلا يسمعوا ما نزل في شأنهم والأمر بقتلهم.

وقيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذَانِهِمْ﴾ حقيقة كيلا يسمعوا القرآن، تكاد حجج القرآن تبهر العقول وتجذبها إلى نفسها لوضوحها.

وقيل: يكاد القرآن^(٣) يدل على عوراتهم.

وقيل: يكاد بيان القرآن يذهب بضاللتهم ﴿كَلَّمَآ أَصْنَآ لَهُمْ مَشَآفِيهِ﴾: كلما تفكروا في المحكمات قصدوا أن يؤمنوا بالقرآن، وإذا اشتبهت عليهم المتشابهات^(٤) أعرضوا وكفروا.

وقيل: كلما تمسكوا بالمتشابهات ليحتجوا بها على المؤمنين انقطعت حججهم بالمحكمات، فبقوا في ظلمة كفرهم متحيرين ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

(١) بعدها في (ر) و(ف): ﴿مِنَ الْقَوَاعِي﴾.

(٢) في (ف): «من».

(٣) في (أ): «البرق».

(٤) في (ف): «المشبهات».

وَأَبْصَرَهُمْ ﴿عقوبةٌ لهم، كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها خذلاناً لهم، إنه قديرٌ على ما أراد.

وقال^(١) الربيع بن أنس وابن جريج ومجاهد والضحاك، والكلبي عن ابن عباس: هذا مثل لإقرارهم بالستهم وإنكارهم بقلوبهم؛ أي: مثل المنافق في الإيمان كمسافر في المفازة في ليلة مظلمة أصابه مطرٌ، شبه الإيمان بالمطر لأنه به حياة القلوب، وفيه ظلمات في قلبه: ظلمة الكفر، وعلى لسانه نور الأقدار كالبرق، وهو خائف بين ذلك كالخائف من الرعد ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءًا ذَائِبًا﴾ لا يتفكرون بقلوبهم إلى دليل الرشد ومعجزات الرسول، ﴿يَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: تلك الدلائل تذهب بظلمة قلبه وغطاء بصره وإن لم يتفكروا فيها.

وقيل: يكاد نور إيمان المنافق بلسانه يخفى على المؤمنين حاله ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ﴾؛ أي: ما داموا في الحيرة^(٢) يتكلمون به ويتنفعون به، وإذا ماتوا بقوا في ظلمة القبر وعقوبة الحشر، ولو شاء الله لأهلك المنافق للحال ولا يمهلوا إلى الموت؛ لأنه قدير على كل شيء.

وقيل: هذا مثل خوف المنافق وتحيره فإن ليلة المطر والرعد والبرق والظلمات في غاية الهول والإحاش، ومعنى جعل الأصابع في الأذان حذر الموت: خوفُ المنافق أن يُطْلَعَ على سرِّه فيقتل أو يُنفى ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: قادرٌ على إنزال نقمته بهم ﴿يَكَاذِبُونَ يَخْتَفُونَ أَبْصَارَهُمْ﴾ يكاد خوفُ المنافق يهلكه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ﴾؛ أي: كلما ظهرت غلبة أحد الفريقين تابعوهم، وإذا انقلب الأمر انقلبوا، ولو

(١) من هنا وقع سقط في (ر) و(ف) بمقدار صفحتين، وسنشير إلى نهايته في موضعه.

(٢) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «في الحياة».

شاء الله لحقّق ما يخافه صاحبُ الصيّبِ لاختطاف^(١) السمع والبصر وليس ترك الله المنافق على هذا التذبذب لعجزه، إنه على كل شيء قدير.

وقيل: هذا مثل لقاء المنافقين المؤمنين بالإيمان والكفار بالكفر، قال: مثلهم كمثل الرجل في ظلمات الليل والسحاب والمطر، وفي المطر رعد وبرق، فقد اجتمع نور وظلمة وخوف، فالنور ما يُظهره من الإيمان، والظلمة ما يضيّره من الكفر، والخوف منهم ظهور أمرهم نفاق المنافقين وينكشف لهم أسرارهم ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَآءَ فِيهِ﴾: كلما تكلموا بالإيمان كانوا سالمين مع المؤمنين، وإذا دخلوا^(٢) إلى شياطينهم وقالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، وقعوا في ظلمات الضلال، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لأزال أسباب التحرّز عنهم وواقع بهم المؤمنين، كما لو شاء لذهب بسمع صاحب الصيّب وبصره من غير صاعقة ورعد وبرق ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ عالم بهم مالك لهم، وهم في قبضته، فلا مخلص ولا مهرب لهم، وهو على كل شيء قدير.

وقال قتادة وابن جريج: هذا مثل لجبن المنافق وخوفه من الموت إذا دُعي إلى القتال، وفي الجهاد إحياء الدين كما أن المطر حياة الأرض وأهلها، فكانوا إذا دُعوا إليه قالوا: ﴿إِن يَبُوتْنَا عَوْرَةً﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣] وقال: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ فَكُلُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ﴾ [النساء: ١٤١] وإذا لم يرغبوا في الجهاد لأنهم كانوا لا يصدّقون النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] وفي قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا يصدّقون بالبعث وما أعد الله للشهداء، ﴿يَكَادُ الْبَرُّ﴾؛ أي: عز الإسلام، فظهوره مُلجئة إلى الإيمان ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ﴾

(١) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «باختطاف».

(٢) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «خلوا».

لهم عز المسلمین مشوا فيه، وإذا كانت الدِّبْرَةُ^(١) عليهم قاموا متحيرين في كفرهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لأهلكهم وأماتهم من غير قتال، إنه على كل شيء قدير، كما قال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٨]، وقال ﴿يَتَأَيَّمُوا لَدِينِ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٦].

وقيل: ﴿لو شاء الله﴾ لعطل أبدانهم ومصالحها فلم يصلحوا للجهاد ولا لغرض آخر، إنه على كل شيء قدير.

وقيل: أي: كلما دُعوا إلى غنيمة ومنفعة أجابوا ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي: إذا أمروا بالخروج للغزو ثاقلوا.

وقيل: كلما سمعوا غلبة أشياعهم فرحوا ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي: وإذا رأوا غلبة المؤمنين تحيروا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لأذهب أشياعهم، إنه على كل شيء قدير^(٢).

وقيل: هذا في الذين آمنوا، ولَمَّا^(٣) مسَّهم الضرُّ ارتدُّوا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ الآية [الحج: ١١]، فقال^(٤) تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ فشبه الإسلام بالمطر، والنعمة فيه بالبرق، والفتن والمحن فيه بالرعد ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾؛ أي: لا يحبُّون أن يسمعوا بشيء من الشدائد والبلايا، يكاد ما يرونه من عز المسلمين وإصابة الغنائم يمحوا عن قلوبهم الشبهات ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: وإذا زال نفع الدنيا وقفوا، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لسلب ما في أيديهم وزادهم ذلًّا إلى ذلٍّ، إنه على كل شيء قدير.

(١) في هامش (أ): «الدبرة: الهلاك».

(٢) هنا نهاية السقط في (ر) و(ف).

(٣) في (ر) و(ف): «لما».

(٤) في (أ): «قال»، وفي (ر): «وقال».

وقيل: المثل لليهود، وذلك أن المسافر ينتظر المطر ليعمر^(١) الطرق ويملاً الحياض^(٢) فيستفَع به هو ودوابه، ولا يتوقع الظلمات والرعد والبرق، فكذا اليهود كانوا ينتظرون خروج نبينا عليه الصلاة والسلام ليهدتوا به ويقهروا الأعداء^(٣)، ولم ينتظروا نسخ شريعتهم والوعيد^(٤) بالنار لمن كان على دينهم، فالمطر: مثال محمد ﷺ، والظلمات: نسخ شريعتهم، والرعد: الوعيد بالنار، والبرق: معجزات النبي ﷺ ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيْءِ إِذَانِهِمْ﴾: يعاندون في الإنكار مع ظهور الحق والآيات^(٥) ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾؛ أي: كاد ظهور دلائله يذهب بظلمة قلوبهم ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي: المسافر لو نظر إلى البرق لأبصر الطريق، ولو غمض عينيه خفي عليه الطريق، فكذا اليهود لو تأملوا في حال النبي ﷺ لاهتدوا، ولما أعرضوا بقوا في الضلالة.

وقيل: المثل لليهود مع التوراة، فالمطر: التوراة، والظلمات: متشابهاتها، والرعد: الوعيد، والبرق: ذكر محمد ﷺ ونعته وشرفه ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيْءِ إِذَانِهِمْ﴾: يعرضون عن ذكره والتأمل فيه مخافة فوت الرياسة والمأكلة^(٦)، يكاد ظهور حاله يزيل كفرهم، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ﴾؛ أي: ما وافق أهواءهم قبلوه وما خالفها ردوا.

(١) في (ر): «ليعرف».

(٢) في (ف): «الحياض».

(٣) في (ر) و(ف): «أعداءه».

(٤) في (ر): «والوعود».

(٥) في (ر) و(ف): «مع ظهور الآيات».

(٦) في (أ): «ذا المأكلة».

وقيل: معناه: لو تفكروا آمنوا وسعدوا، ولكن أعرضوا فهلكوا وخسروا، وكما أن الله تعالى قادرٌ على تنوير بصر المسافر وإن تعامى، فكذا هو قادرٌ على تنوير قلوب اليهود وإن أعرضوا، ولكن لم يشأ ذلك، فهو على ما يشاء قدير.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى: المثل لكفار عصر النبي ﷺ، ألا ترى أنه قال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وكانوا صنفين:

صنفٌ: أهل كتابٍ قد غيروه؛ كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]، ومن أهل الكتاب قومٌ ابتدعوا الكتاب، كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ الْأَسِنَّةَ بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨] فاندurst الكتاب الحق، وصاروا في ظلمة الضلالة^(١)، وظهر منهم القول المختلف المتناقض الذي لا تحتمله الحكمة.

وصنفٌ: لا يتحلون الكتاب ولا يؤمنون بنبيٍّ، بل يعبدون الأوثان والأحجار والنيران، ليس لهم من يدلُّهم على رشدهم.

فاحتاجوا^(٢) إلى من يخرجهم من الضلال إلى الهدى، ومن الفرقة إلى الائتلاف، فبعث الله إليهم نبيًّا^(٣)، وألزمهم^(٤) بالآيات ليستنقذهم به إن أطاعوه،

(١) في (ف): «الظلمة» بدل: «ظلمة الضلالة» وفي الهامش كالمثبت.

(٢) في (أ): «رشد فاحتاجوا» وفي (ر) و(ف): «رشدهم احتاجوا». وعبرة «التأويلات»: (فأحوج

الفريقين جميعًا ما حل بهم من الحيرة والتهية إلى من يشفيهم من داء الضلالة بنور الهدى...).

(٣) في (ف): «نبينا».

(٤) في (أ): «وأكرمهم». وفي «التأويلات»: (فبعث إليهم عند شدة حاجتهم رسولاً، وأكرمهم بما أراهم

من الآيات التي يعلمهم بها أنه أنعم بها عليهم ليستنقذهم...).

فكانوا كقومٍ بقُوا في ظلمات الليل والسحاب متحيرين، أو^(١) كقوم ابتلوا بشدة الجوع والعطش بالقحط^(٢) والجُدوبة، فأغاثهم بالمطر، فتلَّقَّوا نعمه بالشكر، فنجَّوا بذلك من الهلكة، وذلك مَثَلٌ مَن اتَّبَعَهُ، ومنهم مَن تَلَقَّاه بالكفران، وذلك مَثَلٌ مَن لم يَتَّبَعَهُ^(٣).

فشَبَّهَ نبيَّه بالمطر إذ هو رحمةٌ كالْمَطَرِ، وشَبَّهَ إيمانَ مَن آمَنَ به بضوءِ البرق والمشْيِ فيه، وشَبَّهَ عناد المعاندين بالرَّعد، يكاد نورُ محمدٍ ﷺ وبركته تَخْطِفُهُم من العذاب مع كفرهم، ﴿كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾؛ أي: كَلَّمَا ظَهَرَ لَهُم نوره وبركته سَكَنُوا إليه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾؛ أي: وَإِذَا رُفِعَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَذَّبُوا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾؛ أي: لَعَذَّبَهُمْ وَمَحَمَّدٌ فِيهِمْ، إنه قديرٌ على كلِّ شيءٍ.

(٢١) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال الزَّجَّاج: (يا) نداء، و(أي) اسمٌ مبهمٌ مبنيٌّ على الضم لأنه منادى مفردٌ معرفةٌ^(٤)، و﴿النَّاسُ﴾ صفةٌ له، و(ها)^(٥) تنبيهٌ لازمٌ لـ(أي)، وهو عوضٌ عن الإضافة في (أي)؛ لأنَّ أصلَ (أي) أن يكون مضافاً في الاستفهام.

(١) في (أ): «فتحيروا» بدل من «متحيرين، أو».

(٢) في (ر): «والقحط».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٣٩٧-٣٩٨).

(٤) «معرفة»: من (أ).

(٥) في (ر): «والهاء».

وقال سيبويه عن الخليل: المنادى المفرد مبنيٌ وليس بمعرَّبٍ، ولذلك لم ينوَّنْ، وصفته مرفوعةٌ رفعَ إعرابٍ، ولذلك دخله الألف واللام^(١).

وقال الأخفش: ﴿النَّاسُ﴾ صلةٌ لـ(أي).

والنداء: تنبيهُ الغافلين، وإحضارُ الغائبين، وتحريكُ الساكنين، وتعريفُ الجاهلين، وتفريعُ^(٢) المشغولين، وتوجيهُ المعرضين، وتهيجُ المحبين، وتشويقُ المريرين، وإن الله تعالى نادى الأمم^(٣) الماضين باسم المساكين، ونادانا باسم المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وباسم الإنسانية، وهي المروءةُ وحسنُ^(٤) المعاملة وصدقُ المجاملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهو^(٥) مدحٌ ابتداءً، وبعثٌ على ملازمة الإنسانية انتهاءً، وهو مشتقٌ أيضاً من أنْس؛ أي: أَبْصَرَ، كأنه قال: يا أولي الأبصار. وهو^(٦) من الأنس أيضاً، وهو مدحٌ له بالأنس بذكر ربه، ومن النسيان، وهو عتابٌ وتلقينٌ عذرٍ؛ أمَّا العتاب فكأنه يقول: يا أيها الناسي^(٧) نعمنا بالكفران وأوامرنا بالعصيان، وأما التلقينُ للعدر فكأنه يقول: يا أيها المخالف لنا ناسياً لا عامداً، وساهياً لا قاصداً^(٨)، عذرناك لنسيانك وعفونا عنك لإيمانك.

وقوله: ﴿النَّاسُ﴾ هنا يصلح اسماً للمؤمنين والكافرين والمنافقين.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٩٨/١). وانظر: «الكتاب» (١٨٨/٢ - ١٨٩).

(٢) في (أ) و(ف): «وتفريع».

(٣) «الأمم»: من (ر).

(٤) في (أ): «وبحسن».

(٥) في (ف): «وهذا».

(٦) «هو»: ليست في (أ) و(ف).

(٧) في (ف): «الناس قابلتم».

(٨) في (أ): «ناسياً وساهياً لا عامداً ولا قاصداً».

وقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: أمرٌ لهم^(١) جميعاً، وقد سبق ذكرُهم جميعاً: ذكرُ المؤمنين في أول السورة، وذكرُ الكفار بعدهم، وذكرُ المنافقين بعدهم.

وقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ معناه: أيها المؤمنون أطيعوا، وأيها الكافرون آمنوا، وأيها المنافقون أخلصوا، وهو وجهُ انتظام هذه الآية بتلك الآيات.

وقد مرَّ في تفسير العبادة أقاويل، ونذكر هاهنا قولاً واحداً؛ وهو أن العبادة: استفرغُ الطاقة في استكمال الطاعة، واستشعارُ الخشية في استبعاد المعصية.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّكُمْ﴾؛ أي: إلهكم ومالككم ومربِّكم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخلقُ في اللغة: التقدير، قال الشاعر:

ولأنت تُفري ما خلقتَ وبعْدُ ضُ القوم يخلقُ ثم لا يفري^(٢)

ومنه قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، فالخلق: الإيجاد.

والخلق: الافتراء في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [ص: ٧]، والاختلاقُ كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَقٌ﴾ [ص: ٧].

والخلق: المخلوق في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١].

والخلق: المخلوقون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

والخلق: البعث بعد الموت في قوله تعالى: ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩].

(١) في (ر): «أمرهم».

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «ديوانه» (ص: ١١٩)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٥)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٥٧). وجاء في هامش (ف): «الفري: القطع على وجه الإصلاح، والإفراء: القطع على وجه الفساد».

وتفسير ﴿خَلَقَكُمْ﴾ هاهنا: أوجدكم، فهو المستحق لعبادتكم إياه، وهي العمل له على الخلوص.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: العبادة: جعلُ العبد^(١) كليته لله قولاً وعملاً وعقداً^(٢).

قال رضي الله عنه^(٣): وقرّر معنى التخليق، بأن كرّره^(٤) في القرآن من كلّ طريق، أخبر أنه هو الخالق، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وأنه الخلاق فقال: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وأنه أحسنُ الخالقين قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وأنه خلق كل شيء فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] وأنه يخلق ما يشاء فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وخصّ بعضُ المخلوقات بالذكر:

فمنها: السماء، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [لقمان: ١٠].

ومنها: الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ [فصلت: ٩].

وجمعهما فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومنها: الليل والنهار، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وذكر الجن والإنس، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦].

(١) «العبد» ليست في (أ) و(ف)، و«العبادة» ليست في (ر)، والعبارة كاملة في «التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٩).

(٣) في (أ): «قال نجم الدين».

(٤) في (ر): «ذكره».

وخصَّ الجان فقال: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، وإبليس فقال خبراً عنه: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(١) [الأعراف: ١٢]، والملائكة فقال: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكِيَّةَ إِنَّا﴾ [الصافات: ١٥٠]، وآدم فقال تعالى: ﴿وَبَدَأْ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وحواء فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وأزواجنا فقال: ﴿وَمِنْ عَائِشَةٍ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١]، وأولاد آدم وحواء فقال تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، والتَّارَات فقال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وأثنى على نفسه به فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] لأنه أَحْسَنَ التَّخْلِيقِ؛ قال^(٢) تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وذكر خلق أعمالهم فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وخلق^(٣) أسرارهم فقال: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وذكر خلق الذكر والأنثى، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣]، وخلق الأنعام لأجلهم فقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ [النحل: ٥]، وكذا كل الحيوانات فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٥].

وذكر الذباب فقال: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣].

وذكر الجمادات فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١].

(١) زاد في (ر) و(ف): ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

(٢) في (ر) و(ف): «فقال».

(٣) في (ر): «وذكر».

وذكر خلق ما لا^(١) نعلمُ فقال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وذكر خلق الموت والحياة فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [المالك: ٢].

وذكر^(٢) أنه ما خلقنا عبثاً فقال عزّ وعلا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وذكر^(٣) أنه خلق وأنه رزق وأنه يحيي وأنه يميت فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

فإذا^(٤) كان هذا كله منه كان استحقاقُ عبادةِ الخلق له دون غيره^(٥)، فقال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: الواو للعطف؛ أي: وخلق الذين من قبلكم فاستحقَّ عبادتهم وأمرهم أيضاً بعبادته فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ دلالةٌ على شمول القدرة والصنعة، وتنبيةٌ عن سِنَةِ الغفلة، أنهم كانوا فمضوا، وجاؤوا وانقضوا، فلا تنسوا مصيركم، ولا تستجيزوا تقصيركم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: (عَلَّ) و(لَعَلَّ) في اللغة كلمةٌ تَرَجُّ ممن^(٦) لا

(١) في (ف): «وخلق ما لم» بدل: «وذكر خلق ما لا».

(٢) في (أ) و(ف): «ثم ذكر».

(٣) في (أ): «ثم ذكر».

(٤) في (أ) و(ف): «وإذا».

(٥) في (ر): «كان استحقاقاً للعبودية دون غيره»، «دون غيره» ليست في (أ).

(٦) في (أ): «ترجي لمن».

يَعْلَمُ الْعَاقِبَةَ، وَهُوَ تَرْجِيَةٌ^(١) مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَهُوَ كَكَلِمَةِ (كَيْف) هِيَ لِلتَّعَجُّبِ مِنَّا وَلِلتَّعَجُّبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِثْلُهَا كَلِمَةُ (أَوْ)، وَهِيَ لِلشَّكِّ مِنَّا وَلِلتَّشْكِيكِ مِنَ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ (عَسَى).

وَفَارِسِيَّتُهُمَا: (تَرْجِي أُمِيد دَاشْتَن، وَتَرْجِيَةٌ مَا أُوْمِيد دَاشْتَن، تَعَجَّبَ شَكَفْت دَاشْتَن، وَتَعَجَّبَ شَكَفْت دَاشْتَن).

وَمَعْنَاهُ: اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ رَاجِينَ التَّقْوَى، وَلِلتَّقْوَى هَاهُنَا مَعْنِيَانِ: التَّقْوَى فِي الدُّنْيَا عَمَلًا، وَالتَّقْوَى^(٢) فِي الْآخِرَةِ أَمَلًا:

فَفِي الدُّنْيَا: الْإِتْقَاءُ عَنِ الشَّرِّ إِنَّ حُمَلَ الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْإِتْقَاءُ عَنِ الذُّنُوبِ إِنَّ حُمَلَ ذَلِكَ عَلَى الطَّاعَاتِ.

وَالْإِتْقَاءُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ الْإِحْتِفَاطُ عَنِ النَّارِ وَسَائِرِ الْعُقُوبَاتِ.

وَهَذِهِ مَخَاطَبَةٌ لَطِيفٌ، يَقُولُ الرَّجُلُ لِآخَرَ: لَا أَوْاخِذُكَ بِالْجَفْوَةِ لَعَلَّكَ تَرْجِعُ إِلَى الصَّفْوَةِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

(١) فِي (أ): «وَهِيَ تَوْجِيهٌ».

(٢) «التَّقْوَى»: لَيْسَتْ فِي (ف).

ومن العجيب^(١) ذكره في حق فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وكان الشُّبْلِيُّ رحمه الله يقول في هذا: يا رب! هذا لطفك بمن يقول: أنا ربكم الأعلى، فكيف لطفك بمن سجد لك على التراب، وقال في سجوده: سبحان ربي الأعلى؟!

وهذا^(٢) كله على ما مر أنه ترجية، ومعناه هاهنا: أنه قال لموسى وهارون: اذهبا إليه وادعوا إلينا وأنتما على رجاء إجابته، واعتذاره عن جنايته، والله تعالى قد علم أنه لا يجيب، لكن أمر بذلك إلزاماً للحجة، وأخفى الحال عليهما لئلا يقصرا في الدعوة.

(٢٢) - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾: هو صفة قوله: ﴿رَبِّكُمْ﴾، وتفسيره: صير لكم الأرض، وقيل: خلق، وقيل: بسط.

و(جَعَلَ) في القرآن لمعان:

للخلق: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وللإنزال: قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

(١) في (أ): «العجب».

(٢) في (أ): «وعلى هذا».

وللحبس: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ أَي: حَبْسَانَهُ ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٢] إلى وقت الولادة.

وللوضع: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا أَبْنَاءَكُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢]؛ أي: ضَعُوا دراهمهم في جُوالقهم^(١).

وللإدخال: قال تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي إِذَانِهِمْ ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

وللجمع: قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

وللبناء: قال تعالى: ﴿عَلَى أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

وللتملك والتسليط: قال تعالى: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥].

وللقول والوصف: قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

وللإرسال: قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾﴾ [طه: ٢٩].

وللتحويل: قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ٥].

وللتصيير: قال تعالى: ﴿فَأَجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وللترك: قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِبَةً ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٥٠].

وللإعطاء: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ [المدثر: ١٢].

وللالتخاذ: قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

وللتسخير: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلُمِ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزخرف: ١٢].

(١) في (ر): «جوالقهم».

(٢) «قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾»: من (ر).

وللرَّفع: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وللبسط: قال تعالى: ﴿جَعَلْ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿الْأَرْضُ﴾: هي التي نحن عليها، واشتقاقها من أشياء:

فالأَرْضُ: قوائمُ الفرس وهي أسافلُها، وأَرْضُنَا التي نستقرُّ عليها متسفلَّةٌ^(١).

والأَرْضُ: الرُّعدة، وأَرْضُنَا قد^(٢) تنزل، وكانت متزلزلةً قبل خلق الجبال عليها لتوطيدها.

والأَرِيضُ: الخلق بالخير، وكذلك أَرْضُنَا ففيها الماء والمرعى، وعليها القرارُ والمأوى، للأحياء والموتى.

والإِرَاضُ^(٣): البساط، وهي بساطُنَا.

والأَرْضُ بفتح الراء: الاتِّساع، وأَرْضُنَا متَّسعةٌ.

والأَرْضَةُ دُوَيْبَةُ تَأْكُلُ العود، وأَرْضُنَا تتأرَّضُ ما دُفِنَ فيها.

والتأريضُ: التأسيس والتأصيل، قال النبي ﷺ: «لا صِيَامَ لِمَن لَمْ يُؤرِّضْهُ مِن

الليل»^(٤)، وأَرْضُنَا هي الأساس.

(١) في (ر): «منسفلَّة».

(٢) «قد»: من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «والأَرْض».

(٤) رواه ابن ماجه (١٧٠٠)، وثابت بن قاسم السرقسطي في «الدلائل في غريب الحديث» (٦٥٨)،

والخطابي في «غريب الحديث» (٢٠٦/١)، من حديث ابن عمر عن حفصة رضي الله عنها مرفوعاً.

ولفظه في مطبوع ابن ماجه: «يُفَرِّضُهُ»، وفي بعض نسخه: «يؤرِّضُهُ» بلفظ الشاهد. وهو عند أبي

داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٢٣٣٥)، بلفظ: «مَن لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا

صِيَامَ لَهُ». قال الترمذي: حديثُ حفصة حديثٌ لَا نَعْرِفُهُ مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وقد رُوِيَ عن

نافعٍ عن ابن عمرَ قَوْلُهُ وَهُوَ أَصَحُّ. قلت: روى موقف ابن عمر النسائي (٢٣٤٢) و(٢٣٤٣).

وقوله تعالى: ﴿فِرَاشًا﴾: أي: بساطاً، والفرش: البسط، وهو مصدرٌ، والفراش: البساط، وهو اسمٌ لما يفرش؛ أي: يُبسط، والمرأةُ فراشُ الرجل لأنه يستفرشُها، قال الله تعالى في أزواج الجنة: ﴿وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣٤].

ونظيرُ هذا الاسم للأرض في القرآن: المهدُ والمهادُ والبساط، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦]، وجمع بين الفرش والمهد في آية فقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّوْنَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١].

وقريبٌ من هذه الصفة ما قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ [الشمس: ٦]، والدَّحُو: البسط، والطَّحُو: البسط والتوسيع، وقال: ﴿وَالِ الْأَرْضَ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]؛ أي: بسطت، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [الحجر: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾: معطوفٌ على الأول؛ أي: وجعل السماء بناءً، وهي السماء^(١) التي فوقنا، مشتقةٌ من سما يسمو سموًّا؛ أي: علا، وقد مرَّت وجوهه في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

وهي تصلح للواحدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الملك: ٥]، وللسموات السبع كما في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]. فكونُها للواحد ظاهرٌ، وللجمع بطريقين:

(١) في (أ): «والسماء هي» بدل من «وهي السماء».

أحدهما: أنها جمع السماء^(١)؛ كالعباء والعباءة.

والثاني: أنه جنس، فيجوز أن يتناول كلها^(٢).

وقوله تعالى: ﴿بَنَاءٌ﴾؛ أي: مبنية. فالفِعَال بمعنى المفعول كثير، منها: الكتابُ بمعنى المكتوب، والفِرَاشُ بمعنى المفروش، والبساطُ بمعنى المبسوط، والمهادُ بمعنى الممهود، والبناءُ بمعنى المبنى^(٣).

والبناء مصدرٌ أيضاً من بَنَى يَبْنِي، وهو في اللغة ثلاث معانٍ:

للتركيب: كما في قوله تعالى: ﴿يَنْهَمْنُنْ أَبْنَى لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

وللرفع: كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ بَنَيْنَا﴾ [النازعات: ٢٧]؛ أي: رَفَعَهَا^(٤).

وللوصل: كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «فَلْيَنْصَرِفْ وَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَبْسُكْ عَلَى صَلَاتِهِ»^(٥).

فسمي السماء بناءً لهذه الوجوه؛ وهي أنها مركبة مرفوعة موصولة.

والبيان كالبناء، والكلمة جاءت في القرآن لأشياء:

للجدار وحده: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُورٍ﴾ [الصف: ٤].

وللرباط: قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾

[الكهف: ٢١].

(١) في (أ): «أنها جمع السماء»، وفي (ف): «أنه جمع السماء»، وفي (ر): «أي جمع السماء».

(٢) في (أ): «فيكون متناولاً لكل».

(٣) «والبناء بمعنى المبنى»: ليس في (أ) و(ف).

(٤) «أي: رفعها»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) رواه الدارقطني في «سننه» (٥٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وللبطّر^(١): قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].

وللمسجد: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وللأتون: قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ [الصافات: ٩٧].

وللعمارة الثامنة: قال الله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتٍّ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

وللسماء: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

وللمنازل الجنة: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

ونظير هذه الصفة للسماء في القرآن قوله: ﴿رَفَعَ سَعَكُمَا﴾ [النازعات: ٢٨]، وقوله:

﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ [الطور: ٥]، من قولهم: سَنَامٌ سَامِكٌ؛ أي: مرتفعٌ، وسمّاها سقفاً

لأنحنائها مع ارتفاعها، والأسقفُ: الطويل المنحني، وقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]،

وقوله: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ﴾ [الروم: ٢٥].

ومن صفاتها ما قال:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وحفظها بمعنيين: من الشياطين

قال: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]، وعن الوقوع قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وقال ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، وقال: ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]،

وقال: ﴿كَانَنَا رَتَقًا فَفَنَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]،

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْجُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٧]، وقال: ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾

(١) في (أ) و(ف): «وللمنظر».

[الحجر: ١٦]، وقال: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]^(١)، وقال: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، وقال: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]^(٢).

ثم معنى ذكر خلق السماء والأرض في حال الأمر بالعبادة خمسة أوجه:
أحدها: أن الله تعالى هو الذي قدر على خلقهما، فهو المستحق لأن يكون إلهاً يُعبد.

والثاني: أنه هو الذي تفرّد بخلقهما فعليهم أن يوحدوه ولا يُشركوا به شيئاً.
والثالث: أنه هو الذي أنعم عليهم بجعل الأرض بساطاً لهم وموضعاً لأرزاقهم وذلولاً يمشون في منابها، والسماء سقفاً لهم منها ينزل عليهم البركات، فعليهم أن يشكروا له بعبادته وطاعته^(٣).

والرابع: أنه على سبيل الاحتجاج، لأنّ من الكفار من يعبد ما في الأرض من الأوثان والنيران، ومنهم من يعبد ما في السماء، وهو الشمس والقمر والملائكة، فقال جل وعلا: الأرض والسماء وما فيهما ملكي وخلقِي، فكيف تجعلون ملكي وخلقِي شريكاً^(٤) لي في العبادة؟!

والخامس: أنه على سبيل الوعيد، يعني: السماء والأرض ملكي، فإن شئتُ خَسَفْتُ الأرض بكم، وإن شئتُ أَلْقَيْتُ السماء عليكم، كما قال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا

(١) في ذكر هذه الآية هنا تكرار لا لزوم له.

(٢) من قوله: «ونظير هذه الصفة للسماء في القرآن...» إلى هنا من (أ).

(٣) «وطاعته»: من (أ).

(٤) في (ف): «تجعلون لملكي شريكاً».

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴿١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: عطفٌ على قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من السماء التي هي سقفُ الدنيا، أو من السحاب، وقد بيَّنَّا في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أنه قيل لكل واحدٍ منهما، ووقفنا بينهما أيضاً.

وقوله: ﴿مَاءً﴾؛ أي: مطراً، والماءُ أصلُه: المَوءُ، بدليل أن جمعه: المياه والأَمْوَاهُ، وتصغيرُه: المُوَيَّةُ، والفعلُ منه: مَوَّهَ السَّكِينُ^(١)، وأما هِتِ البئرُ، إلا أن الواو من (المَوءِ) سكَّنت لحركة ما قبلها طلباً للتخفيف لأنها معتلَّة، ثم صيرت ألفاً لفتح ما قبلها، كما في المال والحال والخال، فصار: ماه، ثم أُبدلت الهاء همزة^(٢) لتجانسهما كما في قولهم: إِيَّاكَ وَهِيَّاكَ، وَأَيْهَاتَ وَهَيْهَاتَ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: الخروج في الحقيقة^(٣): الانتقال من الحصن إلى العورة، والإخراجُ متعدُّ، والاستخراجُ: الاستنباط، والتخارجُ من الورثة: إخراج بعضهم بشيء من الميراث، وتخريجُ شيءٍ من المسألة^(٤) وتخريجُ المعلم معروفاً.

وهذه الكلمة ذكرت في القرآن لوجوه:

(١) لعل المعنى: سقاه الماء، وذلك حين يَسْنُهُ به، ذكره في «التاج» في معنى: أماء السَّكِينِ.

(٢) في (أ) و(ف): «بالهمزة».

(٣) في (أ): «الخروج حقيقة».

(٤) في (أ): «وتخريج المسألة».

لهذه الحقيقة التي مرت: قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٧].
 وللنزول: قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣].
 وللصعود: قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبا: ٢].
 وللظهور: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].
 وللفراق: قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].
 وللرجوع إلى الدنيا: قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].
 وللخلق والإيجاد: كما قال تعالى^(١) في هذه الآية: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾؛
 أي: أوجدها، ليس أنها موضوعة في الأشجار فأخرجها منها.
 وللحياة: قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].
 وللموت: قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣].
 وللالتخاذ: قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [طه: ٨٨]؛ أي: اتخذ وصاغ.
 وللدعاء: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: الشياطين
 ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ أي: يدعونهم من الهدى إلى
 الضلال^(٢).

وللنجاة: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].
 وللتغيير^(٣) الصورة: قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا﴾؛ أي: من صورة الملائكة.

(١) «قال تعالى»: ليس في (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «الضلالات».

(٣) في (أ): «ولتغيير».

وللذكر: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ أي: ذكرت لمن سلف من الناس.

وقوله تعالى: ﴿يَهْءُ﴾؛ أي: بالماء الذي ذكر وهو المطر.

وقوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (من) كلمة تجنيس هاهنا، وأصله للتبعيض، وفي التجنيس معنى التبعيض؛ لأنه بعض الأجناس.

والثمرات: جمع الثمرة، وأصلها: الزيادة والنماء، يقال: ثمر الله ماله؛ أي: زاده وكثره، والفاكهة تسمى ثمرة لهذا، وكذا ثمرة كل عين وعمل هو ما زاد عليه، وتجمع الثمرة: ثمرًا، بحذف الهاء التي هي للتوحيد، ثم: ثمارًا، كالبلد يُجمع بلادًا^(١)، ثم الثمار تجمع على الثمر، كالحمار يُجمع على الحُمُر، وهذه جموع تكسير، وجمع السلامة هو الثمرات.

ثم هي هاهنا المأكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الأرض والشجر، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] والحصاد يكون للزرع.

وقد بسط الله تعالى ما اختصره في هذه الآية في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ إلى أن قال: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾^(٢٧) وَعَنْبًا﴾ الآية [عبس: ٢٧-٢٨].

ثم الألف واللام في ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ للتعريف، وله وجوه:

(١) في (ر): «ثماراً كالبدة تُجمع بلدًا ثم تُجمع بلادًا».

أحدها: تعريفُ الجنس وهو لتعميم الكلِّ.

والثاني: أنه لتعريف المعهود وهو ما تعارفوه من الثمار.

والثالث: أنه لتعريف المعهود، وهو الثمارُ المخرَجة من الجنة، قال النبي ﷺ: «لَمَّا أُهْبِطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَّمَهُ اللَّهُ صِنْعَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَزَوَّدَهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، فَثَمَارُكُمْ هَذِهِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنْ ثَمَارَ الْجَنَّةِ لَا تَتَغَيَّرُ»^(١).

وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: قيل: طعاماً^(٢)، وقيل: قُوتاً، وقيل: غذاءً، وهي متقاربة، وقد مرَّ تفصيله وتفسيره في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

وجملته^(٣): أن الله تعالى تعرَّف إليهم بذكر ما منَّ به عليهم؛ من خَلْق السماء لهم سقفاً مرفوعاً، وإنشاء الأرض لهم فراشاً^(٤) موضوعاً، وإخراج النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً.

ويقال: اعتَقَهُم عن مَنَّةِ الأمثال بأنَّ هَيَّأَ لَهُمْ ما لا بدَّ منه، فكافأهم فجعل

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٢٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن عوف عن قسامة عن أبي موسى موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه إلا ربعي. قال عبد الحق في «الأحكام الكبرى» (١٦٩ / ٤): ربعي هو ابن عليّ أخو إسماعيل ابن عليّ وهو ثقة مأمون. وقسامة بن زهير ثقة، ذكر ذلك فيهما يحيى بن معين، ولم يذكره أبو بكر البزار. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٧ / ٨): رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات.

والموقوف رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٩٩٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في (أ): «أي طعاماً لكم» بدل: «قيل: طعاماً».

(٣) في (أ): «وحكمته».

(٤) في (أ) و(ف): «فرشاً». وضبطت (سقفا) في (أ) بضم السين.

السماء^(١) غطاءً، والأرضَ وطاءً، والمباحاتِ رزقاً، والطاعةَ حِرْفَةً، والعبادةَ شُغلاً، والذكرَ مُؤَنَساً، والربَّ كافياً.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: دَلَّتِ الْآيَةُ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ^(٢) وَالْأَرْضِ، وَإِنْزَالِ الْمَاءِ، وَإِخْرَاجِ الثَّمَرَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ، بَنُو^(٣) آدَمَ وَهُمْ الْمُتَحَنُّونَ فِيهَا، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ الآية [النحل: ١٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وفي كثيرٍ من الآيات أضاف ذلك كله إلينا، ثم جعل بلطفه منافع السماء متصلةً بمنافع الأرض على بعدٍ ما بينهما، فلا يُخرجُ من الأرض شيئاً^(٤) إلا بما ينزل من السماء من الماء؛ ليعلم أن مُنشئهما واحدٌ، لأنه لو كان منشئ هذا غير الآخر لم تتصل منافع هذا بمنافع الآخر^(٥) على بُعدٍ ما بينهما، ويوهم خلاف أحدهما الآخر، فإذا كان كذلك دلَّ أن مُنشئهما واحدٌ لا شريك له^(٦).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: هو جمعُ نَدٍّ، وهو المِثْلُ، وكذلك النَّدِيدُ والنَّدِيدَةُ، قال الشاعر:

(١) «فكافأهم» سقطت من (ر)، و«فجعل» سقطت من (أ)، وكلاهما سقط من (ف)، وجاء فيها: «فالسما».

(٢) في هامش (ف): «السماء»، ومثله في «التأويلات».

(٣) في (ر) و(ف): «لبنى»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب والموافق لما في «التأويلات».

(٤) «شيئاً»: من (ف). وفي «التأويلات»: (فلا تُخرج الأرض شيئاً).

(٥) في (ف): «هذا».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٠).

لكيلاً^(١) يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي وَأَشْتَمَ أَعْمَاماً عَموماً عَمَاماً^(٢)
والأعمام: جمع عمّ، والعموم: الطّوال، والعمام: الجماعات.
وفي النَّدِّ والنَّدِيدِ قال آخَرُ:
أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نَدًّا وَمَا تَيْمٌ لَدِي حَسْبِ نَدِيدٍ^(٣)
ونَدُّك هو الذي يُنَادُكَ؛ أي: يقابلك^(٤) لِيُنْفِرَكَ، من قولهم: نَدُّدوداً وَنَدَاداً؛
أي: نفر.

وتفسيره هاهنا:

ما قاله ابن عباسٍ والحسن: أي: لا تَصِفُوا اللهَ أمثالاً وشركاءَ في مُلكه^(٥).
وفي بعض الألفاظ: أشكالاً وأعدالاً^(٦).
وقال مجاهدٌ وعكرمةٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لا تَعْتَمِدُوا على غير الله،
وتوكَّلُوا على الله.
وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: لا تقولوا: لولا فلانٌ لأصابني كذا،
ولولا كلبنا يصيحُ على الباب لسُرِقَ متاعنا.

(١) في (ف): «لئلا».

(٢) البيت للبيد، وهو في «ديوانه» (ص: ١٢٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ١١٥)، و«الأضداد» لابن الأثير (ص: ٢٤)، و«مجمل اللغة» (ص: ٨٤٣). ورواية الديوان: (وأجعل أقواماً عموماً...).

(٣) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» بشرح ابن حبيب (٢/ ٣٣١).

(٤) في (ر) و(ف): «يقاتلك».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩١) عن ابن عباس وابن مسعود بلفظ: (أَكْفَاءٌ مِنَ الرِّجَالِ تُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠١). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩١) عن مجاهد وقتادة قولهما: (عُدلاء).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم ولو، فإنه من كلام المنافقين، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقَتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أن الله هو الذي خلقكم ومن قبلكم، وخلق السماء والأرض وخلق الأرزاق، دون الأصنام فإنها لا تضر ولا تنفع، قال تعالى: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلِهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]؛ أي: على علم أن الذي اتخذه إلهاً لا ينفعه.

وقيل: أي: وأنتم تعلمون وتقرؤون أن الله هو الذي فعل ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أنشأ فيكم ما لو تدبرتم وتفكرتم وتأملتم علمتم أنه لا ند له ولا شكل له^(٢)، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]^(٣).

وقيل^(٤): وأنتم تعلمون أنه ليس له ند.

(١) لم أجده مستنداً بهذا اللفظ، وروى مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»

(٢) في (ر): «ولا شريك له».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠١).

(٤) في (ر) و(ف): «قيل أي».

وقيل: أي: وأنتم تعلمون أنه واحدٌ.

وقيل: وأنتم تعلمون بما نزل بمن اتخذ الله أنداداً.

وقيل: أي: لا تخدموا غير الله وأنتم تعلمون أنه لا يستحق الخدمة غيره، ولا ترجوا ولا تخافوا غيره وأنتم تعلمون أنه لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع غيره. والوعظ الكلّي: أنه قال في الآية: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ وقال تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢] فلو^(١) قال لكم في القيامة: فعلتُ هذا كله لكم، فما فعلتُم لي؟ فما تقولون؟

وعن الشُّبلي رحمه الله: أنه وعظ يوماً الناس، فأبكاهم لما ذكر من القيامة وأحوالها، فمر بهم أبو الحسين النوري وقال: لا تُفزعهم^(٢) فإن حساب يومئذ ليس بهذا الطول، إنما هو كلمتان: (من ترا بودم تو كرا بودي)^(٣).

قال المصنف رحمه الله^(٤): وأنا أقول: (شما جه خواهيت كفتن در جواب آين سؤال بشريه كردگني من راموديم لختي زن شوى رابودم لاختي كوارا خوجه كديد لاختي سلطان را بودام كختي سود وزيان واسكت له كويد من همه حق رابودم)^(٥).

(١) في (أ): «ولو».

(٢) في (أ): «تفرعهم».

(٣) في هامش (ف): «تعريه: كنت لك فلمن كنت أنت».

(٤) في (أ): «قال نجم الدين».

(٥) في هامش (ف): «تعريه: قال المصنف: وأنا أقول: أنتم أي شيء تقولونه في جواب قوله: فلمن كنت أنت؟ فيقول الزوج: كنت مشغولاً للبدل وقتاً ووقتاً للزوجة، وتقول الزوجة: كنت للزوج ساعة ولنفسي ساعة، ويقول التاجر: كنت ساعة للربح والكد ساعة للسلطان، فأين الرجل الذي يقول: كنت للحق في جميع الأوقات؟».

(٢٣) - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: انتظامه بما قبله: أنه خطابٌ للذين ناداهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وقد أمرهم بالإيمان، وهو بالله ورسوله وكتابه، فأثبت دليل ربوبيته بما ذكر في تلك الآية، وأثبت رسالة رسوله وصحة كتابه في هذه الآية. ثم كلمة (إِنْ) لمعان:

للشَّروط: كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].
وبمعنى (إِذ): كما في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وللنفي: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].
وللتأكيد: بمنزلة (لقد) كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]؛ أي: لقد كان.

وبمعنى (إِنَّ) المشددة: نحو^(١): ﴿وَإِنْ كُنَّا لَأَيُّوبَ إِثْمَ رَبِّكَ أَعْمَلُوهُمْ﴾ [هود: ١١١].
وللصلة: كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]؛ أي: فيما مكناكم فيه.

وللتحقيق: كما يقال: عليك بالصدق وإن ضرك، وإياك والكذب وإن نفَعَكَ؛ أي: مع أنه كذلك.

وقوله: ﴿كُنْتُمْ﴾؛ أي: أنتم.

(١) في (أ) و(ف): «كما في قوله».

و(كنتم) في القرآن جاء للماضي والحال والاستقبال، وقد بينا ذلك في كلمة (كان) عند قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

و(كنتم) أيضاً على ذلك: أمّا للماضي ففي قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا﴾ [البقرة: ٢٨]، وأمّا للحال ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وأمّا للاستقبال ففي قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]؛ أي: يوم القيامة.

وقوله: ﴿فِي رَيْبٍ﴾؛ أي: شك، وقد مر شرحه في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾: (مما) كلمتان: (من) و(ما)، أدغمت النون في الميم فصارتا ميماً واحدة مشدودة خطأ وميمين نطقاً.

و(ما) بمعنى: الذي، ومعنى (ما نزلنا)؛ أي: الذي نزلنا وهو القرآن، وإنزاله: ما فسرناه في قوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤].

والتنزيل: التفصيل، ودلت^(١) الكلمة على إنزاله مفصلاً، وحكمته ما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

نزلت كتب الأولين جملةً فتركوها جملةً، ونزل القرآن مفصلاً فبقي في القلوب مثبتاً محصلاً.

ولأن أولياء الله اليوم في دار الحجة، فجدد لهم الأنس بكتابه ساعة فساعة، وقد ذكر الله تعالى تنزيله^(٢) ثلاثة أشياء شيئاً فشيئاً:

القرآن: بقوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾.

(١) في (أ): «للتفصيل فدلّت».

(٢) في (أ): «تنزيل».

والمطر: بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ﴾ [المؤمنون: ١٨].

والرزق: بقوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

(اكربا ران جمله امدى برعالميان طوفان شدي، واكر روزي جمله امدى برعالميان طوفان شدي، راكر ورورزي جمله امدى بنده ارنكاه داشتن همه سرکردان شدي، واكر قرآن جمله امدى عمل بهمة بردل هريكي كران شدي)^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: هو نبيُّنا المصطفى محمد ﷺ، وله أسماء كثيرة في القرآن، وكان أحبَّها إليه: العبدُ، فهو^(٢) المستجمعُ لمعاني العبادة والعبودية، وكرَّر هذا الاسمُ له في القرآن، وكأنه قال: (قرآن بوى وحي كريديم ووى مار بنده، نزل القرآن على عبده مادار سالت برخاست ووي بنده، وأنه لما قام عبد الله وبحضرة برديمش ووى بنده، سبحان الذي أسرى بعبده وياوى راز كفيتم ووى بنده، فأوحى إلى عبده ما أوحى ودران مقام بارنتا كفت، التحيات لله والصلوات والطيبات ووى مارا بنده وما وى مارا بنده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله درهمه أحوال وى مارا بنده وما وى را بسنده، أليس الله بكاف عبده ووى مارا بشكر خدمت ارنده، أفلا أكون عبداً شكوراً)^(٣).

(١) في هامش (ف): «تعريبه: لو نزل القرآن [كذا ولعله: المطر] جملة لصار طوفانا، ولو نزل الرزق جملة لعجز المرزوق عن حفظه وضبطه، ولو نزل القرآن جملة لثقل العمل بأحكامه على المكلفين».

(٢) في (ر): «لأنه».

(٣) في هامش (ف): «وتعريبه: أوحينا إليه القرآن وهو عبد، نزل الفرقان على عبده ونهض بأداء الرسالة وهو عبد، ولما قام عبد الله وقربناه إلى حضرتنا وهو عبد، سبحان الذي أسرى بعبده وأوحينا إليه [...] شريفة وهو عبد، فأوحى إلى عبده ما أوحى، والسلام عليه في ذلك المقام بقوله: التحيات لله إلخ وهو عبد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وفي كل أحواله أنا عبد، وليس له التقارب إلى غيرنا =

وقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾: هذا أمرٌ بالإتيان بسورة، والإتيان في اللغة هو المجيء، والإتيان: الفعل، والإتيان: الغشيان، والإتياء: الإعطاء، وتأتي السَّيلُ: تسهيلُ سُبُلِهِ^(١)، والتأتي: التَّهَيُّؤُ، والمؤاتاة: الموافقة، والإتياء: الغلَّة، والأتيُّ والآتويُّ: الغريب، والميتاء^(٢): الطريق المسلوكة، ومعانيها متقاربةٌ.

والإتيان في القرآن لأربعين معنى عدَدناها في تفسيرنا الأولِ الأطول.

وهو في هذه الآية: المعارضة، أي: عارضوا هذا القرآن بسورة، وهذا خلافُ قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: ٩٣] ذاك إظهارٌ ما قد كان، وهذا إنشاءٌ ما لم يكن.

وهذا إلزامُ الحجة عليهم بأن القرآن مما أنزله^(٣) الله على عبده، وهو صادقٌ في دعوى الرسالة، وأنه مبعوثٌ لإقامة الدلالة، والدعوة إلى الهدى من الضلالة، وأنهم معاندون في إنكاره، وفي دعواهم أنه مما افتراه محمد باختياره، يقول^(٤): إن كان هذا من كلام البشر فعارضوه بمثله من عندكم، وتقصوا^(٥) عن هذه العُهدة بجهدكم. وقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا﴾ صيغته صيغة أمرٍ، ومعناه: الإعجاز، وهذه الصيغة في القرآن على وجوه:

= أليس الله بكاف عبده، وﷺ يؤدي في الخدمة والعبادة شكر النعمة ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً.

(١) في (ر): «سيله». وقال الأزهرى: يقال: أَتَيْتُ السَّيْلَ فَأَنَا أُوتِيهِ: إذا سَهَلْتَ سَبِيلَهُ من موضع إلى موضع ليخرج إليه. انظر: «تهذيب اللغة» (١٤ / ٢٥١).

(٢) في (ر): «والمأتي».

(٣) في (أ): «أنزل».

(٤) في (ف): «بقول» وفي (ر): «بقوله لهم».

(٥) في (ر): «وتقصوا»، وفي (ف): «وتقصوا». والتقصي: التخلص.

للفَرَضِيَّة: كما في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].
 وللنَّدْب: كما في قوله عز وجل: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وللإِبَاحَةِ: كما في قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].
 وللتَخْيِير: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠].
 وللنَّهْي: كما في قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].
 ولِلرَّد: كما في قوله: ﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].
 ولِلتَّكْوِين: كما في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].
 وللشَّرْط: كما في قوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]؛ أي: إن كنتم كذلك فلکم الموت والبعث.

وللإِعْجَاز: كما في قوله: ﴿فَأَتِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].
 وكذا قوله سبحانه: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ والفَاء هاهنا للتعقيب، وبدون الفاء يقال: ايتوا، الألف مجتبئة، والهمزة صارت ياءً لكسرة ما قبلها، وسقطت همزتها كراهة التقاء الهمزتين، وثبتت الياء كتابةً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَتْهُ﴾ [طه: ٦٤] لأنه يُوقَف على (ثم) ويبدأ: ايتوا، ولا تثبت في قوله ﴿فَأَتُوا﴾ وفي قوله: ﴿وَأَتُوا﴾ لتعذر الفصل بين الفاء وبين الكلمة، وكذا بين الواو وبينها.

وقوله تعالى: ﴿سُورَةَ﴾ الباء لتعديّة فعلِ الإتيان الملازم^(١)، والسُّورَةُ هي مأخوذةٌ من قولهم: سارِيسُورٌ: إذا ارتفع وعلا، وسمِّي الجدارُ المحيطُ

(١) «الملازم» كذا في جميع النسخ.

بالمدينة سوراً لارتفاعه، ويقال: لفلانِ سورةٌ في المجد، أي: سناً ورفعةً، قال النابغة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً يُرَى كُلُّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبذَبُ^(١)
فالسُّورَةُ من^(٢) القرآن على هذا: مجموع آياتٍ مفصَّلةٍ ارتفعت وعلت وظهرت
وصارت كالعلم في مغايرتها سائر السُّور.
وقيل: هي منزلةٌ من منازل القرآن رفيعةً.

وقيل: هو^(٣) قسمٌ من أقسام القرآن ارتفع شأنه وعلا قدره.

وقوله: ﴿سُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ إطلاقه يتناول أقصر السور، وهي في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آياتٍ قصارٍ، وهذا أبلغ إلزامٍ، وأتم قطع لأهل الخصام، فقد كان التحديّ أولاً بالإنيان بمثل كل القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، ثم أخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم بعشر سورٍ بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣]، ثم بسورةٍ بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، وقد عجزوا عن ذلك كله فلزمتهم الحجة.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾: المِثْلُ: الشُّبُه، والمُمَاثِلُ: المُشَابِه، والتمثيل: التشبيه، ومِثْلُ الشيء حقيقةً: ما ينوب منابه، ويسدُّ مسدّه.

واختلف في المراد بالهاء التي في آخره: أنها كنايةٌ راجعةٌ إلى ماذا؟

(١) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ١٩).

(٢) في (أ) و(ف): «في».

(٣) في (أ): «هي».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: من الذي جعلتموه لي ندًّا، فقد سبق ذكره.
وقال ابن كيسان: أي: من مثل محمد من^(١) البشر؛ لأنه بشرٌ مثلكم، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: اتتوا أنتم بمثل ما أتى به^(٢) هو، إذ أنتم وهو سواءٌ في الجوهر والخلقة واللسان، وليس هو أولى بالاختلاق منكم^(٣).

وقيل: أي: من مثل محمد من^(٤) رجلٍ أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب، وهذا أبلغ في قطع الأوهام، فإن^(٥) النبي ﷺ مع أنه لا يكتب ولا يقرأ، ولا ينظر في الكتب، ولم يسمع القصص من الناس، أخبر بنزول هذا الكتاب، فلا شبهة في أنه لم يختلقه من تلقاء نفسه، ولم يأت به إلا بوحى من ربه.

وقال مجاهد وقتادة: أي: من مثل هذا القرآن^(٦). وقد سبق ذكره في قوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾.

ثم القرآن وإن كان لا مثل له لأنه صفة الله تعالى وكلام الله ووحى الله^(٧)، ولا مثل لصفاته كما لا مثل لذاته، لكن معناه: من مثله على زعمكم، فقد كانوا

(١) في (ف): «في».

(٢) «به»: ليست في (ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٤٠١).

(٤) «من»: من (أ).

(٥) قبلها في (ر) و(ف): «وقال».

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/٣٩٦-٣٩٧).

(٧) في (أ): «وكلامه ووحيه» بدل: «وكلام الله ووحى الله».

يقولون: لو نشاء^(١) لقلنا مثل هذا، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [فصلت: ٤٧]؛ أي: على زعمكم، وقال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه: ٩٧]؛ أي: على زعمك.

ثم التحدي إلى مثل القرآن كان في وجوهه، وهي سبعة:

أحدها: الإيجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير كلماته على كثير من المعاني، قال ﷺ: «أُوتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»^(٢)، وذلك مثل قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١].

والثاني: البيان والفصاحة التي عجز عنها الفصحاء، وقصر^(٣) عنها البلغاء، حكى أبو عبيدة أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَأَصْدَعَ بِمَاتُومُرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد، وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام^(٤)!

والثالث: النظم الذي نقض العادة حتى صار خارجاً من جنس كلامهم في النظم والنثر والرجز والشعر والخطب والسجع والرسائل، فلا يمتزج بها ولا يدخل في شيء منها، مع استعمال حروفه وكلماته.

والرابع: أن قارئه لا يكُلُّ وسامعه لا يملُّ، وإكثارُ تلاوته تزيد في حلاوته، وغيره من الكلام وإن كان مستحسن النظم مستعذب النثر، يملُّ إذا أعيد، ويُستقلُّ إذا ردد.

(١) في (ر) و(ف): «شئنا».

(٢) رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قصر عن الشيء: عجز عنه ولم يبلغه. انظر: «الصحاح» (مادة: قصر).

(٤) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٠٢).

والخامس: ما فيه من الإخبار بما كان من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممها، والقرون الخالية في أزمنتها، وهو أمي من أمة أميين ليس لها^(١) علم بما عرفه أهل الكتاب مما في الكتب السالفة.

والسادس: ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون، فكان كما أخبر، كقوله: ﴿سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

والسابع: كونه جامعاً للعلوم كلها، ومشتبلاً على ما في الكتب المنزلة كلها، ومنظماً لجوابات الحوادث كلها، وآتياً على المصالح كلها، قال الله تعالى: ﴿مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْرَفُوا﴾ [الأنعام: ١٤١] يأتي على جميع علوم الطب، وكذا فيه كل علم من الأدب من اللغة والنحو والبلاغة، ومن الكلام والفقه والتذكير وفنون الفوائد.

فكل أهل العلم يصنّفون تصانيف كبيرة^(٢) كثيرةً بفوائد القرآن، فحجج المتكلمين متزعة من القرآن، ومسائل الفقهاء مستخرجة من القرآن، ولغات الأدباء مصححة بالقرآن، وفوائد النحويين مستوَضحة بالقرآن^(٣)، وعظات المذكرين مأخوذة من القرآن، وإشارات الحكماء مستفادة من القرآن، ولطائف أهل المعرفة مستنبطة من القرآن، وكذا وكذا.

(١) في (ف): «لهم».

(٢) «كبيرة»: من (أ).

(٣) في (ر): «بالقرآن».

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾: يقال: دعا إلى الشيء دُعاءً، ودعوةً بفتح الدال، فالأول^(١) مطلق المصدر، والثاني: المرة منه، والدعوة بالضم: المأدبة، والدعوة بالكسر: ادعاء الولد، وتداعت الحيطان: تهادمت، من هذا مجازاً.

والدعاء في القرآن لمعانٍ، واختلف في المذكور هاهنا؛ ف قيل: ﴿ادعوا﴾؛ أي: أحضروا، وقيل: أي: استعينوا^(٢)، وقال الشاعر في الاستعانة^(٣):

وَقَبْلَكَ رَبِّ خَضَمٍ قَدْ تَمَالَوْا عَلَيَّ فَمَا جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ^(٤)
ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [القصص: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ [فاطر: ١٨].

وهذا أمرٌ إعجازي كقوله: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ وبين أن الاستعانة هاهنا بالخلق الكثير لا تُغنيهم شيئاً، وما يُغني^(٥) رجوع المحتاج إلى المحتاج، واعتماد الفقير على الفقير، والتجاء العاجز بالعاجز؟ فلا ترفع حوائجك إلا إلى من لا يشقُّ عليه قضاءؤها، ولا تسأل إلا من لا تفنى خزائنه، ولا تعتمد إلا على من لا يعجز عن شيء. ينصرك من غير مُعين، ويحفظك من غير صاحب، ويُغنيك من غير مال، فيقلُّ عددُ^(٦) الأعداء الكثير إذا حماك، ويكثر عددُ المال القليل إذا كفأك.

(١) في (ف): «والأول».

(٢) في (ف): «استغيثوا».

(٣) في (ف): «الاستغاثة».

(٤) البيت لبسنان بن الفحل أخي بني أم الكهف من طييء، كما في «الحماسة» بشرح التبريزي

(١/٢٣١).

(٥) بعدها في (أ): «من».

(٦) في (ف): «أعداد».

وقوله تعالى: ﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾ الشهادة: الإخبار بما شُهِدَ^(١) شهودَ عِيَانٍ أو شهودَ إِيقَانٍ. والشهود: الحضور، والمشاهدة: المعاينة، والمشهد: محضرُ الناس، وعالمُ الغيب والشهادة؛ أي: السرِّ والعلانية.

وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ هَاهُنَا:

فالشهداء: جمعُ شهيدٍ؛ كالفقهاء: جمعُ فقيهٍ، ومعناه عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَعْوَانُكُمْ^(٢)؛ لأنَّ الشاهد كالعون للمدَّعي في استخراج حَقِّهِ.

وقال مجاهدٌ: أي: ناساً يشهدون لكم أنه مثْلُ القرآن^(٣).

وقيل: أي: فصحاءكم وشعراؤكم وبلغاؤكم، وهم كُبرَاءُ المشاهِدِ والخطباءِ في المحافل.

وقال الفراء: يعني: آلِهَتِكُمْ^(٤)؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم^(٥) وتشفع لهم، وهو الأشبه؛ لأنَّ قوله: ﴿وَادْعُوا﴾ خطابٌ للكلِّ، فيتناول كلَّ الفصحاء وكلَّ الأعوان والشهداء، فكان الكلُّ مأمورين بأن يكونوا داعين، فلا يكونون مدعوين، فالأصحُّ إرادة: ما تعبّدون، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا صلةٌ قوله: ﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾؛ أي: الذين اتَّخَذْتُمُوهم شهداءَ من دون الله، وهذا صفةُ الأصنام؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ دُونَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ [الشورى: ٩]، وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ دُونِ اللَّهِ﴾

(١) بعدها في (ر): «عن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٩/١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٩/١ - ٤٠٠) بلفظ: (ناس يشهدون)، وفي رواية: (قوم يشهدون لكم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١٩/١).

(٥) في (ر) و(ف): «أنها شهداؤهم».

شُفَعَاءُ ﴿[الزمر: ٤٣]، ثم قال في هذا: ﴿قُلْ أُولَئِكَ أَلَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴿[الزمر: ٤٣ - ٤٤]، وقال في الأولياء الذين اتَّخَذُوهُمْ^(١): ﴿فَاللَّهُ هُوَ أَوْلَىٰ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: غير الله، وكلمة (دون) لها معانٍ، ومعناها هاهنا: غير.

و(دون) في الأصل اسمٌ، ولهذا دخلها الخافض وهو (من) وخَفَضَها، ولكنها تستعمل استعمال الحروف، لأنها تفيدُ المعنى في غيرها كالحروف، فأُجريت مجراها لذلك؛ أي: مفردة عن اللام التي هي للتعريف، والتنوين الذي هو للتنكير، وهما من خصائص الأسماء.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فالصدق: هو الإخبار عن المخبر به على ما هو به، وهو نقيض الكذب، فإنه الإخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به، والصدق بالفتح: الرُّمَحُ الصُّلْبُ، والحسامُ المستوي، والصديق: الخليل، والصدّاقة: الخلّة، وفلانٌ رجلٌ صدقٍ - بالإضافة -؛ أي: نِعَمَ الرجلُ هو، وثوبٌ صدقٍ، وقَدَمُ صدقٍ، ومَقْعَدُ صدقٍ، كلُّه بالإضافة على هذا الوجه، والصديق بالتشديد: المبالغُ في الصدق. فمعنى^(٢) قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: في مقالِكم: إن محمداً تقوله من تلقاء نفسه.

وقيل: أي: إن كانت لدعواكم^(٣) صحةٌ.

(١) بعدها في (أ): «أولياء».

(٢) في (أ): «ومعنى».

(٣) في (ر) و(ف): «لدعوتكم».

وقيل: هو خطابٌ لليهود؛ أي: إن كنتم في شكٍّ مما نزلنا من القرآن على محمدٍ أنه ليس من الله تعالى، فأتوا بسورةٍ من مثل القرآن من التوراة، وقابلوها بالقرآن لتجدوها موافقةً لما في التوراة، لتعلموا أن هذا لم يختلقه محمدٌ ﷺ من عند نفسه، وأنه^(١) من عند الله، واستعينوا بأحباركم ورهبانكم إن كنتم صادقين أنكم تشكون فيه، وهذا تفسيرٌ تمام هذه الآية.

(٢٤) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ خطابٌ لهؤلاء أيضاً، والفاء للتعقيب، و(إن) للشرط، و(لم) كلمةٌ نفيةٌ تدخل على^(٢) المستقبل فتجعله بمعنى الماضي، ثم دخول (إن) وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل.

والإشارة فيه: أن المؤمن عزيزٌ بإيمانه وطاعته، ثم ذلٌ بعصيانه وجفوته، ثم يعودُ عزيزاً بتوبته وندامته.

و﴿تَفْعَلُوا﴾ فعلٌ جمع، وسقطت النون من آخره بـ﴿لَمْ﴾ لأنه جازم، والنون كانت علامةً للرفع^(٣)، والفعل في اللغة: العمل، وجاءت من فلانٍ فعلةٌ حسنةٌ أو سيئةٌ، وفلانٌ حسنُ الفَعَال، بالفتح، وسيئُ الفِعال، بالكسر، عليه أكثرُ أهل اللغة.

(١) في (أ): «وأنه كان».

(٢) «على»: من (ف).

(٣) في (أ) و(ف): «الرفع».

وقال ابن الأعرابي: الفَعَال بالفتح: مصدرٌ في الخير والشر، وبالكسر: اسمٌ في الخير والشر.

وفي «مجلد اللغة» يقول: الفَعَال بالكسر: جمعُ فَعَلَ، وبالفتح: الكَرَم^(١).

و: ما فَعَلَ فلانٌ؟ أي: أين ذهبَ؟

والفَعْلُ عند أهل الكلام: هو صرفُ الممكن من الإمكان إلى الوجوب، ويقعُ على المباشرة والتركِ جميعاً لشموله إياهما، وهو مستمرٌّ في الشاهد والغائب.

وتفسيره هاهنا:

فإن لم تأتوا بسورةٍ من مثله، ولم تستعينوا بالشهداء. والكلمة صالحةٌ لكلِّ فعلٍ، وهو أَوْجُزُ من التصريح بما سبق، فكان أبلغَ وأفصحَ.

ونذكر آياتٍ في استعمال هذه الكلمة لأعمالٍ مختلفةٍ إيضاحاً لِمَا قلنا:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] هذا يتناولُ كلَّ عملٍ وقولٍ وقصدي^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوتِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]؛ أي: مؤذون.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ [النساء: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبَاءَ عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ﴾ الآية [النساء: ٦٦].

وقال: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٣] إلى أن قال: ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

(١) انظر: «مجلد اللغة» لابن فارس (ص: ٧٢٣).

(٢) في (ر): «وتصدق»، وفوقها كلمة لم تجود، ولعلها: «ونية».

وقال: ﴿فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْصُرُوا إِلَهَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿سَتَرُوا عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: ٦١].

وقال تعالى: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذِهِ أَلِهَتُنَا﴾ [الأنبياء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُصَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ هذا اعتراض الكلام قبل التمام، وهو من محاسن الكلام وبدائعه، ومعدود في الصناعة وأنواع البلاغة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةٍ﴾ ثم قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ هذا اعتراض الكلام قبل التمام، وقوله: ﴿قَالُوا﴾ جواب ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا﴾^(١)، وها هنا أيضاً ﴿فَاتَّقُوا﴾ جواب: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾.

(١) الآية بتمامها: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

ومعنى: ﴿وَلَنْ تَقْعَلُوا﴾؛ أي: لستم بفاعلين ذلك أبداً، ف(لن) نفى تأييد.

وقيل: معناه: لن تقدروا أن تفعلوا، وهو كقوله تعالى: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] وقوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، هذا كله نفى^(١) القدرة.

وهذه الآية دليلٌ صدق النبي ﷺ؛ فإنه أخبر فكان كما أخبر، وذاك غيبٌ عنا، فلا يكون إلا عن إخبارٍ من عالم الغيب له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: أي: ولما عجزتم عن معارضة القرآن بمثله لزمكم الحجة أن محمداً رسولاً والقرآن كتابي، ولزمكم تصديقه والإيمان به، ولما لم تؤمنوا صرتم من أهل النار فاتقوها.

والكلام في تفسير التقوى ووجوهه قد مرَّ في تفسير قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

والنار هي نار جهنم^(٢)، وهي مؤنثة سماعاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ فأنث الصفة والكنية.

وقوله^(٣): ﴿وَقُودُهَا﴾؛ أي: حطبها، فالوقود بفتح الواو: ما يُوقد به النار وهو الحطب، والوقود بضمها: التهايبها، فهو مصدرٌ والأول اسمٌ.

وقوله: ﴿النَّاسِ﴾ هم الكفار هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ هي جمع حجرٍ، والحجر: الصخر، وهو

(١) في (ف): «هذا كلمة نفى» وفي (ر): «هذا نفى كلمة».

(٢) في (ف): «هي جهنم».

(٣) في (أ): «قوله تعالى».

كَالْجَمَلِ وَالْجُمَالَةِ، وَهَذَا^(١) جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَالْقِيَاسُ فِيهِ: الْأَحْجَارُ،
كَالشَّجَرِ وَالْأَشْجَارِ، وَالسَّحَرِ وَالْأَسْحَارِ، وَالسَّفَرِ وَالْأَسْفَارِ.

وَأَمَّا التفسير:

فَقَدْ قِيلَ: هِيَ جِبَالُ الدُّنْيَا عَلِقَتْ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا أَلْقَتْهُمْ النَّارُ عُلُوقاً حَطَّتْهُمْ
الْحِجَارَةُ سُفُلًا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هِيَ حِجَارَةُ
الْكَبْرِيتِ^(٢)، وَإِنَّمَا خَصَّتْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ فِيهَا خَمْسَةَ أَشْيَاءَ: هِيَ أَسْرَعُ وَقُودًا،
وَأَبْطَأُ خَمُودًا، وَأَتْنُنُ رَائِحَةً، وَأَشَدُّ حَرًّا، وَأَلْصَقُ بِالْبَدَنِ.

وَقِيلَ: هِيَ الْأَصْنَامُ الَّتِي عَبْدُوهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وَإِنَّمَا جُعِلَ التَّعْذِيبُ بِهَا لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ عَذَّبُوا
بِعِبَادَتِهَا، وَلَيَرَوْا ذُلَّهَا وَمَهَانَتَهَا بَعْدَ اعْتِقَادِهِمْ عِزَّهَا وَعَظَمَتَهَا.

وَقِيلَ: الْأَحْجَارُ تُحْرِقُهَا النَّارُ كَمَا تُحْرِقُ النَّاسَ، ذَكَرَ ذَلِكَ تَهْوِيلًا وَتَهْيِيًّا.

وَقِيلَ: أَيُّ: وَقُودُهَا النَّاسُ إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا، وَالْحِجَارَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهَا.

ثُمَّ إِدْخَالُ الْأَصْنَامِ فِي النَّارِ لَيْسَ لَتَعْذِيبِهَا، فَلَا ذَنْبَ لَهَا، بَلْ لَتَعْذِيبِ^(٣) الْكُفَّارِ
بِهَا، وَمَا يَكُونُ بِهِ الْعَذَابُ لَا يَكُونُ لَهُ الْعَذَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي
نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥]؛ أُدْخِلْتَ الْأَمْوَالَ جَهَنَّمَ لِيُعَذَّبَ بِهَا مَانِعُ الزَّكَاةِ لَا هِيَ،

(١) فِي (ف): «وَهُوَ».

(٢) رَوَاهُ عَنْهُمْ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/٤٠٣ - ٤٠٤).

(٣) فِي (ف): «لَيْسَ لَتَعْذِيبِهَا... بَلْ لَتَعْذِبَ».

وهذا كما في حقِّ الثَّواب، فإنَّ رضوانَ والخزَنَةَ والحوَرِ الْعَيْنِ في الجنة بهم الثَّواب، وليس لهم الثَّواب.

والحكمةُ في تعذيب الكافرين^(١) بها: أن الكافر عَبْدَ الصَّنَمِ واعتقده واعتمده ورجاه، فعذب به إظهاراً لجهله وقطعاً لأمله، كاتِّباعِ الْكُبَرَاءِ^(٢) خَدَمُوهم ورجَّوهم، وفي النار يُسَحَّبُونَ^(٣) معهم، ليكونَ أشَقَّ عليهم وأقطعَ لرجائهم، وقد يقع كذلك في الدنيا لذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: هُيِّئَتْ وُخِّلَتْ، والإعداد: التَّهيُّة، والاستعداد: التَّهيُّؤ، والعُدَّة: ما أُعِدَّ لِلشَّيْءِ، والإعتادُ مثلُ الإعداد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤) [الإنسان: ٤].

والآيةُ رَدٌّ على المعتزلة، فإنهم قالوا: النار والجنةُ لم يُخلقا بعدُ، وإنما يُخلقان يوم القيامة عند حضور أهلها، وقولهم باطلٌ مردودٌ بهذه الآية، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونحوهما من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ خَتَمٌ بما وقع به البدء؛ أي: اتَّقُوا الْكَفَرَ الْمَوْجِبَ لِلنَّارِ، فإنها أُعِدَّتْ للكَفَارِ^(٥).

(١) في (أ): «الكَفَار»، وفي (ف): «الكافر».

(٢) في (ر): «الأمراء».

(٣) في (أ): «يسجنون».

(٤) في (أ): ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، وفي (ف): ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾.

(٥) في (ف): «للكافرين».

ثم لم يقل: (أُعِدَّتْ لَكُمْ) خطاباً كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خطاباً؛ لأنه عَلِمَ^(١) أن منهم مَنْ يُؤْمِنُ، فَقَصَرَ الوَعِيدَ بالنار على طبقة الكفار.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا ينقض على المعتزلة قولهم؛ حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار، ولم يُطلقوا عليهم اسم الكفار، ففي زعمهم أنها أُعِدَّتْ لغير الكفار أيضاً^(٢).

ثم عندنا يجوز أن يعذب المؤمن العاصي فيها مدةً، فقد أَوَعَدَ الله بالتعذيب بها في القرآن على أشياء، وثبت بالأحاديث المشهورة خروج المؤمنين منها بعد مدة. ثم الجمع بين هذه الآية وبين غيرها في هذين الأمرين عند بعضهم: أن هذه النار واحدة لكل من فيها، لكن يتفاضل عقابهم فيها.

وقيل: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة هي للكفار خاصةً، ولغيرهم نارٌ غيرها.

ولمَّا خَوَّفَ بالنار الكافرين بَشَّرَ بالجنة المؤمنين تحقيقاً لوصف^(٣) كتابه بالمثاني، وَمَنْ تَأَمَّلَ في نَظْمِهِ وَجَدَ على الانتظام ثنية المعاني، وقد شرحنا ذلك في الفاتحة.

وكذا نظَّم سورة البقرة، فإنه ذَكَرَ الكتاب، وَبَيَّنَّ أن الناس في حَقِّهِ صنفان: مؤمنون وكافرون، وبينهما طبقة لهم وصفان: إظهار الإيمان وإضمار^(٤) الكفر، ولهم مثَلان:

(١) في (ر): «عالم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/٤٠٢).

(٣) في (أ) و(ف): «لوصفه».

(٤) في (أ): «وإبطان».

مَثَلُ مُسْتَوْدَعِ النَّارِ، وَمَثَلُ الْوَاقِعِ فِي الظُّلُمَاتِ وَالْأَمْطَارِ، ثُمَّ خَاطَبَهُمْ كُلَّهُمْ فَأَمَرَهُمْ بِشَيْئَيْنِ: الْإِعْتِقَادَ وَالْإِقْرَارَ، فِي حَقِّ شَيْئَيْنِ: رَبوبِيَّةِ اللَّهِ وَنُبُوَّةَ رَسُولِهِ، فَصَارُوا فَرِيقَيْنِ: جَاحِلِينَ فَخَوْفَهُمُ بِالنَّارِ، وَمُؤَقَّرِينَ ^(١) فَبَشَّرَهُمُ بِالْجَنَاتِ ^(٢) وَالْأَنْهَارِ:

(٢٥) - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَالْبَشَارَةُ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا وَكسرها: الْخَبَرُ الصَّدَقُ السَّارُّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَ الْمَخْبِرِ عِلْمُهُ، سَمَّيْتُ بِهَا لِأَنَّهَا تَوَثَّرَ فِي الْبَشَرَةِ بِالْبِشْرِ، وَيَسَمَّى بِهَا الْخَبَرُ الْمَحْزَنُ أَيْضًا لِأَنَّهَا تَوَثَّرَ فِي الْبَشَرَةِ أَيْضًا، لَكِنِ الْمَتَعَارَفُ فِي الْأَوَّلِ الْإِطْلَاقُ وَفِي الثَّانِي التَّقْيِيدُ.

وَالْبَشَرَةُ: ظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنْسَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَهْلَكْتُ النَّاسَ﴾ [المدثر: ٢٩]، وَالْبِشْرُ: النَّاسُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، وَهَذَا جَمْعٌ، وَالْبِشْرُ: الْوَاحِدُ مِنْهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلُّكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وَالْبَشِيرُ: الْمُبَشِّرُ، وَالْبَشِيرُ: الْحَسَنُ الْوَجْهَ، وَالْبِشْرُ: الطَّلَاقَةُ، وَالْإِسْتِبْشَارُ: الْفَرَحُ، وَتَبَاشِيرُ الصَّبْحِ: أَوَائِلُهُ، وَبِشْرُهُ بِالْتَّشْدِيدِ وَبِشْرَتُهُ - مِنْ حَدِّ دَخَلَ - فَأَبَشَرَ؛ أَيِ: قَبْلَ الْبَشَارَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَشِّرْ﴾ أَمْرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.

(١) فِي (أ): «وَقَاتِلِينَ»، وَفِي (ف): «وَقَابِلِينَ».

(٢) فِي (أ): «بِالْجَنَانِ».

والكلام في الصلاح من حيث اللغة مرّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليلٌ على أن الطاعات غير الإيمان؛ لأنه عطفها على الإيمان، والعطف دليلٌ على المغايرة، وهو ردٌّ على الشافعي رحمه الله في جعله العمل من الإيمان.

ثم العمل في اللغة هو الفعل، والعمالة: أجر العمل للعامل، والإعمال: الحمل على العمل، واستعمال الشيء: العمل به، والمعاملة بين اثنين والتعامل^(١): التعارف، واليعة: الناقة القوية على العمل.

و(الصالحات) نعتٌ لجمع اسم مؤنثٍ محذوفٍ، وهي الخصلة أو الفعلة.

واختلف في تفسيرها:

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: أخلصوا الأعمال، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ [أي: خالصاً] لأنَّ غير الخالص لا يكون صالحاً^(٢)، والمنافق لا يكون عمله صالحاً؛ لأنه لا يكون خالصاً.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي: أقاموا الصلوات المفروضة، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وهو كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم.

(١) «والتعامل»: سقط من (أ).

(٢) «لأنَّ غير الخالص لا يكون صالحاً»: ليس في (أ)، ولم يرد في المصدر.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العمل الصالح الذي يكون فيه أربعة أشياء: العلمُ والنيةُ والصبرُ والإخلاصُ.

وقال سهل بن عبد الله: أي: لَزِمُوا السَّتَّةَ؛ لأنَّ عملَ المبتدِع لا يكون صالحاً البتَّة.

وقال بعضهم أي: أدَّوا الأمانات، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: أميناً.

وقيل: أي: تابوا عن السيئات، قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]؛ أي: تائبين^(١).

وقيل: أي: أدَّوا الفرائض واجتنبوا المحارم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: هي الشرائعُ، وهي: الصلاةُ، والزكاةُ، والحجُّ، والصومُ، والاعتسَالُ من الجنابة.

وقيل: هي نوعان: أعمالٌ بينك وبينَ العباد؛ كأداءِ الأمانات، والوفاءِ بالعهود، وقضاءِ الحقوق، وصلةِ الأرحام، وأعمالٌ بينك وبينَ الله عزَّ وجلَّ، وهي نوعان: ظاهرةٌ وباطنةٌ، فالظاهرةُ: أداءُ الشرائع، والباطنةُ: صفات القلب؛ كالتوكل^(٢)، والرضا بالقضاء، والصبر في البلاء، والشكر في الرخاء.

ثم هذا تعليقُ البشارةِ المطلقةِ بالإيمان والعملِ الصالح، فإن المؤمنَ المطيعَ له الجنةُ بوعدِ الله تعالى من غيرِ تعذيبٍ، والكافرَ له التعذيبُ المؤبَّد، والمؤمنَ العاصيَ

(١) انظر جميع هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٠)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ) و(ف): «التوكل».

في مشيئة الله عزّ وعلا: إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ قَبْلَ التَّعْذِيبِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِذَنْبِهِ^(١) كُلَّ عَقُوبَتِهِ أَوْ بَعْضَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَّهُمْ جَنَّاتٌ﴾: هي جمع جنة، وهي البستان، والجَنَّةُ بالضم: الثُّرس، وكذا المِجَنُّ، وأصله من: جَنَّ عليه الليل جَنَانًا؛ أي: ستره، والجنونُ يستر العقل، والجَنَّةُ بالكسر كذلك، والجنُّ والجَنَّةُ مستورون^(٢) عن أعين الناس، والجَنَّةُ والمِجَنُّ يسترُ اللابس^(٣)، والجنُّ: القبر، وهو يستر الميت، والجَنَان: القلب، وهو مستورٌ، والجنينُ: الولد في البطن، وهو مستور.

وأما تفسيره^(٤):

فقد قال المفضل: الجَنَّةُ كُلُّ بستانٍ فيه نخْلٌ، وقيل: فيه شجرٌ، فإن كان فيه كَرَمٌ فهو فردوسٌ.

وقيل: الجَنَّةُ اسمٌ لبستانٍ جامعٍ فيه النخلُ والعنبُ وكلُّ ثمر؛ قال الله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٤]، سُميت بذلك لأنها تَسْتُرُ وتُظِلُّ مَنْ يَكُونُ فِيهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ، أو لأنها تستر الأرض بظلِّ أشجارها.

(١) في (أ): «بقدر ذنوبه».

(٢) في (أ) و(ف): «مسترون».

(٣) في (ر): «الإنس».

(٤) في (أ) و(ف): «تفسيرها».

ثم الجنَّاتِ جمعٌ، وهي ثمانية^(١)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي (٢) دارُ الجلال، ودارُ القرار، ودارُ السلام، وجنةُ عدنٍ، وهي قصبةُ الجنة، وهي مشرفةٌ على الجنانِ كُلِّها، وبابُ جنةِ عدنٍ مصراعان من زُمُرْدٍ وياقوتٍ، بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب، وجنةُ المأوى، وجنةُ الخلد من فضةٍ كُلُّها^(٣)، وجنةُ الفردوس، وجنةُ النعيم.

قال^(٤): ودارُ الجلال كُلُّها من النُّور: مدائنُها وقصورُها وبيوتُها وشرفُها وأبوابُها ودُرُجُها وغرفُها وأعالِيها وأسافلُها وخيامُها وأوانِيها وحُلِيُّها وكلُّ ما فيها^(٥)، ودارُ السلام كُلُّها من الياقوتِ الأحمر، ودارُ القرار كُلُّها من المرجان، وجنةُ عدن من الزَّبَرَجَد كُلِّها، وجنةُ المأوى من الذهبِ الأحمر كُلِّها، وجنةُ الخلد من الفضة كُلِّها، وجنةُ النعيم من الزُمُرْد كُلِّها، وجنةُ الفردوس من اللؤلؤ كُلِّها، وحيطانُها لَبَنَةٌ ذهبٍ وَلَبَنَةٌ فضةٍ وَلَبَنَةٌ ياقوتٍ وَلَبَنَةٌ زَبَرَجَدٍ، ومِلَاطُها^(٦) المسك، وقصورُها الياقوت، وغرفُها اللؤلؤ، ومصاريعُها الذهب، وأرضُها الفضة، وحَصَبُها المرجان، وتُرَابُها المسك، ونباتُها الزَّعفران والعنبر.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقال: جَرَى الماءُ يَجْرِي جَرِيًّا وَجَرِيَّةً

(١) في (أ): «ثمان».

(٢) في (ف): «هن».

(٣) «من فضة كلها»: من (ف).

(٤) في (ر): «قال ابن عباس».

(٥) إلى هنا أورده ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ١٣٠) من طريق ابن وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) الملاط: الطين يطلى به الحائط، وطِينٌ يُجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ لَبَتَيْنِ أَوْ آجَرَتَيْنِ أَوْ حَجَرَيْنِ فِي الْبِنَاءِ والمرفق. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: ملط). ووقع في (ر): «وبلاطها».

وَجَرَيَانًا؛ أي: سال، وماءٌ جارٍ، ومياهٌ جاريةٌ، وعينٌ جاريةٌ؛ أي: يجري ماؤها، والجارية: السفينة؛ لأن الماء يجري بها، وصدقةٌ جاريةٌ؛ أي: وَقَفَ دائمُ النِّفَعِ، والأرزاقُ الجارية: الدَّارَةُ، وقد أَجْرَى على جنده وأصحابه الأجرِيات، والجرِيُّ: الوكيل؛ لأنه يجري مَجْرَى الموكِّل، وجمعه: الأجرِياءُ بفتح الهمزة، والإجْرِيَّاءُ بكسر الهمزة: العادةُ التي يجري عليها الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ وفي بعض الآيات: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ [التوبة: ١٠٠] بالحذف^(١)؛ لِمَا أَنَّهُ ظَرْفٌ، والفتحة تدلُّ عليه، وإثباتُ ﴿مِنْ﴾ للصِّلةِ أو لبيانِ أن ابتداءَ الجريان منه، فإنه لا ابتداءَ الغاية.

و(تَحْتُ) بمعنى: سِفْلٍ، وهو اسمٌ ولهذا خُفِضَ بـ(مِنْ)، ولكن يُسْتَعْمَل استعمالُ الحروف لأنه يفيد المعنى في غيره غالباً فأشبهَ الحرف^(٢)، فلم يظهر فيه علامة التعريف والتكثير.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَارُ﴾؛ أي: من أسافلِ أرضها.

وقيل: من تحت أشجارها.

وقيل: من تحت عُرفها.

وقيل: إنها تجري في غير أُحدود.

وفي الآية التي قال: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣ ويونس: ٩ والكهف: ٣١] فمعناه: بأمرهم؛ أي: ذاك تحتَ ولائهم وأمرهم، وهو كقول فرعون: ﴿وَهَكَذَا أَلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١]؛ أي: بأمرِي، ومعنى جَرَّيْهَا بأمرهم ما قال

(١) في (ر) و(ف): «فالحذف».

(٢) في (أ): «الحروف».

عَزَّوَعَلَا فِي آيَةِ أُخْرَى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]؛ أَي: حَيْثُ شَاؤُوا وَعُلُوا وَسُفَلًا.
وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ: الْجَنَّةُ لَيْسَتْ بِاسْمٍ لِلْأَرْضِ وَالْبَقْعَةُ خَاصَّةٌ، بَلْ هِيَ
اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَجْمَعُ الْأَشْجَارَ وَالْغَرَائِصَ^(١)، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾؛ أَي: مِنْ
تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَغَرَائِصِهَا^(٢) ﴿الْأَنْهَارُ﴾.

قَالَ: وَقِيلَ: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾؛ أَي: حَيْثُ يَقَعُ أَبْصَارُهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ فِي الْعُلُوِّ، وَذَلِكَ
أَنْزَلُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَأَحْلَى وَأَطْيَبَ.

قَالَ: وَقِيلَ أَيْضًا: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾؛ أَي: مِنْ تَحْتِ مَا عَلَا مِنْهَا مِنَ الْقُصُورِ وَالْغُرُفِ،
لَا تَحْتَ الْأَرْضِ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ»^(٣)؛ أَي: تَحْتَ مَا عَلَا
لَا تَحْتَ الْجِلْدِ^(٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ هِيَ جَمْعُ نَهْرٍ، وَهُوَ مَسِيلُ الْمَاءِ، وَقَدْ أَنْهَرَ الدَّمُّ؛ أَي: أَسَالَهُ،
وَنَهَرَ نَهْرٌ؛ أَي: كَثِيرُ الْمَاءِ. وَقِيلَ: سَمِّيَ بِهِ لِسَعْتِهِ وَضِيائِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْلُّقَيْنَ فِي

(١) فِي (أ): «اسْمٌ لِمَا يَجْمَعُ الْأَشْجَارَ وَالْغَرَائِصَ» وَفِي (ر): «اسْمٌ لَتَجْتَمِعَ الْجَنَانُ وَالْغَرَائِصُ». وَفِي
«تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ»: (وَلَكِنْ مَا يَجْمَعُ مِنَ الْأَشْجَارِ، وَمَا يَنْبِتُ فِيهَا مِنَ أَلْوَانِ الْغُرُوسِ الْمُثْمَرَةِ).

(٢) فِي (أ): «وَعَرَائِصُهَا».

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٤٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٠٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٥٩٧)، مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ وَجِيهِ، عَنْ
مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْحَارِثُ
حَدِيثُهُ مُنْكَرٌ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ الْحَارِثِ بْنِ وَجِيهِ حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ
حَدِيثِهِ، وَهُوَ شَيْخٌ لَيْسَ بِذَلِكَ.

قُلْتُ: وَلَهُ شَوَاهِدٌ، لَكِنِّهَا جَمِيعًا لَا تَخْلُو مِنْ مَقَالٍ، فَمِنْهَا حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ
(٥٩٨) وَإِسْنَادُهُ مُنْقَطِعٌ. وَمِنْهَا حَدِيثُ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ (٢٤٧٩٧) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. وَمِنْهَا حَدِيثُ
عَلِيِّ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٢٤٩) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ مَرْفُوعًا.

(٤) انْظُرْ: «تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ» (٤٠٣/١).

جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ [القمر: ٥٤]؛ أي: ضيَاءٍ وَسَعَةٍ، وَسَمَّى النَّهَارُ بِهِ لِسَعَتِهِ وَضِيَائِهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ نَهَاراً لَجَرَيَانِ الشَّمْسِ فِيهِ كَجَرَيَانِ الْمَاءِ فِي نَهَرِهِ.

وَأَمَّا تَفْسِيرُهَا:

فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ وَبَحْرُ الْمَاءِ وَبَحْرُ الْعَسَلِ وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقُّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ»^(١).

قَالُوا: وَهِيَ الْأَنْهَارُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الْآيَةُ [محمد: ١٥].

وَقِيلَ: النَّهْرُ وَاحِدٌ، وَيَجْرِي فِيهِ الْخَمْرُ وَالْمَاءُ وَاللَّبَنُ وَالْعَسَلُ لَا يَخَالِطُ بَعْضُهَا بَعْضاً كَمَا لَا يَخَالِطُ الْمَاءُ الْعَذْبُ الْأَجَاجَ الْمِلْحَ^(٢) فِي الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ [النمل: ٦١].

وَقَالَ بَعْضُهُم: الْجَارِي وَاحِدٌ، وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُتَمَنِّيَةِ^(٣)، إِنْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَبناً كَانَ لَبْناً، وَكَذَا سَائِرُهَا.

وَقَالَ بَعْضُهُم: الْجَارِي وَاحِدٌ وَطَبَائِعُهُ أَرْبَعٌ: طَبْعُ الْمَاءِ فِي إِنْبَاتِ الْحَيَاةِ، وَطَبْعُ اللَّبَنِ فِي التَّرْبِيَةِ، وَطَبْعُ الْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ، وَطَبْعُ الْخَمْرِ فِي الْإِطْرَابِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْأَنْهَارَ جَمْعاً عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ لِكَثْرَةِ مَعَانِيهَا مَعَ اتِّحَادِ عَيْنِهَا، فَإِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَقَدِ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥٧١) مِنْ حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) فِي (أ): «الْمَاءُ الْعَذْبُ الْمَاءِ الْأَجَاجَ وَالْمِلْحَ».

(٣) الْمُنِيَّةُ: مَا يَتَمَنَّى الرَّجُلُ. وَوَقَعَ فِي (ف): «الْمُنِيَّةُ».

ذاقوا الموتَ وذاقوا^(١) النارَ وخافوا وضعُفوا، فأهلُ الجنة^(٢) سَقَوْهم الماءَ لِيَحْيُوا ثم إنهم لا يموتون، وسَقَوْهم اللَّبنَ لِيَتَرَبَّوْا ثم إنهم لا يَنْقُصون، وسَقَوْهم الخمرَ لِيَطْرَبُوا ثم إنهم لا يحزنون، وسَقَوْهم العسلَ لِيَصِحُّوا ثم إنهم لا يَسْقُمون.

ثم^(٣) في الجنة عيونٌ أيضاً: عينُ الكافور، وعينُ الزَّنجبيل، وعينُ السَّلْسبيل، وعينُ الرَّحيقِ ومزاجُه من تسنيمٍ، وهذه الأنهارُ تنبع من عيونٍ في ساقِ العرش.

ورُوي أنه كُتِبَ على ساقِ العرشِ عرضاً: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فعينُ الماءِ تنبعُ من ميمٍ بسمٍ، وعينُ اللَّبنِ تنبعُ من هاءِ الله، وعينُ الخمرِ تنبعُ من ميمٍ الرحمن، وعينُ العسلِ تنبعُ من ميمٍ الرحيم.

هذا منبعُها، وأما مَصْبُها: فكلُّها تنصبُ في الكوثر، وهو حوضُ النبي ﷺ، وهو في الجنة اليوم، ويُنقل يومُ القيامةِ إلى العَرَصاتِ لسقي^(٤) المؤمنين، ثم ينقل إلى الجنة، ويُسقى أهلُ الجنة من هذه الأنهارِ والعيونِ بواسطة الملائكة، ويسقيهم الله تعالى الشرابَ الطهور بلا واسطةٍ، قال تعالى: ﴿وَسَقَّيْهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وقد قال بعضُ أهلِ المعرفة: إن لله تعالى شراباً ادَّخَره لأهلِ المعرفة، فإذا شربوا طَرَبُوا، وإذا طَرَبُوا قاموا، وإذا قاموا هاموا، وإذا هاموا طاشوا، وإذا طاشوا عاشوا، وإذا عاشوا طاروا، وإذا طاروا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا نزلوا،

(١) في (ر) و(ف): «ودخلوا».

(٢) «فأهل الجنة»: زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «و».

(٤) في (أ): «ليسقي».

(٥) في (أ): «وإذا هاموا شاطوا وإذا شاطوا».

وَإِذَا نَزَلُوا قُرْبُوا، وَإِذَا قُرْبُوا كُوشِفُوا، وَإِذَا كُوشِفُوا شَاهَدُوا، وَإِذَا شَاهَدُوا عَايَنُوا،
وَإِذَا عَايَنُوا أَنْسُوا، وَإِذَا أَنْسُوا أَبْصَرُوا.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾: (كلما) كلمة تقتضي عموم الأفعال، وكلمة (كُلَّ) تقتضي عموم الذوات، وحقيقتها: أن كلمة (كُلَّ) لعموم ما دخل فيه، و(ما) مع الفعل المذكور بعده بمنزلة المصدر، فيقتضي عموم ذلك الفعل لدخولها فيه، فاقترضى التكرار بهذا الطريق.

وقوله ﴿رُزِقُوا﴾؛ أي: أعطوا، وقد بينا حقيقة هذا في ^(١) قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الأنفال: ٣].

وقوله: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الجنات، و(مِنْ) في ﴿مِنْهَا﴾ ^(٢) لبيان المكان؛ أي: من هذا المكان يرزقون.

وقوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ (مِنْ) في هذا للتجنيس.

وقيل: هي زائدة؛ أي: كلما رزقوا ثمرة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]: (مِنْ) هذه زائدة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وقيل: هي للتأكيد، كما في قولهم: ما في الدار من رجلٍ.

وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا﴾ هو خبرٌ ما لم يُسمَّ فاعله، وهو مفعولٌ ثانٍ في الحقيقة، أخبر أن لهم رزقاً في الجنة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَاشِيًا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصفات: ٤١]، ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ

(١) في (ر) و(ف): «من».

(٢) في (ر): «ومن فيها».

نَقَادٍ ﴿ص: ٥٤﴾، ﴿رَزَقُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وأخبر أن لهم ثمرات، ومن صفتها: ﴿وَفَكَهَةً كَثِيرَةً﴾ (٣٢) ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢]، ﴿وَفَكَهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠] ﴿مِنْ كُلِّ فَكَهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] ﴿فِيهَا فَكَهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ﴿فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ﴾ (٣٨) ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨-٢٩] ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] والقُطْف: عنقود العنب.

وسأل أعرابي رسول الله ﷺ عن أعناب الجنة وعنقودها فقال: «مسيرة شهر للغراب يطير ولا يفتر عن طيرانه»^(١)، ولو اجتمع الخلائق على عنقود واحد^(٢) لا شبعهم^(٣).

وقد روي أنه لا يُقَطَّع من شجر الجنة ثمر إلا نبت مكانه مثله.

وروي أنه يخرج من حبة عنب الجنة مثل الدرة، فتتفلق^(٤) عن حوراء عينا يغلب نورها الشمس.

وفي الخبر: أن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة، في كل حديقة سبعون ألف شجرة، على كل شجرة سبعون ألف ورقة، على كل ورقة مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أمة مذبذبة ورب غفور، كل ورقة عرضها من مشرق الأرض إلى مغربها^(٥).

(١) في (أ): «الطيران».

(٢) «واحد»: زيادة من (أ).

(٣) رواه بنحوه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤١٦) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «تتفلق الدرة».

(٥) في (أ): «من شرق الأرض إلى غربها».

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابنُ مسعود وابنُ عباس ومجاهدٌ وقتادةٌ رضي الله تعالى عنهم؛ أي^(١): قالوا: هذا الذي رُزِقناه من ثمار الجنة مثل الذي كنّا رُزِقناه من ثمار الدنيا^(٢)؛ أي: في الصورة والاسم، فقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا ممّا في الجنّة إلاّ الأسماء^(٣)، فأشجارُ الجنّة من الزّبرجد والياقوت والذهب والفضّة.

وقال أبو عبيدة ويحيى بنُ أبي كثيرٍ: ثمارُ الجنّة إذا جُنيت من أشجارها استُخلف مكانها مثّلها، فإذا رأوا ما استُخلف بعد الذي جُني، اشتبه عليهم فقالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾^(٤).

وقيل: يُؤتى بالعشاء مثّل ما كان يُؤتى بالغداة^(٥)، فيقولون: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: مثل ما تقدّم.

وقيل: معناه: هذا الذي وعدنا في الدنيا أن يكون رزقاً لنا في الجنّة.

وقيل^(٦): أي: هذا ثواب ما رُزِقنا من العمل الصالح في الدنيا، فالثواب مُضمّر، والإضمارُ جائزٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية. وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ هو على ما لم يُسمّ فاعله على قراءة العامة، وقرأ

(١) في (ف): «إنهم».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٤٠٨/١ - ٤٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١٦/١)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٧١/١).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٤٠٩/١ - ٤١٠)، وانظر: «النكت والعيون» (٨٦/١). وأبو

عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود.

(٥) في (ف): «بالغداة».

(٦) «وقيل»: ليست في (أ).

هارون بن موسى: (وَأَتُوا) بفتح الألف على الفعل الظاهر^(١)؛ أي: الخَدَمُ أَتُوا بِالرِّزْقِ، ومعنى القراءة المشهورة: وَجِئُوا بِهِ؛ أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين دخلوها. والمُتَشَابِه في اللغة مُتَفَاعِلٌ مِنَ الشَّبهِ وَالشَّبَّهِ، وهما كالمِثْل والمِثْل، والتَّشْبِيهُ كذلك، والتَّشْبِيهِ: التَّمثِيلُ، والمُشَابَهَةُ: المِمَّاثلَةُ، والشَّبَّهِ - بفتح الشين والباء - الأشباه أيضاً^(٢)، والشَّبَّهِ: جوهرٌ يُشَبِّه الذهبَ، والأُمُورُ المُشَبَّهَاتُ^(٣): المُشْكَلَاتُ، والمُتَشَابِهَاتُ كذلك، وحقيقةُ المُتَشَابِه: الذي فيه شَبَّةٌ مِنْ غَيْرِهِ حَتَّى لَا يَكَادُ يُتَمَيَّزُ^(٤) مِنْ غَيْرِهِ، والمُتَشَابِهَاتُ: المِثْمَاثَلَاتُ، والشُّبُهَةُ: مَا يُشَبِّه الْحَلَالَ مِنْ وَجْهِ وَالْحَرَامَ مِنْ وَجْهِ، والشُّبُهَةُ مَا يُشَبِّه الْحُجَّةَ.

وأما تفسيره هاهنا؛ فقد قال الحسن وقتادة وابن جريج: معنى التشابه: هو التَّمَاثُلُ فِي الْجُودَةِ؛ أي: كُلُّهُ خِيَارٌ^(٥) يُشَبِّه بَعْضُهُ بَعْضًا؛ لَا رَدَّلَ فِيهِ وَلَا فَاسِدٌ وَلَا مُتَغَيِّرٌ^(٦)، وليس كثمار الدنيا التي لا تتشابه لأنَّ فيها خياراً وغير خيارٍ^(٧).

وقال ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس رضي الله عنهم: التَّشَابَهُ هُوَ التَّمَاثُلُ فِي اللَّوْنِ دُونَ الطَّعْمِ، فَتَكُونُ ثَمَارُ الْجَنَّةِ فِي أَلْوَانِ ثَمَارِ الدُّنْيَا، وَإِنْ خَالَفَتْهَا فِي الطَّعْمِ فَكَانَتْ أَلَذَّ وَأَطْيَبَ^(٨).

(١) انظر: «المختصر في القراءات الشواذ» (ص: ٣).

(٢) «أيضاً»: زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «المشبهات».

(٤) في (ف): «يميز»، وفي (أ): «حتى كاد لا يتميز».

(٥) في (ر): «جياذ».

(٦) في (أ): «ولا فاسد ولا تغير»، وفي (ر): «ولا فساد ولا متغير».

(٧) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٣). ووقع في (ر) و(ف): «جياذاً وغير جياذ».

(٨) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٤ - ٤١٥).

وقال مجاهد ويحيى بن سعيد: إِنَّهَا تُشَابِه ثَمَارَ الدُّنْيَا فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ جَمِيعًا،
أَي: هِيَ تُشَابِه ثَمَارَ الدُّنْيَا فِي لَوْنِهَا وَطَعْمِهَا^(١)، وَفِي ذَلِكَ تَرْغِيْبُهُمْ فِي طَلَبِ مَا عَرَفُوهُ
فِي الدُّنْيَا بِلَوْنِهِ وَطَعْمِهِ.

وقال مجاهد في رواية: أَي: يُشَابِه بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الْأَلْوَانِ، وَيَخْتَلِفُ
فِي الطَّعْمِ^(٢)، وَفِي ذَلِكَ زِيَادَةُ نَشَاطٍ لَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوا مِمَّا تَتَّفَقُ صُورُهَا مَا
تَتَفَاوَتُ^(٣) مَعَانِيهَا.

وقال أبو زيد والأشجعي^(٤): التَّشَابِه فِي الْأَسْمَاءِ دُونَ الْأَلْوَانِ وَالطَّعْمِ، فَلَا
تُشَابِه ثَمَارُ الْجَنَّةِ شَيْئًا مِنْ ثَمَارِ الدُّنْيَا فِي لَوْنٍ وَلَا طَعْمٍ، وَإِنَّمَا تَتَّفَقُ أَسْمَائُهَا لَا غَيْرَ،
وَفِي ذَلِكَ تَرْغِيْبُهُمْ فِي وَجْهِهِ^(٥) لِدَاثِ لَمْ يَعْهَدُوهَا وَلَا يَقْفُونَ عَلَى غَايَتِهَا.

وقيل: مَعْنَاهُ: ﴿وَأَتَوَابُهُمْ مُتَشَابِهَةٌ﴾؛ أَي: مَتَمَاثِلًا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ عَلَى

(١) رَوَاهُ عَنْهُمَا الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٤١٥).

(٢) فِي (أ): «الطَّعْمُ»، وَالْأَثَرُ رَوَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٤١٤ - ٤١٥).

(٣) فِي (ر) وَ(ف): «تَتَفَارَبُ».

(٤) قَوْلُهُ: «وَالْأَشْجَعِيُّ» كَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ، وَمِثْلُهُ فِي «النَّكَتِ وَالْعَيُونَ» لِلْمَاوَرِدِيِّ (١/ ٨٦)، وَلَعَلَّهُ
وَهُم، وَالصَّوَابُ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَبَبُ الْوَهْمِ سِيَاقُ الطَّبْرِيِّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٤١٦) حَيْثُ قَالَ:
«حَدَّثَنِي أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ (ح)، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، قَالََا
جَمِيعًا [يَعْنِي: الْأَشْجَعِيُّ وَمُؤَمَّلٌ]: حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ
أَبُو كَرِيبٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْأَشْجَعِيِّ: لَا يَشَبْهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ. وَقَالَ ابْنُ
بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ مُؤَمَّلٍ، قَالَ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ. فَالْخَبَرُ كَمَا تَرَى لِابْنِ
عَبَّاسٍ، لَكِنْ قَدْ يُوْهِمُ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لِلْأَشْجَعِيِّ.

(٥) فِي (ر) وَ(ف): «وَجُودٌ».

الطَّراوة، وليس في الجنة خريفٌ ولا شتاءٌ ولا ربيعٌ ولا صيفٌ، ولا حرٌّ ولا بردٌ، ولا نقصٌ ولا فُقد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [الزَّوْجُ: البُعْلُ في اللغة^(١)، والزَّوْجَةُ البُعْلَةُ، والزَّوْجُ ذَكَرٌ وَأُنْثَى مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ، وهما زوجان أيضاً، وهو في القرآن لأشياء: للبعْل: قال تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وللبُعْلَة: قال الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].
وللذكر والأنثى مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ: قال الله تعالى: ﴿فَأَسْأَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وللشَّفَعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].
وللصَّنْفِ: قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].
وللَّوْنِ: قال الله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]؛ أي: لونٍ حَسَنٍ.
وللشَّيْبِ: قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].
وللقرين: قال تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].
وأما تفسيره:

فمعناه: ولهم في الجنات زوجاتٌ؛ وهنَّ نساء الدُّنيا وحُور الجنة جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ [الآيات [الواقعة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] وَعَدَهُمَ الْجَمْعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الزَّوْجَاتِ؛ لِيَتِمَّ لَهُمُ الْأُنْسُ وَالرَّاحَاتُ^(٢)، وَتَهْنَأَ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَالْأَطْعَمَةُ وَالْأَشْرَبَةُ وَالْكَرَامَاتُ.

(١) بعدها في (أ): «والزوج».

(٢) «والراحات»: من (ر).

وقوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ الطُّهْر والطَّهارة خلاف الدَّنَس، يقال: فلان طاهر الثياب؛ أي: نقي عن العيب، والتَّطَهَّر: التنَّزه عن الإثم والقبیح، والتَّطَهَّيرُ: إثبات الطهارة.

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (مُطَهَّرَاتٌ)^(١)؛ لأنها نعتُ النسوة، وهنَّ^(٢) جمعٌ، وقراءة العامة وهو الذي في مصحف الإمام: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾؛ لأنَّ المسموعَ من العرب في نعتِ الجمع القليل الألف والتاء، وفي نعتِ الجمع الكثير الهاء وحدها، يقال: أحمرَّةٌ مُسْتَنْفِرَاتٌ، وَحُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، ولأنَّ الأزواجَ جمعُ زوجٍ، وهو مذكَّرٌ في اللفظ، وإنَّما صار مؤنَّثاً بالجمع للحال، فصارت كالواحدة، كقولك: بيتٌ خاوٍ^(٣)، ثم تقول: بيوتٌ خاويةٌ، ولا يقال: خاوياتٌ، ونقول: دارٌ خاويةٌ، ودورٌ خاوياتٌ؛ لأنَّ الواحدة كانت مؤنثة، وهذه جماعة المؤنثات.

وإنَّما قال: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾، ولم يقل: طاهرة؛ لأنَّ المُطَهَّرَةَ أبلغُ، فإنَّ طاهرة تدلُّ على طهارتها، والمُطَهَّرَةُ تدلُّ على أنَّ الله هو الذي منَّ بتطهيرها، ولأنَّ التفعيلَ للتكثير، فيدلُّ على أنواع التطهير، ولأنَّ التفعيلَ للنسبة والوصف فيدلُّ على أنَّهنَّ الموصوفاتُ بها المنسوباتُ إليها، ولأنَّها إن جُعِلت في أوصاف نساء الدُّنيا دلَّت على أنَّهنَّ جُعِلن كذلك^(٤) في العُقبى وإن كنَّ غير ذلك في الدُّنيا، وإن جُعِلت في صفة الحُور العِين، فمعناه أنَّهنَّ خُلِقن كذلك، وأبدأً يقيِّن كذلك.

(١) نسبها الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٣٩) لزيد بن علي.

(٢) في (أ) و(ر): «وهي».

(٣) في النسخ: «خاوي» والمثبت هو الجادة.

(٤) في (ر): «جعلت ذلك»، وفي (ف): «جعلن لذلك».

وَأَمَّا التَّفْسِيرُ:

فقد قيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَبْدَانِ فِي الْخَلْقَةِ، فَهِنَّ مِنَ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وَالْعَنْبَرِ وَالزَّعْفَرَانِ، لَا مِنَ التَّرَابِ وَالْمَنِيِّ وَالْعَلَقَةِ.

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَبْدَانِ فِي الْحَالِ، فَلَيْسَ تَحْتَ الْجُلُودِ دَمٌ وَلَا قَيْحٌ، وَلَا فِي الْبَطُونِ مَا فِي بَطُونِ الْبَشَرِ.

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَبْدَانِ عَنِ الْأَمْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ؛ مِنَ الْوَرَمِ وَالذَّرَنِ وَالصُّدَاعِ وَسَائِرِ الْأَوْجَاعِ.

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَبْدَانِ عَنِ الْوَلَادَةِ، وَهُوَ قَوْلُ يَمَانَ بْنِ رَثَابٍ^(١).

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَبْدَانِ عَمَّا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ مِنْ بَوْلٍ أَوْ مَنِيِّ أَوْ غَائِطٍ أَوْ حَيْضٍ أَوْ نَفَاسٍ أَوْ مَخَاطٍ أَوْ بَلْغَمٍ.

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَفْعَالِ؛ فَلَا يُصَاحِبُنَ وَلَا يُجَادِلُنَ، وَلَا يَعْتَرِضُنَ وَلَا يُعَرِّضُنَ، وَلَا يُعْلِظُنَ الْقَوْلَ، وَلَا يُسَيِّنُ الْفِعْلَ، وَلَا يَنْشُرُنَ.

وقيل: مُطَهَّرَاتُ الْأَخْلَاقِ؛ فَلَا يَحْسُدُنَ وَلَا يَحْقُدُنَ وَلَا يُبْغِضُنَ وَلَا يَغْرُنَ.

وقيل: مُطَهَّرَاتٌ عَنِ اسْتِرَابَةِ الْقُلُوبِ بَهْنٍ؛ فَلَا يَمْلَنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَلَا يَقَعُ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ مَا يُنْفَرُ طَبَاعُهُمْ عَنْهِنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الْخُلُودُ: الْبَقَاءُ لُغَةً، وَالْإِخْلَادُ: الْإِقَامَةُ وَالرُّكُونُ أَيْضًا، وَحَقِيقَةُ الْخُلُودِ: الدَّوَامُ مِنْ وَقْتٍ مُبْتَدَأٍ، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ تَعَالَى: إِنَّهُ^(٢) خَالِدٌ؛ لِأَنَّهُ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ.

(١) فِي النِّسْخِ: «رَبَاب»، وَالْمَثْبُتُ هُوَ الصَّوَابُ.

(٢) «أَنَّهُ»: مِنْ (أ).

وتفسيره: وهم في الجنّات باقون دائمون مقيمون، لا يموتون ولا يخرجون، والبقاء الأبدِي في الجنّة لأهلها وفي النار لأهلها، قولُ جميعِ أهلِ الإسلام.
وقال جَهْمٌ - لعنه الله تعالى -: إِنَّ الجنّة والنار يَفْنِيَان؛ لأنّ البقاء الأبدِي لله وحده^(١).

ودليلاً: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّكَدَّ أَلْآخِرَةُ لِهَيْ أَلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ولأنّ أهل الجنّة لو علّموا بالزوال لكانوا في أشدّ عقوبة، ولو أنّ^(٢) أهل النار علّموا بالفناء لكانوا في أتمّ راحة؛ فيصير الثواب عقاباً والعقاب ثواباً.

وجواب قولهم: أنّ الله تعالى باقٍ بذاته^(٣)، وبقاء الجنّة والنار وأهلها ببقاء الله تعالى، فلا مشابهة.

(١) انظر: «التبصير في الدين» لأبي المظفر الإسفراييني (ص: ١٠٨).

(٢) «لو أنّ»: ليست في (أ).

(٣) أي: قولهم: «لأنّ البقاء الأبدِي لله وحده» جوابه: «أنّ الله تعالى باقٍ بذاته...»، وفي (ر): «لذاته».

